COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036744603

893.741
J19

08856532
893.741
J19 C1

DEC 6 1971

Jāhiẓ, ʿAmr ibn Baḥr al-
Kitāb al-bayān wa al-tabyīn

﴿ الجزء الاول ﴾

من كتاب البيان والتبيين تأليف الامام أبي
عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن
محبوب الكناني البصري
المتوفى بالبصرة في المحرم
سنة ٢٥٥
هجريه

(قد شرح غريب ألفاظه حضرة الفاضل اللبيب والماجد القطن)
(الاديب البديعي البياني حسن افندي الفاكهاني حفظه الله)

﴿ حقوق الطبع محفوظه ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة العلمية سنة ١٣١١)
﴿ هجريه ﴾

13-20299
893.741
J19
To replace old copy

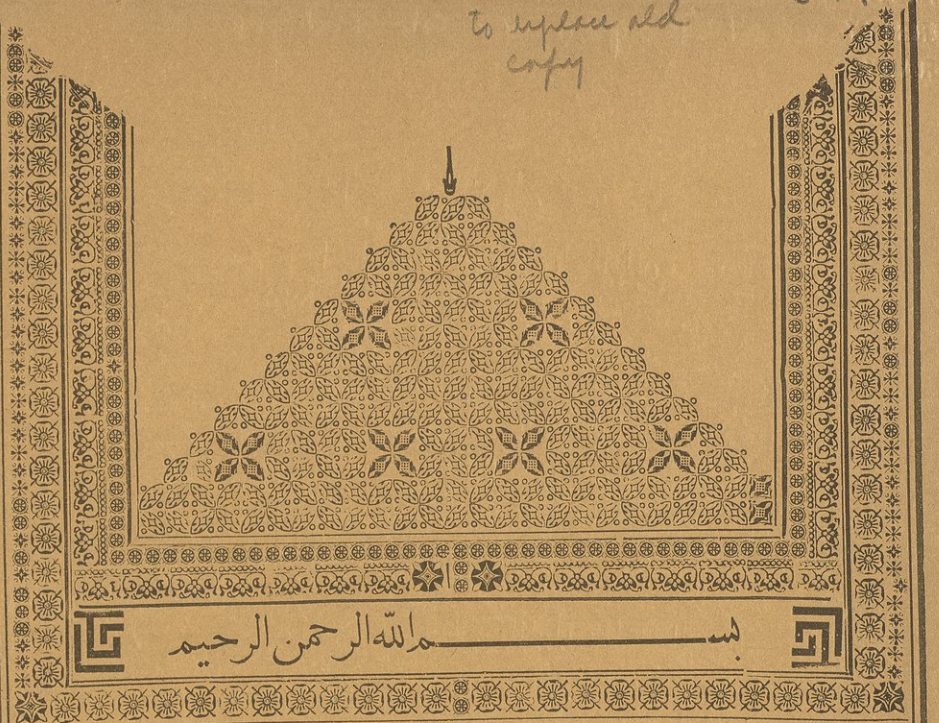

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم عونك اللهم وتيسيرك اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف (١) لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة (٢) والهذر (٣) كما نعوذ بك من العي (٤) والحصر (٥) وقد يعتاما تعوّذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

اعذني رب من حصر وعيّ * ومن نفس أعالجها علاجا

وقال الهذلي * ولا حصر بخطبة اذا ما عزت الخطب * وقال مكي بن سوادة

حصر مسهب جرىء جبان * خير عيّ الرجال عيّ سكوت

(وقال آخر)

ملىء بهر والتفات وسلة * ومسحة عثنون (٦) وفتل الاصابع

ومما ذموا به العي قوله

ومالي من عي ولا أنطق الخنا (٧) * اذا جمع الاقوام في الخطب (٨) محفل

وقال الراجز وهو يمتح (٩) بدلوه

(١) التجشم أو فعل مالا يطاق (٢) طول اللسان (٣) سقط الكلام (٤) العجز عن النطق (٥) بالتحريك ضيق الصدر عن النطق (٦) اللحية (٧) الفحش (٨) الشأن والامر صغر أو عظم (٩) ينزع تقول منح الماء أي نزعه

علقت (١) يا حارث عند الورد (٢) * بجابى (٣) لا رفل (٤) التردى (٥)
* ولا عيّ بابتناء المجد *

وهذا كقول بشار الاعمى

وعى الفعال كعى المقال * وفى الصمت عىّ كعى الكلام

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شتيم بن خويلد فى قوله

ولا يشعبون (٦) الصدع (٧) بعد تفاقم (٨) * وفى رفق أيديكم لدى الصدع شاعب

وهذا كقول ريان بن سيار

ولسنا كأقوام أجد وا رياسة * يرى مالها ولا يحس فعالها
يريغون (٩) فى الخصب الامور ونفعهم * قليل اذا الاموال طال هزالها (١٠)
وقلنا بلاعى وسسنا بطاقة * اذا النار نار الحرب طال اشتعالها

لانهم يجعلون العجز والعى من الخرق كانا فى الجوارح أو فى الالسنة وقال ابن أحمر الباهلى

لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعلم بعد تدبر الامر

وقالوا فى الصمت كقولهم فى النطق قال أحيحة بن الجلاح

والصمت أحسن بالفتى * مالم يكن عىّ يشينه (١١)
والقول ذو خطل اذا * مالم يكن لب يعينه

وقال محرز بن علقمة

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب (١٢)
صموتا فى المجالس غير عى * جديرا حين ينطق بالصواب

وقال مكى بن سوادة

تسلم بالسكوت من العيوب * فكان السكت أجلب للعيوب
ويرتجل الكلام وليس فيه * سوى الهذيان من حشد (١٣) الخطيب

(وقال آخر)

جمعت صنوف العى من كل وجهة * وكنت حريا بالبلاغة من كتب
أبوك معم (١٤) فى الكلام ومخول (١٥)
وخالك وثاب (١٦) الجرائيم (١٧) فى الخطب

وقال حميد بن ثور الهلالى

أتانا ولم يعدله سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل

---

(١) أحببت واعتدت (٢) الاشراف على الماء (٣) ساقى الابل الذى يتقدم قبل ورودها بيوم فيجبى لها ماء فى الحوض ثم يوردها (٤) لا جاهل (٥) السقوط فى البئر (٦) يجمعون أو يصلحون (٧) الشق أو ظهور الشئ وتبينه (٨) تعاظم (٩) يطلبون (١٠) ضعفها (١١) يعيبه (١٢) عيب (١٣) جمع (١٤) كريم العم (١٥) كريم الخال (١٦) صيغة مبالغة والفعل وثب أى قفز (١٧) الاصول

فما زال عنه اللقم (١) حتى كأنه * من العي لما ان تكلم باقل

سحبان مثل فى البيان وباقل مثل فى العي ولهما أخبار وقال آخر

ماذا رزئنا (٢) منك أم الاسود * من رحب (٣) الصدر وعقل (٤) متلد (٥)

* وهى صناع (٦) بالسنان وباليد *

(وقال آخر)

لو صحبت شهرين داأبا (٧) لم تمل * وجعلت تكثر من قول لا وبل

حبك للباطل قد ما قد شغل * كسبك عن عيا لنا قلت أجل

* تضجر امنى وعيا بالحيل *

قال وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسى أى شئ استر للعى قال عقل يجمله قالوا فان لم يكن له عقل قال فمال يستره قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه قال فيكون ذا عى وصمت قالوا فان لم يكن ذا صمت قال فموت وحى (٨) خير له من أن يكون فى دار الحياة وسأل الله موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التى كانت فى لسانه والحبسة التى كانت فى بيانه واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب واستراحته الى كل شغب (٩) ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند وعلى كل مختال مكايد حين خبرنا بقوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين وقال موسى عليه السلام وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردأ (١٠) يصدقنى وقال ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة والمبالغة فى وضوح الدلالة لتكون الاعناق اليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع وان كان قد يأتى من وراء الحاجة ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة ولله عز وجل أن يمتحن عباده باشياء من التخفيف والتثقيل ويبلوا أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة (١١) وشكل من العبادة ومن الدليل على ان الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى (١٢) وأشركه فى أمرى الى قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى فلم تقع الاستجابة على شئ من دعائه دون شئ لعموم الخير وسنقول فى شان موسى عليه السلام ومسالته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم

(١) وسط الطريق وهنا بمعنى وسط الكلام (٢) أصبنا (٣) سعة (٤) هنا بمعنى الدية (٥) ما ولد عندك من مالك (٦) حاذقة أو ماهرة فى عمل اليدين (٧) الدأب الاجتهاد فى العمل والاستمرار (٨) الموت المسرع (٩) تهييج الشر (١٠) عونا (١١) الاختبار (١٢) ظهرى

البيان وعظيم نعمته فى تقويم اللسان فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال هذا بيان للناس ومدح القرآن بالبيان والافصاح وبحسن التفصيل والايضاح وبجودة الافهام وحكمة الابلاغ وسماه فرقانا وقال عربى مبين قال وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وقال وكل شئ فصلناه تفصيلا وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق ورجاحة الاحلام وصحة العقول وذكر العرب ومافيها من الدهاء (١) والنكراء والمكر ومن بلاغة الالسنة واللدد عند الخصومة فقال اذا ذهب الخوف سلقوكم (٢) بالسنة حداد وقال لتنذر به قوما لدا (٣) وقال ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وقال آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم ذكر خلابة (٤) ألسنتهم واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم فقال وان يقولوا تسمع لقولهم ثم قال ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا مع قوله واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث (٥) والنسل (٦) وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول ويسيئون فى العمل قال أبو حفص أنشدنى الاصمعى للمكعبر الضبى

كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى (٧) به المحروب (٨) وهو عناء

وقيل لذو همان ما تقول فى خذاعة قال جوع وأحاديث وفى شبيه بهذا المعنى قال أفنون ابن صريم التغلبى

لو اننى كنت من عاد ومن ارم * غذى قيل (٩) ولقمان وذى جدن (١٠)
لما وقوا باخيهم من مهولة * أحا السكون ولا حادوا عن السنن
أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم * أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به * رئمان أنف اذا ما ضن باللبن

ورئمان أصله الرقة والرحمة والرؤم أرق من الرؤف فقال رئمان انف كانها تبر ولدها بانفها وتمنعه اللبن ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتانيس والتلقى بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الاكرام وقالوا تمام الضيافة الطلاقة (١١) عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال شاعرهم وهو حاتم الطائى

سلى الجائع الغرثان (١٢) يا أم منذر * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
هل ابسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال الآخر)

---

(١) النكر وجودة الرأى والادب (٢) أذوكم (٣) شديدى الخصومة (٤) سلبهم العقول بالسنتهم (٥) المال (٦) الولد بضم الواو (٧) يعلل بتشديد اللام المفتوحة (٨) المسلوب ماله (٩) شرب نصف النهار (١٠) هو علس ابن يشرح بن الحرث بن صيفى بن سبا جد بلقيس وهو أول من غنى باليمن والجدن حسن الصوت (١١) سماحة الوجه (١٢) غرث أى جاع

انك ايابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى
ورب نضو (١) طرق الحى سرى * صادف زادا وحديثا ما اشتهى
* ان الحديث جانب من القرى *

(وقال آخر)

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

ولذلك قال عمرو بن الاهتم

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا مبيت صالح وصديق

(وقال الآخر)

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب أم تامرهم أحلامهم بهذا وقال فاعتبروا يا أولى الالباب وقال انظر كيف ضربوا لك الامثال وقال وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وعلى هذا المذهب قال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقد قال الشاعر

يتقارضون (٢) اذا التقوا فى موقف * نظرا يزيل مواقع الاقدام

وقال تبارك وتعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم لان مدار الامر على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهيم وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما انه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان فى الفضل الا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم هكذا ظاهر هذه القضية وجهور هذه الحكومة الا فى الخاص الذى لا يذكر والقليل الذى لا يشهر وضرب الله مثلا لعى اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ولذلك قال النمر بن تولب

وكل خليل عليه الرعاث (٣) * والحبلات (٤) ضعيف ملق

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل (٥) يوم اطالة الخطبة باعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون (٦) العى فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم

(١) مهزول (٢) يتسالفون فكل ينظر الى الآخر (٣) جمع رعثة وهى القرط (٤) هى عقود اللؤلؤ أو ضرب من الحلى (٥) الكلام الفاسد الكثير (٦) يلومون

وترادف عليهما التأنيب ومماتنة العي الحصر البليغ المصقع (١) في سبيل مماتنة المنقطع المفحم (٢) للشاعر المفلق (٣) وأحدهما ألوم من صاحبه والالسنة اليه أسرع وليس اللجلاج (٤) والتمتام (٥) والالثغ (٦) والفافاء (٧) وذوالحبسة (٨) والحكلة (٩) والرتة (١٠) وذواللفف (١١) والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعي في مناضلة (١٢) خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار (١٣) والخطل (١٤) المكثار ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق (١٥) والتقعير (١٦) والتقعيب (١٧) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد اعذر من عي يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد الا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابي القح (١٨) وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والالفاظ وفي التحبير والارتجال أنه البحر الذي لا ينزح والغمر (١٩) لا يسير أيسر من انتحال الحصر المنخوب (٢٠) أنه في مسلاخ (٢١) التام الموفر والجامع المحكك وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اياي والتشادق وقال أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون وقال من بداجفا وعاب الفدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الاشداق ورحب الغلاصم وهدل (٢٢) الشفاه واعلمنا ان ذلك في أهل الوبر (٢٣) أكثر وفي أهل المدر (٢٤) أقل فاذا عاب المدري باكثر مما عاب به الوبري فاظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي فالحصر المتكلف والعي المتزيد ألوم من البليغ المتكلف الاكثر مما عنده وهو اعذر لان الشبهة الداخلة عليه أقوى فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشادقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبي صلى الله عليه وسلم نصا وجعل النهي عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له وبغضه اياه ولما علم واصل بن عطاء أنه الثغ فاحش اللثغ وان مخرج ذلك منه شنيع وأنه اذا كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه بريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لا بد له من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة والى تمام الآلة واحكام الصنعة والى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وان

---

(١) عالي الصوت أو الذي لا يرتج عليه في كلامه ولا يتتعتع (٢) منعه قول الشعر (٣) الآتي بالعجيب (٤) المتردد في الكلام (٥) هو الذي تسبق كلمته الى حنكه الاعلى فان التمتمة رد الكلام الى التاء والميم (٦) هو الذي يحول لسانه من السين الى الثاء أو من الراء الى الغين أو غير ذلك (٧) مردد الفاء (٨) الذي لا يسمع قوله (٩) الذي لا يسمع صوته (١٠) العجمة (١١) عي بطيء الكلام اذا تكلم ملا لسانه فمه (١٢) مباراة (١٣) المهذار (١٤) كثير الكلام (١٥) متكلف البلاغة (١٦) التكلم باقصى الفم (١٧) تقصير الكلام (١٨) الخالص من اللؤم (١٩) الماء الكثير (٢٠) الجبان (٢١) صفة (٢٢) ارسالها الى أسفل (٢٣) القفر والبيداء (٢٤) المدن والحضر

حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة وان ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتثنى اليه الاعناق وتزين به المعانى وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع فى المعرفة ومع هدى النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبى صلى الله عليه وسلم

لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك بالخبر

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة الى ان حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة واسقط تلك المحنة ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتاتى لسره والراحة من هجنته (١) حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما ولولا استفاضة هذا الخبر وظهوره هذه الحال لما استجزنا الاقرار به والتاكيد له ولست أعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومثاقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان واللثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء والغين أقلها قبحا وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم واشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء وقد ذكر فى ذلك أبو الطروق الضبى فقال

عليم بابدال الحروف وقامع (٢) * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جدا وفيه قال بشار الاعمى

مالى أشايع غزالا له عنق * كنقنق (٣) الدو (٤) ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم * أتكفرون رجالا كفروا رجلا

ولما هجاه واصلا وصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وقال

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وكان واصل بن عطاء غزالا وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلى أيضا فانشد

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصحبينا

وقال واصل بن عطاء عند ذلك أما لهذا الملحد الاعمى المشنف المكنى بابى معاذ من يقتله اما

(١) الهجنة من الكلام ما يعيبه (٢) قاهر (٣) كزبرج الظليم أو الخفيف (٤) الفلاة

والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغاليه لبعثت (١) اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله (٢) ثم كان لا يتولى ذلك الاعقيلي أو سدوسي قال اسمعيل بن محمد الانصاري وعبد الكريم بن روح الغفاري قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا وأنتما مع ماتريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن بردو المرعث جعل المشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجايا الغاليه ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء وقال لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه وكان اذا أراد أن يذكر البر قال القمح والحنطة والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة قال المتنخل الهذلي

لا درّ درّي ان أطعمت نازلهم * قرف الحتى (٣) وعندي البرّ مكنوز

وقال أمية بن أبي الصلت في مديح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته (٤) ينادي

الى ردح (٥) من الشيزى علاها * لباب البر يلبك (٦) بالشهاد (٧)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معديكرب ومقدمه مكة في كلمة له (٨)

قيس أبو الاشعث بطريق اليمن * لا يسأل السائل عنه ابن من

* أشبع آل الله من برّ عدن *

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أترون اني لا أعرف رقيق العيش لباب البر بصفار المعزى وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ أهل الكوفه والبصرة والشام ومصر حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة انما الفصاحة لنا أهل مكة فقال ابن المناذر اما ألفاظنا فاحكى الالفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عز وجل وجفان كالجواب وقدور راسيات وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على

(١) وفي نسخة لدست (٢) وفي نسخة أو في جفله (٣) القرف بالكسر القشر والحتى المقل وهو الدوم (٤) هي الدار (٥) ردح بالضم جمع رداح كسحاب الجفان (٦) يخلط (٧) جمع شهد وهو العسل (٨) أي في أبيات له

علال ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى غرف من فوقها غرف مبنية وقال وهم فى الغرفات آمنون وأنتم تسمون الطلع الكافور والاغريض ونحن نسميه الطلع وقال الله عز وجل ونخل طلعها هضيم فعد عشر كلمات لم احفظ انا منها الا هذا ألا ترى ان أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السمسط (١) الروذق ويسمون الممصوص الممزوز ويسمون الشطرنج الاشترنج فى غير ذلك من الاسماء وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة (٢) بال وبال بالفارسية ولو علق ذلك لغة أهل البصرة اذ نزلوا بادنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بادنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب ويسمى أهل الكوفة الحوك باذروج والباذروج بالفارسية والحوك (٣) كلمة عربية وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك والجهارسوك بالفارسية ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية ويسمون القثاء خيارا والخيار فارسية ويسمون المجذوم ويذى بالفارسية وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ولفظ القرآن الذى عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ألا تراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع اسماعا والجارى على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال وقد زعم بعض القراء انه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الا فى موضع التزويج والعامة ربما استخفت أقل اللغتين واضعفهما وتستعمل ما هو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه وكذلك المثل السائر وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه ألا ترى أن ابن القرية عند العامة أشهر عندها فى الخطابة من سحبان وائل وعبيد الله بن الحر أذكر عندهم فى الفروسية من زهير بن ذؤيب وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعتيبة بن الحرث بن شهاب وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس وفى القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس قال قطرب أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل

(١) المنتوف صوفه بالماء (٢) آلة للفش أو الجرف (٣) الباذروج والبقلة الحمقاء

ويجعل البر قمحا فى تصرفه * وجانب (١) الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يجعله * فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

قال وسالت عثمان البرى كيف كان واصل يصنع فى العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الا ما قال صفوان

ملقن (٢) ملهم فيما يحاوله * جم (٣) خواطره جوّاب (٤) آفاق

وأنشدنى ديسم قال أنشدنى أبو محمد اليزيدى

وخلة (٥) اللفظ فى الياآت ان فقدت * كخلة اللفظ فى اللامات والالف
وخصلة الراء فيها غير خافية * فاعرف مواقعها فى القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها والحاجة اليها أشد واعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها أشد

﴿ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه﴾

قال أبو عثمان فمن ذلك ما أخبرنا به الاصمعى قال أنشدنى المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويد العدوى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى * واعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن المآب

وفى ذلك قال بشار

مالى أشايع عزالا له عنق * كنقنق الدوان ولى وان مثلا

ومن ذلك قول معدان السميطى

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤ * م ويثنى بسآمة (٦) الرحال
وعدى وتيمها وثقيف * وأمى وتغلب وهلال
لاحورا ولا النوائب تنجو * لاولا صحب واصل الغزال

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (٧) ويكفر جميع الامة وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند

(١) تنحى (٢) ملقى فى روعه (٣) كثيرة خواطره (٤) صفة مبالغة والفعل جاب أى قطع (٥) أخصلة (٦) الملل
(٧) أى يؤمن بالرجوع الى الدنيا بعد الموت

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق

أباحذيفة قد أوتيت مجبة * من خطبة بدهت (١) من غير تقدير
وان قولا بروق (٢) الخالدين معا * لمسكت مخرس عن كل تحبير (٣)

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم وقال بشار

تكلف القول والاقوام قد حفلوا * وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا (٤) تغلى بداهته * كمرجل القين (٥) لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد * قبل التصحف والاغراق فى الطلب

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة

فهذا بديه لا كتحبير قائل * اذا ما أراد القول زوده شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد وقال صفوان الانصارى

متى كان غزال له يا ابن حوشب * غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر
اما كان عثمان الطويل بن خالد * أو القرم حفص نهية (٦) للمخاطر
له خلف شعب الصين فى كل ثغرة * الى سوسها (٧) الاقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل (٨) غريمهم * تهكم جبار ولا كيد ماكر
اذا قال مروا فى الشتاء تطاوعوا * وان كان صيفا لم يخف شهر ناجر (٩)
بهجرة أوطان وبذل وكلفة * وشدة اخطار وكد المسافر
فانجح مسعاهم واثقب زندهم * وأورى (١٠) بفلج (١١) للمخاصم قاهر
وأوتاد أرض الله فى كل بلدة * وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سحبان يشق غبارهم * ولا الشدق من حى هلال بن عامر
ولا الناطق النخار (١٢) والشيخ دغفل * اذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر
ولا القالة الاعلون رهط مكحل * اذا نطقوا فى الصلح بين العشائر
بجمع من الجفين راض وساخط * وقد زحفت برا وهم للمحاضر

الجفان بكر وتميم والروقان بكر وتغلب والفاران الازد وتميم قيل ذلك لكل عمارة من الناس وهى جمع والعمائر أيضا غار والجف أيضا قشر الطلعة

تلقب بالغزال واحد عصره * فمن لليتامى والقبيل المكاثر
ومن لحرورى وآخر رافض * وآخر مرجى (١٣) وآخر حائر

(١) جاءت فجاة أى بغير استحضار (٢) يعجب (٣) تحسين (٤) مبتدئا من غير تهيئة قبل ذلك (٥) الحداد (٦) جمع نهى وهو العقل (٧) بلد بالمغرب (٨) يكسر (٩) كل شهر من شهور الصيف (١٠) أى أضاء (١١) الظفر والفوز (١٢) النخار بن أوس أنسب العرب (١٣) من فرقة المرجئة

وأمر بمعروف وانكار منكر * وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فصل القول فى كل منطق * كما طبعت فى العظم مدية (١) جازر
تراهم كان الطير فوق رؤسهم * على عمة (٢) معروفة فى المعاشر
وسيماهم معروفة فى وجوههم * وفى المشى جاجا وفوق الاباعر (٣)
وفى ركعة تاتى على الليل كله * وظاهر قول فى مثال الضمائر
وفى قص هداب (٤) واحفاء (٥) شارب * وكور (٦) على شيب يضىء لناظر
وعنفقة (٧) مصلومة (٨) ولنعله
قبالان (٩) فى درن (١٠) رحيب الخواطر
فتلك علامات تحيط بوصفهم * وليس جهول القوم فى جرم خابر

وفى واصل يقول صفوان

فخامس دينارا ولا صر درهما * ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى

وأشهد أن الله سماك واصلا * وانك ميمون النقيبة (١١) والشيم (١٢)

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان

زعمت بان النار أكرم عنصرا * وفى الارض تحى بالحجارة والزند
ويخلق فى أرحامها وأرومها (١٣) * أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفى القعر من لج البحار منافع * من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سر الارض فى البحر كله * وفى الغيضة (١٤) الغناء والجبل الصلد
ولابد من أرض لكل مطهر * وكل سبوح (١٥) فى الغمائر من جد
كذاك وما ينساح فى الارض ماشيا * على بطنه مشى المجانب للقصد
ويسرى على جلد يقيم حزوزه * تعمج (١٦) ماء السيل فى صبب (١٧) حرد
وفى قلل الاجبال خلف مقطم * زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
وفى الحرة (١٨) الرجلاء (١٩) تلقى معادنا * لهن مغارات تبخس بالنقد
من الذهب الابريز والفضة التى * تروق وتصبى (٢٠) ذا القناعة والزهد
وكل فلز من نحاس وآنك (٢١) * ومن زئبق حى ونوشادر يسدى

---

(١) سكين (٢) الاعتمام (٣) جمع بعير (٤) جمع هدب وهو شعر اشفار العينين (٥) الاستقصاء فى أخذه (٦) زيادة (٧) شعيرات بين الشفة السفلى والذقن (٨) مقطوعة (٩) الزمام الذى يكون بين الاصبع الوسطى والتى تليها (١٠) وسخ (١١) مبارك النفس (١٢) الاخلاق (١٣) حجارة (١٤) اجمة (١٥) عوام (١٦) أسرع فى السير (١٧) منحدر فى الارض (١٨) أرض ذات حجارة سود كانها أحرقت بالنار (١٩) كثيرة الحجارة (٢٠) يميل اليها (٢١) الاسرب

وفيها زرانيخ ومكر (١) ومرتك
ومن مرقشيشا غير كاب (٢) ولامكدى (٣)
وفيها ضروب القار (٤) والشب والنهى (٥)
وأصناف كبريت مطاولة الوقد
ترى العرف منها فى المقاطع لائحا * كما قرت الحسناء حاشية البرد
ومن اثمد (٦) جون (٧) وكلس (٨) وفضة
ومن توتياء فى معادنه هندى
وفى كل أغوار البلاد معادن * وفى ظاهر البيداء من مستوى نجد
وكل بواقيت الانام وحليها * من الارض والاحجار فاخرة المجد
وفيها مقام النخل والركن والصفا * ومستلم الحجاج من جنة الخلد
وفى صخرة الخضر التى عند حوتها * وفى الحجر المنهى (٩) لموسى على عمد
وفى الصخرة الصماء تصدع آية * لام فصيل ذى رغاء وذى وجد
مفاخر للطين الذى كان أصلنا * ونحن بنوه غير شك ولا جحد
فذلك تدبير ونفع وحكمة * وأوضح برهان على الواحد الفرد
أتجعل عمرا والنطاسى (١٠) واصلا * كاتباع ديصان وهم قش المد
وتفخر بالميلاد والعلج (١١) عاصم * وتضحك من جيد الرئيس أبى جعد
وتحكى لدى الاقوام شنعة رأيه * لتصرف أهواء النفوس الى الرد
وسمته الغزال فى الشعر مطنبا * ومولاك عند الظلم قصة (١٢) مردى (١٣)
يقول ان مولاك ملاح لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى
فيا ابن حليف الطين (١٤) واللؤم والعمى * وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو ابا بكر وتخلع بعده * عليا وتعزو (١٥) كل ذاك الى برد
كانك غضبان على الدين كله * وطالب زحل لا يبيت على حقد (١٦)
رجعت الى الامصار من بعد واصل * وكنت شريدا (١٧) فى التهايم والنجد
أتجعل ليلى الناعطية نحلة * وكل عريق فى التناسخ (١٨) والرد
عليك بدعد والصدوف وفرتنا * وحاضنتى كسف وزاملتى هند

(١) الطين الاحمر (٢) تقول كابى الرماد أى عظيمه (٣) صلب (٤) الزفت (٥) الزجاج (٦) حجر الكحل (٧) أسود (٨) النورة وأخلاطها (٩) يقال أمهى الحديدة أى أحدها ولعلها هنا بمعنى الحجر المنحوت (١٠) الطبيب (١١) الكافر (١٢) القصة القطعة ترفع فيها الظلامة (١٣) والمردى عود يدفع به الملاح السفينة والمرادى المقاذف (١٤) انما قال له ابن حليف الطين لان أباه كان فخاريا يصنع الجرار (١٥) تنسب (١٦) ثار العداوة (١٧) طريدا (١٨) التناسخ عند من يقول به انتقال الروح من جسم لآخر

توائب أقمارا وأنت مشوه * وأقرب خلق الله من شبه القرد

ولذلك قال فيه حماد عجرد بعد ذلك * وأقبح من قرد اذا ما عمى القرد *

ويقال انه لم يجزع من شئ قط جزعه من هذا البيت وذكره الشاعر وذكر أخويه لامه فقال

لقد ولدت أم الاكيمة أعرجا * وآخر مقطوع القفا ناقص القصد

وكانوا ثلاثة مختلفي الآباء والام واحدة وكلهم ولد زنا ولذلك قال بعض من يهجوه

اذا دعاه الخال اقعى (١) ونكص (٢) * وهجنة الاقراف (٣) فيه بالخصص

﴿وقال الشاعر﴾

لا تشهدن بخارجي مطرف (٤) * حتى ترى من نجله افراسا

وقال صفوان الانصاري في بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم

ولدت خلدا وذيخا في تشئمه * وبعده خزز ايشتد في العضد

والخلد ضرب من الجرذان يولد أعمى والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج والخزز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب في الصيد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا * فاعرف بذلك عرق الخال من ولد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى أخو مسلم بن الوليد الانصاري الشاعر في اعتذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض

لابد للارض ان طابت وان خبثت * من أن تحيل اليها كل مغروس

وتربة الارض ان جيدت وان قحطت * فحملها أبدا في اثر منفوس

وبطنها بفلز الارض ذو خبر * بكل جوهرة في الارض مرموس

الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكل آنية عمت مرافقها * وكل منتقد فيها وملبوس

وكل ما عونها كالملح مرفقة * وكلها مضحك من قول ابليس

وقال بعض خلفاء بغداد

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أبداه من نيته

تاه على آم في سجدة * وصار قوّاد الذرية

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصاري فقال

يأبى السجود له من فرط نخوته * وقد تحول في مسلاخ قوّاد

وقال صفوان في شان واصل وبشار وفي شان النار والطين في كلمة له

وفي جوفها للعبد أستر منزل * وفي ظهرها يقضى فرائضه العبد

(١) جلس على استه مقترشا رجليه (٢) احجم (٣) المداناة يقال أقرف له أي داناه (٤) الكريم الاطراف من الآباء والامهات

تمج (١) لفاظ (٢) الملح مجا وتصطفى * سبائك لا تصدى وان قدم العهد
وليس بمحص كنه ما فى بطونها * حساب ولا خط وان بلغ الجهد
فسائل بعبد الله فى يوم حفله * وذاك مقام لا يشاهده وغد
أقام شبيبا وابن صفوان قبله * بقول خطيب لا يجانبه القصد
وقام ابن عيسى ثم قفاه (٣) واصل * فابدع قولا ماله فى الورى ند
فانقصته الراء اذ كان قادرا * على تركها واللفظ مطرد سرد
ففضل عبد الله خطبة واصل * وضوعف فى قسم الصلات له الشكد (٤)
فاقنع كل القوم شكر حبائهم * وقلل ذاك الضعف فى عينه الزهد

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا واحتجاج من دفع ذلك عنه ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال كما يقال خالد الحذاء وكما يقولون هشام الدستوائى وانما قيل ذلك لان الاباضية كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحباب فاجابوه الى قول الاباضيه وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية وزوجوا هجينا فقال الهجين فى ذلك

انا وجدنا دستوانينا * الصائمين المتعبدينا
أفضل منكم حسبا ودينا * أحزى الاله المتكبرينا
* أفيكم من ينكح الهجينا *

وانما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه وكما قالوا أبو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء وكما قالوا أبو ملك السدى لانه كان يبيع الخمر فى سدة المسجد وهذا الباب مستقصى فى كتاب الاسماء والكنى وقد ذكرنا جملة منه فى أبناء السرارى (٥) والمهيرات (٦)

﴿ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة﴾

قال أبو عثمان ومما يحضرنى منها وهى أربعة أحرف القاف والسين واللام والراء فاما التى هى على الشين المعجمة فذلك شئ لا يصوره الخط لانه ليس من الحروف المعروفة وانما هو مخرج من المخارج والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم وليس ذلك فى شئ أكثر منها فى لغة الخوز وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة (٧) والحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء كقوله لابى يكسوم

(١) ترمى (٢) الشئ المرمى (٣) تبعه (٤) الشكر (٥) جمع مرية وهى الامة التى يوأتها بيتا (٦) جمع مهيرة وهى الحرة (٧) كلام المجوس عند أكلهم

أبى يكنوم وكما يقولون بثرة اذا أرادوا بسرة وبثم الله اذا أرادوا بسم الله والثانية اللثغة التى تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أراد أن يقول قلت له قال طلت له واذا أراد أن يقول قال لى قال طال لى وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت اعتييت وبدل جمل جمى وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال فانه كان اذا أراد أن يقول ما العلة فى هذا قال ماا كعكة فى هذا فاما اللثغة التى تقع فى الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذى يعرض لها أربعة أحرف فمنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمى فيجعل الراء ياء ومنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غينا ومنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ فيجعل الراء ذالا واذا أنشد قول الشاعر

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

قال واستبدت مذة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة فيقول اذا أنشد هذا البيت

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

قال واستبدت مظة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة فاذا أراد أن ينشد هذا البيت

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

قال واستبدت مغة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

كما أن الذى لثغته بالياء اذا أراد أن يقول واستبدت مرة واحدة قال واستبدت مية واحدة وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر فليس الى تصويرها سبيل وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فان تلك أيضا ليس لها صورة فى الخط ترى بالعين وانما يصورها اللسان وتتادى الى السمع وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين كنحو لثغة شوشى صاحب عبد الله بن خالد الاموى فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء قال مرة مويا ى ويى أبى بريد مولايا ولى الرى واللثغة فى الراء اذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن لذى المروءة ثم التى على الظاء ثم التى على الذال فاما التى على الغين فهى أيسرهن ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده وأخذ لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يكن بعيدا من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا وقد كانت لثغة محمد ابن شبيب المتكلم بالغين وكان اذا شاء أن يقول عمرو لعمرى وما أشبه ذلك على الصحة قاله ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك فقلت له اذا لم يكن المانع الا هذا العذر فلست

أشك انك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحدا ان لسانك كان يستقيم اما من يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والراء حتى اذا أراد أن يقول مضر قال مضى فهذا وأشباهه لا حقون بشوشى وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شئ بعينه فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر فلما دعاله فرعون بهما جميعا تناول جمرة فاهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وأما اللثغة فى الراء فتكون بالياء والذال والغين وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذوى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا جعل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا أنا سمعت ذلك منه قال وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات وليس يدل القرآن على شئ مما قالوا لانه ليس فى قوله واحلل عقدة من لسانى دليل شئ على شئ دون شئ قال الاصمعى اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام واذا تعتع فى الفاء فهو فأفاء وأنشد لرؤبة بن العجاج

ياحمذات المنطق النمنام * كان وسواسك فى اللمام

* حديث شيطان بنى همام *

و بعضهم ينشد * ياحمذات المنطق التمتام * وليس ذلك بشئ وانما ذلك كما قال أبو الزحف

لست بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر (١) فى المنام

وأنشد أيضا للخولانى فى كلمة له

ان السياط تركن لاستك منطقا * كمقالة التمتام ليس بمعرب

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته وقال أبو عبيدة اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألف وقيل بلسانه لفف وأنشدنى لابى الزحف الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقه بعد المقعطل يقال له الصموت لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت وأنشدنى الاصمعى

حديث بنى زط اذا ما لقيتهم * كنزو (٢) الدبى (٣) فى الصرفج (٤) المتقارب

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة وقال سلمة بن عياش

كأن بنى رالان اذ جاء جمعهم * فراريج يلقى بينهن سويق

(١) الهذيان (٢) وثوب (٣) صغار النمل (٤) شجر ينبت فى السهل

فقال

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم وقال اللهبى فى اللجلاج

ليس خطيب القوم باللجلاج * ولا الذى يرجل(١) كالهلباج(٢)

ورب بيداء وليل داج * هتكته(٣) بالنص(٤) والادلاج(٥)

وقال محمد بن سلام الجمحى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ويقال فى لسانه خمسة اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام ويقال فى لسانه لكنة اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول فاذا قالوا فى لسانه حكلة فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز اداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال وقال رؤبة بن العجاج

لو انى أوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل

وقال محمد ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح

ويفهم قول الحكل لو ان ذرة * تساود(٦) أخرى لم يفته سوادها

وقال التيمى فى هجائه لبنى تغلب

ولكن حكلا لا تبين ودينها * عبادة اعلاج عليها البرانس(٧)

قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى يعرض له النخنخة والسعلة وذلك اذا انتفخ سحره(٨) وكاز نده(٩) ونباحده(١٠) فقال

نعوذ بالله من الاهمال * ومن كلال(١١) الغرب فى المقال * ومن خطيب دائم السعال

وأنشدنى الاعرابى ان زياد اليس بالبكى * ولا بهياب(١٢) كثير العى

وأنشدنى بعض أصحابنا

ناديت هيذان والابواب مغلقة * ومثل هيذان سنى(١٣) فتحة الباب

كالهندوانى لم تفلل(١٤) مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب(١٥)

(وقال الآخر) * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك

ومن الكلائم مقول متعتع * جم التنخنخ متعب مجهود

وذلك انه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب وقد شهدت انا هذه الخطبة ولم أر جبانا قط أجرأ منه ولا جريا قط أجبن منه وقال الاشل الازرقى من بعض اخوال عمران بن حطان الصفر القعدى فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى

---

(١) ينتحى أو ينتاعد (٢) الاحمق (٣) قطعته الى آخره (٤) السير الشديد (٥) السير من أول الليل (٦) لعله تسار ر وهكذا لم يفته سرارها أى يفهم مادق حتى مسارة الذرة (٧) جمع برنس وهو قلنسوة طويلة (٨) رئته (٩) لم تخرج ناره (١٠) كل (١١) أعياء (١٢) جبان متهيب (١٣) سهل بتشديد الهاء (١٤) تثلم (١٥) جبان

نخنخ زيد وسـعل * لما رأى وقع الاسل (١)
ويل امه (٢) اذا ارتجل * ثم أطال واحتفـل

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الايادى الخطيب الازرقى فى مرثيته لابى داود بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء اياد فقال

كقس اياد ولقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

وزيد بن جندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الازارقة

قل للمحلين (٣) قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كانا اناسا عـلى دين ففـرقنا * فرع الكلام وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب
انى لاهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب (٤)

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عـذرة بن حجرة الخطيب الايادى ويدل على قدره فيهم وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم

وأى فتى صبر (٥) على الاين (٦) والظما
اذا اعتصروا (٧) للوح (٨) ماء فظاظها (٩)
اذا ضرجوها (١٠) ساعـة بدمائها
وحل عن الكوماء (١١) عقد شظاظها (١٢)
فانك ضحاك الى كل صاحب * وأنطق من قس غـداة عكاظها
اذا شعب المولى مشاعب معشر * فعذرة فيها آخذ بكظاظها (١٣)

فلم يضرب هـذا الشاعر الايادى المثل لهذا الخطيب الايادى الا برجـل من خطباء اياد وهو قس بن ساعدة ولم يضرب صاحب مرثية أبى داود بن جرير الايادى المثـل الا بخطباء اياد فقط ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة

كقس اياد أو لقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق (١٤) زيد بن جندب

وأول هذه المرثية قوله

نعى ابن جرير جاهـل بمصابه * فعم نزارا بالبكـا والتحوب (١٥)
نعاه لنا كالليث يحمى عرينه (١٦) * وكالبدر يغشى (١٧) ضوءه كل كوكب
واصبر من عود واهدى اذا سرى * من النجم فى داج (١٨) من الليل غيهب

---

(١) ثولة الشجر الطويل أو الريح (٢) ويل لامه (٣) النازلين المقيمين (٤) المال والعقار (٥) لعله بمعنى صبور (٦) التعب (٧) استخرجوا (٨) بضم اللام وهو العطش (٩) غلظها (١٠) صبغوها (١١) الناقة العظيمة السنام (١٢) العود الذى يدخل فى عروة الجوالق (١٣) الشدة طول الملازمة (١٤) البليغ (١٥) التوجع (١٦) مأواه (١٧) يغطى (١٨) مظلم

واضرب من حد السنان لسانه * وامضى من السيف الحسام المشطب
زعيم نزار كلها وخطيبها * اذا قال طاطار أسه كل مشغب
سليل (١) قروم (٢) سادة ثم قالة * يبزون (٣) يوم الجمع أهل المحصب (٤)
كقس اياد أو لقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

فى كلمة له طويلة واياهم عنى الشاعر بقوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة بن سبى دابق وكان شاعرا راوية وطلابة للعلم علامة قال سمعت أبا داود بن جرير يقول وقد جرى شئ من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه (٥) وصعوبة ذلك المقام وأهواله فقال تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق من غير أهل البادية بغض والنظر فى عيون الناس عمى ومس اللحية هلك والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب قال وسمعته يقول رأس الخطابة الطبع (٦) وعمودها الدربة (٧) وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب (٨) وبهاؤها تخير (٩) اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وأنشدنى بيتا له فى صفة خطباء اياد وهو قوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى (١٠) الملاحظ خيفة الرقباء

فذكر المبسوط (١١) فى موضعه والمحذوف فى موضعه والموجز والكناية والوحى باللحظ ودلالة الاشارة وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة

الجود أحسن مسا بنى مطر * من أن تبزكموه كف مستلب
ما أعلم الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتى على النشب

قال ثم لم يحفل (١٢) بها فادعاها مسلم بن الوليد الانصارى أو ادعيت له وكان أحد من يجيد (١٣) قريض الشعر وتحبير الكلام وفى الخطباء من يكون شاعرا ويكون اذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا فقط وبين اللسان فقط ومن الشعراء الخطباء الابناء (١٤) الحكماء قس بن ساعدة الايادى والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الاهتم المنقرى وهو المكحل قالوا كان شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل للاوسية أى منظر أحسن قالت قصور بيض فى حدائق خضر فانشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى

كدمى (١٥) العاج فى المحاريب (١٦) أو كا * لبيض فى الروض زهره مستنير

---

(١) ولد (٢) فحول (٣) يسكبون (٤) الشعب الذى مخرجه الى الابطح ساعة من الليل (٥) ارتجاله (٦) السجية (٧) الاعتياد (٨) الافصاح (٩) انتقاء (١٠) الاشارة بالكلام الخفى (١١) المنثور (١٢) لم يبال (١٣) محسن (١٤) جمع بين وهو الفصيح (١٥) الصورة المنقشة (١٦) المساجد

قال فقال قسامة بن زهير كلام عمرو بن الاهتم آنق (١) وشعره أحسن هذا وقسامة أحد ابناء العرب ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعي واسمه خداش بن بشر بن لبيد ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الاسدي وكنيته أبو المستهل ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته أبو نفر قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت انشدت الكميت قول الطرماح

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت (٢) * عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال فقال الكميت اى والله وعنان الخطابة والرواية قال أبو عثمان الحافظ ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح وكان الكميت عدنانيا عصبيا (٣) وكان الطرماح قحطانيا عصبيا وكان الكميت شيعيا من الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصفرية وكان الكميت يتعصب لاهل الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط ثم لم يجر بينهما صرم (٤) ولا جفوة ولا اعراض ولا شئ مما تدعو هذه الخصال اليه ولم ير الناس مثلهما الا ما ذكر وامن حال عبد الله بن زيد الاباضي وهشام بن الحكم الرافضي فانهما صارا الى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة الحال التي تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة للذي اجتمعا فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة فكان يقال لولا انهما احلم تميم لتباينا تباين (٥) النمر والاسد وكذلك كانت حال هشام بن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الاباضي الا انهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة في جميع تجارتهما وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية فلم يعارضه شبيب وتدل كلمة خالد هذه على انه يحسن أن يسب سب الاشراف ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته أبو شهاب أحد بني عمرو بن شيبان اخوة سدوس فمن بني عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعدة (٦) من الصفرية وصاحب فتياهم ومقرعهم عند اختلافهم * ومنهم دغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة ومنهم القعقاع بن شور وسنذكرشانهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بني ليث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد في أصحاب الولايات وفي الحروب وفي التدبير وفي العقل وشدة الرأى ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب الايادي وقد ذكرنا شانه ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلي وسحبان هذا هو سحبان وائل وهو خطيب العرب ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر (٧) اليه الاشراف أعشى همدان ومن الشعراء الخطباء

(١) احسن (٢) بليت (٣) نسبة الى عصبة وهم أبو الرجل وابنه وعمه وخاله (٤) مصدر صرم أى قطع (٥) تهاجر (٦) الخوارج (٧) تذهب

عمران بن عصام العرنى وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع (١) أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة وهو الذى لما بلغ عبد الملك ابن مروان قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله هلا رعى له قوله فيه

وبعثت من ولد الاغر معتب (٢) * صقرا يلوذ (٣) حمامه بالعرفج (٤)
فاذا طبخت بناره أنضجتها * واذا طبخت بغيرها لم ينضج

وهو الهزبر اذا أراد فريسة * لم ينجها منه صياح الهجهج (٥)

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الاعمى وهو بشار بن برد وكنيته أبو معاذ كان من أحد موالى بنى عقيل فان كان مولى أم ظباء على ما يقول بنو سدوس وماذكره حماد عجرد فهو من موالى بنى سدوس ويقال انه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل وله مديح كثير فى فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذى يقول

من خراسان (٦) وبيتى فى الذرا * ومن لدالمسعاة فرعى قد سبق
وانى لمن قوم خراسان دارهم * كرام وفرعى فيهم ناضر بسق (٧)

وكان شاعرا راجزا شجاعا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة وأنشد عقبة ابن رؤبة عقبة بن سلم رجزا يمتدحه فيه وبشار حاضر فاظهر بشار استحسان الارجوزة فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز (٨) يا أبا معاذ لا تحسنه فقال بشار المثلى يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة بن سلم بارجوزته التى أولها

ياطلل الحى بذات الصمد (٩) * بالله خبر كيف كنت بعدى

(وهى التى يقول فيها)

أسلم وحييت أبا الملد * لله ايامك فى معد

(وفيها يقول)

الحر يلحى (١٠) والعصا للعبد * وليس للملحف (١١) مثل الرد

(ويقول فيها)

وصاحب كالدمل الممد * حملته فى رقعة من جلدى

(وما وراء رغبتى من زهدى)

أى لم أره زهدا فيه ولا رغبة ذهب الى قول الشاعر

لقد كنت فى قوم عليك أشحة (١٢) * بنفسك لولا ان من طاح (١٣) طائح (١٤)
يودون لو خاطوا عليك جلودهم * ولا تدفع الموت النفوس الشحائح

---

(١) بعزل (٢) اسم رجل (٣) يلجأ (٤) شجر ينبت فى السهل (٥) لعله صوت الكركى عند القتال أو غير ذلك (٦) لعله أنا من (٧) طال (٨) الهيئة والنمط (٩) المكان المرتفع الغليظ (١٠) يشتم بضم الياء وفتح الحاء (١١) ملح بتشديد الحاء (١٢) بخلاء (١٣) سقط (١٤) هالك

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى والسيد الحميرى وأبو العتاهية وابن أبى عيينة وقد ذكر الناس فى هذا الباب يحيى بن نوفل وسلما الخاسر وخلف بن خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقى أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دل (١) واشارة عيسى بن يزيد بن داب أحد بنى ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابى وكنيته أبو عمرو وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى وأشباههما وكان العتابى يحتذى (٢) حذو بشار فى البديع ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال

انى امرء هدم الاقتار (٣) مأثرتى * واجتاح (٤) مابنت الايام من خطرى
أيام عمرو بن كلثوم يسوّده (٥) * حيا ربيعة والافناء من مضر
أرومة عطلتنى من مكارمها * كالقوس عطلها الرامى من الوتر

ودل فى هذه القصيدة على انه كان قصيرا قوله

نهى ظراف الغوانى عن مواصلتى * ما يفجأ العين من شيبى ومن قصرى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار المدونة سهل بن هرون بن راهيون الكاتب صاحب كتاب ثعلة وعفرة فى معارضة كتاب كليلة ودمنة وكتاب الاخوان وكتاب المسائل وكتاب المخزومى والهذلية وغير ذلك من الكتب ومن الخطباء الشعراء على بن ابراهيم ابن جبلة بن مخرمة ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن وسنذكر كلام قس بن ساعدة وشان لقيط بن معبد وهند بنت الحسن وجمعة بنت حابس وخطباء اياد اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله ولا يادو تميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو رواه لقريش والعرب وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه وهذا اسناد تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب قاطبة وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر قال مانع لحوزته (٦) مطاع فى أدنيه (٧) فقال الزبرقان اما انه قد علم أكثر مما قال لكنه حسدنى شرفى فقال عمرو اما ان قال ما قال فوالله ما علمته

(١) شكل (٢) يقتدى (٣) الافتقار (٤) أهلك (٥) يجعله سيدا (٦) لناحيته (٧) علمه

الاضيق الصدر زمر (١) المروءة لئيم الحال حديث الغنى فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان لسحرا فهانان الخصلتان خصت بهما ياد وتميم دون سائر القبائل ودخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فاشار له الى الوساد (٢) فقال له اجلس فجلس على الارض فقال معاوية مامنعك يا احنف من الجلوس على الوساد فقال ياأمير المؤمنين ان فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقرى ولده ان قال لاتغش (٣) السلطان حتى يملك (٤) ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى ان يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك حسبى بهذا المجلس ياأمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام وأنشا يقول

ياأيها السائل عما مضى * وعلم هذا الزمن العاتب
ان كنت تبغى العلم أو أهله * أوشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض بسكانها * واعتبر الصاحب بالصاحب

وذهب الشاعر فى مرثية أبى داود فى قوله

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى * من النجم فى داج من الليل غيهب (٥)

هذا شبيه بقول جبار بن سليمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال كان والله لا يضل حتى يضل النجم ولا يعطش حتى يعطش البعير ولا يهاب حتى يهاب السيل وكان والله خير مايكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا وكان زيد بن جندب أشغى (٦) أقلح (٧) ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له

أشغى عقنباة (٨) وناب ذو عصل (٩) * وقلح بادوسن قد نصل (١٠)

وقال عبيدة أيضا فيه

ولفوك أشنع حين تنطق فاغرا (١١) * من فى قريح (١٢) قد أصاب بريرا (١٣)

(وقال الكميت) تشبه بالهام آثارها * مشافر قرحا أكل البريرا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل

---

(١) قليل (٢) المخدة (٣) تجنى (٤) يسأمك (٥) شديد السواد (٦) ذو سنة زائدة تخالف نبتتها نبتة غيرها من الاسنان (٧) اصفر الاسنان (٨) ذو مخالب حداد (٩) عوج شديد (١٠) خرج من موضعه (١١) فاتحا (١٢) متألم من جراح (١٣) ثمر الاراك

كم ضربة لك تحكى فا(١) قراسية * من المصاعب فى اشداقه شنع

وفى الخطباء من كان أشغى ومن كان أروق ومن أشدق ومن كان أضخم ومن كان أفقم القراسية بغير أضخم والضخم اعوجاج فى الفم والفقم مثله والروق ركوب السن الشفة وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك ابن عمير قال قدم علينا الاحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت خصلة تذم فى رجل الا وقد رأيتها فيه كان صعل (٢) الرأس أحجن (٣) الانف اغضف (٤) الاذن مترا كب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ (٥) الوجنة باخق (٦) العين خفيف العارضين (٧) أحنف (٨) الرجلين ولكنه اذا تكلم جلى عن نفسه ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه ولولا انه لم يجد بدا من أن يجعل له شيا على حال لما أقر بانه اذا تكلم جلى عن نفسه وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان وقال لها بعض المعزين (٩) انا نرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد فقالت هند ومثل معاوية لا يكون خلفا من أحد فوالله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى اعراضها شاء ولكنا نقول لمثل الاحنف يقال الا انه اذا تكلم جلى عن نفسه ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى (١٠) اللسان من ضروب الآفات قال ابن الاعرابى طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها الثغاء وخاف أن تحيئه بولد ألثغ فقال

لثغاء تاتى بحيفس ألثغ * تميس فى الموشى (١١) والمصبغ

الحيفس الولد القصير الصغير وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر

اسكت ولا تنطق فانت حبحاب * كلك ذو عيب وأنت عياب (١٢)
ان صدق القوم فانت كذاب * أو نطق القوم فانت هياب
أو صدق القوم فانت قبقاب (١٣) * أو اقدموا يوما فانت وجاب

وأنشدنى

ولست بزميجة فى الفراش * وجابة يحتمى أن يجيبا
ولا ذى قلازم عند الحياض
اذا ما الشريب (١٤) أراب (١٥) الشريبا

الزميجة الثقيل عن الحركة والقلازم كثرة الصياح وأنشدنى

رب غريب ناصح الجيب (١٦) * وابن أب متهم الغيب

---

(١) أى فم ضخم شديد من الابل (٢) صغير (٣) معوج (٤) فى أذنه استرخاء (٥) وارم (٦) معور (٧) يراد بهذا خفة شعر عارضيه (٨) معوج (٩) الذين عظم عليهم ما أصابه (١٠) يغشى ويلحق (١١) لعله كثير الالوان (١٢) كثير العيوب (١٣) كثير الكلام (١٤) هو من يستقى أو يشارك (١٥) بمعنى أخاف ولعل المعنى انى لست بصياح عند اخافة الرجل أخاه اذا طلب السقيا (١٦) نقى القلب

ورب عياب له منظـــر * مشتمل الثوب على العيب

وأنشد واجر أمن رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

وقال سهل بن هرون لو عرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع (١) ثناياه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو الخطيب يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع (٢) لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلم (٣) من شفته السفلى وقال خلاد بن يزيد الارقط خطب الجعى خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة فاجابه زيد بن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه الا انه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة اسنانه فقال فى كلمة له

قلت قوادحها (٤) وتم عديدها * فله بذاك مزية لا تنكر

ويروى * صحت مخارجها وتم حروفها * المزية الفضيلة وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال قال يونس بن حبيب فى تاويل قول الاحنف بن قيس

أنا ابن الزافرية أرضعتنى * بثدى لا أجد (٥) ولا وخيم (٦)

اتمتنى فلم تنقص عظامى * ولا صوتى اذا اصطك (٧) الخصوم

قال انما عنى بقوله عظامى اسنانه التى فى فمه وهى التى اذا تمت تمت الحروف وقال يونس وكيف يقول مثله اتمتنى فلم تنقص عظامى وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعا مع قول الحتات له والله لانك ضئيل (٨) وان أمك لورهاء (٩) وكان أعرف بمواقع العيوب وابصر بدقيقها وجليلها وكيف يقول ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والاكفاء وهو أنف مضر الذى تعطس عنه وأبين العرب والعجم قاطبة قالوا ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه فى الطست قال أبو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السلمى والله ما بلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا فوك أهون علينا من سمعك وبصرك فطابت نفسه وقال أبو الحسن المدائنى لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت قال وسالت مبارك الزنجى الفاشكار ولا أعلم زنجيا بلغ فى الفشكرة مبلغه فقلت له لم ينزع الزنجى ثناياه ولم يحدد ناس منهم أسنانهم فقال اما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ولانهم ياكلون لحوم الناس ومتى حارب ملك ملكا فاخذه قتيلا أو أسيرا أكله وكذلك اذا حارب بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب وأما أصحاب القلع فانهم قالوا اذا نظرنا الى مقادم أفواه الغنم

(١) قلع (٢) يخرج (٣) مشقوق الشفة (٤) لعله جمع قدح وهو أكال يقع فى الاسنان (٥) صلب (٦) ثقيل (٧) تضارب (٨) الحقير (٩) حمقاء

فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا وفي هذا كلام يقع في كتاب الحيوان وقال أبو الهندي في اللثغ

سقيت أبا المطرّح اذ تأنى * وذوالرغثات منتصب يصيح
شرابا يهرب الذبان عنه * ويلثغ حين يشربه الفصيح

وقال محمد بن عمر والرومي مولى أمير المؤمنين قد صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الاسنان أصلح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد ان بقي منها الثلث أو الربع فمن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمي صاحب الاخبار ومنهم أبو سفيان والعلاء بن لبيد التغلبي وكان ذا بيان ولسن (١) وكان عبيد الله بن أبي غسان ظريفا يصرّف لسانه كيف أحب وكان الالحاح على القيس قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا الا ان تطلع في لحم اللثة وفي أصول منابت الاسنان وكان سفيان بن الابرد الكلبي كثيرا ما يجمع بين القار (٢) والحار فتساقطت أسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا وقال أهل التجربة اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير (٣) وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيأ يقرعه ويصكه (٤) ولم يمر في هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة (٥) فمه لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المغتفر والجزاء المحتمل ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلتقن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذي يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس فاما الغنم فليس يمكنها ان تقول الا ما والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الاطفال كقولهم ماما وبابا لانهما خارجان من عمل اللسان وانهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا في وسط الكلمة فاما الضاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون المتكلم اعسر يسر (٦) مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء فاما الايمن (٧) والاعسر (٨) والاضبط (٩) فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد وكذلك الانفاس مقسومة على المخرجين فما لا يكون في الاستراح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن وحالا يكون من الشق الايسر ولا يجتمعان على ذلك في وقت الا ان يستكره

(١) بفتحتين فصاحة (٢) البارد (٣) رفع (٤) يضرب به (٥) الحفرة أو المكان الوطيء (٦) يقال للرجل أعسر يسر وهو الذي يعمل بكلتا يديه جميعا أو ماشاكل ذلك (٧) من يصنع بيمناه (٨) من يعمل بيسراه (٩) هو الذي يعمل بكلتي يديه

ذلك مستكره أو يتكلفه متكلف فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا وقالوا الدليل على أن من سقط جميع اسنانه ان عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال أرادى أنت الى الكفر بعد الايمان لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ولكنى سادلك على غلام فى الحى كافر كأن لسانه لسان ثور يعنى الاخطل وجاء فى الحديث ان الله تبارك وتعالى يبغض الرجل الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة (١) الخلا (٢) بلسانها قالوا ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى من لسانك فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته (٣) ثم قال والله انى لو وضعته على صخر لقلعه أو على شعر لحلقه وما يسرنى به مقول من معد وأبوا لصمت مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه وابنه فى نسق واحد يقرعون باطراف ألسنتهم أطراف أنفهم وتقول الهند لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة وقد ضرب الذين يزعمون ان ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدران يطير من الذى يكون أحدهما وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يحذف ولم يطر والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها ان تقول قطاقطا وبذلك سميت ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاآت والواوات كنحو قولها وو ووو وكنحو قولها عف عف قال الهيثم بن عدى قيل لصبى من أبوك قال وو وولان أباه كان يسمى كلبا ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الحرامقة للعين قال الاصمعى ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريانى دال ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر وان كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض استكراه فمن ذلك قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له ان أحدا لا يستطيع ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذا كان من أشعار الجن صدقوا بذلك ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استطأه (٤)

هل معين على البكا والعويل * أم معز على المصاب الجليل
ميت مات وهو فى ورق (٥) العيـ * ـس مقيم به وظل ظليل
فى عداد الموت وفى غامر الدنيا * أبو جعفر أخى وخليلى

---

(١) واحدة البقر (٢) الحشيش يعنى يكره الرجل الذى يشبه البقر فى كونها تستعمل جمع الحشيش بلسانها كما ان ذاك الرجل يتكلم بكل لسانه (٣) طرف الانف (٤) لعله رثاه (٥) حديث السن

لم يمت ميتة الوفاة ولكن * مات من كل صالح وجميل
لا أزيل الآمال بعدك انى * بعدها بالآمال حق بخيل
كم لها موقفا بباب صديق * رجعت من نداه بالتعطيل

ثم قال

لم يضرها والحمد لله شئ * وانثنت نحو عرف نفس زهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه تتبرأ من بعض وأنشدنى أبو العاصى قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى

وبعض قريض القوم أولاد علة * يكد لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصى أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى

وشعر كبعر الكبش فرق بينه * لسان دعى فى القريض دخيل

أما قول خلف وبعض قريض القوم أولاد علة فانه يقول اذ كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مما ثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤنة وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك انه أفرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان وأما قوله كبعر الكبش فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمساولينة المعاطف سهلة وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سليسة النظام خفيفة على اللسان حتى كان البيت باسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة باسرها حرف واحد قال سحيم بن حفص قالت بنت الحطيئة للحطيئة تركت قوما كراما ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش فعابتهم بتفرق بيوتهم فقيل لهم فانشدونا بعض ما لا تتنافر فأجزاؤه ولا تتباين ألفاظه فقالوا قال الثقفى

من كان ذا عضد يدرك ظلامته * ان الذليل الذى ليست له عضد
تنبو يداه اذا ما قال ناصره * وينأف(١) الضيم ان أثرى(٢) له عدد

وأنشدوا

رمتنى وستر الله بينى وبينها * عشية آرام الكناس(٣) رميم
رميم التى قالت لجارات بيتها * ضممت لكم أن لا يزال يهيم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنصال قديم

وأنشدوا

ولست بزميجة فى الفراش * وجابة بيتى ان يحبيا
ولا ذى قلازم عند الحياض * اذا ما الشريب أراب الشريبا

(١) يستنكف (٢) كثر (٣) موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه

قال نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج يا أبا الجحاف مت متى شئت قال وكيف ذلك قال رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبني قال انه يقول لو كان لقوله قران وقال الشاعر

مهاربة (١) مناجبة (٢) قران (٣) * منادبة كأنهم الاسود

وأنشدني ابن الاعرابي وبات يدرس شعر الاقران له * قد كان ثقفه حولا فحازاد

وقال الآخر بشار فهذا بديه كتحبير قائل * اذا ما أراد القول زوره شهرا

فهذا في افتراق الالفاظ فاما افتراق الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تاخير والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تاخير وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي اليها يجري وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا ومعناه شريفا كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطي وكذلك اذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني وكذلك ان كان من كتاب الاهواز ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيا وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والاجناس وغير ذلك نعم حتى تجده كانه أطبع منه فاما اذا حكى كلام الفأفاء فكانما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الارض في لسان واحد كما أنك تجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحدا يجمع ذلك كله فكانه قد جمع جميع طرق حركات العميان في أعمى واحد ولقد كان أبو ربوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ لحضرة المكارين (٤) فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير (٥) ولا متعب بهير (٦) الا نهق وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو ربوبة يحركه وكانه قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد وكذلك كان في نباح والكلاب ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له العالم الصغير لسليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ويحكي بفمه كل حكاية ولانه يا كل النبات كما كل البهائم ويا كل الحيوان كما كل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا وانماطها وأمكن الحاكية بجميع مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصورا بعادة المنشا على الشكل الذي لم يزل فيه وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور

(١) سراع بكسر السين (٢) بجباء (٣) اسياد القوم (٤) هم المعروفين بالحمارين (٥) معيي (٦) منقطع النفس بفتح الفاء من الاعياء

الحركات والسكون فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هذا الحكم
ألا ترى أن السندى اذا جلب كبيرا فانه لا يستطيع الأن يجعل الجيم زايا ولو أقام فى علياء تميم
وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما وكذلك النبطى القح (١) خلاف المغلاق الذى نشا
فى بلاد النبط لان النبطى القح يجعل الزاى سينا فاذا أرادان يقول زورق قال سورق ويجعل
العين همزة فاذا أرادان يقول مشمعل قال مشمئل والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن
انها رومية وأهلها يزعمون انها مولدة بان تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متواليات
والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى ان ينشؤا
وهو خلاف الشيخ الهرم المماج (٢) المسترخى الحنك المرتفع اللثة وخلاف ما يعترى أصحاب
اللكن من العجم ومن نشا من العرب مع العجم فن اللكن ممن كان خطيبا أو شاعرا أو كاتبا
داهيا زياد بن سلمى أبو امامة وهو زياد الاعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله

فتى زاده السلطان فى الود رفعة * اذا غير السلطان (٣) كل خليل

قال كان يجعل السين شينا والطاء تاء فيقول * فتى زاده الثلتان فى الود رفعة * ومنهم سحيم
عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشده قصيدته التى أولها

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لاجزتك هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن
عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب لو قدمت الاسلام على
الشيب لاجزتك قال ما سعرت بريد ما شعرت بجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة ومنهم
عبيد الله بن زياد والى العراق قال لهانئ بن قبيصة أهروري سائر اليوم بريد أحروري ومنهم
صهيب بن سنان النمرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انك لهاين بريد
انك لحائش وصهيب بن سنان برتضخ لكنة رومية وعبيد الله بن زياد برتضخ لنكة فارسية
وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدياد ذار لكنة نبطية وكان مثلهما فى جعل الحاء
هاء وبعضهم يروى انه أملى على كاتب له فقال اكتب الهاصل ألف كرفكتبها الكاتب
بالهاء كما لفظ بها فاعاد عليه الكلام فاعاد عليه الكاتب فلما فطن لاجتماعهما على الجهل
قال انت لا تحسن ان تكتب وأنا لا أحسن ان أملى فاكتب الحاصل ألف كرفكتبها بالجيم
معجمة ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الالفاظ جيد المعانى وكان اذا أرادان يقول
قلت له قال كلت له فشارك فى تحويل القاف كافا عبد الله بن زياد وكذلك خبرنا أبو عبيدة
وانما أتى عبيدة بن زياد فى ذلك انه نشا فى الاساورة عند شيرويه الاسوارى زوج أمه مرجانة
وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه قال وفى دار شيرويه عاد على بن أبى طالب كرم
الله وجهه زيادا من علة كانت به فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فاما

(١) الخالص (٢) الاحمق (٣) قدرة الملك

لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل قيل مولى زياد فانه مرة قال لزياد اهدوا الينا همار وهش يريد حمار وحش قال زياد وأى شئ تقول ويلك قال اهدوا الينا أبرا يريد عيرا فقال زياد الاول أهون وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها وقع الجردان فى عجان أمكم أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم والعجين عجانا قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها

أكثر ما أسمع منها فى السحر (١) * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر

* والسوأة السوآء (٢) فى ذكر القمر *

لانها كانت اذا أرادت ان تقول القمر قالت الكمر وقال ابن عباد ركبت عجوز سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت هذا الذمل يذكرنا بالسر تريد ان يذكرها بالوطء فجعلت الشين سينا والجيم ذالا وهذا كثير وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى لم ابتعت هذه الاتان قال اركبها وتلدلى فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال تلدلى ولم يقل تلدلى والصقلى يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

﴿باب البيان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وآله قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعانى (المعانى) القائمة فى صدور العباد المتصورة فى أذهانهم والمتحلجة (٣) فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا والغفل (٤) موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا

(١) لعله فى السمر (٢) القبيحة (٣) بالحاء المهملة الداخلة (٤) مالا علامة فيه

ما كان بذلك البيان ومن أى جنس كان ذلك الدليل لان مدار الامر والغاية الى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شئ بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال تسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها واقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا (١) بهرجا (٢) وساقطا مطرحا وقال أبو عثمان وكان فى الحق ان يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ولكنا أخرناه لبعض التدبير وقالوا البيان بصر والعى عمى كما ان العلم بصر والجهل عمى والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل وقال سهل بن هرون العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم وقال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق المبين وقالوا حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيان وقال يونس بن حبيب ليس لعى مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه عنان السماء وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة من عقله وقال ابن التوأم الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم قد قلنا فى الدلالة باللفظ (فاما الاشارة) فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا والاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط وبعد فهل تعدو الاشارة ان تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف فى طبقاتها ودلالاتها وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب ألبتة ولولا ان تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة مذعور (٣) ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

(وقال الآخر)

(١) مالا يعتد به (٢) ردينا (٣) مفزوع

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * وفى الناس من الناس من مقاييس وأشباه * وفى العين غنى للمر ء ان تنطق أفواه

(وقال الآخر) ومعشر صيد (١) ذوى أهله * ترى عليهم للندى أدله

(وقال الآخر) ترى عينها عينى فتعرف وجهها * وتعرف عينى ما به الوحى يرجع

(وقال الآخر)

وعين الفتى تبدى الذى فى ضميره * وتعرف بالنجوى (٢) الحديث المغمغما (٣)

وقال الآخر العين تبدى الذى فى نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا

والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

هذا ومبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل (٤) والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الامور قد قلنا فى الدلالة بالاشارة فاما الخط فماذ كر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم واقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال ن والقلم وما يسطرون ولذلك قالوا القلم أحد اللسانين كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر ان يحض (٥) الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق فى الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس فى كل زمان واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره (وأما القول فى العقد) وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وقال جل وتقدس الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان وقال تبارك وتعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره

(١) جمع ائيد وهو الذى لا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا (٢) لسر (٣) المغمغما (٤) الدل (٥) يحث

معنى الحساب فى الآخرة وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما (وأما النصبة) فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والبجماء معربة من جهة البرهان ولذلك قال الاول سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقال بعض الخطباء أشهد ان السموات والارض آيات وآلات وشواهد قائمات كل يؤدى عنك الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهى على اعترافها لك وذلها اليك شاهدة بانك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام وان حظ المفكر فيك الاعتراف لك وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت الاسكندر كان أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس ومتى دل الشئ على معنى فقد أخبر عنه وان كان صامتا وأشار اليه وان كان ساكتا وهذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليه مع افراط الاختلافات وأنشد أبو الرديني العكلى فى تنسم الذئب الريح واستنشاقه واستراحه

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفى الموقع

المقراع الفاس التى يكسر بها الصخر والموقع المحدد يقال وقعت الحديدة اذا حددتها وقال عنترة بن شداد العبسى وجعل نعيب الغراب خبر الزاجر

حرق الجناح كان لحيى رأسه * جلمان بالاخبار هش مولع

الحرق الاسود شبه لحيته بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان وقال الراعى

ان السماء والريح شاهدة (١) * والارض تشهد والايام والبلد

لقد جزيت بنى بدر بغيهم * يوم الهباءة يوما ماله قود (٢)

وقال نصيب فى هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال (٣) ومولاك لاغب

قفوا خبرونا عن سليمان اننى * لمعروفه من آل ودان طالب

فعاجوا (٤) فاثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وهذا كثير جدا بسم الله الرحمن الرحيم قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل انسان ما يحسن فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية

(١) كذا بالاصل (٢) قصاص (٣) يتبع بعضكم بعضا (٤) وقف ورجع

مغنية بل لو جدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التاييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة وقد قال عامر بن عبد القيس اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان وقال الحسن رضى الله تعالى عنه وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها فقال له يا هذا ان لقلبك لشرا أو بقلبي وقال علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهما لو كان الناس يعرفون جلة الحال في فضل الاستبانة وجلة الحال في صواب التبيين لاعربوا عن كل ما تحلج في صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان بعدمهم في الايام القليلة العده والفكرة القصيرة المده ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهوا عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شان الدنيا بحذافيرها في الكلمتين فقال صلاح شان جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولاحظا في الصلاح لان الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد فطن له وعرفه وذكر هذه الثلاثة الاخبار ابراهيم بن داحة عن محمد بن عمير وذكرها صالح ابن علي الاقفم عن محمد بن عمير وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع وكان ابن عمير أعلاهم وأخبرني ابراهيم بن السندي عن علي بن صالح الحاجب عن العباس بن محمد قال قيل لعبد الله بن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقد رواهذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه والدليل على ذلك قول الحسن ان أول من عرف بالبصرة ابن عباس صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا وكان مثجا يسيل غربا المثج السابل الكثير وهو من السجاج والغرب ههنا الدوام أخبرنا هشام بن حسان وغيره قال قيل للحسن يا أبا سعيد ان قوما يزعمون انك تذم ابن عباس قالوا فبكى حتى اخضلت (١) لحيته ثم قال ان ابن عباس كان من الاسلام بمكان ان ابن عباس كان من العلم بمكان وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول وكان والله مثجا يسيل غربا قالوا وقال علي بن عبد الله بن عباس من لم يجد مس نقص الجهل في عقله وذل المعصية في قلبه ولم يستبن موضع الخلة في لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن يفزع عن رويته ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكترث لفصل ما بين حجة

(١) ابتلت

وشبهة قالوا وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال انى لا كره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله وهذا الكلام شريف نافع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنيء الساقط يعشش فى القلب ثم يبيض ثم يفرخ فاذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل وتمكن الجهل وفرخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه ولان اللفظ الهجين الردىء والمستكره الغبى أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى (١) والسخفاء والحمقى شهرا فقط لم تنق من أوضار (٢) كلامهم وخيال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا الان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع والانسان بالتعلم والتكلف و بطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه و يحسن أدبه وهو لا يحتاج فى الجهل الى أكثر من ترك التعلم وفى فساد البيان الى أكثر من ترك التخير ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له متى يكون الادب شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقد قال بعض الاولين من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه وهذا كله قريب بعضه من بعض وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان والله أفضل من أن يخدع واعقل من أن يخدع وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كفاك من علم الدين ان تعلم مالا يسع جهله وكفاك من علم الادب ان تروى الشاهد والمثل وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضى يروى عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت الامام ابراهيم بن محمد يقول يكفى من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع قال أبو عثمان وأما أنا فاستحسن هذا القول جدا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الانبياء عامة أخبرنى أبو انزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد بن أبان ولا أدرى كاتب من كان قال قيل للفارسى ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقيل لليونانى ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقيل للرومى ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة وقيل للهندى ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر قال وقال مرة جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التبس من المعانى

(١) جمع أنوك أى أحمق (٢) أوساخ

أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ان تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدلة واللهجة نقية فان جاء مع ذلك السن والسمت (١) والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال وخالف عليه سهل ابن هرون وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه وحسن الاشارة بعيدا من الفدامة معتدل القامة مقبول الصورة يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف فلم يمنعه ذلك ان يقول ما هو الحق عنده وان أدخل ذلك على حاله النقص قال سهل بن هرون لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريف وكان الآخر قليلا قميئا (٢) وباذ (٣) الهيئة زميما وخامل الذكر مجهولا ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب لتصدع (٤) عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الذميم على النبيل الحسيم وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ولشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه ولصار التعجب منه سببا للتعجب به ولكان الاكثار فى شأنه علة للاكثار فى مدحه لأن النفوس كانت له احقر ومن بيانه أيئس ومن حسده أبعد فاذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه خلاف على ما قدروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم لان الشئ من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان أبعد فى الوهم وكلما كان أبعد فى الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبدع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر والناس موكلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهواء مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وكل ما كان فى ملك غيرهم وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستظرفون القادم عليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجى على العريق والطارف على التليد وكانوا يقولون اذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا فانك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين اما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه وموقعهما من قلبه واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما ليوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يفرط فى الاشفاق ويسرف فى التهمة فالاول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولاشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره فاذا كان الحب يعمى عن المساوى فالبغض يعمى عن المحاسن وليس يعرف

(١) هيئة أهل الخير (٢) صغيرا ذليلا (٣) شئ رث (٤) تفرق

حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم أو معتدل الاخلاط (١) عليم والا القوى المنة (٢) الوثيق العقدة والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المامون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة (٣) والطلاوة واذا صرنا الى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم وبلغاء رجال القبائل قلنا فى وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما ولا نتاعسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهلين والاسلاميين والبدويين والحضريين وبعض ما يحضرنا من صفاتهم واقدارهم ومقاماتهم وبالله التوفيق ثم رجع بنا القول الى ذكر الاشارة وروى أبو شمر عن معمر أبى الاشعث خلاف القول الاول فى الاشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الاكفاء وكان أبو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه انما يخرج من صدع صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته وكان يقول ليس من المنطق ان تستعين عليه بغيره حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسئلة حتى حرك يديه وحل حبوته (٤) وحبا اليه حتى أخذ بيديه ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر الى قول ابراهيم وكان الذى غر أبا شمر وموّه له هذا الرأى ان أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم وكان شيخا وقورا وزميتا (٥) ركينا (٦) وكان ذا تصرف فى العلم ومذكورا بالفهم والحلم قال معمر ابو الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل منكة وباز يكر وقلبرقل وسندباز وفلان وفلان ما البلاغة عند أهل الهند قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها قال أبو الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش (٧) ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة ولا يدقق فى المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف وقال من علم حق المعنى

(١) الامزجة الاربعة (٢) القوة (٣) اللسان (٤) بالحاء المهملة مشيته على يديه ورجليه (٥) وقورا (٦) زميتا (٧) شجاعا شديد القلب

ان يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون مع ذلك ذا كر الما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده ويكون لفظه مونقا ولهلول تلك المقامات معاودا ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على اقدار منازلهم وان تواتيه آلته وتتصرف معه آداته ويكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها فاودعها ذلة المظلومين وان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها أمنها فاودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال ابراهيم بن هانئ وكان ماجنا خليعا كثير العبث متمردا ولولا أن كلامه هذا الذي اراد به الهزل يدخل في باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضي وليس في الارض لفظ يسقط ألبتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الاماكن فقال ابراهيم بن هانئ من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامر سوداء ومن تمام آلة المغني أن يكون فاره (١) البزون براق الثنايا عظيم الكبر سيئ الخلق ومن تمام آلة الحمار أن يكون ذميما ويكون اسمه آذين أو مازبار أو ازدانقاذار أو ميشا أو شلوما ويكون ارقط الثياب (٢) محتوم العنق ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر اعرابيا ويكون الداعي الى الله صوفيا ومن تمام آلة السودد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس ولذلك قال ابن سنان الجديدي لراشد بن سلمة الهذلي ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدا ولا بارسخ (٣) فتكون فارسا وقال شبيب بن شبة الخطيب لبعض فتيان بني منقر والله ما مطلت مطل الفرسان ولا فتقت فتق السادة قال الشاعر

تقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وكفا كـكف الضب أوهي أحقر

فعاب صغر رأسه وصغر كفه كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوي حين وجدها غليظة جافية فقال

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني خشناء لما لمستها * بكفي ليست من أكف الخلائف

وهذا باب يقع في كتاب الجوارح مع ذكر البرص والعرج والعسر والادرة والفلج والحدب والقرع وغير ذلك من علل الجوارح وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال ابراهيم بن هانئ ومن تمام آلة الشيخ أن يكون وافر الحجة صاحب باز بكند ومن تمام آلة الحرس أن يكون زميتا قطوبا (٤) أبيض اللحية أقنى أجنى وصاحب تكلم بالفارسية وأخبرني ابراهيم بن السندي قال دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده شعرا

(١) حاذق (٢) ثوب سوداء ثيابه نقط سوداء (٣) قليل لحم العجز والفخذين (٤) عبوسا

وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج (١) فقال اياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور (٢) وخفان دمالقان قال ابراهيم قال أبو نصر فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الاعراب فانشده ثم دنا منه فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته هذا الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الامراء والسادة الرؤساء ولا والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين ووالله لو ألقى فى روعى انى أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت فاعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضرانهم قاموا ذلك المقام ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول قال ابن الاعرابى قال معاوية بن أبى سفيان لصحار ابن عياش العبدى ما هذه البلاغة التى فيكم قال شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال له رجل من عرض (٣) القوم يا أمير المؤمنين هؤلاء بالبسر (٤) والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار أجل والله انا لنعلم ان الريح لتنفحه وان البرد ليعقده وان القمر ليصبغه وان الحر لينضجه فقال معاوية ما تعدون البلاغة فيكم قال الايجاز قال له معاوية وما الايجاز قال له صحار أن تجيب فلا تبطئ وان تقول فلا تخطئ فقال معاوية أو كذلك تقول قال صحار أقلنى يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ وشان عبد القيس عجب وذلك انهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر قبيلة فى العرب ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية وفى معدن الفصاحة وهذا عجب ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان وشيخان بن صوحان ومنهم صحار بن عياش وصحار من شيعة عثمان وصوحان من شيعة على ومنهم مصقلة بن رقبة ورقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة واذا صرنا الى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا وبالله التوفيق قال لى ابن الاعرابى قال لى المفضل بن محمد الضبى قلت لاعرابى منا ما البلاغة قال الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل قال ابن الاعرابى فقلت للمفضل ما الايجاز عندك قال حذف الفضول وتقريب البعيد قال ابن الاعرابى قيل لعبد الله بن عمر لو دعوت الله لنا بدعوات فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقال له رجل لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن فقال نعوذ بالله من الاسهاب

(١) ساذج (٢) عظيمة الكور أو الطى أو العصب (٣) عامة (٤) الماء البارد أو التمر قبل ارطابه

﴿باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابناء والفقهاء والامراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطا والزلل﴾

منهم زيد بن صوحان ومنهم أبو وائلة اياس بن معاوية المزنى القاضى القائف وصاحب الزكن والمعروف بجودة الفراسة ولكثرة كلامه قال له عبد الله بن شبرمة أنا وانت لا نتفق أنت لا تشتهى ان تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع واتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذ الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا فى زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك ورأيت ناسا يستحسنون جواب اياس حين قيل له ما فيك عيب غير انك معجب بقولك قال أفاعجبكم قولى قالوا نعم قال فانا أحق بان أعجب بما أقول وبما يكون منى منكم والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب فى هذا الموضع والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف ما يكون منه من الحسن والمعرفة لا تدخل فى باب التسمية بالعجب والعجب مذموم وقد جاء فى الحديث ان المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته وقيل لعمر فلان لا يعرف الشر قال ذاك أجدر أن يقع فيه وانما العجب اسراف الرجل فى السرور بما يكون منه والافراط فى استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله وهو كالذى وصف به صعصعة بن صوحان المنذر بن الجارود عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال أما والله انه مع ذلك لنظار فى عطفيه تفال (١) فى شراكيه (٢) تعجبه جمرة بردية قال أبو الحسن قيل لاياس ما فيك عيب الا كثرة الكلام قال فتسمعون صوابا أم خطا قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وليس كما قال للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه وذكر الاصمعى ان عمر بن هبيرة لما أراده على القضاء قال انى لا أصلح له قال وكيف ذاك قال لانى عى ولانى دميم ولانى حديد قال ابن هبيرة أما الحدة فان السوط يقومك وأما الدمامة فانى لا أريد ان أحاسن بك أحدا وأما العى فقد عبرت عما تريد فان كان اياس عند نفسه عيا فذاك أجدر ان يهجر الاكثار وبعد هذا فما نعلم أحدا رمى اياسا بالعى وانما عابوه بالاكثار وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال ما رأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف واياس ابن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا وقال قائل لاياس لم تعجل بالقضاء فقال له اياس كم لكفك من أصبع قال خمس قال بعجلت قال لم يعجل من قال بعد ما قتل الشئ علما ويقينا قال اياس فهذا هو جوابى لك وكان كثيرا ما ينشد قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وأنى امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

(١) كثير العرق (٢) طريقيه وأظنهما اليمين واليسار فى هذه الحالة

قال ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال

وأوقف عند الامر ما لم يبن له * وأمضى اذا ما شك ما كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عدى بن ارطاة ان قبلك رجلين من مزينة فول أحدهما قضاء البصرة يعنى بكر بن عبد الله المزنى واياس بن معاوية فقال بكر والله ما احسن القضاء فان كنت صادقا فما يحل لك أن توليني وان كنت كاذبا انها لاحراهما وكانوا اذا ذكروا البصرة فقالوا شيخها الحسن وفتاها بكر وقال اياس بن معاوية لست بخب والخب (١) لا يخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصما له وكان الخصم شيخا كبيرا الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان فقال له القاضى أتقدم شيخا كبيرا قال الحق أكبر منه قال اسكت قال فمن ينطق بحجتى قال لا اظنك تقول حقا حتى تقوم قال قال لا اله الا الله أحقا هذا أم باطلا فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر فقال عبد الملك اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس فاذا كان اياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه وعض ناجذه واياس هو الذى قال لست بخب والخب لا يخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن وجملة القول فى اياس انه كان من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة وكان فقيه البدن رقيق المسلك فى الفطن وكان صادق الحس نقابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الاكفاء وفى مزينة خير كثير ثم رجعنا الى القول الاول * ومنهم ربيعة الرأى وكان لا يكاد يسكت قالوا وتكلم يوما فاكثر واعجب بالذى كان منه فالتفت الى اعرابى كان عنده فقال يا اعرابى ما تعدون العى فيكم قال ما كنت فيه منذ اليوم وكان يقول الساكت بين النائم والاخرس ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ثم قيل لعبيد الله بن أبى عائشة وكان كثير العلم والسماع متصرفا فى الخبر والاثر وكان من أجود قريش وكان لما يكاد يسكت وهو فى ذلك كثير الفوائد وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم بعث اليه ميخاب خليفته فى بعض الامر فاتاه فى حلقة فى المسجد فقال له فى بعض كلامه أبو من أصلحك الله فقال له هلا عرفت هذا قبل مجيئك وان كان لا بد لك من هذا فاعترض من شئت فاسئله فقال له انى أريد أن تخلينى قال أفى حاجة لك أم فى حاجة لى قال بل فى حاجة لى قال فالقنى فى المنزل فان الحاجة لك قال ما دون اخوانى ستر ومنهم محمد بن مسعر العقيلى وكان كريما كريم المجالسة يذهب مذهب النساك وكان جوادا مر صديق له من بنى هاشم بقصر له وبستان نفيس فبلغه انه استحسنه فوهبه له ومنهم أحمد بن المعذل بن غيلان كان يذهب مذهب مالك وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ وممن كان يكثر الكلام جدا الفضل بن

(١) الخداع بتشديد الخاء المعجمة

سهل ثم الحسن بن سهل فى أيامه وحدثنى محمد بن الجهم ودواد بن أبى دواد قالا جلس الحسن ابن سهل فى مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فاقبل نعيم حافيا (١) حاسرا (٢) وهو يقول ذنبى أعظم من السماء ذنبى أعظم من الهواء ذنبى أعظم من الماء قالا فقال الحسن بن سهل على رسلك تقدمت منك طاعة وكان آخر أمرك الى توبة وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو ومن هؤلاء على بن هشام وكان لا يسكت ولا أدرى كيف كان كلامه قال وحدثنى مهدى بن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال كان مطرف بن عبد الله يقول لا تطع طعامك من لا يشتهيه يقول لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه وقال عبد الله بن مسعود حدث الناس ما حدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فترة فامسك قال وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حبشية تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها كيف سمعت كلامى قالت ما أحسنه لولا انك تكثر ترداده فقال اردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت الى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب فى التوراة لا يعاد الحديث مرتين وسفيان بن عيينة عن الزهرى قال اعادة الحديث أشد من نقل الصخر وقال بعض الحكماء من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك وجلة القول فى الترداد انه ليس فيه حد ينتهى اليه ولا يؤتى الى وصفه وانما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص وقد رأينا الله عز وجل رددذ كر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لانه خاطب جميع الامم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبى غافل أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب وأما حديث القصص والرقة فانى لم أر أحدا يعيب ذلك وما سمعنا باحد من الخطباء كان يرى اعادة بعض الالفاظ وترداد المعانى عيبا الا ما كان من النخار بن أوس العذرى فانه كان اذا تكلم فى المحالات وفى الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفانى والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى (٣) فنخر (٤) قال ثمامة بن اشرس كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الهدو والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاما يغنيه عن الاعادة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة كما استغنى عن الاعادة وقال مرة ما رأيت أحدا كان لا يتحبس (٥) ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه أشد اقتدارا ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيى وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك (٦)

(١) لا خف برجليه (٢) من لا جنة له بضم الجيم المعجمة (٣) أنف (٤) مد الصوت فى خياشيمه (٥) حبس نفسه (٦) مقصدك

وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التاويل وهذا هو تاويل قول الاصمعى البليغ من طبق المفصل (١) وأغناك عن المفسر وخبرنى جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال قد قرأت لام جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى قال ووصف اعرابى اعرابيا بالايجاز والاصابة فقال كان والله يضع الهناء (٢) مواضع النقب يظنون انه نقل قول دريد بن الصمة فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد الى ذلك الموضع وكان دريد قال فيها

ما ان رأيت ولا سمعت به * فى الناس (٣) طالى أنيق جرب (٤)
متبذلا (٥) تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

ويقولون فى اصابة عين المعنى بالكلام الموجز فلان يغل (٦) المحز (٧) ويصيب المفصل (٨) وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للصيب الموجز وأنشدنى أبو قطن الغنوى وهو الذى يقال له شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو الحضر

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لخلوق من الناس درهما
ولكننى مولى قضاعة كلها * فلست أبالى ان أدين وتغرما
أولئك قوم بارك الله فيهم * على كل حال ما أعف وأكرما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا * ولا يأكلون اللحم الا تخذما (٩)

يقول هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كفاة فهم لا يحسنون اصابة المفصل وأنشد ابو عبيدة فى مثل ذلك

وصلع الرؤس عظام البطون * جفاة المحز غلاظ القصر

وكذلك

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم (١٠)

وقال الآخر وهو ابن الزبعرى

وفتيان صدق حسان الوجوه * لا يجدون لشئ ألم
من آل المغيرة لا يشهدون * عند المجازر لحم الوضم

وقال الراعى فى المعنى الاول

فطبقن (١١) عرض القف (١٢) حتى لقينه * كما طبقت فى العظم مدية جازر

وأنشد الاصمعى

وكف فنى لم يعرف السلخ قبلها * تجور يداه فى الاديم (١٣) وتجرح

---

(١) المفصل بكسر الميم اللسان (٢) القطران (٣) يداوى الجرب (٤) جمع جرح (٥) هو من يعمل عمل نفسه (٦) يغل اى يثلم (٧) المحز بكسر الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الزاى لفظ القاموس هو الرجل الغليظ الكلام ولعله هنا يعنى الكلام الغليظ فقط (٨) المفصل بفتح الميم والصاد الحق من القول (٩) قطعا يقال تخذم الشئ أى قطعه (١٠) محركة ما دق به اللحم عن الارض من خشب وحصير ويقال تركهم لحما على وضم أى أوتعهم فذللهم (١١) قطعن بلاميل (١٢) ما ارتفع فى متن الارض (١٣) الاديم هو الجلد

وأنشد الاصمعى لايمسك العرف الاريث برسله * ولا يلاطم عند اللحم فى السوق
وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة و بينه وضرب المثل به حيث قال فى الحكم بن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة

ياهرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد أوتيت حكما مجببا * فطبق المفصل واغنم طيبا

يقول أحكم ابن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل و بامر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين وقد قال الشاعر فى هرم

قضى هرم يوم المريرة بينهم * قضاء امرئ بالاولية عالم
قضى ثم ولى الحكم من كان أهله * وليس ذنابى الريش مثل القوادم

و يقال فى الفعل اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طباقاء وقالت امرأة فى الجاهلية تشكو زوجها وجى عياياء طباقاء وكل داء له داء حتى جعلوا ذلك مثلا للعى القدم (١) الذى لا يتجه للحجة وقال الشاعر

طباقاء لم يشهد خصوما ولم يقد * ركابا الى أكوارها حين تعكف

وذكر زهير بن أبى سلمى الخطل فعابه فقال

وذى خطل فى القول يحسب انه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو بادمقاتله

وقال الشاعر شمس اذا خطل الحديث أوانس * يرقبن كل مجذر تنبال

الشمس ماخوذ من الخيل وهى الخيل المرحة الضاربة باذنابها من النشاط والمجذر القصير والتنبال القصير الدنىء وقال أبو الاسود الدؤلى واسم أبو الاسود ظالم بن عمرو وكان من المقدمين فى العلم

وشاعر سوء يهضبة (٢) القول ظالما * كما اقتم (٣) أعشى مظلم الليل حاطب

وأنشد أعوذ بالله الاعز الاكرم * من قولى الشئ الذى لم أعلم
* تخبط الاعمى الضرير الابهم *

وقال ابراهيم بن هرمة فى تطبيق المفصل وتلحق هذه بمعانى اخواتها قبل

وعميمة قد سقت فيها عائرا * غفلا وفيها عائر موسوم
طبقت مفصلها بغير حديدة * فرأى العدو عناى حيث أقوم

وهذه الصفات التى ذكرها ثمامة بن اشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة بن اشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره وما علمت انه كان فى زمانه قروى ولا بلدى كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع

(١) القدم بفتح القاف وسكون الدال المهملة هو العى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم أو الغليظ الاحمق الجافى
(٢) يطيل (٣) اسود بتشديد الدال

السلامة من التكلف ما كان بلغه وكان لفظه فى وزن اشارته ومعناه فى طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك قال بعض الكتاب معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما وصف الخريمى شعر نفسه فى مديح أبى دلف حيث يقول

له كلم فيك معقولة * ازاء القلوب كركب وقوف

وأول هذه القصيدة أبا دلف دلفت (١) حاجتى * اليك وما خلتها بالدلوف

ويظنون أن الخريمى انما احتذى فى هذا البيت على أيوب بن القرية حين قال له بعض السلاطين ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كانهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف وحدثنى صالح بن خاقان قال قال شبيب بن شبة الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر البيت ثم قال شبيب فان ابتليت بمقام لابد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ فى طلب السلامة من التخطل قبل التقدم فى احكام البلوغ فى شرف التجويد واياك أن تعدل بالسلامة شيأ فان قليلا كافيا خير من كثير غير شاف ويقال انهم لم يرواقط خطيبا بليغا الا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستكلفا (٢) أيام رياضته كلها الى أن يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ الاشبيب بن شبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره قالوا ولما مات شبيب بن شبة أتاهم صالح المرى أو بعض من أتاهم للتعزية فقال رحمة الله على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخى المساكين وقال الراجز

اذا غدت سعد على شبيبها * على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها * عجبت من كثرتها وطيبها

حدثنى صديق لى قال قلت للعتابى ما البلاغة قال كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فاذا أردت اللسان الذى يروق الالسنة ويفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة قال أما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه وياهذا وياهيه واسمع منى واستمع الى وافهم عنى أولست تفهم أولست تعقل فهذا كله وما أشبهه عى وفساد قال عبد الكريم بن روح الغفارى حدثنى عمر الشمرى قال قيل لعمر بن عبيد ما البلاغة قال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك قال السائل ليس هذا أريد قال من لم يحسن ان يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا أريد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انا معشر

(١) دلفت أى مشت (٢) الصلف بالتحريك التمدح بما ليس عندك

الانبياء بكاء أى قليلوا الكلام ومنه قيل رجل بكىء وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل ليس هذا أريد قال كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت قال قال السائل ليس هذا أريد قال عمرو فكانك انما تريد تخير اللفظ فى حسن الافهام قال نعم قال انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب قلت لعبد الكريم من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر قال قد سالت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة الاحفص بن سالم قال عمر الشمرى كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم فان تكلم لم يكد يطيل وكان يقول لا خير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتيك به التكلف وقال بعضهم وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك وكان موسى بن عمران يقول لم أر أنطق من أيوب بن جعفر بن يحيى بن خالد وكان ثمامة يقول لم أر أنطق من جعفر ابن يحيى بن خالد وكان سهل بن هرون يقول لم أر انطق من المامون أمير المؤمنين وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا وسمعت أبا العتاهية يقول لو شئت أن يكون حديثى كله شعرا موزونا لكان وقال اسحق بن حسان بن قوهة لم يفسر البلاغة تفسيرا ابن المقفع أحد قط سئل ما البلاغة قال البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها ما يكون فى الاشارة ومنها ما يكون فى الحديث ومنها ما يكون فى الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فاما الخطب بين السماطين (١) وفى اصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل والاطالة فى غير املال وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى المعمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزعت قال فقيل له فان مل المستمع الاطالة

(١) أى الصفين

التى ذكرت انها حق ذلك الموقف قال اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شئ واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا تناله وقد كان يقال * رضاء الناس شئ لا ينال * قال والسنة فى خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر المجيب ألا ترى الى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتى المحاملين فى شأن حمالة (١) داحس والغبراء وقال مالى فيها أيها العشمتان (٢) قالا بل ما عندك قال عندى قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى فيها عن التقاطع قالوا فخطب يوما الى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقيل لابى يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع أوليس الامر بالصلة هو النهى عن القطيعة قال أوما علمت ان الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الافصاح والكشف قال وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح قال ما اعرفه الا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب فى أجواف الحداق ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كانهم نظراء واكفاء واذا علا المنبر صار واسوقة ورعية وقد ذهب ذاهبون الى ان تاويل قول عمر يرجع الى ان الخطيب لا يجد بدا من تزكية (٣) الخاطب فلعله كره ان يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغر القوم من صاحبه ولعمرى ان هذا التاويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه واشباهه من الائمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا يتكلفون ذلك الا فيمن يستحق المدح وروى أبو مخنف عن الحرث الاعور قال والله لقد رأيت عليا وانه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كمسالم يريد بقوله قاعدا خطبة النكاح وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب قعودا الا فى خطبة النكاح وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم المحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع قال الهيثم قال عمران بن حطان ان أول خطبة خطبتها عند زياد أو قال عند ابن زياد فاعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن واكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشئ من الشعر ولا يكرهونه فى الرسائل الا ان تكون الى الخلفاء وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر فى خطبته تميم بن مر فقال ان تميما له الشرف القديم السودد والعز الاقعس (٤)

(١) كسحابة الدية حملها قوم من قوم (٢) العشمة محركة كشجرة هو اليابس هزالا والشيخ الفانى للذكر والانثى أو المتقارب الخطى المنحنى الظهر (٣) مدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها (٤) الثابت من العز

والعدد الهيضل (١) وهى فى الجاهلية القدام والازوة والسنام وقد قال الشاعر

فقلت له وانكر بعض شانى * ألم تعرف رقاب بنى تميم

وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة فلشدة تحدبه (٢) على سعد وشفقته عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على اهل مقالتهم وان كان قوله خلاف قولهم حدبا عليهم وكان صالح المرى القاص العابد البليغ كثيرا ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت فبات يروى أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وأنشد الحسن فى مجلسه وفى قصصه وفى مواعظه

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشى الخطيب القاص الشجاع اما فى قصصه واما فى خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى

أرض تخيرها لطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دواد

جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد

فارى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال أبو الحسن خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فى العيد فانشد فى خطبته

أين الملوك التى عن حظها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

تلك المدائن بالآفاق خالية * امست خلاء وذاق الموت بانيها

قال وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه ما أشد فطام الكبير وهو كما قال القائل

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

ومثله أيضا قول صالح بن عبد القدوس

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

اذا ارعوى (٣) عاد الى جهله * كذى الضنى عاد الى نكسه

قال كلثوم بن عمرو العتابى

وكنت امرأ لو شئت ان تبلغ المدى * بلغت بادنى نعمة تستديمها

ولكن فطام النفس أثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وكانوا يمدحون الجهير (٤) الصوت ويذمون الضئيل (٥) الصوت ولذلك تشادقوا فى الكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم قال وحدثنى محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابى ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت وسال جعفر بن سليمان أبا الخشن عن ابنه الخشن وكان جزع عليه جزعا شديدا قال صف لى الخشن فقال

(١) الكثير (٢) تعطفه (٣) الارعواء التزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه (٤) العالى (٥) الضعيف أو الدقيق

كان أشدق خرطمانيا (١) سائلا لعابه كأنما ينظر من قلبين كان ترقوته (٢) بوان (٣) أوخالفة (٤) كأن منكبه (٥) ذكرة (٦) جل ثقال فقأ الله عيني ان كنت رأيت قبله أو بعده مثله قال وقلت لاعرابي ما الجمال قال غؤور (٧) العينين واشراف (٨) الحاجبين ورحب الشدقين قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العلامة حين ساله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى الى بني مخزوم قال معزى مطيرة عليها قشعريرة الا بني المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الاشدق

تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبالك اشدق

وأنشد أبو عبيدة وصلع الرؤس عظام البطون * رحاب الشداق طوال القصر

قال وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فاحسنوا فقال والله لارمينهم بالخطيب الاشدق قم يا يزيد فتكلم وهذا القول وغيره من الاخبار والاشعار حجة لمن زعم لم يسم الاشدق للفقم (٩) ولا للفوه (١٠) وقال يحيى بن نوفل في خالد بن عبد الله القسري

بل السراويل من خوف ومن وهل (١١) * واستطع الماء لما جد في الهرب

والحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق في الخطب

ويدلك على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الافواه قول الشاعر

لحا الله افواه الدبى (١٢) من قبيلة * اذا ذكرت في النائبات أمورها

(وقال الآخر) وأفواه الدبى حاموا قليلا * وليس أخو الحماية (١٣) كالضجور (١٤)

وانما شبه أفواههم بافواه الدبى لصغر افواههم وضيقها وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطبيب حي بن هزال وابنيه فقال

تدعو بنيك عبادا وجرثمة * فافأرة شحمها في الجحر محفار

وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا (١٥) جهير الصوت (١٦) وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس يا اصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجع القوم وانزل الله عز وجل النصرة واتى بالفتح أخبرني ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال

(١) الخرطمان بالضم الطويل (٢) مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس (٣) البوان بالضم والكسر هو العمود (٤) العمود أيضا (٥) المنكب هو مجتمع رأس الكتف والعضد (٦) الذكرة بكسر الكافين وسكون الراء هي رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف (٧) غؤور أي دخول (٨) اشراف ارتفاع (٩) الفقم محركة كالفرح هو الاستلاء وتقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى (١٠) الفوه محركة كالفرح سعة الفم أو أن تخرج الاسنان من الشفتين مع طولها تقول هو أفوه وهم فوهاء (١١) الوهل كالفزع وزنا ومعنى (١٢) الدبى أصغر الجراد والنمل (١٣) حمى الشئ حماية بالكسر منعه (١٤) الضجور كصبور هو القلق بكسرا لام (١٥) الجهير هو الجميل والخليق للمعروف (١٦) عالي الصوت

كان قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف يكو حول البيت فيسمع ذلك من حوى قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فالتصدية التصفيق والمكاء التصفير أوشبيه بالصفير ولذلك قال عنترة

وحليل (١) غانية تركت مجدلا (٢) * تمكو فريصته كشدق الاعلم

وقال البعيث السلولى فى شدة الصوت

ومنهن قرعى كل باب كانما * به القوم يرجون الاذين (٣) نشورا
فجئت وخصمى يصرفون نيوبهم * كما قصبت (٤) بين الشفار (٥) جزور (٦)
لدى كل موثوق به عند مثلها * له قدم فى الناطقين خطير
جهير وممتد العناق مناقل (٧) * بصير بعورات الكلام خبير
فظل رداء العصب (٨) ملقى كأنه * سلى (٩) فرس تحت الرجال عقير
لو أن الصخور الصم يسمعن صلقنا * لرحن وفى اعراضهن فطور

الصلق شدة الصوت وفطور شقوق وقال مهلهل

ولولا الريح اسمع أهل نجد * صليل البيض تقرع بالذكور

والصريف صوت احتكاك الانياب والصليل صوت الحديد ههنا وفى شدة الصوت يقول الاعشى فى وصفه الخطيب بذلك

فيهم الخصب والسماحة والنجدة جعا والخاطب الصلاق

وقال بشار بن برد فى ذلك ويهجو بعض الخطباء

ومن عجب الايام أن قمت ناطقا * وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر

ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز كلام فقال له الفتى ما ينبغى ان يكون فى الارض رجل واحد أجهل منك وكان ابن فهريز فى نفسه اكثر الناس علما وأدبا وكان حريصا على الجثلقة فقال للفتى وكيف حللت عندك هذا المحل قال لانك تعلم انا لا نتخذ الجاثليق (١٠) الا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذه الا جهير الصوت جيد الخلق وأنت دقيق الصوت ردىء الخلق ولا نتخذه الا وهو وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها وأنت تعلم انا لا نختار للجثلقة الا رجلا زاهدا فى الرياسة وانت أشد الناس عليها كلبا وأظهرهم لها طلبا فكيف لا تكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة

(١) زوج تقول أنا حليلها أى زوجها وهى حليلتى أى امرأتى (٢) صريعا (٣) النداء (٤) قطعت (٥) جمع شفرة وهى السكين العظيم (٦) كل شئ مباح الذبح (٧) كثير نقل القوائم كناية عن نشاطه (٨) ضرب من البرود وهى الثياب المخططة (٩) السلى جلدة فيها الولد من الناس والمواشى (١٠) الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى فى بلاد الاسلام بمدينة السلام ويكون تحت يده بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف بتشديد القاف يكون فى كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس

وأنت قد شغلت فى طلبها بالملك وأسهرت فيها الليلك وقال أبو الجناء فى شدة الصوت

انى اذا ما زبب الاشداق * والتجح(١) حولى النقع(٢) واللقلاق

* ثبت الجنان مرجم وداق *

المرجم الحاذق بالمراجمة بالحجارة والوداق الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر وجاء فى الحديث من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه وقى الشر يعنى لسانه وبطنه وفرجه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بواكى خالد بن الوليد بن المغيرة وما عليهن ان يرقن من دموعهن على أبى سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة وجاء فى الاثر ليس منا من حلق أو صلق أو سلق أو شق ومما مدح به العمانى هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله

جهير العطاس شديد النياط * جهير الرواء جهير النغم

و يخطو على الاين خطو الظليم * و يعلو السماط بجسم عمم

النياط معاليق القلب الاين الاعياء الظليم ذكر النعام عمم حسن ومنه قيل نبت عميم أى حسن كثير و يقال ان جسمه لعمم وانه لعمم الجسم اذا كان تاما وكان الرشيد اذا طاف بالبيت جعل لازاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف باوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الارنب وقد أخبرنى ابراهيم بن السندى بحصول ذرع ذلك الخطو الا انى أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب اليه قال ابراهيم ونظر اليه اعرابى فى تلك الحال والهيئة فقال

* خطو الظليم ريع ممسى فانشمر * ريع فزع ممسى حين المساء انشمر جد فى الهرب وحدثنى ابراهيم السندى قال لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو فى البلاد أقام على رأسه رجالا فى السماطين لهم قصروهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور فبيناهم قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة (٣) فلحظه عبد الملك فلم يدر أى شئ انكر منه فلما مضى الوفد قال له و يلك هلا اذ كنت ضيق المنخر كز (٤) الخيشوم ابلغتها بصيحة تخلع بها قلب العلج وفى تفضيل الجهارة فى الخطب يقول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس

ألا ليت أم الجهـم والله سامع * ترى حيث كانت بالعراق مقامى

عشية بذ(٥) الناس جهرى ومنطقى * و بذ كلام الناطقين كلامى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة و بجودة الخطبة

ركوب المنابر وثابها * معن بخطبته مجهر

تريع اليه هوادى الكلام * اذا ضل خطبته المهذر

معن تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها تريع اليه ترجع اليه هوادى الكلام أوائله

(١) اختلط (٢) رفع الصوت (٣) منخفضة الصوت (٤) كز ضيق (٥) استحسان لان العرب تقول بذ فلان فلانا اذا ما علاه وفاقه فى حسن أو عمل كائنا ما كان

فاراد ان معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر والمهذر المكثار وزعموا ان أباعطية عفيفا النصرى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر لما رأى الخيل بقربه يومئذ وايس نادى ياصباحاه أتيتم يابنى نصر فالقت الحبالى أولادها من شدة صوته قالوا فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف

عقاما(١) ضروسا(٢) بين عوف ومالك * شديدا لظاها تترك الطفل اشيبا
وكانت جعيل يوم عمروا راكة * اسود الغضا غادرن لحما مترببا(٣)
ويوم بمكروثاء ٧ شدت معتب * بغاراتها قد كان يوما عصبصبا(٤)
فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بنصر فطربا(٥)

وكان أبو عروة الذى يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدى فقال

وازجر الكانح(٦) العدو اذا اغتنا * لك عندى زجرا على أضم(٧)
زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يلبسن بالغنم ٨

وأنشد أبو عمرو الشيبانى لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم قال أبو عبيدة وأبو الحسن كان شبيب يصيح فى جنبات الجيش اذا أتاه فلا يلوى أحد على أحد وقال الشاعر فيه ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم

قال أبو العاصى أنشدنى أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الاحمر ولى الاشعريين فى عيب التشادق

له حنجر رحب وقول منمنع * وفصل خطاب ليس فيه تشادق
اذا كان صوت المرء خلف لهاته(٨) * وأنحى باشداق لهن شقاشق

وقبقب(٩) يحكى مقرما(١٠) فى هبابه(١١) * فليس بمسبوق ولا هو سابق

وقال الفرزدق * شقاشق بين أشداق وهام * وأنشد خلف

وما فى يديه غير شدق يميله * وشقشقة خرساء ليس لها نعب(١٢)
متى رام قولا خالفته سجية

وضرس(١٣) كنعب(١٤) القين(١٥) ثلمه(١٦) الشعب(١٧)

وأنشد أبو عمرو بن الاعرابى

---

(١) عقام كغراب تقول حرب عقام اى شديدة (٢) سيئة وخيمة (٣) عليه تراب تقول تربته أى جعلت عليه التراب (٤) عصبصب أى شديد الحر (٥) أطرب (٦) مضمر العداوة (٧) الغضب والحقد (٨) اللهاة كغلالة اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم (٩) هدر وصوت (١٠) القرم محركة شدة شهوة اللحم وأقرمه أى جعله قرما وهو هنا بمعنى شديد الجوع (١١) نشاط كل سائر وسرعته (١٢) أى تصويت (١٣) صمت يوم الى الليل (١٤) ضرب من السير (١٥) العبد (١٦) آلمه أو أتعبه (١٧) الشعب بالفتح الجبل أو البعد وبالكسر الطريق فى الجبل

وجاءت قريش قريش البطاح * هى العصب الاول الداخلة
يقودهم الفيل والزنبيل * وذو الضرس والشفة المائلة

والفيل والزنبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان وذو الضرس وذو الشفة المائلة هو خالد بن سلمة المخزومى الخطيب يعنى دخولهم على ابن هبيرة والزنبيل الانثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نجيح بن حفص وقال غيره هو الذكر فلم يقفوا من ذلك على شئ وقال الشاعر فى خالد بن سلمة المخزومى الخطيب

فما كان قائلهم دغفل * ولا الحيقطان ولا ذو الشفه

قوله دغفل بريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب والحيقطان عبد اسود وكان خطيبا لا يجارى وأنشد أصحابنا

وقافية لجلجتها فرددتها * لذى الضرس لو أرسلتها قطرت دما

وقال الفرزدق انا عند الناس أشعر العرب ولربما كان نزع ضرس أيسر على من ان أقول بيت شعر قال وأنشدنا منيع

فجئت ووهب كالخلاة تضمها * الى الشدق أنياب لهن صريف
فقعقعت لحى خالد واهتضمته * بحجة خصم بالخصوم عنيف

روى أبو يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحرث بن أبى ربيعة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال كم كان له ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله والفقه فى السنة والهجرة الى الله ورسوله والبسطة فى العشيرة والنجدة فى الحرب والبذل للماعون قال الآخر

ولم تلفنى فهما ولم تلف حجتى * ملجلجة أبغى لها من يقيمها
ولا بت ازجيها (١) قضيبا (٢) وتلتوى * أراوغها (٣) طورا وطورا أضيمها (٤)

وأنشدنى أبو الردينى العكلى

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله * اذا الخطباء الصيد (٥) أعطل قبلها

وقال الحزمى فى تشادق على بن الهيثم

ياعلى بن هيثم يا سماقا (٦) * قد ملأت الدنيا علينا بقاقا (٧)
خل لحييك يسكنان ولا تضـ * ـرب على تغلب بلحييك طاقا
لا تشادق اذا تكلمت واعلم * ان للناس كلهم أشداقا

(١) ازجيها اسوقها وأدفعها (٢) القضيب هى الناقة التى لم ترض بضم التاء وفتح الراء أى التى لم تذلل من الرياضة (٣) اصارعها (٤) اظلمها (٥) اعطل قبلها تقول اعظلت السماء أى أطبق دجنها يعنى كثر غيمها واحتجبت والقيل نصف النهار كالقائلة وهذه الجملة ههنا كناية عن فروع جعبة كلامهم متى لم يعد فى وسعهم التكلم بشئ ما (٦) سماق كغراب أى خالص (٧) تقول بق الرجل بقاقا بقاة كثر كلامه

وكان علي بن الهيثم جوادا بليغ اللسان والقلم وقال لي أبو يعقوب الخزيمي ما رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلا حتى اذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح في الماء أو الرصاص عند النار كان هشام بن الكلبي علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فاذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار وكان الهيثم بن عدي مفقعا (١) نيا صاحب تفقيع وتقعير ويستولي على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب فاذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار وكان علوية المغني أحد الناس في الرواية وفي الحكاية وفي صنعة الغناء وجودة الضرب وفي الاطراب وحسن الخلق فاذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص عند النار ثم رجع بنا القول الى ذكر التشديق وبعد الصوت قال أبو عبيدة كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب رديفا (٢) للملوك ورحالا اليهم وكان يقال له عروة الرحال فكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بني عامر فلما انتهى الى واردات مع الصبح قال له عروة انك قد عرفت طول صحبتي لك ونصيحتي اياك فاذن لي فاهتف بقومي هتفة قال نعم وثلثا فقام فنادى ياصباحاه ثلاث مرات قال فسمعنا شيوخنا يزعمون انه أسمع أهل الشعب فتلببوا (٣) للحرب وعسبوا الرايا ينظرون من أين يأتي القوم قالوا وتقول الروم لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص في المغرب وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته ان يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق قال أبو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صعصعة عند معاوية فعرق قال معاوية بهرك القول فقال صعصعة ان الجياد تضاحة بالماء والفرس اذا كان سريع العرق وكان هشا (٤) كان ذلك عيبا وكذلك هو في الكثرة واذا أبطأ ذلك وكان قليلا قل كاهو وفرس كاب وذلك عيب أيضا وأنشدني ابن الاعرابي لابي مسمار العكلي في شبيه بذلك قوله

* لله در عامر اذا نطق * في حفل املاك وفي تلك الحلق
ليس كقوم يعرفون بالشدق * من خطب الناس وما في الورق
يلفقون القول تلفيق الحلق * من كل نضاح الذفارى بالعرق
* اذا رمته الخطباء بالحدق *

والذفارى هنا يعني بدن الخطيب والذفريان للبعير وهما اللحمتان في قفاه وانما ذكر خطب الاملاك لانهم يذكرون انه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما يتصعدني كلام كما يتصعدني خطبة النكاح وقال العماني

لا ذفر هش ولا بكاب * ولا بلجاج ولا هياب

(١) متشدقا في كلامه (٢) تابعا (٣) تشمروا (٤) الهش الفرس الكثير العرق

الهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابى الذى لا يكاد يعرق كالزند الكابى الذى لا يكاد يورى فجعل له العمانى حالا بين حالين اذا خطب أخبرانه رابط الجاش معاود لتلك المقامات وقال الكميت بن زيد وكان خطيبا ان للخطبة صعداء وهى على ذى اللب أرمى وقولهم ارمى واربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة واربى ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص الى خاصته وانما يجترئ على الخطبة الغمر الجاهل الماضى الذى لا يثنيه شئ أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره والثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والانخنحة والانقطاع والبهر والعرق قال عبد الله بن زياد وكان خطيبا على الكنة كانت فيه نعم الشئ الامارة لولا قعقعة البرد والتشدق للخطب وقيل لعبد الملك بن مروان يجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال وكيف لا يجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور قال بعض الكليبين (١)

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بان من السكوت ابانة * ومن التكلم ما يكون خبالا

﴿ كلام بشر بن المعتمر ﴾ حين مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتمحيقه وكان أول ذلك الكلام خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا واشرف حسبا وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطا واجلب لكل عين وعزة من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطاك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن أراع معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله الى ان تكون أسوء حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما وكن فى ثلاث منازل فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة وانما مدار الشرف على الصواب

(١) صوابه الكلابيين

واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان أمكنك ان تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء وانت البليغ التام قال بشر فلما قرئت على ابراهيم قال لى أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتيان قال أبو عثمان أما انا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا واذا سمعتمونى اذكر العوام فانى لست اعنى الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ولست أعنى الاكراد فى الجبال وسكان الجزائر فى البحار ولست اعنى من الامم مثل البردو الطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج وانما الامم المذكورون من جميع الناس أربع العرب وفارس والهند والروم والباقون همج واشباه الهمج وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها واخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا على ان الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضا ثم رجع بنا القول الى بقية كلام بشر بن المعتمر والى ما ذكر من الاقسام قال بشر فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة فى مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول فى غير أوطانها فانك اذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختبار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وان انت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك عابك من أنت أقل عيبا منه ورأى من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تجهل ولا تضجر ودعه بياض يومك اوسواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة اوجريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهها ولم تنازع اليها الا وبينكما نسب والشئ لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات لان النفوس لا تجود بكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما يجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا وقال ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ويوازن بينها و بين اقدار المستمعين و بين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم اقدار الكلام على أقدار المعانى و يقسم اقدار المعانى على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات فان كان الخطيب متكلما تجنب الفاظ المتكلمين كما انه ان عبر عن

شئ من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الالفاظ به ألفاظ المتكلمين اذا كانوا تلك العبارات أفهم والى تلك الالفاظ أميل واليها أحن وبها أشغف ولان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وابلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعانى وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له فى لغة العرب اسم فصار وا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا العرض والجوهر وايس (١) وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشى وذكروا الهذية والهوية والماهية واشباه ذلك وكما وضع الخليل بن أحمد لاوزان القصيد وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء وكما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل واشباه ذلك وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف وقد ذكرت العرب فى أشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسمع الايطاء وقالوا فى القصيد والرجز والسجع والخطب وذكروا حروف الروى والقوافى وقالوا هذا بيت وهذا مصراع وقد قال جندل الطهوى حين مدح شعره

* لم أقوفيهن ولم اساند * ﴿وقال ذو الرمة﴾

وشعر قد أرقت له غريب * اجانبه المساند والمحالا

﴿وقال أبو حزام العكلى﴾

بيوتا نصبنا لتقويها * جنول (٢) الربيئين (٣) فى المربأه (٤)

بيوتا على الهاما سجحة (٥) * بغير السناد (٦) ولا المكفاه

وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لانهم لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وابناء البلديين علم العروض والنحو وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم قالوا وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السماطين او على منبر او فى سدة دار الخلافة او فى يوم جمع وحفل اما فى اصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان ثم ان الله عز وجل بعد ان انشا الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا ولولا ان المتكلم افتقر الى ان يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى ان يؤخذ فوق يده وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته واخرجه الله من باب الليسية فادخله فى باب الايسية وقال مرة اخرى فى خطبة له هذا فرق ما بين السار والضار والدفاع والنفاع وقال مرة اخرى فدل ساتره على غامره ودل غامره على منحله فكاد ابراهيم ابن السندى يطير شغفا وينقد غيظا هذا وابراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من

(١) ايس كلمة معناها الايجاب كما ان ليس كلمة معناها النفى (٢) ماعظم من أصول الشجر (٣) ربيئة أى طليعة (٤) المرتبة (٥) تقول بيوتهم على سمت واحد أى على قدر واحد (٦) اختلاف الردفين من الشعر

المتكلمين وانما جازت هذه الالفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعانى وقد تحسن ايضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر أبى نواس وفى كل ما قالوه على جهة التظرف والتملح كقول أبى نواس

وذات خد مورد * قوهية المتجرد تامل العين منها * محاسنا ليس تنفد
فبعضها قد تناهى * وبعضها يتولد والحسن فى كل عضو * منها معاد مردد

وكقوله

ياعاقد القلب منى * هلا تذكرت حلا * تركت قلبى قليلا
من القليل أقلا * يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

وقد يتملح الاعرابى بان يدخل فى شعره شيأ من كلام الفارسية كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها

من يلقه من بطل مسرندى * فى دغفة محكمة بالسرد * يجول بين رأسه والكرد

يعنى العنق ويقول فيه أيضا

لما هوى بين غياض الاسد * وصار فى كف الهزبر الورد * آلى يذوق الدهر آب سرد

﴿وكقول الآخر﴾

وولهنى وقع الاسنة والقنا * وكافر كوبات لها عجر قفد
بايدى رجال ما كلامى كلامهم * يسومونني مردا وما أنا والمرد

ومثل هذا موجود فى شعر العذافر الكندى وغيره ويكون أيضا أن يكون الشعر مثل شعر الحرو شاذ واسود بن أبى كريعة كما قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ

آب أست نبيذ است * عصارات زبيب است * سميت روسبيد است

﴿وقال اسود بن أبى كريعة﴾

لزم الغرام ثوبى * بكرة فى يوم سبت فتمايلت عليهم * ميل زنكى بمست
قد حسا الدادى صرفا * أو عقارا بايخست (١) ثم كفتم ذو زياد * ويحكم ان خر كفت
ان جلدى دبغته * أهل صنعاء بحفت وأبو عمرة عندى * ان كور يذنمست

جالس انر رمكاد * اياعمد بنهشت

وكما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى وكلام الناس فى طبقات كما ان الناس انفسهم فى طبقات فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميج والخفيف والثقيل وكله عربى وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا فان زعم زاعم انه لم يكن فى كلامهم تفاضل ولا بينهم فى ذلك تفاوت فلم ذكروا العيى والبكى والحصر

(١) بايخست الشراب على الريق بالفارسية

والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهماز والثرثار والمكثار والهماز ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط وقالوا رجل تلقاعة (١) وتلهاعة (٢) وفلان يتلهيع فى خطبته وقالوا فلان يخطئ فى جوابه ويحيل فى كلامه ويناقض فى خبره ولو ان هذه الامور قد كانت تكون فى بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الاسماء وانا أقول انه ليس فى الارض كلام هو امتع ولا انفع ولا آنق ولا ألذ فى الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم فى عامة ما وصفوا الا انى أزعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعانى وقد يحتاج الى السخيف فى بعض المواضع وربما أمتع باكثر من امتاع الجزل الفاخم ومن الالفاظ الشريفة الكريمة من المعانى كما ان النادرة البادرة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا وانما الكرب الذى يحتمى على القلوب ويأخذ بالانفاس النادرة الفاترة التى لا هى حارة ولا هى باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الشان فى الحار جدا والبارد جدا وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول والله لفلان أثقل من مغن وسط وأبغض من ظريف وسط ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الامع اعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بان تلحن فى اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وان تستعمل فيها الاعراب أو ان تخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط (٣) والجهورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السائلة وبقرب مجامع الاسواق ولاهل المدينة السنة ذلقة والفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن فى عوامهم فاش وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوارب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن على سجية سكان البلد وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فاذا أسنت وأكتهلت تغير ذلك الاستملاح وربما كان اسم الجارية غليم وصبية وما أشبه ذلك فاذا صارت كهلة جزلة وعجوزا شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أبعد حينئذ أن يقال لها ياغليم كيف أصبحت ويا صبية كيف أمسيت ولا مرحبا كنت

(١) مكسور التاء والام مشدد القاف هو كثير الكلام (٢) المتشدق فى الكلام (٣) التلوين فى الكلام

العرب البنات فقالوا فعلت لم الفضل وقالت ام عمرو وذهبت ام حكيم نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم فى تلك الكنى وقد فسرنا ذلك كله فى كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه

امغطى منى على بصر للحب أم أنت أكمل الناس حسنا
وحديث الذه هو مما * ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات القلوب والى اصابة عيون المعانى ويقولون أصاب الهدف اذا أصاب الحق فى الجملة ويقولون قرطس فلان وأصاب القرطاس اذا كان أجود اصابة من الاول فان قالوا رمى فاصاب الغرة وأصاب عين القرطاس فهو الذى ليس فوقه أحد ومن ذلك قولهم فلان يفل الخز ويصيب المفصل ويضع الهناء مواضع النقب وقال زرارة بن جزء حين أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته اليه

أتيت أبا حفص ولا يستطيعه * من الناس الا كالسنان طرير
فوفقنى الرحمن لما لقيته * وللباب من دون الخصوم صرير
قروم غيارى عند باب ممنع * تنازع ملكا يهتدى وتجور
فقلت له قولا أصاب فؤاده * وبعض كلام القائلين غرور

وفى شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان

رجال اصحاء الجلود من الخنا * والسنة معروفة أين تذهب

وفى اصابة فص الشئ وعينه يقول ذو الرمة فى مديح بلال بن أبى بردة الاشعرى

تناخى عند خير فتى يمان * اذا النكباء عارضت الشمالا
وخيرهم ما آثر أهل بيت * وأكرمهم وان كرموا فعالا
وأبعدهم مسافة غور عقل * اذا ما الامر فى الشبهات غالا
ولبس بين أقوام فكل * اعدله الشغازب والمحالا
وكلهم الدله كظاظ * أعد لكل حال القوم حالا
فصلت بحكمة فاصبت منها * فصوص الحق فانفصل انفصالا

وكان أبو سعيد الراوى وهو شرشير المدنى يعيب أبا حنيفة فقال الشاعر

عندى مسائل لا شرشير يحسنها * عند السؤال ولا أصحاب شرشير
ولا يصيب فصوص الحق تعلمه * الا حنيفة كوفية الدور

ومما قالوا فى الايجاز وبلوغ المعانى بالالفاظ اليسيرة قال ثابت بن قطنة

مازلت بعدك فى هم يجيش به * صدرى وفى نصب قد كاد يبليني
انى تذكرت قتلى لو شهدتهم * فى غمرة الموت لم يصلوا بهادوني
لأكثر القول فيما يهضبون به * من الكلام قليل منه يكفيني

وقال رجل من طىء ومدح كلام رجل فقال هذا كلام يكتفى باولاه و يشتفى باخراه وقال أبو وجزة السعدى بن سعيد بن بكر يصف كلام رجل

يكفى قليل كلامه وكثيره * ثبت اذا طال النضال مصيب

ومن كلامهم الموجز فى أشعارهم قول العكلى فى صفة قوس

فى كفه معطبة منوع * موثقة صابرة جزوع

وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حمارا فقال * حتى نجا من جوفه ومانجا *

وقال الآخر وهو يصف ذئبا

أطلس يخفى شخصه غباره * فى شدقه شفرته وناره
وهو الخبيث عينه قراره * بهم بنى محارب مزادره

ووصف الآخر ناقة فقال * خرقاء الا انها صناع * وقال الآخر ووصف سهما صادرا

ألقى على مفطوحها مفطوحا * غادر داء ونجا صحيحا

المفطوح الاول للقوس وهو العريض وهو ههنا موضع مقبض القوس والمفطوح الثانى السهم العريض يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا وقال الآخر

انك يابن جعفر لا تفلح * الليل أخفى والنهار افضح

وقالوا فى المثل الليل أخفى للويل وقال رؤبة يصف حمارا

حشرج فى الجوف سحيلا أوشهق * حتى يقال ناهق ومانهق

الحشرجة صوت الصدر والسحيل صوت الحمار اذا مده والشهيق أن يقطع الصوت وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى فى فرس أبى الاعور السلمى

جاء كلمع البرق جاش ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمس الارض منه حافره

قوله جاش ناظره أى جاش بمائه وناظر البرق سحابه يسبح يعنى يمد ضبعيه فاذا مدهما علا كفله وقال الآخر * ان سرك الاهون فابد أبالاشد * وقال النجاج

يمكن السيف اذا الرمح اناطر * من هامة الليث اذا الليث هتر
كجمل البحر اذا خاض جسر * غوارب اليم اذا اليم هدر
* حتى يقال جاسر وماجسر *

اليم معظم الماء وغوارب اليم معظمه جسر قطع ومنه قيل للجسر جسر لان الناس يقطعون عليه وقوله حتى يقال جاسر وماجسر أى قطع الامر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه وقال الآخر

يادار قد غيرها بلاها * كأنما بقلم محاها * أخربها عمران من بناها
وكر مساها على مغناها * وطفقت سحابة تغشاها * تبكي على عراصها عيناها

قوله أخربها عمران من بناها يقول عمرها بالخراب وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء فاذا بقي الرجل في داره فقد عمرها فيقول ان مدة بقائه فيها أبلت منها لان الايام مؤثرة في الاشياء بالنقض والبلاء فلما بقي الخراب فيها وقام مقام العمران في غيرها سمي بالعمران وقال غيره

يا عجل الرحمن بالعذاب * لعامرات البيت بالخراب

يعني الفار يقول هذا عمرانها كما يقول الرجل ما نرى من خيرك ورفدك الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك (١) في اعضادنا وقال الله عز وجل هذا نزلهم (٢) يوم الدين والعذاب لا يكون نزلا ولكنه لما أقام العذاب لهم في موضع النعيم في غيرهم سمي باسمه وقال الآخر

فقلت اطعمي عميرا تمرا * فكان تمرى كهرة (٣) وزبرا

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ولكنه على ذا وقال الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس في الجنة بكرة ولا عشي ولكن على مقدار البكر والعشيات وعلى هذا قول الله عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شئ فيحفظ ولا يحتاج رد خولها انسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به قوله مساها يعني مساءها ومغناها موضعها الذي أقيم فيه والمغاني المنازل التي كان بها أهلوها وطفقت يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها يقال لكل جوبة (٤) منفتقة ليس فيها بناء عرصة عيناها ههنا للسحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشئ باسم غيره اذا قام مقامه وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالي

* وحسبك داء ان تصح وتسلما * ولعل حميدا أخذه عن النمر بن تولب قال النمر

يحب الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

وقال أبو العتاهية

* أسرع في نقض أمرتمامه * ذهب الى كلام الاول

كل ما أقام شخص وكل ما ازداد نقص ولو كان الناس يميتهم الداء اذا لاعاشهم الدواء

وقال الثاني من الرواة الثلاثة بل قول أبي خراش الهذلي

* توكل بالادنى وان جل ما يمضى * وقال الثالث بل قول أبي ذؤيب الهذلي

* واذا تردالى قليل تقنع * فقال قائل هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع اشعار العرب الا ثلاثة أنصاف اثنان منها لهذيل وحدها فقيل لهذا القائل انما كان الشرط ان يأتوا بثلاثة انصاف مستغنيات بانفسها والنصف الذي لابي ذؤيب

(١) فت في ساعده أضعفه (٢) هو بضمتين ما هيئ للضيف أن ينزل عليه (٣) القهر والانتهار والزبر أيضا الانتهار والمنع (٤) فضاء أملس بين أرضين

لا يستغنى بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول لانك اذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول وسمع واذا ترد الى قليل تقنع *قال ومن هذه التى ترد الى قليل فتقنع وليس المضمن كالمطلق وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم وانما الرواية قوله * والدهر ليس بمعتب من يجزع * ومما مدحوا به الايجاز والكلام الذى كالوحى والاشارة قول أبى دواد بن جرير الايادى

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ (١) خيفة الرقباء

فمدح كما ترى الاطالة فى موضعها والحذف فى موضعه ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم لافهم والافهام قول الاسدى فى صفة كلام رجل نعت له موضعا من تلك السباسب التى لا امارة فيها باقل اللفظ وأوجزه فوصف ايجاز النعت وسرعة فهم المنعوت له فقال

بضربة نعت لم تعد غير انني * عقول لاوصاف الرجال ذكورها (٢)

وهو كقولهم لابن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقد قال الراجز

(٣) ومهمهين قذفين مرتين * جبتهما بالنعت لا بالنعتين

وقالوا فى التحذير من مبسم الشعر ومن شدة وقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجو قال امرئ القيس بن حجر

ولو عن (٧) تشاغيره جاءنى * وجرح اللسان كجرح اليد

وقال طرفة بحسام سيفك أو لسانك * والكلام الاصيل كارغب الكلم

(قال وأنشدنى محمد بن زياد)

لحوت شماسا كما تلحى العصى * سبالوان السب يدمى لدمى

من نفر كلهم نكس (٤) دنى * محامد الرذل (٥) مشاتيم السرى (٦)

مخابط العكم مواديع المطى * متارك الرفيق بالخرق النطى

(وأنشد محمد بن زياد)

تمنى أبو العفاق عندى هجمة * تسهل مأوى ليلها بالكلاكل

ولا عقل عندى غير طعن نوافذ * وضرب كاشداق الفصال الهوادل

وسب يود المرء لو مات قبله * كصدع الصفى فلقته بالمعاول

الهجمة القطعة من النوق فيها فحل والكلكل الصدر والفصال جمع فصيل والفصيل ولد الناقة اذا فصل عنها والهوادل العظام المشافر والعقل ههنا الدية والعاقلة أهل القاتل الادنون والابعدون والصفى جمع صفاة وهى الصخرة وقال طرفة

(١) اشارة العيون (٢) فعول من الذكر أى كثيره (٣) الصحراء التى لا علامة بها والمرت المفازة بلا نبات والجوب القطع (٤) هو بالكسر الضعيف أو المقصر عن غاية الكرم (٥) هو الدون أو الخسيس (٦) جمع سرى وهو ذو المروءة والشرف أى هؤلاء القوم يمدح رذيلهم فى رذالته ويذم شريفهم (٧) هكذا بالاصل ولير اجع

رأيت القوافى يلجن موالجا * تضايق عنها ان تولجها الابر

وقال الاخطل حتى أقرواوهم منى على مضض (١) * والقول ينفذ مالا تنفذ الابر

وقال العمانى اذهن فى الريط وفى المواديع * ترمى اليهن كبذر الزارع

الريط الثياب واحدها ريطة والريطة كل ملاءة لم تكن لفقين والحلة لا تكون الا ثوبين والمواديع الثياب التى تصون غيرها واحدها مبدعة وقالوا الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى وكتب نصر بن سيار الى ابن هبيرة أيام تحرك أمير السواد بخراسان

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك أن يكون له اضطرام

فان النار بالعودين تذكو (٢) * وان الحرب أولها كلام

فقلت من التعجب ليت شعرى * أ أيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام

وقال بعض المولدين اذا نلت العطية بعد مطل * فلا كانت وان كانت جزيله

وسقيا للعطية ثم سقيا * اذا سهلت وان كانت قليله

وللشعراء ألسنة حداد * على العورات موفية دليله * ومن عقل الكريم اذا اتقاهم

وداراهم مداراة جميله * اذا وضعوا مكاذبهم عليه * وان كذبوا فليس لهن حيله

وقالوا مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها ومما قالوا فى صفة اللسان قول الاسدى أنشدنيها ابن الاعرابى

وأصبحت أعددت للنائبات * عرضا بريئا وعضبا صقيلا

ووقع لسان كحد السنان * ورمحا طويل القناة عسولا

وقال الاعشى أدافع عن أعراضكم وأعيركم * لسانا كمقراض الخفاجى ملحبا

الملحب القاطع وقال ابن هرمة

قل للذى ظل ذالونين يأكلنى * لقد خلوت بلحم عادم البشم (٣)

اياك لا الزمن لحييك من لجم * نكلا (٤) ينكل أفراسا من اللجم

انى امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله * كفاى لكن لسانى صايغ الكلم

(قال الراجز)

انى بغيت الشعر وابتغانى * حتى وجدت الشعر فى مكانى * فى عيبة مفتاحها لسانى

وأنشد انى وان كان ازارى خلقا * وبرتكانى (٥) سملا قد أخلقا

* قد جعل الله لسانى مطلقا *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبو عثمان والعتابى حين زعم ان كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن ان كل من

---

(١) هو وجع المصيبة (٢) أى يشتد لهبها (٣) هو بالتحريك التخمة (٤) هو نوع من اللجم (٥) لعله هو البرد وهو منقول من لغة أخرى

أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه انه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد ان نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطى الذى قيل له لم اشتريت هذه الاتان قال أركبها وتلدلى وقد علمنا ان معناه كان صحيحا وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لاهل مجلسه ما من شر من دين وانه قال حين قيل له ولم ذاك يا أبا فلان قال من جرى يتعلقون وما نشك انه قد ذهب مذهبا وانه كما قال معنى قول أبى الجهير الخراسانى النخاس حين قال له الحجاج أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان قال شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مدابنها وكما تجىء تكون قال الحجاج ما تقول ويلك فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك يقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها وقلت لخادم لى فى أى صناعة اسلمواهذا الغلام قال أصحاب سندنعال يريد فى أصحاب النعال السندية وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه اكتب لى قل حطنى وريحنى منه فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا وكيف يكون ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذى فينا وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معانى هؤلاء بما كما لهم كما لا يعرفون رطانة الروم والصقلبى وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بانا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء(١) السنور كثيرا من ارادته وكذلك الكلب والحمار والصبى الرضيع وانما عنى العتابى افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا

مكره أخاك لا بطل) * (واذا عزأخاك فهن

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت الى أبوزيد ورأيت أبى عمرو ومتى وجد النحويون اعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه لان ذلك يدل على طول اقامته فى الدار التى تفسد اللغة وتنقص البيان لان تلك اللغة انما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة ولفقد الخطأ من جميع الامم ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على انه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين وزعم أصحابنا البصريون عن أبى عمرو بن العلاء انه قال لم أر قرو يين أفصح من الحسن والحجاج وكان زعموا لا يبرئهما من اللحن وزعم أبو العاصى انه لم ير قرو ياقط لا يلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه وبين الناس الا ما تفقده من أبى زيد النحوى ومن أبى سعيد المعلم وقد روى أصحابنا ان رجلا من البلديين قال لاعرابى كيف أهلك قالها بكسر اللام قال صلبا لانه

(١) ـ غا السنور ضغوا وضغاء صاح

أجابه على فهمه ولم يعلم انه أراد المسئلة عن أهله وعياله وسمعت ابن بشير وقال له المفضل العنبري انى عثرت البارحة بكتاب وقد التقطته وهو عندى وقد ذكر وان فيه شعرا فان أردته وهبته لك قال ابن بشير أريده ان كان مقيدا قال والله ما أدرى أكان مقيدا أو مغلولا ولو عرف التقييد لم يلتفت الى روايته وحكى الكسائى انه قال لغلام بالبادية من خلقك وجزم القاف فلم يدر ما قال ولم يجبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقك وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول نعم فى الجواب قال نعم وشاء لان لغته نعم وقيل لعمر بن لجاء قل انا من المجرمون منتقمين قال انا من المجرمين منتقمون وأنشد الكسائى كلا ما دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال

عجبا ما عجب أعجبنى * من غلام حكمى أصلا * قلت هل أحسست ركبا نزلوا
حضنا(١) مادونه قال هلا * قلت بين ما هلا هل نزلوا * قال حوبا(٢) ثم ولى عجلا
لست أدرى عندها ما قال لى * انعم ما قال لى أم قال لا * تلك منه لغة تعجبنى
* زادت القلب خبالا خبلا *

قال أبو الحسن قال مولى زياد لزياد اهدوا الناهمار وهش قال أى شئ تقول ويلك قال اهدوا لنا ايرا يريد اهدوا الناعيرا قال زياد ويلك الاول خير وقال الشاعر يذكر جارية له لكناء

أول ما أسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر
* والسوأة(٣) السوآء فى ذكر القمر *

فزياد قد فهم عن جاريته ولكنهما لم يفهما عنهما من افهامهما لهما ولكنهما لما طال مقامهما فى الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام

﴿ذكر ما قالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور وما جاء فى الاثر وصح به الخبر﴾

قال الشاعر أرى الناس فى الاخلاق أهل تخلق * وأخبارهم شتى فعرف ومنكر
قريبا تدانيهم اذا ما رأيتهم * ومختلفا ما بينهم حين تخبر
فلا تحمدن الدهر ظاهر صفحة(٤) * من المرء ما لم تبل ما ليس يظهر
فما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
وما الزين فى ثوب تراه وانما * يزين الفتى مخبوره حين يخبر
فان طرة راقتك منهم فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

(وقال سويد بن أبى كاهل فى ذلك)

ودعتنى برقا ها انها * تنزل الاعصم(٥) من رأس اليفع(٦)

---

(١) هو بالكسر ما دون الابط الى الكشح أو الصدر وجانب الشئ وناحيته (٢) الحوب وسط الدار والدابة (٣) هى الفرج والناحشة والخلة القبيحة كالسوآء (٤) هى بشرة الجلد من الانسان (٥) هو الغراب الاحمر المنقار والرجلين (٦) واليفع الجبل

تسمع الحدات قولا حسنا * لو أرادوا غيره لم يستطع
ولسانا صيرفيا (١) صارما * كحسام السيف ما مس قطع

وقال جرير وليس لسيفي في العظام بقية * ولا السيف أشوى وقعة من لسانيا
وقال الآخر وجرح السيف تدمله فيبرى * ويبقى الدهر ما جرح اللسان

(وقال الآخر)

أباضبيعة لا تجعل بسيئة * الى ابن عمك واذكره باحسان * انى وان كنت أثوابي ملفقة
ليست بخز ولا من نسج كتان * وان في المجد همماتي وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لحان

وفيما مدحوا به الاعرابي اذا كان أديبا أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه أسود

ألا زعمت عفراء بالشام انني * غلام جوار لا غلام حروب
وانى لاهدى بالاوانس كالدما (٢) * وانى باطراف القنا للعوب
وانى على ما كان من عنجهيتي (٣) * ولوثة (٤) اعرابيتي لاديب

(وقال ابن هرمة)

لله درك من فتى جمعت به * يوم البقيع حوادث الايام * هش اذا نزل الوفود ببابه
سهل الحجاب مؤدب الخدام * فاذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

(وقال كعب بن سعيد الغنوى)

حبيب الى الزوار غشيان بيته * جميل المحيا شب وهو أديب
اذا ما ترا آه الرجال تحفظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب

وقال الحارثي وتعلم اى ما جد وترعها * بقية اعرابية في مهاجر
وقال الآخر وان امرأ في الناس يعطى ظلامة * ويمنع نصف الحق منه الواضع
أما الموت يخشى اكل الله أمه * أم العيش يرجو نفعه وهو ضائع
ويطعم ما لم يندفع في مريئه (٥) * ويمسح أعلى بطنه وهو جائع
وان العقول فاعلمن أسنة * حداد النواحي أرهفتها المواقع

ويقولون كان لسانه لسان ثور وحدثني من سمع اعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما بقي من لسانك فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال والله ما يسرني به مقول من معد والله ان لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه قال وسمعت اعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخلل به تخلل الحية وأظن هذا الاعرابي أبا وجيه العكلي يشول يرفع البروق الناقة اذا طلبت الفحل فانها حينئذ ترفع ذنبها

(١) هو نقاد العملة والقصد ان لسانها ينقد الالفاظ (٢) هي جمع دمية وهي صورة العاج (٣) هي الكبر والعظمة (٤) هي بالضم المناسب منها دائما الهيج والخفة (٥) هو الحلقوم وهو مجرى الطعام والشراب

وانما سمى شوالا لان النوق شالت باذنابها فيه فان قال قائل قد يتفق ان يكون شوال فى وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه فلم يبق هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه قيل له انما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق ان شالت النوق باذنابها فيه فبقى عليه كالسمة وكذلك رمضان انما سمى لرمض الماء فيه فى شدة الحر فبقى عليه فى البرد وكذلك ربيع انما سمى لرعيهم الربيع فيه وان كان قد يتفق هذا الاسم فى وقت البرد والحر قال ووصف اعرابى رجلا فقال أتيناه فاخرج لسانه كانه مخراق (١) لاعب قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله فيم الجمال قال فى اللسان قال وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا وكان نهشل بكيئا منزورا فلما خرجا من عند بعض الملوك عزله مجاشع فى تركه الكلام فقال له نهشل انى والله لأحسن تكذابك ولا تأثامك تشول بلسانك شولان البروق وقالوا علا جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ثم الجن وانما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق قال وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة قال وقال رجل لخالد بن صفوان مالى اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع على النوم قال لانك حمار فى مسلاخ (٢) انسان وقال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق الميت وقال الاعور الشنى وكاين ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم تبق الا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان تسمع بالمعيدى لان تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان (٣) ولا توزن بميزان وليست بمسوك يستقى بها وانما المرء باصغريه بقلبه ولسانه ان صال صال بجنان وان قال قال ببيان واليمانية تجعل هذا للصقعب النهدى فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهدا من معد وكان يقال عقل المرء مدفون بلسانه

﴿باب فى ذكر اللسان﴾

أبو الحسن قال قال الحسن لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر فان كان له قال وان كان عليه سكت وقلب الجاهل من وراء لسانه فان هم بالكلام تكلم به له أو عليه قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدثنى الفرزدق قال كنا فى ضيافة معاوية بن أبى سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبى فقال له يزيد ابن حسان يريد عبد الرحمن قد فضحنا فاهج الانصار قال أرادى أنت الى الاشراك بعد الاسلام لا اهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى أدلك على غلام منا نصرانى كان لسانه لسان ثور يعنى الاخطل وقال سعد بن

(١) يقال مخراق حرب اذا كان صاحب حروب فمعنى مخراق لاعب كانه آلة للعبه (٢) هى جلد الانسان
(٣) هى جمع قفيز مكيال معلوم

أبي وقاص لعمر ابنه حين نطق مع القوم فبذهم وقد كانوا كلموه في الرضا عنه قال هذا الذي أغضبني عليه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الارض البقرة بلسانها قال وقال معاوية لعمرو بن العاص يا عمرو ان أهل العراق قد أكرهوا علينا على أبي موسى وانا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأي فاجدالحز (١) وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله والعجب من قول ابن الزبير للاعراب سلاحكم رث وحديثكم غث وكيف يكون هذا وقد ذكر وا انه كان أحسن الناس حديثا وان أبا نضرة وعبد الله بن أبي بكر انما كان يحكيانه فلا أدري الا أن يكون حسن حديثه هو الذي آلمي الحسد بينه وبين كل حسن الحديث وقد ذكر وا ان خالد ابن صفوان تكلم في بعض الامر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد ان ذلك الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد اعرض له ببعض الامر فقال المدني يا أبا صفوان ما من ذنب الا اتفاق الصناعتين ذكر ذلك الاصمعي قال فضال الازرق قال رجل من بني منقر تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله واذا اعرابي في بت (٢) ما في رجليه حذاء فأجابه بكلام ووددت والله اني كنت مت وان ذلك لم يكن فلما رأى خالد ما نزل بي قال كيف نجاريهم وانما نحكيهم وكيف نسابقهم وانما نجري على ما سبق الينا من اعراقهم وليفرج روعك فانه من مقاعس ومقاعس لك فقلت يا أبا صفوان والله ما ألومك على الاولى ولا أدع جدك على الاخرى قال أبو اليقظان قال عمر بن عبد العزيز ما كلمني رجل من بني أسد الا تمنيت أن يعدله في حجته حتى يكثر كلامه فاسمعه قال وقال يونس ليس في بني أسد الا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو كاهن أو فارس قال وليس في هذيل الا شاعر أو رام أو شديد العدو والترجمان بن هزيم بن عدي بن أبي طحمة قال دعي رقبة بن مصقلة أو كرب بن رقبة الى مجلس ليتكلم فيه فرأى مكانه اعرابيا في شملة فانكر موضعه فسأل الذي عن يمينه عنه فخبره انه الذي أعدوه لجوابه فنهض مسرعا لا يلوي على شئ كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع وقال خلاد بن يزيد لم يكن أحد بعد أبي نضرة أحسن حديثا من مسلم بن قتيبة قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة ويزعمون انه لم يروا محدثا قط صاحب آثار كان أجود حذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينة سألوه مرة عن قول طاوس في ذكاة الجراد فقال ابنه عنه ذكاته اخذه *(وباب آخر)* وكانوا يمدحون شدة العارضة (٣) وقوة المسنة وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصم ويهجون بخلاف ذلك قال الشاعر

طباقا لم يشهد خصوما ولم يعش * جميدا ولم يشهد حلالا ولا عطرا

(١) هو القطع وقوله طبق المفصل يعني أصاب مواقع الغرض (٢) هو ثوب غليظ (٣) هي البيان واللسن أو الجلد والصرامة

قال أبو زيد الطائى وخطيب اذا تموت الاو * جه يوما فى ماقط مشهود طباقاء

يقال للبعير اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء و جمل طباقاء وهو ههنا للرجل الذى لا يتجه للحجة الحلال الجماعات و يقال حى حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين والعطر ههنا الحرس المأقط الموضع الضيق والماقط الموضع الذى يقتتل فيه وقال نافع بن خليفة الغنوى

وخصم لدى باب الأمير كأنهم * قروم فشا فيها الزوائر والهدر

القروم الجمال المصاعب الزوائر الذين يزأرون الهدر صوته عند هيجه و يقال له الهدير

دلفت لهم دون المنى بعلمة * من الدر (١) فى أعقاب درتها شذر (٢)

دلفت دنوت اذا القوم قالوا ادن منها وجدتها * مطبقة يهماء ليس لها خصر

قوله ادن منها أى قللها واختصرها وجدتها مطبقة أى طبقتهم بالحجة اليهماء الأرض التى لا يهتدى فيها الطريق و يهماء ههنا يعنى التى لا يهتدى اليها و يضل الخصوم عندها والأيهم من الرجال الحائر الذى لا يهتدى لشئ وارض يهماء اذا لم يكن فيها علامة وقال الاسلع بن قطاف الطهوى

فداء لقومى كل معشر جازم (٣) * طريد ومخذول بماجر (٤) مسلم

هم أفحموا الخصم الذى يستفيدنى * وهم قصموا اجلى وهم حقنوا دمى

بايد يفززن المضيق وألسن * سلاط وجمع ذى زهاء (٥) عرمرم

اذا شئت لم تعدم لدى الباب منهم * جميل المحيا واضحا غير توأم

التوأمان الاخوان المولودان فى بطن وقال التميمى فى ذلك

أما رأيت الالسن السلاطا * والجاه والاقدام والنشاطا * ان الندى حيث ترى الضغاطا

ذهب فى البيت الأخير الى قول الشاعر

يسقط الطير حيث ينتشر الحب * وتغشى منازل الكرماء

والى قول الآخر يرفض (٦) عن بيت الفقير ضيوفه * وترى الغنا يهدى لك الزوارا

﴿ وأنشد فى المعنى الاول ﴾ وخطيب قوم قدموه أمامهم * ثقة به متخمط تياح

المتخمط المتكبر مع غضب التياح والمتيح الذى يعرض فى كل شئ و يدخل فيما لا يعنيه

جاوبت خطبته فظل كأنه * لما خطبت مملح بملاح

قوله مملح بملاح أى منقبض كأنه ملح من الملح وأنشد ايضا

أرقت لضوء برق فى نشاص * تلالأ فى مملاة غصاص

(١) الدر اللبن كالدرة بالكسر و تطلق الدرة أيضا على المصدر (٢) قطع الذهب تلقط من معدنه بلا اذابة أو خرز يفصل بها (٣) يقال جزم عن الامر حبس عنه وعجز وقطع (٤) هو مصدر ميمى يصلح للمكان والحدث من الاجارة بمعنى اكتساب الاجر ولعل معنى هذا البيت انه يدعو لقومه بان يكون فداء لهم كل معشر شخص جزم وقطع وخذل عندما يكتسب اجرا فى مسلم بسبب كون قومه لا ينصرونه حتى فى الحق بخلاف قومى فهم ينصرونى فيما اقصه (٥) هو المنظر الحسن والعرمرم الجيش الكثير (٦) أى تتبدد وتتفرق

النشاص السحاب الابيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط والتلالؤ ظهور البرق
في سرعة مملاة بالماء غصاص قد غصت بالماء

لواقح دلح بالماء سحم * تمج الغيث من خلل الخصاص

اللواقح التي قد لقحت من الريح والدلح الدانية الظاهر المثقلة بالماء سحم سود الخصاص
ههنا خلل السحاب سل الخطباء هل سجعوا كسجعي * بحور القول أوغاصوا مغاصي

لساني بالنثير و بالقوافي * وبالاسجاع أمهر في الغواص

النثير الكلام المنثور والقوافي خواتم أبيات الشعر الاسجاع الكلام المزدوج على غير وزن

من الحوت الذي في لج بحر * يجيد الغوص في لجج المغاص

لعمرك انني لاعف نفسي * وأستر بالتكرم من خصاص

وأنشد لرجل من بني ناشب بن سليمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة

لناقمر السماء وكل نجم * يضيء لنا اذا القمران غارا

ومن يفخر بغير أبي نزار * فليس بأول الخطباء جارا

وأنشد للاقرع انى امرء(١) لا أقيل الخصم عثرته * عند الامير اذا ما خصمه طلعا

ينير وجهي اذا جد الخصام بنا * ووجه خصمي تراه الدهر ملتمعا

وقال آخر تراه بنصري في الحفيظة(٢) واثقا * وان صدعني العين منه وحاجبه

وان خطرت أيدي الكماة وجدتني * نصورا اذا ما استيبس الريق عاصبه

عاصبه يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه الكماة جمع كمي والكمي الرجل المتكمي وهو
المتكمي بالسلاح يعني المتكفر به المستتر ويقال كمي الرجل شهادته يكميها اذا كتمها
وسترها وقال ابن حجر وذكر الريق والاعتصام

هذا الثناء واجدر أن اصاحبه * وقد يدوم(٣) ريق الطامع الآمل

وقال الزبير بن العوام وهو يرقص ابنه عروة

أبيض من آل أبي عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

وقالت امرأة من بني أسد

الابكر(٤) الناعي بخير بني أسد * بعمرو بن مسعود و بالسيد الصمد(٥)

فمن كان يعيي بالجواب فانه * أبو معقل لا يجر عنه ولا صدد

أثاروا(٦) بصحراء الثوية قبره * وما كنت أخشى ان تناهى به البلد

تتناهى بتعد الثوية موضع يقال له صحراء الثوية ومن قال الثوية(٧) فهي تصغير الثوية

(١) هو بمعنى لا أغفرها له ولعل معنى قوله اذا ما خصمه طلعا أي ظهرت الحجة عليه فالخصم بمعنى غلبته وقوله ملتمعا لعل
صوابه منتقعا أي متغيرا بصفرة الخجل اذ هو الذي يقابل اثارة وجهه (٢) هو بمعنى شدة الغضب أي هو عند
تغيره وصدمه قائم بتأييدي (٣) ينظر في وزنه (٤) أتى في أول النهار والناعي من يخبر بالموت (٥) هو الذي يقصد
في الحوائج والمهمات (٦) هو من الاثارة وهي نشر التراب (٧) أي بالتصغير وقوله فهي تصغير الثوية أي بلا تصغير

وقال

وقال اوس بن حجر فى فضالة بن كلدة

أباد لبجة من يوصى(١) بارملة * أم من لاشعث ذى هدمين طمطال

هدمين ثوبين خلقين يقال ثوب اهدام اذا كان خلقا والطمطال الفقير

أم من يكون خطيب القوم ان حفلوا(٢) * لدى الملوك أولى كيد وأقوال

وقال أيضا فى فضالة بن كلدة ألهفا على حسن آلائه * على الجائر الحى والحارب

ورقبته حجبات الملوك * بين السرادق والحاجب

ورقبته انتظاره اذن الملوك وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك

ويكفى المقالة أهل الرجا * ل غير معيب ولا عايب وأنشد أيضا

وخصم غضاب ينفضون رؤسهم * أولى قدم فى الشغب(٣) صهب(٤) سبالها

ضربت لهم ابط الشمال فاصبحت * يردغواة آخرين نكالها

ابط الشمال يعنى الفؤاد لانه يكون فى تلك الناحية وقال شئيم بن خويلد

وقلت لسيدنا ياحليم * انك لم تأس أسوا رفيقا

أعنت عديا على شاؤها * تعادى فريقا وتبقى فريقا

زجرت بها ليلة كلها * فجئت بها مؤيدا خنفقيقا

تأسو اتداوى اسوء واسى مصدران والأسى الطبيب ومؤيد داهية خنفقيق داهية ايضا

الشأو الغلوة لركض الفرس وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولها لابن له

(٥) يا بأبى أنت و يافوق بأب * يا بأبى خصيك من خصى وذب

أنت الحبيب وكذا قول المحب * جنبك الله معاريض الوصب

حتى تفيد وتداوى ذا الجرب * وذا الجنون من سعال وكاب(٦)

والحدب(٧) حتى يستقيم ذو الحدب * وتحمل الشاعر فى اليوم العصب

على مباهير كثيرات التعب * وان أراد جدل صعب أرب

خصومة تنقب أوساط الركب * أظلعته من رتب الى رتب

حتى ترى الابصار أمثال الشهب * يرمى بها أشوس ملحاح كلب

مجرب الشدات ميمون مذب

الوصب المرض والعصب الشديد يقال يوم عصب وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا

مباهير متاعب قد علاهم البهر الأرب يقال رجل أريب وأرب وله أرب اذا كان عاقلا

أديبا حازما أظلعته يقال ظلع الرجل اذا خمع فى مشيه الرتبة واحدة الرتب والرتبات وهى

الدرج وهى ههنا الاشياء المختلفة أى تخرجه من شئ الى شئ الاشوس الذى ينظر بمؤخر

(١) أى من يعهد اليه باصلاح شأن الارملة وهى التى لا رجل يسعى عليها والاشعث المغبر الرأس (٢) حفل القوم اجتمعوا (٣) الشغب بالسكون ويحرك تهييج الشر (٤) شعر يخالط بياضه حمرة والسبال طرف الشارب ويقال للاعداء هب السبال وان لم يكونوا كذلك (٥) لعل معناه يفديه بأبيه وكل من خصه وذب عنه يفديه أيضا بأبيه ويتأمل فى وزن هذه الابيات (٦) هو شبه جنون الكلاب المعترى الانسان من عضها يقال كلب كفرح اذا أصابه ذلك (٧) هو اعوجاج الظهر

عينه ملحاح ملح من الالحاح على الشئ كلب أى الذى قد كلب مذب أى يذب عن حريمه وعن نفسه وقالت ابنة وثيمة ترثى أباها وثيمة بن عثمان

الواهب المال التلا * دلناو يكفينا العظيمة * و يكون مدرهنا اذا * نزلت مجلحة عظيمة

التلاد القديم من المال والطارف المستفاد والمدره لسان القوم المتكلم عنهم مجلحة أى داهية مصممة واحر آفاق السما * ولم تقع فى الارض دميه

احر آفاق السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط دمية واحدة الديم وهى الامطار الدائمة مع سكون وتعذر الاكال حتى * كان أحدها الهشيمة

تعذر تمنع الاكال جمع أكل وهو ما يؤكل الهشيمة ما يهشم من الشجر أى يكسر

لا ثلة ترعى ولا * ابل ولا بقر مسيمة

الثلة ما بين الست الى العشرة من الغنم مسيمة راعية

الفيته مأوى الارا * مل والمدفعة(١) اليتيمة * والدافع الخصم الالد

اذا تفوضح فى الخصومة * بلسان لقمان بن عا * دوفصل خطبته الحكيمة

الجمتهم بعد التدا * فع والتجاذب فى الحكومة

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى اللسان وفى الحلم وهذا ان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقول المفسرون ولارتفاع قدره وعظم شانه قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما * ليالى محق فاستحضت

عليه فغربها مظلما * فغربها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

وذلك ان أخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محمقة ولقمان رجل منجب محكم وأنا فى ليلة طهرى فهبى لى ليلتك ففعلت فباتت فى بيت امرأة لقمان فوقع عليها فأحبلها بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب ما قال والمرأة اذا ولدت الحمق فهى محمقة ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياسا(٢) وقالت امرأة ذات بنات

وما أبالى ان أكون محمقه * اذا رأيت خصية معلقه

(وقال الآخر) ازرى بسعيك ان(٣) كنت امرأحمقا * من نسل ضاوية الاعراق محماق

ضاوية الاعراق أى ضعيفة الاعراق نحيفتها يقال رجل ضاوى وفيه ضاوية اذا كان نحيفا قليل الجسم وجاء فى الحديث اغتربوا لا تضووا أى لا يتزوج الرجل القرابة القريبة فيجىء ولده ضاويا والفعل منه ضوى يضوى ضوى والاعراق الاصول والمحماق التى عادتها أن تلد الحمق ولبعضهم فى البنات قالت احدى القوابل

(١) لعلها المدقعة كمحسنة الملصقة بالدقعاء وهى الارض التى لا نبات بها (٢) جمع كيس وهو النبيه

(٣) هى ان المصدرية أى أضاع متاعبك كونك امرأ أحمق ومن نسل امرأة نحيفة الاعراق عادتها ولادة الاحمق

أيا سحاب طرقى بخير * وطرقى بخصية وأير * ولا ترينا طرف البظير(١)

وقال آخر فى انجاب الامهات وهو يخاطب بنى اخوته

عفا ريتاعلى واكل مالى * وحلما عن أناس آخرينا * فهلا غيرعمكم ظلمتم
اذا ما كنتم متظلمينا * فلو كنتم لكيسة(٢) أكاست * وكيس الام أكيس للبنينا
وكانت لنا فزارة عم سوء * وكنت له كشر بنى الأخينا

ولبغض البنات هجر ابو حمزة الضبى خيمة امرأته وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا هر يوما بخبائها واذا هى ترقصها وتقول

مالابى حمزة لا ياتينا * يظل فى البيت الذى يلينا * غضبان ان لا نلد البنينا
تالله ما ذلك فى أيدينا * وانما نأخذ ما أعطينا * ونحن كالارض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من كتاب الحيوان وفى فصل ما بين الذكر والانثى تاما وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين ولكن قد يجرى السبب فيجرى معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب لان خروجه من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه ان شاء الله وقد قال أول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان

قومى اصبحينى فما صيغ الفتى حجرا * لكن رهينة أحجار وأرماس

أصبحينى الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشى الرمس القبر يقال رمست الميت أرمسه وأرمسه اذا دفنته

قومى اصبحينى فان الدهر ذو غير * أفنى لقيمان وافنى آل مرماس
اليوم خمر ويبدو فى غد خبر * والدهر من بين انعام وابآس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفقا * لا يصحب الهم قرع السن(٣) بالكاس

وقال أبو الطمحان القينى فى ذكر لقمان

ان الزمان ولا تفنى عجائبه * فيه تقطع ألاف(٤) وأقران
أمست بنو القين أفرا قا موزعة * كأنهم من بقايا حى لقمان

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون مثل جرهم وجاسم ووبار وعملاق وأميم وطسم وجديس ولقمان والهس ماس وبنى الناصور وقيل ابن رعتر وذى جدن ويقال فى بنى الناصور أن أصلهم من الروم فاما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال وثمود فما أبقى

(١) هو تصغير بظر وهو ما يقطع من فرج المرأة (٢) أى عاقلة تأتى بالاكياس وهى ضد المحماق
(٣) أى لا يجتمع الهم مع شرب الكاس (٤) هو جمع الف بمعنى الصاحب

وقال فهل ترى لهم من باقية أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن و يزعم ان فى قبائل العرب من بقايا ثمود وكان أبو عبيدة يتاول قوله وثمود فما أبقى ان ذلك انما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر وهذا التأويل أخرجه من أبى عبيدة سوء الرأى فى القوم وليس له أن يجىء الى خبر عام مرسله غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصا كالمستثنى منه وأى شئ بقى اطاعن أو متأول بعد قوله فهل ترى لهم من باقية فكيف يقول ذلك اذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية معاذ الله من ذلك ورووا ان الحجاج قال يوما على المنبر يزعمون انا من قايا ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى وثمود فما أبقى فأما الامم البائدة (١) من العجم مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك فكثير ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شأن الاموات ولا الاحياء

وقال المسيب بن علس فى ذكر لقمان

واليك أعملت المطية من * سهل العراق وأنت بالقفر
أنت الرئيس اذا هم نزلوا * وتوجهوا كالاسد والنمر
لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
ولانت أجود بالعطا * ممن الريان (٢) لما جاد بالقطر
ولانت أشجع من اسامة اذا * يقع الصراخ وجج فى الذعر (٣)
ولانت أبين حين تنطق من * لقمان لما عى (٤) بالامر

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى

وأخلف قسا ليتنى ولوانى * وأعى على لقمان حكم التدبر
فان تسألينا كيف نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

السحر الرئة والمسحر المعلل بالطعام والشراب والمسحر المخدوع كما قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام و بالشراب

أى نعلل فكانا نخدع ونسحر بالطعام وبالشراب وقال الفرزدق

لئن حومتى (٥) صانت معد حياضها * لقد كان لقمان بن عاد يهابها

وقال آخر

اذا مامات ميت من تميم * فسرك ان يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملفف فى البجاد (٦)
تراه يطوف الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقال افنون التغلبى

ولوانى كنت من عاد ومن ارم * ربيت فيهم ولقمان وذى جدن

﴿وقال آخر﴾

(١) هى الهالكة (٢) لعله من الرباب (٣) هو بالسكون الخوف و بالفتح التخويف وكصرد الامر المخوف (٤) عى بالامر وعى كرضى لم يهتد لوجه مراده أو عجز عنه ولم يطق أحكامه (٥) حومة البحر والرمل والقتال وغيره معظمه أو أشده موضع فيه (٦) هو ككتاب كساء مخطط

مالذة العيش والفتى (١) * للدهر والدهر ذو فنون * أهلك طسما وقبل طسم
أهلك عادا وذا جدون * وأهل جاسم ومارب * بنو حي لقمان والتقون
واليسر للعسر والتغنى * للفقر والحي للمنون

قال وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر (٢) والتكلف والاسهاب والاكثار لما في ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة في العلو والقدر وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة لان ذلك يدعو الى السلاطة والسلاطة تدعو الى البذاء وكل مراء في الارض فانما هو من نتاج الفضول ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة وسوء العادة وخاف ثمرة العجب وهجنة القبح وما في حب السمعة من الفتنة وما في الرياء من مجانبة الاخلاص ولقد دعا عباد بن الصامت بالطعام بكلام ظن انه ترك فيه المحاسبة فقال أوس بن شداد انه قد ترك فيه المحاسبة فاسترجع ثم قال ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مزمومة (٣) مخطومة قال وروى عن حماد بن سلمة عن ابراهيم قال انما يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال وقال دع المعاذر فان أكثرها مفاجر وانما صارت المعاذر كذلك لانها داعية الى التخلص بكل شئ وقال سلام بن مطيع قال لي أيوب اياك وحفظ الحديث خوفا عليه من العجب وقال ابراهيم النخعي دع الاعتذار فانه يخالط الكذب قالوا ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين الى فرش في داره فقال ما بال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الاخرى فقال ابن سيرين يا ابن اخي ان فضول النظر يدعو الى فضول القول وزعم ابراهيم بن السندي قال أخبرني من سمع عيسى بن علي يقول فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر يدعو الى فضول القول وفضول القول يدعو الى فضول العمل ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول وان ابطأ اخرجه ابطاؤه الى أقبح من الفضول قال أبو عمرو بن العلاء انكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد ابن زرارة فلما أخرجها اليه قال لها يا بنية امسكي عليك الفضلين قالت وما الفضلان قال فضل الغلمة (٤) وفضل الكلام وضرار بن عمرو هو الذي قال من سره بنوه ساءته نفسه وهو الذي لما قال له المنذر كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذي نجاك قال تأخير الاجل واكراهي نفسي على المقى الطوال المقاء المرأة الطويلة والمقى جماعة النساء الطوال والمقى أيضا الخيل الطوال وكان اخوته قد استثقلوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال الا ان خير (٥) حائل أم ألافز وجوا الامهات وذلك انه صرع

(١) أي مملوك للدهر وتحت تصرفاته (٢) هو بالتحريك الكثير الردي (٣) لعله مزمومة أي لها زمام تنقاد به بمعنى ان كلامه تحت قياده كالجمل اذا كان مزموما مخطوما (٤) غلم كفرح غلما وغلمة بالضم غلب شهوة
(٥) هي التي غير حامل

بين القنا فانشل عليه اخوته لامه حتى أنقذوه

﴿باب الصمت﴾

قال وكان اعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال أسمع فأعلم واسكت فاسلم وقالوا لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وقالوا مقتل المرء بين لحييه وفكيه وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال هذا الذى أوردنى الموارد وقالوا ليس شئ أحق بطول سجن من لسان وقالوا اللسان سبع عقور وقال النبى صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم وقال ابن الاعرابى عن بعض أشياخه تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فخطل (١) فى كلامه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان وقال العايشى وخالد بن حداس حدثنا مهدى بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد فقلنا يا رسول الله أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا (٢) طولا وأنت (٣) الجفنة الغراء فقال النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فانما أنا عبد الله ورسوله قال وقال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر

وتزيد بن أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا
واذا الدرز ان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

قال عمران صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا وقال الشاعر

لسانك معسول (٤) ونفسك شحة * ودون الثريا من صديقك مالكا

وأخبرنا باسناده ان ناسا قالوا لابن عمر أدع الله لنا بدعوات فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا زدتنا يا أبا عبد الرحيم قال نعوذ بالله من الاسهاب وقال أبو الاسود الدؤلى فى ذكر الاسهاب يقولها فى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة والحرث هو القباع وكان خطيبا من وجوه قريش ورجالهم وانما سمى القباع لانه أتى بمكتل (٥) لاهل المدينة فقال ان هذا المكتل لقباع فسمى به والقباع الواسع الرأس القصير وقال الفرزدق يجرير

وقبلك ما أعييت (٦) كاسر عينه * زيادا فلم تقدر على حبائله
فأقسمت لا آتيه تسعين حجة * ولو كسرت عنق القباع وكاهله

وقال أبو الاسود أمير المؤمنين جزيت خيرا * ارحنا من قباع بنى المغيرة

(١) خطل كفرح تكلم بكلام فاسد أو بسرعة (٢) هو بالفتح الفضل والقدرة والغنى والسعة (٣) هى القصعة التى تعد للثريد (٤) يقال عسل الطعام اذا خلطه بالعسل أى لسانك يعطى قولا حسنا ولكن نفسك فى غاية الشح حتى ان مالك أبعد من نجم الثريا الصديقك فضلا عن غيره (٥) هو مكيال زنبيل يسع خمسة عشر صاعا (٦) لعله قد أعييت اذا القصد نسبة نفسه بالعزة حتى امتنع من زياد ولم يقدر عليه

بلوناه فلمناه فأعيى * علينا ما يمر (١) لنا هديره (٢)
على ان الفتى نكح أكول * ومسهاب مذاهبه كثيرة

(وقال الشاعر) اياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللصرم جالب

(وقال أبو العتاهية) والصمت أجمل بالفتى * من منطق فى غير حينه
كل امرئ فى نفسه * أعلى وأشرف من قرينه

وكان سهيل بن هرون يقول سياسة البلاغة أشد من البلاغة كما ان التوقى على الدواء أشد من الدواء وكانوا يأمرون بالتبيين والتثبت وبالتحرز من زال الكلام ومن زال الرأى ومن الرأى الدبرى والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضى الرأى الاول وفوت استدراكه وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم وقال الاحنف قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تفقهوا قبل ان تسودوا (٣) وكان يقول رضى الله عنه السودد مع السواد وأنشدوا الكثير عزة

وفى الحلم والاسلام للمرء وازع * وفى ترك طاعات الفؤاد المتيم
بصائر رشد للفتى مستبينة * واخلاق صدق علمها بالتعلم

الوازع الناهى والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون وقال الافوه الاودى

اضحت قرينة قد تغير بشرها * وتجهمت (٤) بتحية القوم العدا
ألوت بأصبعها وقالت انما * يكفيك مما ترى ما قد ترى

(وأنشد) ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * واذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذران وعظت ويقتدى * بالقول منك ويقبل التعليم

قالوا وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه قالوا وكان الحسن أترك لما نهى عنه

وقال الآخر لا تعذرانى فى الاساءة انه * شر الرجال من يسىء فيعذر

وقال الكميت بن زيد الاسدى ولم يقل بعد زلة لهم * عند المعاذير انما حسبوا

(وأنشد الاخوص بن محمد) قامت تخاصرنى بقنتها * خود تأطر غادة بكر

تخاصرنى آخذ بيدها تأخذ يدى والقنة المواضع الغليظة من الارض فى صلابة الخود الحسنة الخلق تأطر تثنى والغادة الناعمة اللينة

كل يرى ان الشباب له * فى كل مبلغ لذة عذر

﴿ وقال جرير فى فوت الرأى ﴾

ولا يتقون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبرا

قال ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال

---

(١) لعله من أمره اذا عيره مرا (٢) هو الصوت واساءة الخلق (٣) أى تصيروا سادة لكم اتباع فيعسر عليكم الفقه والتعلم (٤) يقال تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه

ولا يحسبون الخير لا شر (١) بعده * ولا يحسبون الشر ضربة لازب

اللازب واللازم واحد واللازب فى مكان آخر اليابس قال الله عز وجل من طين لازب واللزبات السنون الجدبة

وانشد هفا (٢) هفوة كانت من المرء بدعة (٣) * وما مثله عن مثلها بسليم

فان يك أخطا فى أخيكم فربما * أصاب التى فيها صلاح تميم

قال وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة والله ما أتانى الحرث بن شريح بيوم خير قط قال فقال له الترجمان بن هزيم الا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر وذهب الترجمان بن هزيم الى مثل معنى قول الشاعر

وما خلقت بنو زمان الا * أخيرا بعد خلق الناس طرا

وما فعلت بنو زمان خيرا * ولا فعلت بنو زمان شرا

ومن هذا الجنس من الأحاديث وهو يدخل فى باب الملح قال الاصمعى وصلت بالعلم ونلت بالملح قال رجل مرة أبى الذى قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر فقال له رجل من القوم لاجرم لقد أسر وقتل وصلب قال فقال له المفتخر بأبيه دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه أبرك أنت حدث نفسه بشئ من هذا قط قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين ان ظننت أن لك فيهما طبيعة وأنهما يناسبانك بعض المناسبة و يشاكلانك فى بعض المشاكلة ولا تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة و يستبد بها سوء العادة وان كنت ذا بيان واحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة و بقوة المنة يوم الحفل (٤) فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة وارفعها فى البيان منزلة ولا يقطعنك تهيب الجهلاء وتخويف الجبناء ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة والاخبار المدخولة وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبى صلوات الله عليه فقال واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب الى قوله وفصل الخطاب فجمع له بالحكمة البراعة فى العقل والرجاحة فى الحلم والاتساع فى العلم والصواب فى الحكم وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المجمل وتلخيص الملتبس والبصر بالحز فى موضع الحز والحسم (٥) فى موضع الحسم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبا النبى عليه السلام فقال كان شعيب خطيب الانبياء وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه وحلاه لاسماع عباده فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام

(١) بل هم متيقنون ان أصابهم خير فهم بعرضة ضده وكذا عكسه فهم دائما فى حرص من تغير الاحوال (٢) هفا الرجل هفوة زل (٣) كل حدث فى الدين بعد الاكمال (٤) حفل القوم حفلا اجتمعوا (٥) حسمه من باب ضرب قطع العرق ثم كواه لئلا يسيل دمه

سلامك وشعيب امامك مع ما تلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والاى الكريم وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونة محفوظة ومجلدة مشهورة وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدفع ذلك احد فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيد وانما يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقى والشفقة والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى اطفاء نائرة (١) أو فى حمالة (٢) أو على منبر جماعة أو فى عقد املاك (٣) بين مسلم ومسلمة فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو الى السلاطة والمراء والى الهذر (٤) والبذاء والى النفج (٥) والرياء ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم فلم يخطب صعصعة ابن صوحان عند على بن أبى طالب وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم قال الاصمعى قيل لسعيد بن المسيب ههنا قوم نساك يعيبون انشاء الشعر قال نسكوا نسكا (٦) عجميا وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعبتان من شعب النفاق البذاء والبيان وشعبتان من شعب الايمان الحياء والعى ونحن نعوذ بالله من العى ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العى ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البذاء والبيان وانما وقع النهى على كل شئ جاوز المقدار ووقع اسم العى على كل شئ قصر عن المقدار فالعى مذموم والخطل مذموم ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى وههنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة وروى أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وان الاحنف قال ربما يعود ذلك ضعفا والخير لا يكون سببا للشر ولكنا نقول ان الحياء اسم لمقدار من المقادير مازاد على ذلك المقدار فصعه ما أحببت وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار وللحزم مقدار فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار وللشجاعة مقدار فالتهور والحدب اسم لما جاوز ذلك المقدار وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة فان وجدتها متصلة لم تجدها محمودة وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن وان أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة أو حبرت (٧) خطبة أو ألفت رسالة وايالك أن تدعوك ثقتك بنفسك

(١) هى الفتنة التى تشتعل نارها (٢) هى ما يحمل من دراهم أو ابل لدفع حرب بين جماعتين (٣) هو عقد الزواج (٤) الاكثار فى الخطأ والباطل (٥) يقال نافحه اذ كافحه وخاصمه (٦) لعل التزهد فى الدنيا مع شدة العبادة (٧) تحبير الخط والشعر تحسينه

و يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب فان رأيت الاسماع تصغى له والعيون تحدج (١) اليه ورأيت من يطلبه و يستحسنه فانتحله فان كان ذلك فى ابتداء أمرك وفى أول تكلفك فلم ترط الباطل مستحسنا فلعله أن يكون مادام رديضا (٢) قضيبا تعنيسا (٣) أن يحل عندهم محل المتروك فان عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه وقال الشاعر

ان الحديث تغر القوم خلوته * حتى يلج بهم جد وأكثار

وفى المثل المضروب كل مجر فى الحلا مسرور ولم يقولوا مسرور وكل صواب فلا تثق فى كلامك برأى نفسك وانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه فى شعره وفى كلامه وفى ابنه رأيته متهافتا وفوق المتهافت وكان زهير بن سلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات وقال نوح بن جرير قال الحطيئة خير الشعر الحولى المنقح قال وقال البعيث الشاعر وكان أخطب الناس انى والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا (٤) وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالثلاث المحكك وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى

ابلغ قرارة أن الذئب آكلها * وجائع سغب شر من الذيب
أدل أطلس ذو نفس محككة * قد كاد طار زمانا فى العساسيب

قال وتكلم يزيد بن أبان الرقاشى ثم تكلم الحسن واعرابيان حاضران فقال أحدهما لصاحبه كيف رأيت الرجلين قال أما الاول فقاص مجيد وأما الآخر فعربى محكك قال ونظر اعرابى الى الحسن فقال له رجل كيف تراه قال أرى خيشوم حر قال وأراد واعبد الله بن وهب الراسبى على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة فقال وما انا والرأى الغطير والكلام القضيب ولما فرغوا من البيعة له قال دعوا الرأى يغب فان غبوبه يكشف لكم عن محضه وقيل لابن التوأم الرقاشى تكلم فقال ما أشتهى الخبز الا بائتا وقال قال عبيد الله بن سالم لرؤبة مت يا أبا الجحاف اذا شئت قال وكيف ذلك قال رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له أعجبنى قال فقال رؤبة نعم انه ليقول ولكن ليس لشعره قران وقال الشاعر

مهاذبة مناجبة قران * مناذبة كأنهم الاسود

يريد بقوله قران التشابه والموافقة وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء أنا أشعر منك قال وبم ذاك قال لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه قال وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى فقال مطرف بالالف وخمار بواف وكان الاصمعى يفضله من أجل ذلك وكان يقول

(١) لتحديق لتحديق و مدة النظر الى الشئ (٢) الريض كسيد الغاية أول نبات يضت وهى صعبة بعد (٣) هكذا هو بالاصل ولينظر فلعل فيه تحريفا (٤) الخشب هو النحوت

الحطيئة عبد لشعره عاب شعره حين وجده كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه وقالوا لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى كان مفرقا فى أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شئ الى شئ لم يكن لذلك النظام عنده موقع قال وقال بعض الشعراء لرجل أنا أقول فى كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر فلم ذلك قال لانى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك قالوا وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرا وقال له كيف تراه قال له يا بنى ان أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت اليه وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب قال وقيل لعقيل بن علف لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما احاط بالعنق وقيل لابى المهوش لم لا تطيل الهجاء قال لم أجد المثل النادر الا بيتا واحدا ولم أجد الشعر السائر الا بيتا واحدا قال وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب يا أبا المجناء أما تحسن الهجاء قال أما ترانى أحسن مكان عافاك الله لا عافاك الله ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال أنا على القصار أقدر وقيل للعجاج مالك لا تحسن الهجاء قال هل فى الارض صانع الا وهو على الافساد أقدر وقال رؤبة الهدم أسرع من البناء وهذه الحجج التى ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة انما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة ويكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالالحان وليس له طبيعة فى الغناء وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرنای ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا ما لا يذكر مثله وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال الذى أرضاه لا يحبنى والذى يحبنى لا أرضاه وهذا الفرزدق وكان مشتهرا بالنساء وكان زير (١) غوان وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب (٢) مذكور ومع حسده لجرير وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا وفى الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز ومنهم من لا يستطيع مجاوزة

(١) هو الملازم لمحادثة النساء والغوانى جمع غانية وهى المرأة الحسناء (٢) يقال سب بالمرأة سبا وتسيبا سبب بها فى الشعر

الرجز الى القصيد ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجاء وأبى النجم وحميد الارقط والعمانى وليس الفرزدق فى طواله باشعر منه فى قصاره وفى الشعراء من يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة وكذلك حال الخطباء فى قريض الشعر وشاعر نفسه قد تختلف حالاته وقال الفرزدق أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت على ساعة ونزع ضرس أهون على من أن أقول بيتا واحدا وقال العجاج لقد قلت ارجوزتى التى أولها

بكيت والمحتزن البكى * وانما يأتى الصبا الصبى

أطربا وأنت قنسرى (١) * والدهر بالانسان دوارى

وانا بالرمل فانثالت على قوافيها انثيالا وانى لاريد اليوم دونها فى الايام الكثيرة فما أقدر عليه وقال لى أبو يعقوب الخزيمى خرجت من منزلى أريد الشماسية فابتدأت القول فى مرثية لابى التحتاخ فرجعت والله وما أمكننى بيت واحد وقال الشاعر

قد يقرض الشعر البكىء (٢) لسانه * وتعى القوافى المرء وهو خطيب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب﴾ من القول فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز من ملتقطات كلام النساك قال بعض الناس من التوقى ترك الافراط فى التوقى وقال بعضهم اذا لم يكن ما تريد فأردما يكون وقال الشاعر

قدر الله وارد حين يقضى وروده * فأردما يكون ان لم يكن ما تريده

وقيل لاعرابى فى شكاته كيف تجدك قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وأنا فى زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد وقال بعض النساك انا لما لا أرجو أرجى منى لما أرجو وقال بعضهم أعجب من العجب ترك التعجب من العجب وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم انى أخاف الله فيما تقلدت قال لست أخاف عليك أن تخاف وانما أخاف عليك أن لا تخاف وقال الاحنف لمعاوية أخافك ان صدقتك وأخاف الله ان كذبتك وقال قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه أما ذنوبى فانى أرجو لها مغفرة الله ولكنى أخاف على بناتى الضيعة فقال له صاحبه فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك وقال رجل من النساك لصاحب له مالى أراك حزينا قال كان عندى يتيم أربيه لاوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره اذ بطل قيامنا بمؤنته فقال له صاحبه فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول قال أخاف ان لا أصيب يتيما فى سوء خلقه قال له صاحبه أما أنا فلو كنت فى موضعك منه لاذكرت سوء خلقه وقال آخر وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول ما يعنى من تعلم القرآن الا انى أخاف أن أضيعه قال أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من سيد قومك قال أنا قال لو كنت كذلك لم تقل

(١) هو كعفرى السكير المسن أو القديم (٢) لعله من بكات الناقة فهى بكىء وبكيئة اذا قل لبنها أى لسانه قليل القول

﴿باب آخر﴾

وقالوا فى حسن البيان وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل وفى تخليص الحق من الباطل وفى الاقدار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل قال اعرابى وذكر حماس بن ثامل

برئت الى الرحمن من كل صاحب * اصاحبه الاحماس بن ثامل

وظنى به بين السماطين (١) انه * سينجو بحق أو سينجو بباطل

وقال البعيث السلولى وان ابن زيد لابن أعمى وانه * لبلال أيدى جلة الشول بالدم

الشول جمع شائلة وهى الناقة التى جف لبنها واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شول طلوع الثنايا بالمطايا وانه * غداة المرادى للخطيب المقدم

المرادى المصادع والمقادع يقال رديت الحجر بصخرة أو بعول اذا ضربته بها لتكسره والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما * ويكفيك ما حملته حين تغرم

وقال ابن ربيع الهذلى أعينى ألا فابكى رقيبة انه * وصول لارحام ومعطاء سائل

فاقسم لو أدركته لحميته * وان كان لم يترك مقالا لقائل

وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبى الحقيق من بنى النضير وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقتلوه سائل بنا خابرا كفائنا * والعلم قد يلقى لدى السائل

انا اذا مالت دواعى الهوى * وانصت السامع للقائل

واصطرع الناس بالبابهم * نقضى بحكم عادل فاصل

لانجعل الباطل حقا ولا * نلط (٢) دون الحق بالباطل

نكره ان تسفه أحلامنا * فنحمل الدهر مع الحامل

وقال الآخر وذكر حماسا أيضا

أتانى حماس يا ابن ماهى يسوقه * ليبغيه خيرا وليس بفاعل

ليعطى عبسا مالنا وصدورنا * من الغيظ تغلى مثل غلى المراجل (٣)

وقافية قيلت لكم لم أجد لها * جوابا اذا لم تضربوا بالمناصل (٤)

فانطق فى حق بحق ولم يكن * ليرحض عنكم قالة الخزى باطلى

ليرحض أى ليغسل والراحض الغاسل والمرحاض الموضع الذى يغسل فيه وقال عمرو بن معديكرب فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

الجرار عود يعرض فى فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع فيقول قومى لم يطعنوا بالرماح فأثنى عليهم ولكنهم فروا فامسكت كالجحر الذى فى فمه جرار وقال أبو عبيدة صاح رؤبة

(١) لعله تثنية سماط بالكسر بمعنى صف أى هو بين صفى أعدائه ينجو (٢) يقال ألط الغريم منع من الحق

(٣) جمع مرجل وهى القدر يطبخ فيها (٤) جمع منصل وهو السيف

فى بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد يامعشر بنى تميم اطلقوا من لسانى قال أبصر رجلا منهم قد طعن فارسا طعنة فصاح لاعيا ولاشلا والعرب تقول عى ابأس من شلل كان العى فوق كل زمانة وقالت الجهنية

الاهلك الحلو الحلال الحلاحل * ومن عنده علم وحلم ونائل
وذو خطب يوما اذا القوم أفحموا(١) * تصيب مرادى قوله مايحاول
يصير بعورات الكلام اذا التقى * شريجان بين القوم حق وباطل
آتى لما أنى الكريم بسيفه * وان أسلمته جنده والقبائل
وليس بعطاء الظلامة عن يد (٢) * ولادون أعلى سورة (٣) المجد قابل

الحلاحل السيد شريجان جنسان و يقال الناس شرجان وشريجان أى فرقتان ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغ الكديد امر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين اى بعضهم صائما و بعضهم مفطرا وأنشد أبو عبيدة فى الخطيب يطول كلامه و يكون ذكورا لاول خطبته والذى بنى عليه أمره وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لايكون احد كلاميه أجود من الآخر فأنشد

فان أحدث شغبا يقطع نظمها * فانك وصال لما قطع الشغب
ولوكنت نساجا سدوت خطابها * بقول كطعم الشهد بالبارد العذب

وقال نصيب وما أبذلت ابتذال الثوب ودكم * وعائد (٤) خلقا ما كان يبتذل
وعلمك الشئ تهوى أن تبينه * اشفى (٥) بقلبك من اخبار من تسل

وقال الآخر لعمرك ماود اللسان بنافع * اذا لم يكن أصل المودة فى الصدر

وقال الآخر تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لاعلم عنده * صغيرا اذا التفت عليه المحافل

وقال الآخر فتى مثل صفو الماء ليس بباخل * عليك ولامهد ملاما لباخل
ولا قائل عوراء تؤذى رفيقه * ولا رافع رأسا بعوراء قائل
ولا مسلم مولى لامر يصيبه * ولا خالط حقا مصيبا بباطل
ولا رافع احدوثة السوء مجبا * بها بين أيدى المجالس المتقابل
ترى أهله فى نعمة وهو شاحب (٦) * طوى البطن مخماص الضحى والاصائل

وقالت أخت يزيد بن الطثرية

(١) سكتوا حجزا الظهور حجة الخصم (٢) عن ذل ومهانة (٣) أثره وعلامته وارتفاعه
(٤) قديما مستعملا (٥) هو من الشفاء اى أريح لقلبك ان تعلم الشئ وتبينه من السؤال من غيرك
(٦) يقال شحب لونه اذا تغير من هزال أو جوع أو سفر وطوى البطن ليس بذى شبع والمخماص الجائع

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوى * قريبا وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد (١) قد السيف لا متضائل * ولا رهـل (٢) لباته و بآدله
فتى لا يرى خرق القميص بخصره * ولكنما توهى القميص كواهله
اذا نزل الاضياف كان عذورا (٣) * على الحى حتى تستقل مراجله
مضى فورثناه دريس (٤) مفاضة * وابيض هندى باطو يلا حمائله
يسرك مظلوما و يرضيك ظالما * وكل الذى حملته فهو حامله
أخو الجد ان جد الرجال وشمروا * وذو باطل ان شئت الهاك باطله

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

﴿ باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب ﴾

قال الشاعر
عجبت لاقوام يعيبون خطبتى * ومامنهم فى موقف بخطيب

وقال آخر
ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا
لا يعجبنك من خطيب قوله * حتى يكون مع اللسان أصيلا

وانشد آخر
أبرفا يزداد الاحماقة * ونوكا (٥) وان كانت كثيرا مخارجه

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان وكان أبو العباس الاعمى يقول
اذا وصف الاسلام أحسن وصفه * بفيه و يأبى قلبه و يهاجره
يقول انه ينتيه عن قوله و يأباه و يهجره و يقول بحق على منبره بلسانه وسائره كافر
وان قام قال الحق مادام قائما * نقى اللسان كافر بعد سائره

وقال قيس بن عاصم المنقرى يذكر ما فى بنى منقر من الخطابة
انى امرؤ لا يعترى خلقى * دنس يفنده ولا أفن (٦)
من منقر فى بيت مكرمة * والاصل ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحسن جوارهم فطن

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة قول الآخر
أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة مذعور ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المسلم

وقال نصيب
يقول فيحسن القول ابن ليلى * و يفعل فوق أحسن ما يقول

وقال آخر
الارب خصم ذى فنون علوته * وان كان ألوى (٧) يشبه الحق باطله

(١) القد القطع وقامة الانسان واعتداله والمتضائل النحيف (٢) يقال رهل لحمه اصطرب واسترخى أو ورم واللبات جمع لبة وهى موضع القلادة والبآدل جمع بأدلة وهى اللحمة بين الابط واصل لحم الثدى أو لحم الثدى (٣) هو سيئ الخلق والمراجل جمع مرجل وهى القدر (٤) هو الخليق القديم والمفاضة الدرع الواسعة (٥) هو بالفتح والضم الحمق (٦) هو ضعف العقل والرأى (٧) يقال ألوى الرجل بكلامه خالف به عن جهته وغلب على غيره

فهذا هو معنى قول العتابي البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق وقال الشاعر وهو كما قال

عجبت لادلال العي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان في شعره الذي رثا به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقول

ضحوا(١) باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وأنشد أيضا

ترى الفتيان كالنخل * ومايدريك ما الدخل
وكل في الهوى ليث * وفيما نابه فسل(٢)
وليس الشأن في الوصل * ولكن أن يرى الفضل

وقال كسرى أنوشروان لبزرجمهر أي الاشياء خير للمرء العي قال عقل يعيش به قال فان لم يكن له عقل قال فاخوان يسترون عليه قال فان لم يكن له اخوان قال فمال يحبب به الى الناس قال فان لم يكن له مال قال فعي صامت قال فان لم يكن ذلك قال فموت مريح وقال موسى بن يحيى ابن خالد قال أبو علي رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من اضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة

﴿وباب آخر﴾ ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب(٣) وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك وأنشدني أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالي

لا يشتري الحمد أمنية * ولا يشتري الحمد بالمقصر
فمن يعط قيمته يشتر * ومن يعتطفه على مئزر * فنعم الرداء على المئزر

وأنشدني لابن ميادة نعم انني مهد ثناء ومدحة * كبرد اليماني يربح البيع تاجره

وأنشد

فان أهلك فقد أبقيت بعدي * قوافي تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات * لوان الشعر يلبس لارتدينا

وقال أبو قردودة يرثي ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته

اني نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمنن احمر العينين والشعره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشي اليمنة الحبره

وقال الشاعر في مديح أحمد بن أبي دواد

وعويص من الامور بهيم * غامض الشخص مظلم مستور

---

(١) من التضحية وهي الذبح والقتل والاشمط ما خالط سواد شعر لحيته بياض (٢) الفسل قضبان الكرم للغرس والرذل الذي لا مروءة له وهو بالفتح ثم السكون (٣) هو ضرب من أنواع الملبوس

قد تسهلت ما توعر منه * بلسان يزينه التحبير
مثل وشى البرد هلهله النسـ * ـج وعند الحجاج در نثير
حسن الصمت والمقاطع اما * أنصت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة تورث اليسـ * ـر وعرض مهذب موفور

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر

نمت فى الروابى من معد وأفلجت * على الخفرات الغر وهى وريد (١)

نمت شبت الروابى من معد البيوت الشريفة وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الارض وأفلجت ظهرت وقهرت الخفرات الحييات

اناة على نيرين أضحى لداتها * بلين بلاء الريط (٢) وهى جديد

الاناة المرأة التى فيها فتور عند القيام وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبهه أضحى لداتها اللدة القرينة فى المولد والمنشأ فيقول ان اقرانها قد بلين وهى جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر

على كل ذى نيرين زيد محاله * محالا وفى أضلاعه زيد اضلعا

المحال محال الظهر وهى فقاره واحدها محالة وقال أبو يعقوب الخزيمى الاعور أول شعر قلته هذان البيتان بقلبى سقام لست أحسن وصفه * على انه ما كان فهو شديد
تمر به الايام تسحب ذيلها * فتبلى به الايام وهو جديد

﴿ وقال آخر هو أبو الاسود الذيلى ﴾

أبى القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كبرد اليمانى قد تقادم عهده * ورقعته ما شئت فى العين واليد

وقال ابن هرمة ان الاديم الذى أصبحت تعركه * جهلا لذو نفل (٣) بادوذو حلم (٤)
ولن يبط بايدى الخالقين ولا * أيدى الخوالق الاجيد الادم

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذو الرمة

وفى قفر حجر من ذؤابة عامر * امام هدى مستنصر الحكم عادله
كان على اعطافه ماء مذهب * اذا سمل السربال طارت رعابله

الرعابل القطع وشواء مرعبل أى مقطع ورعبلت الشئ أى قطعته ويقال ثوب سمل واسمال واسمل الثوب وسمل اذا أخلق وهو الذى يقول

حوراء فى دعج صفراء فى نعج * كانها فضة قد مسها ذهب

---

(١) يقال وردت المرأة توريدا حمرت خدها فهى وريد (٢) هو بالفتح جمع ريطة بالفتح أيضا وهى ملاءة غير ذات لفقين (٣) نفل الاديم كفرح فهو نفل فسد دباغه (٤) هو الصغير من القراد

الحور شدة بياض العين والدعج شدة سواد الحدقة والنعج اللين قالوا الان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداء يضرب الى الحمرة وبالعشى يضرب الى الصفرة ولذلك قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرار (١)

وقال آخر

قد علمت بيضاء صفراء الاصل * لاغنين اليوم ما أغنى رجل

وقال بشار بن برد

وخذى ملابس زينة * ومصيغات فهى أفخر

واذا دخلت تقنعى * بالحمران الحسن أحمر

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى مالا يبلغه تمييز البصير ولبشار خاصة فى هذا الباب ماليس لاحد ولولا انه فى كتاب الرجل والمرأة وفى باب القول فى الانسان فى كتاب الحيوان أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع ومما ذكر وافيه الوزن قوله

زنى القوم حتى تعرفى عند وزنهم * اذا رفع الميزان كيف أميل

﴿وقال ابن الزبير الاسدى﴾

أعاذل غضى بعض لومك انتى * أرى الموت لا يرضى بدين ولا رهن

وانى أرى دهرا تغير صرفه * ودنيا أراها لا تقوم على وزن

﴿باب آخر﴾ ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التبويل قال جعفر بن سليمان ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل وانما الشأن فى اصابة القدر وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائى

ما ان يزال ببغداد يزاحمنا * على البراذين أشباه البراذين

أعطاهم الله أموالا ومنزلة * من الملوك بلا عقل ولا دين

ماشئت من بغلة شقراء ناجية * أو من أثاث وقول غير موزون

وأنشد بعض الشعراء رأت رجلا أودى السفار بجسمه * فلم يبق الا منطق وجناجن

الجناجن عظام الصدر اذا حسرت عنه العمامة راعها * جميل المحفوف أغفلته الدواهن

فان أك معروق العظام فانني * اذا ما وزنت القوم بالقوم وازن

قال مالك بن أسماء فى بعض نسائه وكانت تصيب الكلام كثيرا وربما لحنت

امغطى منى على بصرى للحب * أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا * منطق عاقل وتلحن احيا

نا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال طرفة فى المقدار واصابته فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

طلب الغيث على قدر الحاجة لان الفاضل ضار وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم اسقنا سقيانا فعالا ان المطر ربما جاء فى غير ابان الزراعات وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر وربما كان فى الكثرة مجاوز المقدار الحاجة وقال النبى صلى الله عليه وسلم

(١) هو نبت رائحته زنبية

اللهم حوالينا ولا علينا وقال بعض الشعراء لصاحبه وأنا أشعر منك قال ولم قال لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه وعاب رؤبة شعر بن عقبة فقال ليس له قران وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه وعلى ذلك التأويل قال الاعشى

أيا سمع اقصر فان قصيدة * متى تأتكم تلحق بها أخواتها

قال الله عز وجل ومانريهم من آية الا هى أكبر من أختها وقال عمرو بن معديكرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظا قال الهذلى

أعامر لا أبوك الامهندا * وجلد أبى عجل وثيق القبائل

يعنى بأبى عجل الثور وقالوا ماهو أبعد من هذا وقال ابن غسيلة الشيبانى واسمه عبد المسيح

وسماع مدجنة تعللنا * حتى ننام تناوم البهم

فصحوت والنمرى يحسبها * عم السماك (١) وخالة النجم

النجم واحد وجمع والنجم الثريا فى كلام العرب مدجنة أى سحابة دائمة وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير والمعير لنوضع الذى يكون فيه الاعيار

* وظل يوفى الكم (٢) ابن خالها * فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق بعضه من بعض وقال النبى صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة كان بينها وبين الانسان تشابه وتشاكل من وجوه وقد ذكرنا فى كتاب الزرع والنخل وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء شهدت بان التمر بالزبد طيب * وان الجبارى خالة الكروان

لان الجبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد فلذلك جعلها خالته ورأى ان ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

﴿ باب آخر ﴾

من الشعر مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه قال كعب الاشعرى

الا أكن فى الارض أخطب قائما * فانى على ظهر الكميت (٣) خطيب

(وقال ثابت قطنة) فلا أكن فيكم خطيبا فانى * بسمر القنا والسيف جد لعوب

(وقالت ليلى الاخيلية) حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس (٤) زعيما

(وقال الآخر) عجبت لاقوام يعيبون خطبتى * ومامنهم فى ماقط (٥) بخطيب

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح وان كانوا خطباء وقال دريد ابن الصمة

أبلغ نعيما وأوفى ان لقيتهما * ان لم يكن كان فى سمعيهما صمم

فلا يزال شهاب يستضاء به * يهدى المقانب مالم يهلك الصمم

المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة فى الخيل ليست بالكثيرة

---

(١) هو الاعزل والرامح نجمان نيران أو هما رجلا الاسد (٢) لعله الاكم (٣) هو كزبر الذى خالط حمرته غبره (٤) هو الجيش الكثير (٥) هو أضيق المواضع فى الحرب

عارى الاشاجع معصوب بلمته * أمر الزعامة فى عرنينه شمم

الاشاجع عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع واللمة الشعيرة التى ألمت بالمنكب زعيم القوم رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم والزعامة مصدر الزعيم الذى يسود قومه وقوله معصوب بلمته أى يعصب برأسه كل أمر عرنينه انفه وقال ابو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس

ليت شعرى أفاح رائحة المسـ * ـك ما ان أخال بالخيف أنسى
حين غابت بنو أمية عنه * والبها ليل (١) من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وان فا * لوا أصابوا لم يقولوا بلبس
بحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

(وقال العجاج) وحاصن من حاصنات ملس * من الاذى ومن قراف الوقس

المحصنة ذات الزوج والحاصن العفيفة والوقس الجرب وقال امرؤ القيس بن حجر

ويارب يوم قد أروح مرجلا * حبيبا الى البيض الكواعب أملسا

(وقال ابو العباس الاعمى)

ولم أرحيا مثل حى تحملوا * الى الشام مظلومين منذ بريت (٢)
أعز وأمضى حين تشجر (٣) القنا * وأعلم بالمسكين حيث يبيت
وأرفق بالدنيا بأولى سياسة * اذا كاد أمر المسلمين يفوت
اذا مات منهم سيد قام سيد * بصير بعورات الكلام زميت (٤)

(وقال آخر) لا يغسل العرض من تدنسه * والثوب ان مس مدنسا غسلا
وزلة الرجل تستقال ولا * يكاد رأى يقيلك الزللا

(وقال آخر فى الزال) ألهى فى اذا عصيت ابا يزيد * ولهى فى اذا طعت أبا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح * وكانت زلة من غير ماء

(وقال آخر) فانك لم ينذرك أمرا تخافه * اذا كنت فيه جاهلا مثل (٥) خابر

وقال ابن ابصة اسمه سالم فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء

* يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن سجيته الا كثار والملق
اعمد الى القصد فيما أنت راكبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق
صدت هنيدة لما جئت زائرها * عنى بطروقة (٦) انسانها غرق

(١) جمع بهلول ناضر وهو السيد الجامع لكل خير (٢) هو من البرى وهو الخلق (٣) هو بمعنى تشتبك القناحين يقاتل بها (٤) هو الوعور وكالسكيت أو قر منه (٥) هو فاعل ينذر أى لا يحذرك الامر الذى أنت جاهله مثل الخابر (٦) هى العين وانسانها غرق عند ما تأخذ فى البكاء

وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها * كذاك يصفر بعد الخضرة الورق
بل موقف مثل حد السيف قمت به * أحمى الذمار وترمينى به الحدق
فما زللت ولا ألفيت ذا خطل * اذا الرجال على أمثالها زلقوا (١)

(قال وأنشد اعرابى فى باهلة)

سأعمل نص العيس حتى يكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على الحر بالاقلال وسم هوان
منى يتكلم بلغ حكم كلامه * وان لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى فى أهله بورك الغنى * بغير لسان ناطق بلسان

وفى مثلها فى بعض الوجوه قول عروة بن الورد

ذرينى للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم لديهم * وان أمسى له نسب وخير
ويقصى فى الندى وتزدريه * حليلته وينهره الصغير
ويلفى ذو الغنى وله جلال * يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه الهوى الهه معبود وتلا قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) وقال ابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرسای تنطقان على عمد الى اليوم قول زور وهتر (٢)
سألتانى الطلاق ان رأتانا * لى قليلا قد جئتمان بنكر
فلعلى أن يكثر المال عندى * ويعرى من المغارم ظهرى
وترى أعبدلنا واواق * ومناصيف من خوادم عشر

المناصف الخدم وأحدهم منصف وناصف وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم

وتجر الاذيال فى نعمة زو * ل ثقولان ضع عصاك لدهر

نعمة زول حسنة والزول الخفيف الظريف وجمعه ازوال

ويك من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجنب سر النجى ولكن * أخا المال محضر كل سر

(وقال عبيد بن الابرص فى نحو هذا وليس كمثله)

تلك عرسى غضبى تريد زيالى (٣) * البين تريد أم لدلال
ان يكن طبك الفراق فلا أحـ * ـفل ان تعطفى صدور الجمال
كنت بيضاء كالمهاة واذا * تيك نشوان مرخيا أذيال

(١) أى وقعوا (٢) هو مزق العرض والكذب (٣) يقال زايله مزايلة وزيالا فارقه

فاتركى مط حاجبيك وعيشى * معنا بالرجاء والتأمال
زعمت انى كبرت وانى * قل مالى وضن عنى الموالى
ومحا باطلى وأصبحت شيخا * لا يواتى أمثالها امثالى
ان تريني تغير الرأس منى * وعلا الشيب مفرقى وقذالى
فبما أدخل الخباء على مه * ضومة الكشح طفلة كالغزال

الكشح الخصر وقوله مهضومة أراد لطيفة والطفلة الرخصة الناعمة

فتعاطيت جيدها ثم مالت * ميلان الكثيب بين الرمال
ثم قالت فدى لنفسك نفسى * وفداء لمالى أهلك مالى

قال وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره يوما وقد جاء عامر بن عبد قيس فقعد فى دهليزه فلما رأى شيخا دميما أشعث ثطا فى عباءة فأنكره وأنكر مكانه فقال يا اعرابى أين ربك قال بالمرصاد والشعثى تراكب الاسنان واختلافها ثط صغير اللحية يقال ان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس ونظر معاوية الى النخار بن أوس العذرى الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه فأنكره وانكر مكانه ذرايه منه عليه فقال من هذا فقال النخار يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هرم بن قطبة ملتفا فى بت (١) فى ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم فأحب أن يكشفه و يسبر (٢) ما عنده فقال أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل فقال يا امير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لاعدتها (٣) جذعة فقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه لهذا العقل تحاكمت اليك العرب ونظر عمر الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف فى بت له فترك جميع القوم واستنطقه فلما تبعق منه ما تبعق وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب وذهب ذلك المذهب لم يزل عنده فى علياء ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتة له ذلك الى أن فارق الدنيا ونظر النعمان بن المنذر الى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال تسمع بالمعيدى لا ان تراه هكذا تقول العرب فقال ضمرة ابيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان وانما المرء باصغريه لسانه وقلبه وكان ضمرة خطيبا وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا وكان الرمق بن زيد مدح ابا جبلة الغسانى وكان الرمق دميما قصيرا فلما أنشده وحاوره قال عسل طيب فى ظرف سوء قال وتكلم علباء بن الهيثم السدوسى (٤) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان علباء أعور دميما فلما رأى براعته وسمع بيانه اقبل عمر يصعد فيه بصره و يحدره (٥) فلما خرج قال عمر لكل اناس فى جميلهم

(١) هو الكساء الغليظ (٢) هو الاختبار (٣) الضمير للقصة والجذعة الشابة من الابل أى لو فاضلت بين أحدهما اليوم لارجعت تخاصمهما جديدا بعد عدمه بطول العهد (٤) لعله لدى (٥) هو من باب نصر وكرم يطلق على سيلان العين بالدمع واحداد النظر

خبرة قال أبو عثمان وانشدت سهل بن هارون قول سلمة بن خرشب وشعره الذى أرسل به الى سبيع التغلبى فى شأن الرهن (١) التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان فقال سهل بن هارون والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى ابى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم والقصيدة قوله

أبلغ سبيعا وأنت سيدنا * قدما وأوفى رجالنا ذمما
ان بغيضا وان اخوتها * ذبيان قد ضرموا الذى اضطرما
نبئت ان حكموك بينهم * فلا يقولن بئس ما حكما
ان كنت ذا خبرة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلما
وتنزل الامر فى منازله * حكما وعلما وتحضر الفهما
ولا تبالى من الحق ولا * لمبطل لا اله ولا ذمما
فاحكم وانت الحكيم بينهم * لن تعدموا الحكم ثابتا صمما

الصمم الصحيح القوى يقال رجل صمم اذا كان شديدا

واصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن زعما
ان كان مالا فغض (٢) عدته * مالا بمال وان دما فدما
حتى ترى ظاهر الحكومة مثـ * ـل الصبيح جلى نهاره ظلما
هذا وان لم تطق حكومتهم * فانبذ اليهم أمورهم سلما

وقال العاشى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ولكنه اذا ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ويكون هو قد تخلص بعرضه سليما فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن ان ذلك لجهله بما يعرف غيره قال ولقد انشدوه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا الى قوله

وان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته أقسامها

وان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

يردد البيت من التعجب وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التى على اللام فلما بلغ المنشد الى قوله

والمرء ساع لامر ليس يدركه * والعيش شح واشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا * والعيش شح واشفاق وتأميل * يعجبهم من حسن ما قسم وفصل وأنشدوه قصيدة ابى قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت فلما انتهى المنشد الى قوله

(١) هو جمع رهن وهو ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك (٢) الغض فك خاتم الكتاب

الكيس والقوة خير من * الاشفاق والفهة والهاع

أعاد عمر البيت وقال الكيس والقوة خير من * الاشفاق والفهة والهاع

وجعل عمر يردد البيت و يتعجب منه قال محمد بن سلام الجمحى عن بعض أشياخه قال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وقال ابو عمرو ابن العلاء كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم ما آثرهم و يفخم شأنهم و يهول على عدوهم ومن غزاهم و يهيب من فرسانهم و يخوف من كثرة عددهم و يهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول الشعر أدنى مروءة السرى * واسرى مروءة الدنى

قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ولو كان فى الدهر الاول ما زاده ذلك الا رفعة (وروى) مجالد عن الشعبى قال ما رأيت مثلى ما أشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشئ الا لقيته وقال الحسن البصرى يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا و يكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما قال وكان يقال فقه الحسن و ورع ابن سيرين وعقل مطرف وحفظ قتادة وقال وذكرت البصرة فقيل شيخها الحسن وفتاها بكر ابن عبد الله المزنى قال والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة قتادة والزهرى والاعمش والكلبى و جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى فغلب قتادة الزهرى فقيل لسليمان فى ذلك فقال انه فقيه مليح فقال القعذمى لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم (وكان) الاصمعى يقول وصلت بالعلم ونلت بالملح وكان سهل بن هارون يقول اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان فى واحد وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر و بلاغة القلم والمسجديون (١) يقولون من تمنى حسن العقل وحسن اللسان وحسن القلم تمنى شيأ عسيرا ﴿باب﴾ وكانوا يعيبون النوك (٢) والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان قال الشاعر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تثقن بكل أخى اخاء
فان خبرت بينهم فألصق * بأهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذاما * تفاضلت الفضائل من كفاء
فان النوك للاحساب غول (٣) * وأهون دائه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملات * فأيسر سعيه سعى العناء
فلا تثقن بالنوكى لشئ * ولو كانوا بنى ماء السماء
فليسوا قابلى أدب فدعهم * وكن من ذاك منقطع الرجاء

(١) المسجديون الذين يلزمون مسجد البصرة والكوفة (٢) هو بالضم والفتح الحمق (٣) أهلكه وأخذه من حيث لم يدر

وقال الآخر في التضييع والنوك

فعش في جدانوك ساعدته * مقادير يخالفها الصواب
ذهاب المال في حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

وأنشد ذلك

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى (١) فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالي بارتفاع الاسافل

وقال الآخر

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للر (٢)
ولم أر عز الامرئ كعشيرة * ولم أر ذلا مثل نأي عن الاهل
ولم أر من عدم أضر على امرئ * اذا عاش وسط الناس من عدم العقل

وقال الآخر

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال الآخر

وأنزلني طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت أمرا لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بشر بن المعتمر وأنشد

واذا الغبي رأيته مستغنيا * أعيى الطبيب وحيلة المحتال

وأنشد لبعض آخر وللدهر أيام فكن في لباسه * كلبسة يوما أجد وأخلقا
وكن أكيس الكيس اذا كنت فيهم * وان كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

وأنشد لبعض آخر ولا تقربي يا بنت عمي بوهة (٣) * من القوم دفناسا (٤) غبيا مفندا
وان كان أعطى رأس ستين بكرة * وحكما على حكم وعبدا مولدا
ألا فاحذري لا تو ردنك هجمة * طوال الذرى جبسا (٥) من القوم قعددا (٦)

وأنشد لبعض آخر كسا الله حي تغلب ابنة وائل * من اللؤم أظفارا بطيئا نصولها
اذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا * عليها وردوا وفدهم يستقيلها

وأنشد لبعض آخر وان عناء ان تفهم جاهلا * ويحسب جهلا انه منك أفهم

وقال جدير

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا تدبرا

وقال الاعرج المعني الطائي

لقد علم الاقوام ان قد قدرتم * ولم تبدؤوهم بالمظالم أولا
فكونوا كداعي كرة بعد فرة * ألا رب من قد فر ثمت أقبلا
فان انتم لم تفعلوا فتبدلوا * بكل سنان معشر العرب مغزلا

---

(١) هو تمثيل لقلب الوضع فكانه مثل رجل وضع رجليه فوق رأسه (٢) كذا بالاصل (٣) هو الرجل الطائش الضاوي والاحمق (٤) هو الاحمق الدنيء والبخيل والراعي الكسلان ينام و يترك ابله وحدها (٥) هو بالكسر الجامد الثقيل الروح والفاسي والرديء والجبان واللئيم (٦) هو قريب النسب من الجد الاعلى و بعيد النسب منه ضد

واعطوهم حكم الصبي بأهله * واني لارجوان يقولوا بان لا

(١)

ويقال أظلم من صبي وا كذب من صبي وأخرق من صبي وانشد

ولا تحكما حكم الصبي فانه * كثير على ظهر الطريق مجاهله

قال سئل دغفل عن بني عامر فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء قيل فما تقول في اهل اليمن قال سيدوانوك ﴿باب﴾ في ذكر المعلمين من امثال العامة أحمق من معلم كتاب وقد ذكرهم صقلاب وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

وفي قول بعض الحكماء لا تستشر ومعلما ولا راعي غنم ولا كثيرا لقعود مع النساء وقال لا تدع أم صبيك تضربه فانه أعقل منها وان كانت أسن منه وقد سمعنا في الامثال أحمق من راعي ضان ثمانين (فاما) استحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام ولعمري ان الفدادين من أهل الوبر ورعاة الابل ليتلون على رعاة الغنم ويقول احدهم لصاحبه ان كنت كاذبا فحلبت قاعدا وقال الآخر

ترى حالب المغزى اذا سر قاعدا * وحالبهن القائم المتطاول

قالت امرأة من غامد في هزيمة ربيعة بن مكدم بجمع غامد وحده

ألا هل أتاها على نأيها * بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مأتى فارس * فردكم فارس واحد

فليت لنا بارتباط الخيول * ضأنا لها حالب قاعد

وقد سمعنا قول بعضهم الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين قال والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى وكذلك الغزالون لان الاحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش والحائك ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب وليس هو من هذا في شئ ﴿وهذا باب آخر﴾ ويقال فلان أحمق فاذا قالوا مائق فليس يريدون ذلك المعنى بعينه وكذلك اذا قالوا أنوك وكذلك اذا قالوا رقيع ويقولون فلان سليم الصدر ثم يقولون غبي ثم يقولون أبله وكذلك اذا قالوا معتوه ومسلوس وأشباه ذلك قال ابو عبيدة يقال للفارس شجاع فاذا تقدم ذلك قيل بطل فاذا تقدم شيأ قيل بهمة فاذا صار الى الغاية قيل أليس قال العجاج * أليس عن حوباته (٢) سخي *

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها من جود وبخل وصلاح وفساد ونقصان ورجحان ومازلت أسمع هذا القول في المعلمين والمعلمون عندي على ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة فكيف تستطيع ان يزعم

(١) بياض في الاصل (٢) هي جمع حابة وهي حرم الرجل وسريته

ان مثل علي بن حمزة الكسائي ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب واشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم فان ذهبوا الى معلمي كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فاهم في ذلك الا كغيرهم وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل كميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء بن أبي رباح ومثل عبد الكريم بن ابي أمية وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهني وعامر الشعبي فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان معبد يعلم سعيدا ومنهم أبو سعيد المؤدب وهو غير أبي سعيد المعلم وكان يحدث عن هشام بن عروة وغيرهم ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى وكان معلم ولد عتبة ابن أبي سفيان وكان اسماعيل بن علي ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلمه وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما ومنهم محمد بن السكن وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا وقد قال الناس في أبي البيداء وفي أبي عبيد الله الكاتب وفي الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول قالوا أحق الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل قال وكتب الحجاج الى المهلب يجعله في حرب الازارقة ويسمعه (١) فكتب اليه المهلب ان البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ﴿وباب آخر﴾ قال بعض الربانيين من الادباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق ويبغض الاغراق في القول والتكلف والاجتلاب ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ويعرض للسامع من الافتتان بما يسمع والذي يورث الاقتدار من التهكم والتسلط والذي يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعاني والخلابة (٢) وحسن المنطق قال في بعض مواعظه أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم قولا متعشقا صار في قلبك أحلى ولصدرك املأ والمعاني اذا كسيت الالفاظ الكريمة وألبست الاوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقاديرصورها وأربت على حقائق اقدارها بقدر ما زينت وعلى حسب ما زخرفت فقد صارت الالفاظ في معنى المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوي ومدخل خدع الشيطان خفي فاذكر هذا الباب ولا تنسه وتأمله ولا تفرط فيه فان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يقل للاحنف بعد ان احتبسه حولا مجربا (٣) ليستكثر منه وليبالغ في تصفح حاله والتنقير عن شأنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم وقد خفت ان تكون منهم الا لما كان راعه من حسن منطقه

---

١ وفي الصحاح أسمعه أي شتمه ٢ يقال خلب فلانا سلب عقله وخلب من باب نصر خلابة بمعنى خدع ٣ هو كمعظم بمعنى تام

ومال اليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن هذا والله السحر الحلال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلابة فالقصد فى ذلك ان تجتنب السوقى والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الالفاظ وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى وفى الاقتصار بلاغ وفى التوسط مجانبة للوعورة والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه وقد قال الشاعر

عليك بأوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

﴿وقال الآخر﴾

لا تذهبن فى الامور فرطا * لا تسألن ان سألت شططا * وكن من الناس جميعا وسطا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان وقال اعرابى للحسن علمنى دينا وسطا لا اذا هبا شطوطا ولا هابطا هبوطا فقال الحسن لئن قلت ذاك ان خير الامور أوساطها وجاء فى الحديث خالطوا الناس وزايلوهم (١) وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته وخير الامور أوساطها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا وكانوا يقولون اكره الغلو كما تكره التقصير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه قولوا بقولكم ولا يستحوذن عليكم الشيطان وكان يقول وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم *(باب)* من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء (قال) رجل لابى هريرة النحوى أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه قال كفى بترك العلم اضاعة وسمع الاحنف رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فقال الاحنف الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا وقال ابو الدرداء مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا قال ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دلى زيد بن ثابت فى القبر من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر فهكذا ذهابه وقال بعض الشعراء لبعض العلماء

أبعدت من يومك الفرارفا * جاوزت (٢) حيث انتهى بك القدر
لو كان ينجى من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخى ثقة * لم يك فى صفوده كدر

فهكذا يفسد الزمان و يفنى العلم منه و يدرس الاثر قال وقال قتادة لو كان أحد مكتفيا من

(١) يقال زايله مزايلة وزيالا فارقه (٢) أى لم يتعد مكان انتهاء القدر يعنى لم يتخط المقدور بحذره

العلم

العلم لا كتفى نبي الله موسى عليه السلام اذ قال للعبد الصالح (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) أبو العباس التميمي قال قال طاوس الكلمة الصالحة صدقة وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة وقال الخليل تكثر من العلم لتعرف وتقال منه لتحفظ وقال الفضيل نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه وكان يقال اجعل ما في الكتب بيت مال وما في قلبك للنفقة وكان يقال يكتب الرجل أحسن ما سمع و يحفظ أحسن ما كتب وقال اعرابي حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك (١) وقال عمر ابن عبد العزيز ما قرن شئ بشئ أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال انا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نحمل بها قال وفخر سليم مولى زياد بن زياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيأ بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلساني قال وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا وأمسك عن القتل وقال بشير الرحال اني لاجد في قلبي حزازا يذهبه الا برد العدل أو حز (٢) السنان قال وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكي فهم عبد الملك بالمعلم فقال دعه يبكي فانه أفتح بحرا منه وأصح لبصره وأذهب لصوته فقال له عبد الملك أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا قال ما ينبغي للمسلم أن يشغله عن قول الحق شئ فأمر بتخلية سبيله وقال ابراهيم ابن ادهم أعربنا في كلامنا فانا لنحن حرفا ولحنا في أعمالنا فانا نعرب حرفا وأنشد

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال وقال زياد على المنبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنز مصور (٣) لو بلغت امامه سفك بها دمه قال وعزل عمر زيادا عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته فقال له زياد أعن عجز أم عن خيانة قال لا عن واحدة منهما ولكن أكره أن احمل على العامة فضل عقلك قال وبلغ الحجاج موت اسماء بن خارجة فقال هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء قال وكان يقال كدر الجماعة خير من صفو الفرقة قال ابو الحسن مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المترف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال يا هناه انا لم نجد لك اذ عصيت الله فينا خيرا من ان نطيع الله فيك وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قال عمر اني والله لا أدع حقا لله لشكاية تظهر ولا لغضب يحتمل ولا لمحاباة بشر وانك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه قال وكتب عمر بن

(١) الطومار هو الكتاب أي ما في حفظك ولو قليلا خير مما في كتابك ولو كثيرا (٢) هو كناية عن القتال بالسنان
(٣) أي صورة عنز لا عنز حقيقة

الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن ابى وقاص يا سعد سعد بنى وهيب ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل الذى لله عندك قال ومات لعمر بن ذر ابن فقال اى بنى شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك قال وقال رجل من مجاشع كان الحسن يخطب فى دم فينا فأجابه رجل فقال قد تركت ذلك لله ولوجوهكم فقال الحسن لا تقل هكذا بل قل لله ثم لوجوهكم وآجرك الله قال ومر رجل بابى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال أتبيع الثوب فقال لا عفاك الله فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله وسأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شئ فقال الله أعلم فقال عمر لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله أعلم اذا سئل أحدكم عن شئ لا يعلمه فليقل لا علم لى قال وكان أبو الدرداء يقول أبغض الناس الى ان أظلمه من لا يستعين على باحد الا بالله وذكر ابن ذر الدنيا فقال كانكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها ونظر اعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال ينعة (١) ولكل ينعة استحشاف فباع ماهنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال أتمنى كما تمنيتم قالوا تمنه قال ليتنا لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نعص وليتنا اذ عصينا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد وقال الحجاج ليت الله اذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح أو ليته اذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن أو على بن الحسين فقال ما علما شيأ فى التمنى ما اختار الله فهو خير قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها قال شريح الحمدة كناية عن الجهل وقال أبو عبيدة العارضة كناية عن البذاء قال واذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل واذا قالوا للعامل مستقص فهو كناية عن الجور وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمام الطائى

كذبتم ليس يزهى من له حسب * ومن له نسب عن له أدب
انى لذو عجب منكم أرددە * فيكم وفى عجبى من زهوكم عجب
لحاجة لى فيكم ليس يشبهها * الا لحاجتكم فى انكم عرب

وقيل لاعرابية مات ابنها ما أحسن عزاك عن ابنك قالت ان مصيبته أمنتنى عن المصائب بعده قال وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغنى أينا أسن أنا أو أنت يا طويس فقال بابى أنت وأمى لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل بزفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى قال وقال رجل من أهل الشام كنت فى حلقة أبى مسهر فى مسجد

(١) أى هى مثل الزهرة النضرة ولا بد للازهار من ذبولها

دمشق فذكرنا الكلام وبراعته والصمت ونباهته قال كلا ان النجم ليس كالقمر انك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا يا بنى اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب قال يا أبة فان انا أكثرت وأكثرت يعنى كلاما موصوبا قال يا بنى ما رأيت موعظا أحق بان يكون واعظا منك قال وقال ابن عباس لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما تستبقوا من الدنيا تجدوه فى الآخرة وقال رجل للحسن انى أكره الموت قال ذلك انك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به قال وقال عامر ابن الظرب العدوانى الرأى نائم والهوى يقظان فمن هنا يغلب الهوى الرأى وقال مكتوب فى الحكمة أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكر لك وقال بعضهم وهو أبو الدرداء أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا ان تقبلوا أحسن ما تسمعون منا وقال عبد الملك على المنبر ألا تنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبى بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل قال وقال رجل من العرب أربع لا يشبعن من أربع أنثى من ذكر وعين من نظر وأرض من مطر وأذن من خبر قال وقال موسى عليه السلام لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر فقال قال بعض المعترضين فقد قال أو آتيكم بشهاب قبس قال أبو عقيل لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن المجانع المقرور وقال لبيد بن ربيعة

ومقام ضيق فرجته * بيبان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى وزحل (١)
ولدى النعمان منى موطن * بين فاثور (٢) أفاق فالدحل
اذ رعتنى عامر انصرها * فالتقى الالسن كالنبل (٣) الدول
فرميت القوم رشقا (٤) صائبا * ليس بالعصل (٥) ولا بالمقتعل (٦)
وانتضلنا وابن سلمى قاعد * كعتيق الطير يغضى ويجل
وقبيل من لكيز شاهد * رهط مرجوم ورهط ابن المعل

قال وأبيض يجتاب الخروق (٧) على الوحى * خطيبا اذا التف المجامع قاصلا (٨)

وقال لبيد لو كان حى فى الحياة مخلد * فى الدهر أدركه أبو يكسوم
بكتائب خرس تعود كبشها * نطح الكباش شبيهة بنجوم
ولقد بلوتك وابتليت خليقتى * ولقد كفاك معلمى تعليمى

(١) يقال زحل عن مقامه كمنع زل وتحول (٢) هو اسم موضع وكذا الدحل موضع قرب حزن بين يربوع (٣) هو بالتحريك النبل المتداول (٤) هو السهم (٥) هو كفرح الاعوج (٦) المقتعل كمضمحل السهم لم يبر بريا (٧) هو الجماعة (٨) هو القاطع

وقد قال أيضا البيد ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
يتأكلون مغالة وخيانة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب

وقال زيد بن جندب فى ذكر الشغب

ما كان أغنى رجالا اضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الشغب

وقال آخر فى الشغب انى اذا عاقبت ذو عقاب * وان تشاغبنى فذو شغاب

وقال أحمر بن العمرد وكم حلها من تيحان سميدع * مصاف الندى ساق بسهماء مطعم
طوى البطن متلاف اذا هبت الصبا * على الامر غواص وفى الحى شيظم (١)

وقال وهل لامنى قوم اوقف سائل * أوفى مخاصمة اللجوج الاصيد (٢)

وقال فى التطبيق فلما أن بدا القعقاع لجت * على شرك يناقله نقالا
تعاورن الحديث وطبقته * كما طبقت بالنعل المثالا

وهذا التطبيق غير التطبيق الاول وقال آخر

لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعلم بعد تدبر الامر

وقول المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة قال لقمان لابنه يا بنى انى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت وقال الشاعر

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

﴿وقال آخر﴾

خل جنبيك للرام وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
* انما المسلم من ألجم فاه بلجام *

وقال آخر فى التحذير والاحتراس

اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل الكلام

وقال فى مثل ذلك لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى

وقال حمزة بن بيض لم يكن عن جناية لحقتنى * لا يسارى ولا يمينى جنتنى
بل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها براقش تجنى

لان هذه الكلبة وهى براقش انما نبحت غزيا وقد مروا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مخفقين فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ولو سكتت كانوا قد سلموا فضرب ابن بيض به المثل وقال الاخطل

تنق بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية النهر

النقيق صياح الضفادع وقالوا الصمت حكم وقليل فاعله وقالوا استكثر من الهيبة صامت

(١) هو كحيدر الطويل الجسيم الغنى (٢) هو مائل العنق

وقيل لرجل من كلب طويل الصمت بحق ماسميتكم العلماء خرس العرب فقال اسكت فاسلم واسمع فاعلم وكانوا يقولون لا تعدلوا بالسلامة شيأ ولا تسمع الناس يقولون جلد فلان حين صمت ولا قتل حين سكت وتسمعهم يقولون جلد فلان حين قال كذا وكذا وقتل حين قال كذا وكذا وفى الحديث المأثور رحم الله من سكت فسلم أو قال خيرا فغنم والسلامة فوق الغنيمة لان السلامة أصل والغنيمة فرع وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تخلل الباقرة بلسانها وقيل ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين اغما عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه كما يتخلل الباقرة بلسانها والاعرابى المتشادق وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يستجيزه أهل الادب من خطباء أهل المدرفن تكلف ذلك منهم فهو أعيب والذم له ألزم وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعا يتمثلون بها الا لما فيها من المرفق والانتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل واغما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله والا فالسكوت عن قول الحق فى معنى النطق بالباطل ولعمرى ان الناس الى الكلام لاسرع لان فى أصل التركيب ان الحاجة الى القول والعمل أكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله بل قد علمنا ان عامة الكلام أفضل من عامة السكوت وقد قال الله عز وجل سماعون للكذب أكالون للسحت فجعل سمعه وكذبه سواء

وقال الشاعر بنى عدى الا ينهى سفيهكم * ان السفيه اذا لم ينه مأمور

وقال الآخر فان أنا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشرى

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ونفع الكلام يعم ويخص والرواة لم يروا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وطول الصمت يفسد البيان وقال بكر بن عبد الله المزنى طول الصمت حبسة كما قال عمر ترك الحركة عقلة واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب لان ذلك يفتق اللهات ويفتح الجرم واللسان اذا أكثرت تحريكه رق ولان واذا أقللت تقليبه وأطلت اسكانه جسأ وغلظ وقال عباية الجعفى لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا ان يمارى بعضهم بعضا واية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع فلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للنابغة الجعدى لا يفضض

الله فاك ولم قال لكعب بن مالك ما نسى الله لك مقالك ذلك ولم قال لهيدان بن شيخ رب خطيب من عبس ولم قال لحسان هيج الغطاريف على بنى عبد مناف والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام وما شك انه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ما ضارع الرياء أو السمعة والنفج (١) والبذخ (٢) وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمماتنة قال فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذى مدح التبيين وأهل التفضيل وفى هذا كفاية ان شاء الله قال دغفل بن حنظلة ان للعلم أربعا آفة ونكد اواضاعة واستجاعة فآفته النسيان ونكده الكذب واضاعته وضعه فى غير موضعه واستجاعته انك لم تشبع منه وانما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ولحرق سياسة أكثر الرواة لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه كان ذلك الازدياد داعيا الى النقصان وذلك الربح سببا للخسران وقد جاء فى الحديث منهومان لا يشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال وقالوا علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال الخليل بن أحمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزنى لا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها فخير الكلام ما كان عقب الجمام (٣) ومن أكره بصره عشى وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب واشحذوها بالمذاكرة ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدام قرع الباب ولج وقال الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا (٤) * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال الاحنف السودد (٥) مع السواد وتقول الحكماء من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها وأنشد

ودون الندى فى كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى فى كل نيل ينيله * اذا ما انقضى لوان نائله جزل

وقال الهذلى

وان سيادة الاقوام فاعلم * لها صعداء مطلبها طويل
أترجو ان تسود وان تعنى * وكيف يسود ذو الدعة البخيل

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال ما رأيت عقول الناس الاقريبا بعضها من بعض الا ما كان من الحجاج وايا س بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس أبو الحسن قال سمعت أبا الضعرى الحارثى يقول كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم لا تدخلوها فلما مات دلفوا (٦) اليها من قريب سمعت قحطبة الجشمى يقول كان أهل البصرة لا يشكون انه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن سالم وقال معاوية لعمرو بن العاص ان أهل العراق

(١) هو التكبر (٢) هو بالتحريك الكبر أيضا (٣) هو التعب (٤) أى فى حال نشوه وصغره (٥) هو الشرف والسيادة وقوله مع السواد أى مع سواد الشعر وهو عبارة عن الصغر (٦) أى زحفوا اليها بجمعهم

قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى فاجد الحز وطبق المفصل واياك ان تلقاه برأيك كله ﴿باب﴾ ماقالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول قول الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لاهراء(١) ولانزر

(وقال ابن أحمر)

تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعده نزر

(وقال الآخر)

حديث كطعم الشهد حلو صدوره * واعجازه الخطبان دون المحادم

وقال بشار بن برد

أنس غرائر ماهممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسن من أنس الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وقال بشار

فنعمنا والعين حى كميت * بحديث كنشوة الخندريس(٢)

وقال بشار

وكأن رفض حديثها * قطع الرياض كسين زهرا

وتخال ماجمعت عليه * ثيابها ذهبا وعطرا

وكان تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وقال بشار العقيلى

وفتاة صب الجمال عليها * بحديث كلذة النشوان

وقال بشار

وبكر كنوار الرياض حديثها * تروق بوجه واضح وقوام

وقال بشار

وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

وقال الاخطل

فأسرين خمسا ثم أصبحن غدوة * يخبرن أخبارا ألذ من الخمر

أخبرنا عامر بن صالح ان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له

ان عندى أبقاك ربك ضيفا * واجبا حقهم كهولا ومردا

طرقوا جارك الذى كان قدما * لابرى من كرامة الضيف بدا

فلديه أضيافه قد قراهم * وهم يشتهون تمرا وزبدا

فلهذا جرى الحديث ولكن * قد جعلنا بعض المزاحة جدا

وأنشد الهزلى

كروا الاحاديث عن ليلى اذا بعدت * ان الاحاديث عن ليلى لتلهينى

وقال الهذلى فى حلاوة الحديث

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل أو ألبان عوذ مطافل

العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت فاذا مشى ولدها فهى مرشح فاذا تبعها فهى متليه لانه يتلوها وهى فى هذا كله مطفل فان كان أول ولدها ولدته فهى بكر شعر

مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

ماء المفاصل فيه قولان أحدهما ان المفاصل ما بين الجبلين واحدها مفصل وانما أراد صفاء الماء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب ويقال انها مفاصل البعير وذكروا ان فيها ماء له صفاء وعذوبة وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

(١) هو كغراب الكثير من الكلام والنزر القليل (٢) هى الخمر

جعفر الزم الصمت ان فى الصمت حكما * واذا أنت قلت قولا فزنه

وقال أبوذؤيب وسرب يطلى بالبعير كأنه * دماء ظباء بالنحور ذبيح

بذلت لهن القول انك واجد * لما شئت من حلو الكلام فصيح

السرب الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء بكسر السين ويقال فلان آمن السرب بفتح السين وخلى السرب وواسع السرب أى المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب وعن الاصمعى فلان واسع السرب مكسور أى واسع الصدر بطىء التأنيب قال وأنشد للحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب

يا أجدل الناس ان جادلته جدلا * وأكثر الناس ان عاتبته مللا

كأنما عسل رجعان منطقها * ان كان رجع الكلام يشبه العسلا

وقال القطامى وفى الخدور غمامات برقن لنا * حتى تصيدننا من كل مصطاد

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

ينبذن يلقين الغلة والغليل العطش الشديد والصادى العطشان أيضا الاسم الصدى وقال الاخطل شمس اذا خطل(١) الحديث أوانس * يرقبن كل مرقب(٢) تنبال

لتنبال القصير والجذر مثله والشمس النوافر

أنف كان حديثهن تنادم * بالكاس كل عقيلة مكسال

الانف جمع الانفة وهى المنكرة للشئ غير راضية عنه العقيلة المصونة فى أهلها وعقيلة كل شئ خيرته والمكسال ذات الكسل عن الحركة وقال أبو العميثل

لقيت ابنة السهمى زينب من غفر * ونحن حرام مسى عاشرة العشر

* وانى واياها لحتم مبيتنا * جميعا ومسرانا مغذ وذو فتر

فكلمتها تنتين كالثلج منهما * على اللوح والاخرى أحر من الجمر

تقول ما يلقانا فلان الا عن غفر أى بعد مدة مسى أى وقت ويقال اغذ السير اذا جد فيه وأسرع واللوح بالفتح العطش يقال لاح الرجل يلوح لوحا والتاح يلتاح التياحا اذا عطش واللوح أيضا الذى يكتب فيه واللوح بالضم الهواء يقال لا أفعل ذلك لوح نزوت فى اللوح أو حتى تنزو فى اللوح وأنشد

وانا لنجرى بيننا حين نلتقى * حديثا له وشى كوشى المطارف

حديث كطعم القطر فى المحل(٣) يشتفى * به من جوى فى داخل القلب لاطف(٤)

وقال الشماخ بن ضرار التغلبى يقر بعينى ان أنبأ أنها * وان لم أنلها ايم لم تتزوج

وكنت اذا لاقيتها كان سرنا * وما بيننا مثل الشواء الملهوج

---

(١) يقال خطل كفرح اذا فسد الكلام (٢) هو عظم الجلد يسلخ من قبل الرأس (٣) الشدة والجدب والقطاع المطر (٤) يقال لطف كنصر اذا دق وخفى

يريدانهما من خوف الرقباء كانا على عجلة والملهوج المعجل الذى لم ينتظر به النضج وقال جران العود فتلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل أو أبكار كرم يقطف

حديثا لوان البقل يولى بمثله * زها البقل واخضر العضاه المصيف

وقال الكميت وحديثهن اذا التقينا * تهاتف البيض الغرائر

فاذا ضحكن عن العذاب * لنا المسغبات الثواغر

كان التهال بالتبسم * لا الفهاهة (١) بالقراقر

وقال الآخر ولما تلاقينا جرى من عيوننا * دموع كفقئ غربها بالاصابع

وتلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل ممزوج بماء الوقائع (٢)

وقال الاشعب بن سمى

هل تعرف المبدا الى السنام * ناط به سواحر الكلام * كلامهن بر ذى السقام

وقال الراجز ووصف عيون الظباء بالسحر وذكر وساصفراء فقال

صفراء فرع خطموها بوتر * لأم (٣) ممر مثل حلقوم النغر (٤)

حدت ظبات أسهم مثل الشرر * فصرعتهن باكناف الحفر

حور العيون بأبليات النظر * يحسبها الناظر من وحش البشر ويروى البقر

﴿باب آخر﴾ من الاسجاع فى الكلام قال عمر بن ذر الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال لا أعطى من يعصى الرحمن ويطيع الشيطان ويقول الهتان وفى الحديث المأثور يقول العبد مالى مالى وانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت وقال النمر بن تولب أعاذل ان يصبح صداى بقفرة * بعيدا فأتى صاحبى وقريبى

ترى أن ما أبقيت لم أك ربه * وان الذى أنفقت كان نصيبى

الصدى طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية وهو ههنا مستعار أى ان أصبحت أنا ووصف اعرابى رجلا فقال صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر الشبر القامة والنجر الطباع ووصف بعض الخطباء رجلا فقال ما رأيت أضرب لمثل ولا أركب لجمل ولا أصعد فى قال (٥) منه وقال سأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند كيف رأيتم البلاد فقال ماؤها وشل (٦) ولصها بطل وتمرها دقل (٧) ان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا بها ضاعوا وقيل لصعصعة بن معاوية من أين أقبلت قال من الفج العميق قال فاين تريد قال البيت العتيق قالوا هل من مطر قال نعم حتى عفا الاثر وانضر الشجر ودهده الحجر واستجار عون بن عبد الله بن

(١) هى العى وقلة الكلام والقراقر لعله جمع فرقرة وهى الضحك بصوت (٢) هو جمع وقيحة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء (٣) هو السهم الذى عليه ريش بلائم بعضها بعضا (٤) هى كصرد أولاد البلبل أو العصافير (٥) هو جمع قلة وهو ما ارتفع من الشئ (٦) الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة (٧) هو الردى

عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأة فقال محمد كيف ترى نصيبين قال كثيرة العقارب قليلة الاقارب يريد بقوله قليلة كقول القائل فلان قليل الحياء ليس يريد أن هنالك حياء وان قل يضعون قليلا فى موضع ليس وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد ان كان على عمل جسيم فقال العنوق (١) بعد النوق قال ونظر رجل من العباد الى باب بعض الملوك فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد وقيل لبعض العرب أى شئ تمنى وأى شئ أحب اليك قال لو امنشورا والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير وقيل لآخر وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله أجزعت من الموت فقال ان أجزع فقد أرى كفنا منشورا وسيفا مشهورا وقبرا محفورا وقال عبد الملك ابن مروان لاعرابى ما أطيب الطعام قال بكرة سمنة معتبطة غير ضمنه فى قدور رذمه (٢) بشفار خذمه (٣) فى غداة شبمه فقال عبد الملك وأبيك لقد أطيبت والشبم البرد وقالوا لا تغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير وقالوا من صادق الكذاب أغنوه ومن عاداهم أفقروه وقالوا اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى واقامة الوزن قال ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الاسماع الشاهد لقل خلافى عليك ولكنى أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ اليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره قالوا فقد قيل للذى قال يا رسول الله أرأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل أليس مثل ذلك بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الجاهلية قال عبد الصمد لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى ان يكون أراد ابطال الحق فتشادق فى كلامه وقال غير عبد الصمد وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه وعامة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا وسمعوا واستنشدوا فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل وقال غيرهما اذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء حلبت ركابى وحرقت ثيابى وضربت صحابى منعت ابلى من الماء والكلأ والركاب ما يركب من الابل قال أو سجع أيضا فقال الاعرابى فكيف أقول لانه لو قال حلبت ابلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه وانما حلبت ركابه فكيف يدع الركاب الى

(١) هو جمع عناق كسحاب وهى أنثى أولاد المعز يضرب مثلا للضيق بعد السعة (٢) هى القصعة الممتلئة تصف جوانبها (٣) هى القاطعة

غير الركاب وكذا قوله حرقت ثيابي وضربت صحابي لان الكلام اذا قل وقع وقوعا لا يجوز تغييره واذا طال وجدت في القوافي ما يكون مختليا ومطلوبا مستكرها وفي الحديث المأثور ويدخل على من طعن في قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) وزعم انه شعر لانه في تقدير مستفعلن مفاعلن وطعن في قوله عليه السلام

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

فيقال له اعلم انك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيرا وليس أحد في الارض يجعل ذلك المقدار شعرا ولو ان رجلا من الباعة صاح من يشتري باذنجان لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولن فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام واذا جاء المقدار الذي يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله وسمعت غلاما لصديق لي وكان قد سقي بطنه يقول لغلمان مولاه * اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا قد اكتوى * وهذا الكلام يخرج وزنه فاعلاتن مفاعلن مرتين وقد علمت ان هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا ومثل هذا كثير لو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته وكان الذي كره الاسجاع بعينها وان كان دون الشعر في التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وان مع كل واحد منهم رئيا (١) من الجن مثل حازي جهينة ومثل شق وسطيح وعزى سلمة وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله والارض والسماء والعقاب والصقعاء (٢) واقعة ببقعاء (٣) لقد نفر الجد بني العشراء للمجد والسناء وهذا الباب كثير ألا ترى ان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والاقرع بن حابس ونفيل بن عبد العزى كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع وكذلك ربيعة بن حذار قالوا فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم فلما زالت العلة زال التحريم وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينههم احد ولا كان الفضل بن عيسى الرقاشي سجاعا في قصصه وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن أبي عياش يأتون مجلسه قال له داود بن أبي هند لولا انك تفسر القرآن برأيك لاتيناك في مجلسك قال فهل ترى أحرم حلالا وأحل حراما وانما كان يتلو الآية التي فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت واشباه ذلك وقد كان عبد الصمد بن الفضل وابو العباس بن القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء وقد كان النهي ظاهرا عن مرثية أمية بن أبي الصلت لقتلى أهل بدر كقوله

(١) هو التابع من الجن (٢) هي الشمس (٣) هي القطعة من الارض المخالفة لما جاورها

* هلا بكيت على الكرام * بنى الكرام أولى للمادح

وروى ناس شبيها بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة فلما زالت العلة زال النهى وقال أبو وائلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها فى يديك قضيب
بكى المنبر الغربى اذ قمت فوقه * فكانت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لما شبت أدركك الذى * يصيب سراة الازدحين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل * وفيك لمن عاب المزون (١) عيوب

قال وخطب الوليد بن عبد الملك فقال ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عينى الا وانه جلدة وجهى كله وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فاصاب دينارا شبيب بن شيبة قال حدثنى خالد بن صفوان قال خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال انى قد أسمع قول الرعاع قد جاء مسلمة وقد جاء العباس وقد جاء أهل الشام وما أهل الشام الا تسعة أسياف سبعة منهم معى واثنان على وأما مسلمة فجرادة صفراء وأما العباس فقسطوس بن قسطوس اتاكم فى برابرة وصقالبة وجراجمة وجراجمة واقباط وانباط واخلاط من الناس انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كاشلاء (٢) اللحم والله ما لقوا أقواما قط كحدكم وحديدكم وعددكم وعديدكم أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين ومدح بشار مزاز مرد العتكى بالخطب وركوبه المنابر بل رثاه وابنه فقال

ما بال عينك دمعها مسكوب * سهرت فانت بنومها محروب (٣)
وكذا من صحب الحوادث لم يزل * تأتى عليه سلامة ونكوب
يا أرض ويحك اكرميه فانه * لم يبق للعتكى فيك ضريب (٤)
ابهى على خشب المنابر قائما * يوما وأحزم اذ تشب حروب

قال كان سوار بن عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة ثم خطب عبيد الله بن الحسن وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء بلال وسوار وعبيد الله وأحمد بن رباح وكان بلال قاضيا ابن قاض ابن قاض وقال رؤبة

فانت يا ابن القاضيين قاضى * معتزم على الطريق ماضى

قال أبو الحسن المدائنى كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعده كلاما فبلغه ان الناس قد أعجبهم كلامه فقال لشبيب بن شيبة انى والله ما التفت الى هؤلاء ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب فسأله فقال ما أحسن ما تكلم به على انه أخذ مواعظ

(١) هو الماضى لوجهه الذاهب (٢) أى قطع اللحم (٣) أى مسلوب (٤) أى نصيب

الحسن ورسائل غيلان فشجر بينهما كلام فأخبره بذلك شبيب فقال عبد الله لا والله ان أخطأ حرفا واحدا وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها وكان يقول ان الله وملائكته فكان يرفع الملائكة فقيل له ذلك فقال خرجوا لها وجها ولم يكن يدع الرفع قال وصلى بنا حزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه الا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولي عهده محمد قال وكان زهير بن محمد الضبي يدار به اذا قرع المنبر وقال الشاعر

أمير المؤمنين اليك نشكو * وان كنا نقوم بغير عذر
غفرت ذنوبنا وعفوت عنه * وليست منك أن تعفو بنكر (١)
فان المنبر البصري يشكو * على العلات اسحق بن شمر
أضنى على خشبات ملك * كمركب ثعلب ظهر الهزبر (٢)

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر

مازلت تركب كل شئ قائم * حتى اجترأت على ركوب المنبر
مازال منبرك الذى دنسته * بالامس منك كحائض لم تطهر
(وقال آخر) فامنبر دنسته باستافكل (٣) * بزاك ولو طهرته بابن طاهر

﴿باب﴾ الاسجاع عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام البر ثلاثة المنطق والمنظر والصمت فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها وقال على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس والهفاه على طلبة بمائة الف وفرج في جبهة الاسد وقال عمر رضى الله تعالى عنه استغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر * حفص قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعنا الحسن يقول اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة واعصوها فانكم ان أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور اقدعوا كفوا طلعة أى تطلع الى كل شئ حادثوا أى اجلوا واشحذوا والدثور الدروس يقال دثر أثر فلان أى ذهب كما يقال درس وعفا قال فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه وقال الشاعر سمعنا بهجا أوجفت فذكرنه * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر الوجيف السير الشديد يقال وجف الفرس والبعير وأوجفته ومثله الايضاع وهو الاسراع أراد بهجاء أقبلت سرعة ومن الاسجاع قول أيوب بن القرية وقد كان دعى للكلام فاحتبس القول عليه فقال قد طال السمر وسقط القمر واشتد المطر فماذا ينتظر فاجابه فتى من عبد القيس فقال قد طال الارق وسقط الشفق وكثر اللثق فلينطق من نطق اللثق الندى الوحل وقال اعرابي لرجل نحن والله آكل منكم للمأدوم وأكسب منكم للمعدوم وأعطى منكم

(١) هكذا بالاصل ولعله بنكر (٢) هو لاند (٣) هر كاجمد الرعدة فهو على حذف مضاف أى ذى افكل

للمحروم ووصف اعرابى رجلا فقال ان رفدك انضج وان خيرك لسريح وان منعك لمريح سريع بمجل مريح أى مريح من كد الطلب وقال عبد الملك لاعرابى ما أطيب الطعام فقال بكرة سمنة فى قدور ذمة بشفار خدمه فى غداة شبمة فقال عبد الملك وأبيك لقد أطبت وسئل اعرابى نقيل له ما أشد البرد فقال ريح جربيا (١) فى ظل عماء فى غب سماء ودعا اعرابى فقال اللهم انى أسألك البقاء والسماء وطيب الاتاء وحط الاعداء ورفع الاولياء الاتاء الرزق وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الكيسا ووصفت عمة حاجزا للص حاجزا فضلته وقالت كان حاجز لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يحاف ووصف بعضهم فرسا فقال أقبل بزبرة الاسد وادبر بحجز الذئب الزبرة مغرز العنق ويقال الشعر الذى بين كتفيه ووصف بانه محطوط الكفل قال ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان مات فهذا وأشار بيده الى يزيد فان أبى فهذا وأشار بيده الى سيفه فقال معاوية أنت سيد الخطباء قالوا ولما قامت خطباء نذار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام صبرة بن شيمان فقال يا أمير المؤمنين انا حى فعال ولسنا حى مقال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا قال ولما وفد الاحنف فى وجوه أهل البصرة الى عبد الله بن الزبير تكلم أبو حاضر الاسيدى وكان خطيبا جيلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لوددت ان لى بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم قال يا أمير المؤمنين ان لنا ولك مثلا أفتأذن فى ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وأحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان على بن مجاهد عن حميد ابن أبى البحترى قال ذكر معاوية لابن الزبير بيعة يزيد فقال ابن الزبير انى أناديك ولا أناجيك أن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم وتفكر قبل أن تندم فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم فضحك معاوية ثم قال تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبران فى دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك ثم أخذ بيده فاجلسه معه على السرير أخبرنا ثمامة بن اشرس قال لما صرفت اليمانية من أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجوه الى الصحارى كتب اليهم ابو الهيذام الى بنى أسنها أهل مزة ليمسينى الماء أو لتصبحكم الخيل قال فوافاهم الماء قبل أن يعتموا أى يصيرون فى وقت عتمة الليل وعتمة ظلامه يقال عتم الليل يعتم اذا أظلم واعتم الناس صاروا فى وقت العتمة فقال أبو الهيذام الصدق ينبى عنك لا الوعيد وحدثنى ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال لما بايع الناس يزيد

(١) هى الشمال أو الريح بين الجنوب والصبا

ابن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ (١) التحبس وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام وهاهنا مذاهب تدل على اصالة الرأى ومذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال لا أرى كثيرا من الناس يقفون عليها واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان بهذا المنبر فشتم طلحة والزبير فلما نزل قال لابان أرضيتك من المذهبين (٢) فى أمير المؤمنين قال لا والله ولكن سؤتني حسبي أن يكونا شركاء فى أمره فما أدرى أيهما أحسن كلام أبان بن عثمان هذا أم اسحق بن عيسى فانه قال أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على فمدح عليا بكلام سديد غير ناقر ومقبول غير وحشى وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد أهل النار عذابا من قتل نبيا أو قتله نبي يقول لا يتفق أن يقتله نبي بنفسه الا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤهم على معصيته فيقول لا يجوز أن يقتله على الا وهو مستحق للقتل ﴿ خطبة ﴾ من خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر كلمات حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبرة ومن الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار أبو الحسن المدايني قال تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز فقيل له لو زدتنا قال أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باطالة الصلاة وقصر الخطبة محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بني زريق ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم فسلحه اياه ثم قال يا جبير ممن كان النعمان قال من أشلاء (٣) قنص بن معد وكان جبير أنسب العرب وكان أخذ النسب عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب وروى عن بعض ولد طلحة قال قلت لسعيد بن المسيب علمني النسب قال أنت رجل تريد ان تساب الناس قال وثلاثة فى نسق واحد كانوا أصحاب نسب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخذ ذلك عن الخطاب وكان كثيرا ما يقول سمعت ذلك عن الخطاب ولم أسمع ذلك من الخطاب والخطاب بن نفيل ونفيل بن عبد العزى تنافر اليه عبد المطلب وحرب بن أمية ففخر عبد المطلب أى حكم لعبد المطلب والمنافرة المحاكمة قال

(١) هو التأخر (٢) لعله من اذهب بمعنى أزال مضمنا الطا (٣) جمع شلو وهو كل مسلوخ أكل منه شئ وبقى منه بقية عين

والنساب أربعة دغفل بن حنظلة وعمرة أبو ضمضام وصبيح الحنفي وابن الكيس النمري قال الاصمعي دغفل بن حنظلة والنساب البكري وكان نصرانيا ولم يسمه

﴿ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك﴾

قال اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه قائدا فانه ناسخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده قال وأول كلام بارع سمعوه منه الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك خلاد بن يزيد الارقط قال سمعت من يخبرنا عن الشعبي قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن الا تمنيت ان يسكت خوفا من أن يسيء الا زيادا فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما وكان نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمت واذا خرج من عندها تكلم فرأته يوما كذلك فقالت اما عندي فتطرق وأما عند الناس فتنطق قال لاني أدق عن جليلك وتجلين عن دقيقي قال أبو الحسن قال عباس بن الزبرقان بن بدر الى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا فلما جلس لينظر اليها نسب كل فرس منها الى جميع آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر فقال عبد الملك بن مروان عجبي من اختلاف ايمانه أشد من عجبي من معرفته بانساب الخيل وقال كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء القمر والزبرقان والحصين وكانت له ثلاث كنى أبو شذرة وأبو عياش وأبو عباس وكان عياش ابنه خطيبا مارد اشديد العارضة شديد الشكيمة وجيها وله يقول جرير

أعياش قد ذاق القيون (١) مرارتي * وأوقدت نارا فادن دونك فاصطلي

فقال عياش انى اذا المقرور قالوا فغلب عليه

﴿باب أسماء الخطباء والبلغاء والانبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم﴾

كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ونجعل لكل قبيلة منهم خطباءها ونقسم أمورهم بابا بابا على حدته ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في النسب وفضله في الحسب ولكني لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم في الجملة والله المستعان وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله كان الفضل بن عيسى الرقاشي من اخطب الناس وكان متكلما وكان قاضيا مجيدا وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش وكثير من الفقهاء وهو رئيس الفضلية والمه ينسبون وخطب اليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمي فولدت له المعتمر بن سليمان وكان سليمان مباينا للفضل في المقالة فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه فقدما الفضل وكان الفضل لا يركب الا الحمير فقال له عيسى بن حاضر انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك قال لما فيها من المرافق والمنافع قال قلت مثل أي شيء قال لا تستبدن

(١) هو جمع القين وهو الحداد والعبد

بالمكان على قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأكثر تصريفا وأسهل مرتقى وأخفض مهوى وأقل جماحا وأشهر فارها وأقل نظيرا يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه قال وينظر يوما الى حمار واره تحت سالم بن قتيبة فقال قعدة نبي وبذلة جبار قال عيسى بن حاضر ذهب الى حمار عزير والى حمار مسيخ الدجال والى حمار بلعم وكان يقول لو أراد أبو سيارة عميلة بن اعزلة أن يدفع بالموسم على فرس عربي أو جمل مهري لفعل ولكنه ركب عيرا أربعين عاما لانه كان يتأله (١) وقد ضرب به المثل فقالوا أصبح من عير سيار والفضل هو الذي يقول في قصصه سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب قال وحدثني أبو جعفر الصوفي القاص قال تكلم عبد الصمد في خلق البعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة وكان يزيد بن ابان عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي من أصحاب أنس والحسن كان يتكلم في مجلس الحسن وكان زاهدا عابدا وعالما فاضلا وكان خطيبا وكان ناصا مجيدا قال أبو عبيدة وكان أبوهم خطيبا وكذلك جدهم وكانوا خطباء الاكاسرة فلما سبوا وولد لهم الاولاد في بلاد الاسلام وفي جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا في أهل هذه اللغة كمقامهم في أهل تلك اللغة وفيهم شعر وخطب ومازالوا كذلك حتى اصهر الغرباء اليهم ففسد ذلك العرق ودخله الخور (٢) * ومن خطباء اياد قس بن ساعدة وهو الذي قال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت وهو القائل في هذه آيات محكمات مطر ونبات وآباء وأمهات وذاهب وآت ونجوم تمور وبحور لا تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع وليل داج وسماء ذات أبراج مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم حبسوا فناموا وهو القائل يا معشر اياد أين ثمود وعاد وأين الاباء والاجداد أين المعروف الذي لم يشكر والظلم الذي لم ينكر أقسم قس قسما بالله ان لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا وانشدوا له هذه

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الاكابر والاصاغر
لا يرجع الماضي ولا * يبقى من الباقين غابر
أيقنت اني لا محاله * حيث صار القوم صاير

ومن الخطباء زيد بن علي بن الحسين وكان خالد بن عبد الله أقرع على زيد بن علي وداود بن علي وأيوب بن سلمة المخزومي وعلي بن محمد بن عمر بن علي وعلي بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن

(١) التأله التعبد (٢) الخور الضعف

عوف فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال أحلف لك قال واذا حلفت أصدقك قال زيد اتق الله قال أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله قال زيد لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولا دون أن يوصى بتقوى الله قال هشام بلغني انك تريد الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن أمة واسحاق عليه السلام ابن حرة فأخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فعندها قال له قم قال اذا لا ترانى الا حيث تكره ولما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى هشام لا يسمع من هذا الكلام منك أحد وقال محمد بن عمير ان زيدا لما رأى الارض قد طبقت جورا ورأى قلة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة أحب المنيات اليه وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجى (١) * تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

قال وكثيرا ما ينشد شعر العبسى فى ذلك

ان الحكيم من لم يرتقب حسبا * أو يرهب السيف أو حد القنا جنفا (٢)
من عاذبا لسيف لاقى فرصة عجبا * موتا على عجل أو عاش منتصفا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال وكلف آل أبى طالب ان يبرؤا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز فى كلامه ثم جلس ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأطنب فى كلامه وكان شاعرا بينا وخطيبا لسنا فانصرف الناس وهم يقولون ابن الطيار أخطب الناس فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال لو شئت أن أقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فأعجب الناس ذلك منه ومن أهل الدهاء والنكراء ومن أهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة هند بنت الخس وهى الزرقاء وجعثة بنت حابس ويقال ان حابسا من اياد وقال عامر بن عبد الله لفزارى جمع بين هند وجعثة فقال لجعثة أى الرجال أحب اليك قالت الشنق (٣) الكبد الظاهر الجلد الشديد الجذب بالمسد فقيل لهند أى الرجال أحب اليك قالت القريب الامد الواسع البلد الذى يوفد اليه ولا يفد وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت من جعل بؤسا كاذى وقد ضرب بها المثل فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة

وكنز بن جدعان دلالة أمه * وكانت كبنت الخس أو هى أكبر

وقال ابن الاعرابى يقال بنت الخس وبنت الخص وهى الزرقاء وبنت الخسف وقال يونس

(١) هو الحفا أو أشد منه (٢) جمع مروة وهى الحجارة (٣) هو شديد الشوق

لا يقال الا بنت الاخس وهى الزرقاء وقال أبو عمرو بن العلاء ذاهيتا نساء العرب هند الزرقاء وبنت الزرقاء وهى زرقاء اليمامة قال القيطرى قيل لعبد الله بن الحسن ما تقول فى المراء قال ما عسى أن أقول فى شئ يفسد الصداقة القديمة و يحتل العقدة الوثيقة وان كان لا قل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتاه السائب بن صيفى فقال أتعرفنى يا رسول الله قال كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يشارينى ولا يمارينى قال فتحولت الى زيد بن على فقلت له الصمت خير أم الكلام قال أجزى الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للصبر والله للمماراة أسرع فى هدم المعى من النار فى يبس العرفج ومن السيل فى الحدور وقد عرف زيد ان المماراة مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها أقل ضررا من المساكتة التى تورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث علالا وتولد أدواء أيسرها الحى فالى هذا المعنى ذهب زيد ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومى من قريش وأبو حاضر وسالم وقد تكلم عند الخلفاء ومن خطباء بنى اسيد الحكم ابن يزيد بن عمير وقد رأس ومن أهل اللسن منهم والبيان الحجاج بن عمير بن زيد ومن الخطباء سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية قال وقيل لسعيد بن المسيب من أبلغ الناس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له ليس عن هذا نسألك قال معاوية وابنه وسعيد وابنه وما كان ابن الزبير يريد ونهم ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما وهم لا يحفظون لسعيد بن العاصى وابنه من الكلام الا ماله بال وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط وكان اسود نحيفا وكان يقال له عكة العسل وقال الحطيئة

سعيد فلا يغررك قلة لحمه * تخدد(١) عنه اللحم وهو صليب

وكان أول من خشن (٢) الابل فى نفس عظم الانف وكان فى تدبيره اضطراب وقال قائل من أهل الكوفة يا ويلتا قد ذهب الوليد * وجاءنا مجوعا سعيد * ينقص فى الصاع ولا يزيد

قال والامراء تحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ما قصروا كما سأل الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ولذلك اختلف أسماء المكاييل كالزيادى والفائج والخالدى حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم ثم من الخطباء عمرو بن سعيد وهو الاشدق يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه فى الكلام وقال آخرون بل كان أفتم سائل الذقن ولذلك قال عبيد بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية يدك عنه يا لطيم الشيطان و يا عاصى الرحمن

وقال الشاعر

وعمرو لطيم الجن وابن محمد * بأسوأ هذا الامر ملتبسان

ذكر ذلك عن عوانة وهذا خلاف قول الشاعر

تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبالك أشدق

(١) يقال تخدد لحمه اذا نزل نقص (٢) أى جعل فى انفها الخشاش ونحوه يجعل فى أنف البعير

قال وكان معاوية قد دعا به في غلمة من قريش فلما استنطقه قال ان أول كل مركب صعب وان مع اليوم غدا وقال له الى من أوصى بك أبوك قال ان أبي أوصى الى ولم يوص بي قال وبأي شئ أوصاك قال بان لا يفقد اخوانه منه الا شخصه قال فقال معاوية عند ذلك ان ابن سعيد هذا الاشدق فهذا يدل عندهم على انه انما سمي بالاشدق لكان التشادق ثم كان بعد عمرو بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد وكان ناسبا خطيبا وأعظم الناس كبرا وقيل له عند الموت ان المريض ليستريح الى الانين والى أن يصف ما به الى الطبيب فقال

أجاليد من ريب المنون فلا ترى * على هالك عينا لنا الدهر تدمع

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس فتبسم عبد الملك وقال لقد رجوت عثرته ولقد أحسن حتى خفت عثرته فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب ومن الخطباء سهيل بن عمر والاعلم أحد بني حسل بن معيص وكان يكنى أبا يزيد وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام وكان عمر رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا أمثل فيمثل الله بي وان كنت نبيا دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يمت وقد علمتم اني أكثركم قتيلا في بر وجارية في بحر فأقروا أميركم وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليكم فسكن الناس وهو الذي قال يوم خرج اذن عمرو هو بالباب وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان فقال الآذن أين بلال أين صهيب أين سلمان أين عمار فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل لم تتمعر وجوهكم دعوا دينا فاسرعوا واعطانا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * ومن الخطباء عبد الله بن عروة بن الزبير قالوا وكان خالد بن صفوان يشبهه به وما علمت انه كان في الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذي يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما وما علمنا ان أحدا ولد لهما حرفا واحدا ومن النساابين من بني العنبر ثم من بني المنذر الخنف بن زيد بن جعونة وهو الذي تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له متى عهدك بسجاح أم صادر فقال له مالي بها عهد منذ أضلت أم حلس وهي بعض أمهات دغفل فقال له أنشدتك بالله أنحن كالكم أكثر غزوا في الجاهلية أم أنتم لنا قال بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا في فدائه خدر أمه وغزانا أكثركم غزوا وأنهبكم في ذلك ذكرا فاعرجناه ثم أرجلناه فقال ابن عامر أسألكما بالله لما كففتما وكان عبد الله بن عامر وصعب ابن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس فكان يغريان بين الوجوه وبين العلماء فلا حرم

انهما كانا اذا سبا أوجعا وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ثم عمر ثم جبير ابن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ومحمد هو الذى نفى الى عنكة المخزومين (١) فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد وكان ينشد

ويربوع بن عنكة ابن أرض * واعقه هبيرة بعد حين

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى ومن النسابين العلماء عتبة بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكان من ذوى الرأى والدهاء وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة فى الشرف وكان هو والساعى بين الازد وتميم فى الصلح ومن بنى الحرقوس شعبة بن القلعم وكان ذا لسان وجواب عارضة وكان وصافا فصيحا وبنوه عبد الله وعمرو خالد كلهم كانوا فى هذه الصفة غير ان خالدا كان قد جمع بين بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف وكان الحجاج لا يصبر عنه ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم أبو بكر بن الحكم كان نسابا راوية شاعرا وكان أعلى الناس لسانا وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا وهو الذى يقول له رؤبة لقد خشيت أن تكون ساحرا * راوية طورا وطورا شاعرا

ومنهم معلل بن خالد أحد بنى أغار بن الهجيم وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا وذكر للمنتجع بن نبهان فقال كان لا يجارى ولا يمارى ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب أبو الخنساء عباد بن كسيب وكان شاعرا علامة وراوية نسابة وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور (ومنهم) عمرو بن خولة كان نسابا خطيبا وراوية فصيحا من ولد سعيد بن العاصى والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو اسحق بن يحيى بن طلحة وكان يحيى ابن عروة بن الزبير نسابا عالما ضربه ابراهيم بن هشام المخزومى والى المدينة حتى مات لبعض القول وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت نسابا عالما ومن ولده الزبيرى عامل الرشيد على المدينة واليمن (ومنهم) ثم من قريش محمد بن جعفر بن حفص وهو ابن عائشة ويكنى أبا بكر وابنه عبيد الله كان يجرى مجراه يكنى أبا عبد الرحمن ومن خزاعة بن مازن أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء بن عمار بن العريان فأما أبو عمرو فكان اعلم الناس بامور العرب مع صحة سماع وصدق لسان وحدثنى الاصمعى قال جلست الى أبى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامى قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت ان آمر فتياننا برواياته يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما وحدثنى أبو عبيدة قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس وكان داره خلف دار جعفر بن سليمان قال وكانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه وكان غاية اخباره عن اعراب قد أدركوا الجاهلية وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

(١) هكذا هو بالاصل ولعل فيه تحريفا

مازلت أفتح أبوابا وأغلقها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذى لا يشك فى خطابته وبلاغته وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس وقال فى أبى عمرو مكى بن سوادة

الجامع العلم نسماه ويحفظه * والصادق القول ان اندده كذبوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسبا وكلاهما كناهما اسماؤهما وكذلك أبو عمرو بن لبيد وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة وكان عقيل بن أبى طالب ناسبا عالما بالامهات بين اللسان شديد الجواب لا يقوم له أحد وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوى ناسبا شديد العارضة كثير الذكر للامهات بالمثال ورؤساء النساء بين دغفل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمرى ومن نسابى كلب بن محمد بن السائب وهشام بن محمد بن السائب وشرقى بن القطامى وكان أعلاهم فى العلم ممن ضربت به المثل حماد بن بشر قال سماك العكلى

فسائل دغفلا وأخا هلال * وبخبرا ينبئوك اليقينا

وقد ذكرنا دغفلا وأخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال حى من النمر بن قاسط وقال مسكين بن أنيف الدارمى فى ذلك

وعند الكيس النمرى علم * ولو أمسى بمخرق الشمال

وقال ثابت قطنة فما العضان لو سئلا جميعا * أخو بكر وزيد بنى هلال

ولا الكلبى حماد بن بشر * ولا من فاد فى الزمن المحوالى

وقال زياد الاعجم بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا * أو جدت فى شيبان نسبة دغفل

ان الاحابين والذين بلونهم * شر الانام ونسل عبد الاعزل

يهجو فيها بنى الخنساء ومنهم اياس النمرى كان أنسب الناس وهو الذى قال كانوا يقولون أشعر العرب أبو داود الايادى وعدى بن زيد العبادى وكان أبو نوفل ابن أبى عقرب علامة ناسبا خطيبا فصيحا وهو رجل من كنانة أحد بنى عريج ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ثم من بنى الشداخ يزيد بن بكر بن داب وكان يزيد عالما ناسبا وراوية شاعرا وهو القائل

الله يعلم فى على علمه * وكذاك علم الله فى عثمان

وولد يزيد يحيى وعيسى هو الذى يعرف فى العامة بابن داب وكان من أحسن الناس حديثا وبيانا وكان شاعرا راوية وصاحب رسائل وخطب وكان يجيدها جدا ومن آل داب حذيفة ابن داب وكان عالما ناسبا وفى آل داب علم بالنسب والخبر وكان أبو الاسود الدؤلى واسمه ظالم ابن عمرو بن جندل بن سفيان خطيبا عالما وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة

اللسان

اللسان وقول الشعر والظرف وهو يعد في هذه الاصناف وفي الشيعة وفي العرجان وفي المفاليج وعلى كل شئ من هذا شاهد سيقع في موضعه ان شاء الله تعالى وقال الخس لا بنته هند أريد شراء فحل لابلي قالت ان اشتريته فاشتره اسجح الخدين غاير العينين أرقب أخرم اعكى أكوم ان عصى غشم وان أطيع تجرثم وهي التي قالت لما قيل لها ما حملك على ان زنيت بعبدك قالت طول السواد وقرب الوساد السواد السرار أسجح سهل واسع يقال ملكت فاسجح أرقب غليظ الرقبة أخرم منتفخ موضع المخرم أعكى العكوة مغرز الوركين في المؤخر تصفه بشدة الوركين ان عصى غشم ان عصته الناقة غصبها نفسها تجرثم أي بقي مأخوذ من الجرثومة وهي الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها تصفه بالصبر والقوة على الضراب أكوم عظيم السنام وقال الشاعر في السواد

ويفهم قول المحكل لوان درة * تساود أخرى لم يفته سوادها

يقال في لسان فلان حكلة اذا كان شديد الحمة مع لثغ قالوا وعاتب هشام بن عبد الملك زيد ابن علي فقال له بلغني عنك شئ فقال يا أمير المؤمنين أحلف لك قال واذا حلفت لي أصدقك قال نعم ان الله لم يرفع أحدا فوق الا يرضى به ولم يضع أحدا دون الا يرضى منه به كان زياد بن ظبيان التيمي العايشي خطيبا فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه قال ألا أومي بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس وهو الذي أتى باب ملك بن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره وقد كان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس فأشرف عليه ملك فقال مهلا يا أبا مطر فوالله ان في كانتي سهم أنا به أوثق مني بك قال وانك لتعدني في كانتك فوالله لوان قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها قال ملك مهلا أكثر الله في العشيرة مثلك قال لقد سألت الله شططا ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد ان أتاه برأس مصعب بن الزبير ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل فأراد أن يقعد معه على سريره فقال له عبد الملك ما بال الناس يزعمون انك لا تشبه أباك قال والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن ان شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه قال ومن ذاك قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه الارحام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال ومن ذاك قال ابن عمي سويد بن منجوف قال عبد الملك أوكذلك أنت يا سويد قال نعم فلما خرج من عنده أقبل عليه سويد فقال وريت بك زنادي والله ما يسرني انك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وان لي حمر النعم قال وأنا والله ما يسرني بحلمك اليوم عني سوء النعم قال وأتى عبيد الله عتاب بن ورقاء وعتاب على أصبهان فأعطاه عشرين ألف درهم فقال والله ما أحسنت فأحمدك ولا أسأت فأذمك واني لاقرب البعداء وأبعد القربا قال وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان قال استكت

فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان اذا تكلمت الخوارج فما ظنك به لا غيره رجل مثل عبيد الله بن زياد و يضرب به المثل وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان فى الخطب وأولى من كل دلالة استنطاق على له وكان عثمان بن عروة أخطب الناس وهو الذى قال والشكر وان قل ثمن لكل نوال وان جل وكان ثابت ابن عبد الله بن الزبير من أبين الناس ولم يكن خطيبا وكان قسامة بن زهير أحد بنى رزام بن مازن مع زهده ونسكه ومنطقه من أبين الناس وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه وهو الذى قال روحوا هذه القلوب تعى الذكر وهو الذى قال يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بكرة وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيدا رأى كثيرا لادبا وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء ومن خطباء قريش خالد بن سلمة المخزومى وهو ذو الشفة وقال الشاعر فى ذلك

فما كان قائلهم دغفل * ولا الحيقطان ولا ذو الشفة

ومن خطباء العرب عطارد بن حاجب بن زرارة وهو وكان الخطيب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه الفرزدق بن غالب

ومنا خطيب لا يعاب وحامل * أعزاذا التفت عليه الجماجم

ومن الخطباء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا ولما رجع عن قول المرجئة الى قول الشيعة قال

وأول ما نفارق غير شك * نفارق ما يقول المرجئونا
وقالوا مؤمن من آل جور * وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال * وقد حرمت دماء المؤمنينا

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فك ابن الاشعث ألزمه ابنه (١) يؤدبه و يقومه فقال له يوما كيف ترى ابن اخيك قال ألزمتنى رجلا ان غبت عنه عتب وان أتيته حجب وان عاتبته غضب ثم لزم عمر بن عبد العزيز وكان ذا منزلة منه قالوا وله يقول جرير

يا أيها الرجل المرخى عمامته * هذا زمانك انى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * انى لدى الباب كالمشدود فى قرن
وقد رأيت وفود الحاقنين معا * ومذ وليت أمور الناس لم ترنى

وكان الجارود بن أبى سبرة ويكنى أبا نوفل من أبين الناس وأحسنهم حديثا وكان راوية علامة شاعرا مفلقا وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال ما ظننت ان بالعراق مثل هذا وكان يقول ما أمكننى وال قط من أذنه الا غلبت عليه ما خلا هذا اليهودى يعنى بلال بن

(١) اى جعل معه ابنه ليؤدبه فابنه مفعول ثان لالزم

ابى بردة وكان عليه متحاملا فلما بلغه انه دهق (١) حتى دقت ساقه وجعل الوتر فى خصيته أنشأ يقول

لقد قرعينى ان ساقيه دقتا * وان قوى الاوتار فى البيضة اليسرى
بخلت وراجعت الخيانة والخنا * فيسرك الله المقدس للعسرى
فما جذع سوء ضرب السوس جوفه * يعالجه النجار (٢) يبرى كما تبرى

وانما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون ومن الخطباء الذين لا يضاهون ولا يجارون عبد الله بن عباس قالوا خطبنا بمكة وعثمان رضى الله تعالى عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمنا قال وذكره حسان بن ثابت فقال

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع * لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

وقال الحسن كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرها حرفا حرفا وكان والله متحايلا وكان يسمى البحر وحبر قريش وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال عمر غص عواص ونظر اليه يتكلم فقال * شنشنة أعرفها من أخزم * الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أو جد جده وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم ابى أخزم فأدموه فقال

ان بنى زملونى بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه واحسبه كان به عاقا فهكذا ذكر ابن الكلبى والشنشنة مثل الطبيعة والسجية فأراد عمر رضى الله تعالى عنه انى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقله ويقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس ومن خطباء بنى هاشم أيضا داود بن على وكان يكنى أبا سليمان وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول ويقال انه لم يتقدم فى تحبير خطبة قط وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك خطبته على أهل مكة شكرا شكرا أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا أظن عدو الله ان لم يظفر به أن أرخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الامر فى نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها وعاد النبل الى النزعة ورجع الامر الى مستقره فى أهل بيت نبيكم أهل بيت الرأفة والرحمة ومن خطباء بنى هاشم عبد الله بن الحسن وهو القائل لابنه براهيم أو محمد أى بنى انى مؤديك حق الله فى تأديبك فأد الى حق الله فى حسن الاستماع أى بنى كف الاذى وارفض البذاء واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب واحذر مشورة

(١) الدهق محركة خشبتان يغمز بهما الساق فارسية اشكنجه (٢) هو خبر جذع أى فما الجذع الموصوف بتلك الصفة يبرى ويدق كما تبريك السقام

الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا يوشك الى أن يورطك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل قال الحسن بن خليل كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كل مذهب فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال مالكم تسمعون ولا تعون وتشاهدون ولا تفهمون وتفهمون ولا تتعجبون وتنظرون ولا تبصرون والله انه ليفعل و يقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو امروان وقالوا في الدهر الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء قال فرجع له المأمون بعد ذلك الى الرأى الاول ومن خطباء بني هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر والى مكة قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم امير منذ عقلوا الكلام الا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما وكان داود بن جعفر اذا خطب استحفر (١) فلم يرده شئ وكان في لسانه شبيه بالرثة وكان أيوب فوق داود في الكلام والبيان ولم يكن له مقامات داود في الخطب وقال عيسى بن اسحاق لداود بن جعفر بلغني ان معاوية قال للنحار ابن أوس أبغني محدثا قال ومن يا أمير المؤمنين تريد محدثا قال نعم استريح منك اليه ومنه اليك وأنا لا أستريح الى غير حديثك ولا يكون صمتك في حال من الحالات أوفق لي من كلامك وكان اسماعيل بن جعفر من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا ومن خطباء بني هاشم جعفر بن حسن بن الحسين بن علي وكان أحد من ينازع زيدا في الوصية فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوبتهما فقط وجماعة من ولد العباس في عصر واحد لم يكن لهم نظراء في اصالة الرأى وفي الكمال والجلالة وفي العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الاخبار وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك منهم عبد الملك بن صالح قال وسأله الرشيد وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان فقال له كيف رأيت أرض كذا وكذا قال مسافي (٢) ريح ومنابت شيح قال فأرض كذا وكذا قال هضاب حمر وبراث عفر قال حتى أتى على جميع ما أراد قال فقال عيسى لسليمان والله ما ينبغي لنا أن نرتضي لانفسنا بالدون من الكلام الهضبة الجبل ينبسط على الارض وجمعها هضاب والبراث الاماكن اللينة السهلة واحدها برث وقوله عفر أى حمرتها كحمرة التراب والظبي الاعفر الاحمر لان حمرته كذلك والعفر والعفر التراب ومنه قيل ضربه حتى عفره أى ألحقه بالتراب ومن هؤلاء عبد الله بن صالح والعباس بن محمد واسحق بن عيسى واسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر هؤلاء كانوا أعلم بقريش و بالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار

(١) أى مضى مسرعا (٢) جمع مسفى وهو محل هبوب الريح

وكان

وكان ابراهيم بن السندى يحدث عن هؤلاء بشئ هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤالف المزور وكان عبد الله بن على وداود بن على يعدلان بأمة من الامم ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى فاما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث وكان لا يعد وحديث ابن الكلبى والهيثم وأما ابراهيم فانه كان رجلا لا نظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان نحويا عروضيا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا وكان فخم الالفاظ شريف المعانى وكان كاتب القلم كاتب العمل وكان يتكلم بكلام رؤبة ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروخ الاعور وكان منجما طبيبا وكان من رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة وبرجال الدعوة وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر ومن خطباء تميم بجدب وكان خطيبا راوية وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه فقال جرير

قبح الاله ولا يقبح غيره * بظرا تفلق عن مفارق جحدب

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال والله ما أنت من حنظلة الاكرمين ولا سعد الاكثرين ولا عمرو الاسدين وما فى تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحدب والله انك لمن قريش وما أنت من بيتها ولا بيوتها ولا من شوارها (١) وخلافتها ولا من أهل سدافتها (٢) وسقايتها وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدرى فانه قال له هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبدارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت ومن ولد المنذر عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن هبيرة بن المنذر وكان فقيها عالما قاضيا وكان راوية شاعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر الجواب مفوها (٣) وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبى وكان يكنى أبا شبرمة وقال يحيى بن نوفل

لما سألت الناس أين المكرمه * والعز والجرثومة المقدمه

وأين فاروق الامور المحكمه * تتابع الناس على ابن شبرمه

وابن شبرمه الذى يقول فى أبى ليلى

وكيف ترجى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم فى نفسكا

فتزعم انك لابن الجلاح * وهيهات دعواك من أصلكا

قال وقال رجل من فقهاء المدينة من عندنا خرج العلم قال فقال ابن شبرمه نعم ثم لم يرجع اليكم قال وقال عيسى بن موسى دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا فقال ابن شبرمه أصلح الله الامير هل لك فى رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملح طلبا ولا بالممعن هربا وسئل عن رجل فقال ان له شرفا وبيتا وقدما ونظروا فاذا هو ساقط من السفلة فقيل له فى ذلك فقال ما كذبت شرفه أدناه وقدمه التى يمشى عليها ولا بد من أن يكون بيت يأوى اليه

(١) هو بالفتح الحسن (٢) هو كذلك بالاصل ولعله سدانتها ولى حجابة البيت (٣) هو كمعظم المنطيق

قال ابو اسحاق بل كذبت انما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال هو يبيع الدواب فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير فلما سئل عن ذلك قال ما كذبت لان السنور دابة قال أبو اسحق بل لعمري لقد كذبت وهذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة فقال رزين الجلاس نافذ الطعنة فحسبوه سيدا فارسا فنظروا فوجدوه خياطا فسئل عن ذلك فقال ما كذبت انه لطويل الجلوس جيد الطعن بالابرة فقال أبو اسحاق بل لعمري لقد كذب لانه قد غرهم منه وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف فلما بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة فلما قيل له في ذلك قال ما كذبت لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه حتى عد جميع أعضائه وجوارحه ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره وذلك مما لا يحل في دين ولا يحسن في الحرية وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لا تكون صدقا وأدنى منازل هذا الخبر لا يسمى صدقا فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول ومن الخطباء المشهورين في العوام والمقدمين في الخواص خالد بن صفوان الاهتمي زعموا جميعا انه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ففخر عليه ناس من بالحارث بن كعب وأكثروا في القول فقال أبو العباس لم لا تتكلم ياخالد فقال أخوال أمير المؤمنين وعصبته قال فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته قال خالد وماعسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قردوراكب عرد (١) دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام انه للراوية الحافظ والمؤالف المجيد ولئن كان هذا شيأ حضره حين جلس وبسط فاله نظير في الدنيا فتأمل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليماني بلسان سحبان وائل حولا كريتا (٢) ثم صلك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شئ سلف من منطقه قال مكي بن سوادة في صفته له

عليم بتنزيل الكلام ملقن * ذكور لما سداه أول أولا
يبذ قريع (٣) القوم في كل محفل * وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله * كانهم الكروان عاين أجدلا

الكروان جمع كروان وهو ذكر الحبارى والاجدل الصقر وكان يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون في هذه الصناعة وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل يا أبا صفوان قال وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ما عمود الجمال فقال الطول ولست

(١) هو الحمار (٢) عبارة القاموس سنة كريت تامة (٣) هو كفصيل السيد

بطويل ورداؤه البياض ولست بأبيض ورنسه سواد الشعر وأنا أشمط ولكن قولى انك لمليح ظريف وخالد يعد فى الصلعان ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين وكان الازهر بن عبد الحارث بن ضرار ابن عمرو الضبى عالما ناسبا ومن خطباء بنى ضبة حنظلة بن ضرار وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل وقيل له ما بقى منك قال أذكر القديم وأنسى الحديث وآرق بالليل وأنام وسط القوم ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم مشجور ابن غيلان ابن خرشة وكان مقدما فى المنطق وهو الذى كتب الى الحجاج انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فانرى ان آخذ قال أرى ان تأخذ الذهب فذهب عنهما ربا ثم قتله بعد وذكره القلاخ بن حزن المنقرى فقال

امثال مشجور قليل ومثله * فتى الصدق ان صفقته كل مصفق
وما كنت أشريه بدنيا عريضة * ولا بابن خال بين غرب ومشرق
اذا قال بذ القائلين مقاله * ويأخذ من أكفائه بالتخنق

* ومن خطباء الخوارج قطرى بن الفجاءة وله خطبة طويلة مشهورة وكلام كثير محفوظ وكانت له كنيتان كنية فى السلم وهو أبو محمد وكنية فى الحرب وهو أبو نعامة وكانت كنية عامر بن الطفيل فى الحرب غير كنيته فى السلم كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل وفى السلم بأبى على وكان يزيد بن مزيد يكنى فى السلم بأبى خالد وفى الحرب بأبى الزبير وقال مسلم بن الوليد الانصارى

لولا سيوف أبى الزبير وخيله * بشر الوليد لسيفه الضحاكا

وفيه يقول

لولا يزيد ومقدار له سبب * عاش الوليد مع الغاوين اعواما
لكن الخليفة سيف من بنى مطر * يمضى فيخترق الارواح والهاما
اذا الخلافة عدت كنت انت لها * عزا وكان بنو العباس حكاما

الا تراه قد ذكر قتل الوليد وقد كان خالد بن يزيد اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى

* ومن خطباء الخوارج ابن صديقة وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل * ومن علماء الخوارج شبيل بن عزرة الضبعى صاحب الغريب وكان راوية خطيبا وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا ومن علماء الخوارج الضحاك بن قيس الشيبانى ويكنى ابا سعيد وهو الذى ملك العراق وسار فى خمسين الفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان ابن هاشم بن عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

وكان ابن عطاء الليثى يسامر الرشيد وكان صاحب أخبار واسمار وعلم بالانساب وكان أظرف الناس وأحلاهم وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز راوية ناسبا وعالما بالعربية

فصيحا وكان عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وافصحهم وكان مسلمة بن عبد الملك يقول انى لانحى كور العمامة عن اذنى لاسمع كلام عبد الاعلى بن عبد الله قال وقال بعض الامراء وأظنه بلال بن أبى بردة لابى نوفل الجارود بن أبى سبرة ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذا كنتم عنده قال يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه فيقول ما عندك فيقول عندى لون كذا وجدى كذا ودجاجة كذا ومن الحلو كذا قال ولم يسأل عن ذلك قال ليقصر كل رجل عما لا يشتهى حتى يأتيه ما يشتهى ثم يأتون بالخوان فيتضايق وتتسع و يقصر ونجتهد فاذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرور قال والجارود هو الذى قال سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وهو الذى قال عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر و يجلو البصر و يجلب الخبر وجمع بين ربيعة ومضر قال وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى وشخص يزيد بن عمر بن هبيرة الى هشام بن عبد الملك فتكلم فقال هشام ما مات من خلف مثل هذا فقال الابرش الكلبى ليس هناك أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره قال يزيد ما لذلك رشح ولكن لجلوسك فى هذا الموضع وكان الابرش ثلابة نسابة وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك فلما أفضت اليه الخلافة سجد ويجد من كان عنده من جلسائه والابرش شاهد لم يسجد فقال له هشام ما منعك ان تسجد يا أبرش قال ولم أسجد وانت اليوم مى ما شئت وغدا فوقى طائرا قال فان طرت بك مى قال أتراك فاعلا قال نعم قال فالآن طاب السجود قال دخل يزيد بن عمر على المنصور وهو يومئذ أمير فقال أيها الامير ان عهد الله لا ينكث وعقده لا يحل وان امارتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال يا أمير المؤمنين كانت عدتك أرفع من جائزتك وهو يتبسم قال سهل فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له ان هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه قال وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى من أخطب الناس قال أنا قال ثم من قال سيد جذام يعنى روح ابن زنباع قال ثم من قال أخيفش ثقيف يعنى الحجاج قال ثم من قال أمير المؤمنين قال ويحك جعلتنى رابع أربعة قال نعم هو ما سمعت ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعدهم عمران بن حطان ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم حبيب بن خدرة الهلالى وعداده فى بنى شيبان وممن كان يرى رأى الخوارج أبو عبيدة النحوى معبد بن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلم منه وممن كان يرى رأى الخوارج الهيثم بن عدى الطائى ثم البحترى وممن كان يرى رأى الخوارج شعيب بن رباب الحنفى أبو بكار صاحب أحمد بن أبى خالد ومحمد بن حسان السكسكى ومن

الخوارج من علمائهم ورواتهم مسلم بن كرزين وكنيته أبو عبيدة وكان أباضيا ومن علمائهم الصفرية وممن كان متقنعا في الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا مليل وأظنه من بني ثعلبة ومن أهل هذه الصنعة أصفر بن عبد الرحمن من اخوال طوق بن مالك ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم المقعطل قاضي عسكر الازارقة أيام قطري ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم عبيدة بن هلال اليشكري وكان في بني السمين ومن بني شيبان خطباء العرب وكان فيهم ذلك فاشيا ولذلك قال الاخطل

فاين ابن السمين الا يقوم خطيبها * واين ابن ذي الجدين لا يتكلم

وقال سحيم بن حفص كان يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيباني من اخطب الناس عند يزيد ابن الوليد فأمر للناس بعطاءين * ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فأحسن قال فلما جلس تلهيع (١) في كلامه فقال له ما أظرفك قائما وأموقك (٢) قاعدا قال اني اذا قمت جددت واذا قعدت هزلت قال ما أحسن ما خرجت منها * ومن خطباء عبد القيس مصقلة بن رقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة والعرب قد ذكروا من خطب العرب المجوز وهي خطبة لآل رقبة ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها والعذراء وهي خطبة قيس بن خارجة لانه كان اباعذرها والشوهاء وهي خطبة سحبان وائل وقيل ذلك لها من حسنها وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب وكان أبو عمار الطائي خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر وكان شديد العربدة قتالا للندماء فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادمته فلما قتله رثاه فقال

انى نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمنن أحمر العينين والشعره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بشارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشي اليمنة الحبره

وقال الاصمعي هو كقوله

ومنطق خرق بالعواسل * لذكوشي اليمنة المراجل

قال وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال انه لمانع لحوزته مطاع في أذينه قال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني يا رسول الله في شرف فقصر بي فقال عمرو هو والله زمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز

(١) تلهيع في كلامه أفرط (٢) ماق معنى حمق

وكانت حاجته فى قضائها مشقة قال فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأنى لها فقال عمر والله ان هذا لسحر الحلال ومن أصحاب الاخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة وكان القاضى قبل أبى يوسف ومن أصحاب الاخبار والآثار أبو هنيدة وأبو نعامة العدويان * ومن الخطباء أيوب بن القرية وهو الذى لما دخل على الحجاج قال ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة مصروف كأنهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف ثم قال له فى بعض ما يقول أقلنى عثرتى واسغنى ريق فانه لابد للجواد من كبوة وللسيف من نبوة وللحليم من هفوة قال كلا والله حتى أوردك جهنم ألست القائل برستقاباذ تغدو الجدى قبل أن يتعشاكم قال ومن خطباء غطفان فى الجاهلية خويلد بن عمرو العشراء ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة وخويلد خطيب يوم الفجار ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان الوضاح ابن خيثمة ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات بنو الكوا واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال

كلا ناشاعر من حى صدق * ولكن الرحى فوق الثقال(١)
وحكم دغفلا وارحل اليه * ولا ترح المطى من الكلال
تعال الى بنى الكوا يقضوا * بعلمهم بانساب الرجال
تعال لى ابن مذعور وشهاب * ينبئ بالسوافل والعوالى
وعند الكيس النمرى علم * ولو أضحى بمخرق الشمال

ومن الخطباء القدماء كعب بن لوئ وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة خاصة على البر فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لوئ الى عام الفيل ومن الخطباء الابناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة شبيب بن شيبة وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور وقد كان المنصور أقام صالحا فتكلم فقال شبيب ما رأيت كاليوم أبين بيانا ولا أجود لسانا ولا أربط جنانا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا ولا أغمض عروقا من صالح وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدى أخاه أن يكون كما قال زهير

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * نالا الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليف فمثله لحقا
أو سبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

قال وخرج شبيب من دار الخلافة يوما فقال له قائل كيف رأيت الناس قال رأيت الداخل راجيا والخارج قال راضيا وقال خالد بن صفوان اتقوا مجانيق الضعفاء يريد الدعاء قال وقال شبيب بن شيبة اطلب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجالس وقال شبيب للمهدى يوما أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك وأرى الله

(١) العشار بالفتح البعير البطىء

بنيك فيك ما أراك فى أبيك وقال أبو الحسن قال زيد بن على بن الحسين اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان فى ترك ما لا يعنيك درك ما يعنيك وانما تقدم على ما قدمت ولست تقدم على ما أخرت فاترما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا أبو الحسن عن ابراهيم بن سعد قال قال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة أبو الحسن قال كان أبو بكر خطيبا وكان عمر خطيبا وكان عثمان خطيبا وكان على خطيبا وكان من الخطباء معاوية ويزيد وعبد الملك ومعاوية بن يزيد ومروان وسليمان بن الوليد والوليد بن يزيد والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ومن خطباء بنى هاشم زيد بن على وعبد الله بن حسن وعبد الله بن معاوية خطباء لا يجارون ومن خطباء النساك والعباد الحسن بن أبى الحسن البصرى ومطرف بن عبد الله الحرشى وورق العجلى وبكر بن عبد الله المزنى ومحمد ابن واسع الازدى ويزيد بن أبان الرقاشى ومالك بن دينار السامى وليس الامر كما قال فى هؤلاء لقاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز فاما الخطب فانا لا نعلم أحدا يتقدم الحسن البصرى فيها وهؤلاء وان لم يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم أبو الحسن قال حدثنى أبو سليمان الحميرى قال كان هشام بن عبد الملك يقول انى لاستصفق العمامة الرقيقة أن تكون على أذنى اذا كان عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر يتكلم مخافة أن يسقط عنى من حديثه شئ ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان أبو البلاد وكان راوية ناسبا ومنهم هاشم بن عبد الاعلى القرارى * ومن الخطباء حفص بن معاوية الغلابى وكان خطيبا وهو الذى قال حين أشرك سليمان بن على بينه وبين مولى له على دارة القتب قال حفص أشركت بينى وبين غير الكفى وولية تنى غير السنى ومن بنى هلال بن عامر زرعة بن ضمرة وهو الذى قيل له لولا غلوفيه ما كان كلامه الا الذهب وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية يا أهل الشام هذ خالى فأتونى بخال مثله وكان ابنه النعمان بن زرعة بن ضمرة من أخطب الناس وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الاشعث بالكلام اللطيف قال سحيم بن حفص ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى تكلم هو وعبد الله بن الاهتم عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه وقال سحيم فقال قائل يومئذ الخل الحامض ما لم يكن ماء * ومن خطباء بنى تميم عمرو بن الاهتم وكان يدعى المكحل لجماله وهو الذى قيل فيه انما شعره حلل منشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ما شاءت ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه ومن بنى منقر عبد الله بن الاهتم وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات ومن الخطباء صفوان بن عبد الله ابن الاهتم وكان خطيبا رئيسا وابنه خالد بن صفوان وقد وفد الى هشام وكان من سمار أبى العباس ومنهم عبد الله بن عبد الله بن الاهتم قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم وعبد الله بن عبد الله ابن عبد الله بن الاهتم وخاقان بن الاهتم وهو عبد الله بن عبد الله ابن عبد الله الاهتم ومن

خطبائهم محمد الاحول بن خاقان وكان خطيب بني تميم وقد رأيته وسمعت كلامه ومن خطبائهم معمر بن خاقان وقد وفد ومن خطبائهم مؤمل بن خاقان وقال أبو الزبير الثقفي ما رأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان ومن خطبائهم خاقان بن المؤمل بن خاقان وكان صباح بن خاقان ذا علم وبيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام لحق الجار ومن بني منقر الحكم بن النضر وهو أبو العلاء المنقري وكان يصرف لسانه حيث شاء من جهارة واقتدار ومن خطباء بني صريم ابن الحارث الخزرج بن الصدى ومن خطباء بني تميم ثم من مقاعس عمارة بن أبي سليمان ومن ولد بني مالك بن سعيد بن عبد الله وخير أبناء حبيب كانا ناسبين عالمين أديبين دينين ومن ولد مالك بن سعيد عبد الله والعباس أبناء رؤبة وكان العباس علامة عالما ناسبا راوية وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم وكان يكنى أبا الشعثاء وهو الحجاج ومن أصحاب الاخبار والنسب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم جبير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ثم قتادة وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة المسعودي الذي قال في كلمات له في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضى الله عنه

فسا تراب الارض منه خلقتما * وفيه المعاد والمصير الى الحشر
ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما * فاحشى الانسان شرا من الكبر
فلو شئت أولى فيكما غير واحد * علانية أو قال عندي في سر
فان أنا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشري

وهو الذي قيل له كيف تقول الشعر مع النسك والفقه فقال ان المصدور لا يملك أن ينفث وقد ذكر المصدور (١) أبو زبيد الطائي في صفة الاسد فقال

للصدر منه عويل فيه حشرجة (٢) * كأنما هو من أحشائه مصدور

ومن خطباء هذيل أبو المليح الهذلي أسامة بن عمير ومنهم أبو بكر الهذلي كانا خطيبا قاصا وعالما بينا وعالما بالاخبار والآثار وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال لنا الساج والعاج والديباج والخراج والنهر الحجاج

﴿باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان﴾

قالوا أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبي حية وهو الذي يقال له غرى سلمة * ومنهم ومن خطباء عمان مرة بن فهم التليد وهو الخطيب الذي أوفده المهلب الى الحجاج ومن العتيك بشر بن المغيرة بن أبي صفرة وهو الذي قال لبني المهلب يا بني عمي اني والله قد قصرت عن

(١) هو الذي أصيب صدره (٢) هي الغرغرة عند الموت وتردد النفس

شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأنى لست موصولا ولا محرما فعدونى امرأ خفتم لسانه أو رجوتم شكره وانى وان قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شقى الحميرى كان أخطب العرب ومنهم ثم من الانصار قيس بن الشماس ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم روح بن زنباع وهو الذى لما هم به معاوية قال لا تشمتن بى عدوا أنت وقمته (١) ولا تسوأن بى صديقا أنت سررته ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته هلا أتى حلمك واحسانك على جهلى واساءتى ومن خطبائهم الاسود بن الكذاب كعب العنسى وكان طليحة خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا ناسبا وكان مسيلمة الكذاب بعيدا من ذلك كله وثابت بن قيس بن شماس هو الذى قال لعامر حين قال أما والله لئن تعرضت لعنى (٢) وفنى (٣) وذكاء سنى لتولين عنى فقال له ثابت أما والله لئن تعرضت لسبابى وشبابى انيابى وسرعة جوابى لتكرهن جنابى قال فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكفيك الله وابناء قيله وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا اتهمه ومن خطباء الانصار سعد بن الربيع وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها من أنت فقالت ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع ومنهم خال حسان بن ثابت وفيه يقول حسان

ان خالى خطيب جاهيته الجو * لان عند النعمان حيث يقوم

واياه يعنى حسان بقوله

رب خال لى لو أبسرته * سبط المشيبة فى اليوم الخصر (٤)

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء شرقى بن القطامى الكلبى ومحمد بن السائب الكلبى وعبد الله بن عياش الهمدانى وهشام بن محمد السائب الكلبى والهيثم بن عدى الطائى أبو روق الهمدانى واسمه عطية بن الحارث وأبو مخنف لوط بن يحيى الازدى ومحمد بن عمر الاسلمى الواقدى وعوانة الكلبى وابن عيينة المهلبى والخليل بن أحمد الفراهيدى وخلف بن حيان الاحمر الاشعرى قالوا ومناف الجاهلية عبيد بن شرية ومناشق بن الصعب ومنار بيبع بن ربيعة السطيح الذئبى ومنا المأمور الحارثى والديان بن عبد المدان الحارثى الشريفان الكاهنان ومنهم عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم وله يقول القائل

حنظلة بن نهد * خير ناس من معد

ومنهم أبو الشطاح اللخمى وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن حنظلة البكرى ومنهم أبو الكناس الكندى ومنهم أبو مخوس الكندى وكانا ناسبين عالمين ومن أصحاب الاخبار والآثار عبد الله بن عتبة بن لهيعة ويكنى أبا عبد الرحمن ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة عبيد بن شرية الجرهمى وأسقف نجران وأكيدر صاحب دومة الجندل

(١) وقمه كوعده قهره وأذله (٢) هو المعارضة (٣) هو الكلام المنهج (٤) هو تكتف اليوم البارد

وأفيعى نجران وذرب بن حوط وعليم بن جناب وعمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وجذيمة بن مالك الابرش وهو أول من أسرج الشمع ورمى بالمنجنيق

﴿باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان﴾

عامر بن عبد قيس وصلة بن أشيم وعثمان بن أدهم وصفوان بن محرز والاسود بن كلثوم والربيع ابن خيثم وعمرو بن عتبة بن فرقد وهرم بن حيان ومورق العجلى بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشى وبعد هؤلاء مالك بن دينار وحبيب أبو محمد ويزيد الرقاشى وصالح المزنى وأبو حازم الاعرج وزياد مولى عياش بن أبى ربيعة وعبد الواحد بن زيد وحيان أبو الاسود ودهثم أبو العلاء ومن النساء رابعة القيسية ومعاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم وأم الدرداء ومن نساء الخوارج البلجاء وغزالة وقطام وحمادة وكحيلة ومن نساء الغالية ليلى الناعطية والصدوق وهند وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندى ومحمد ابن محمد الحمرانى ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان ومجاشع بن دارم وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلاطة لسانه وقال جرير

* ان سليطا كاسمه سليط * ولؤى بن غالب وقيس بن ساعدة وقصى بن كلاب ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفى وربيعة بن حذار وهرم بن قطبة وعامر بن الظرب ولبيد بن ربيعة وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام كلاب وكليب وهاشم الاوقص وأبو هاشم الصوفى وصالح بن عبد الجليل ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب الخطفى وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع وانما سمى الخطفى لابيات قالها

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا (١)

* وعنقا باقى الرسيم خطيفا *

العنق ضرب من السير وهو المسبطر فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل والرسيم فوق الذميل والخطيف السريع أى يخطف كما يخطف البرق ويخطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصر وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع * ذكر القصاص قص الاسود بن سريع وهو الذى قال

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا أخالك ناجيا

وقص الحسن وسعيد بن أبى الحسن وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة وقص ابراهيم التيمى وقص عبيد الله بن عمير الليثى

(١) يقال أرجفت الناقة اذا جاءت سعيه أذنابها ترجف بهما

وجلس اليه عبد الله بن عمر حدثني بذلك عمرو بن فائد باسناده ومن القصاص أبو بكر الهذلي وهو عبد الله بن أبي سليمان وكان خطيبا بيناصاحب أخبار وآثار وقص ابنه مطرف ابن عبد الله بن الشخير في مكان أبيه ومن كبار القصاص ثم من هذيل مسلم بن جندب وكان قاص مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكان امامهم وقارئهم وفيه يقول عمر بن عبد العزيز من سره ان يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب ومن القصاص عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين وله مسجد في بني شيبان ومن القصاص موسى الاسواري وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأي لسان هو أبين واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها الا ماذكر وا من لسان موسى بن سيار الاسواري ولم يكن في هذه الامة بعد أبي موسى الاشعري اقرأ في محراب من موسى بن سيار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ثم يونس النحوي ثم المعلى ثم قص في مسجده ابو علي الاسواري وهو عمرو بن فائد ستا وثلاثين سنة فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فاختم القرآن حتى مات لانه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة أسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الاحاديث الكثيرة وكان يقص في فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به وخصاله المحمودة كثيرة ثم قص من بعده القاسم بن يحيى وهو أبو العباس الضرير لم يدرك في القصاص مثله وكان يقص معهما وبعدهما ملك بن عبد الحميد المكفوف ويزعمون ان أبا علي لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافأة فاما صالح المري فانه كان يكنى أبا بشر وكان صحيح الكلام رقيق المجلس فذكر أصحابنا ان سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم هل لك ان تأتي قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه فاتاه على تنكره كانه ظنه كبعض من يبلغه شأنه فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه فاقبل سفيان على مرحوم فقال هذا ليس قاصا هذا نذير

﴿باب ما قيل في المخاصر (١) والعصى وغيرهما﴾

كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الارض بالقسي وتشير بالعصى والقنانع حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ولذلك قال الشاعر

(١) المخاصر جمع مخصرة بكسر الميم قضيب يشير به الخطيب اذا خاطب الناس

فى كفه خيزران ريحها عبق * بكف أروع (١) فى عرنينه شمم
يغضى حياء و يغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ان قال قال بما يهوى جميعهم * وان تكلم يوما ساحت الكلم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
كم هاتف لك من داع وداعية * يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

وقال الشاعر قولا فسر فيه ما قلنا قال

مجالسهم خفض الحديث وقولهم * اذا ما قضوا فى الامر وحى المخاصر

وقال الكميت بن زيد ويذود مسلمة المهذ * ب بالمؤيدة السرائر

بالمذهبات المجبا * ت لمفحم منا وشاعر
أهل التجاوب والمحا * فل والمقاول بالمخاصر
فهم كذلك فى المجا * لس والمحافر والمشاعر

وكما قال الانصارى فى المجامع حيث يقول

وسارت بنا سيارة ذات سورة * بكوم (٢) المطايا والخيول المجاهر
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا * ملوكا بارض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل القول فى كل خطبة * اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر

وفى المخاصر والعصى وفى خدوجه الارض باطراف القسى قال الحطيئة

أمن لحصم مضجعين قسيهم * صعر خدودهم عظام المفخر

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة

غلب تشذر بالدخول كانها * جن البدى رواسيا أقدامها

وقال فى خدوجه الارض بالعصى والقسى

يشين صحاح البيد كل عشية * بعوج السراء عند باب محجب

عوج جمع عوجاء وهى ههنا القوس والسراء شجر يعمل منه القوس وفى مثله يقول الشاعر

اذا اقتسم الناس فضل الفخار * أطلنا على الارض ميل العصا

(وقال الآخر) كتبت لنا فى الارض يوم محرق * أيامنا فى الارض يوما قيصلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى

ما ان أهاب اذا السرادق غمة * قرع القسى وأرعش الرعديد

وقال معن بن أوس المزنى

الا من مبلغ عنى رسولا * عبيد الله اذ بجل الرسالا
تغافل دوننا أبناء ثور * ونحن الاكثرون حصى ومالا

(١) الاروع من يعجبك بحسنه أو شجاعته (٢) جمع كوم وهى الناقة

اذا

اذا اجتمع القبائل جئت ردفا * امام الماسحين لك السبالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم * وقد تكفى المقادة والمقالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله

* الى امرئ لا تخطاه الرقاب ولا * حدب الحوان اذا ما استنشئ العرق
صلب الحيازيم لا هذر الكلام اذا * هز القناة ولا مستعجل زهق

وكما قال جرير الخطفى من للقناة اذا ما عى قائلها * أم للاعنة يا شيب بن عمار

قال ومثل هذا قول أبى المجيب الربعى ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يسرك يقول اذا قام يخطب وفى كتاب جبل بن يزيد احفظ أخاك الا من نفسه وقال عبد الله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم فقال خداش بن لبيد بن بيلية يعنى البعيث وانما قيل له البعيث لقوله

تبعث منى ما تبعث بعدما * أمرت حبالى كل مرتها شزرا

وزعم سحيم بن حفص انه كان يقال أخطب بنى تميم البعيث اذا أخذ القناة وقال يونس لعمرى لئن كان مغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب ومن الشعراء من يغلب شيئ قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به بشر كثير فمنهم البعيث هذا ومنهم عوف بن حصين بن حذيفة بن بدر غلب عليه عويف القوافى لقوله

سأكذب من قد كان يزعم أننى * اذا قلت شعرا الا جيد القوافيا

فسمى عويف القوافى ومنهم يزيد بن ضرار التغلبى غلب عليه المزرد لقوله

فقلت تزردها (١) عبيد فانثنى * (٢) لدرد الموالى فى السنين مزرد

فسمى المزرد ومنهم عمرو بن سعيد بن ملك غلب عليه لمرقش وذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * (٣) رقش فى ظهر الاديم قلم

فسمى مرقشا ومنهم سالم بن نهار العبدى غلب عليه الممزق لقوله

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما أمزق

فسمى الممزق ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعى غلب عليه المتلمس لقوله

فهذا وان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسلى أبو خنساء بنت عمرو وغلب الشريد على اسمه لقوله

تولى اخوتى وبقيت فردا * وحيدا فى ديارهم شريدا

فسمى الشريد وهذا كثير قال ودخل رجل من قيس غيلان على عبد الملك بن مروان فقال زبيرى عمرى والله لا يحبك قلبى أبدا قال يا أمير المؤمنين انما يجزع من فقدان الحب من المرأة ولكن عدل وانصاف قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب لا يحبك

(١) زردها بمعنى بلع والمزرد المبلغ (٢) الدرد ذهاب الاسنان (٣) الترقيش التزيين

قلبي أبدا حتى تحب الارض الدم المسفوح قلع الصمغة وهذا مثل قول الحجاج والله لاقلعنك لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة والارض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمصه فتى جف الدم وتجلب (١) لم تره أخذ من الارض شيأ ومن الخطباء الغضبان ابن القبعثرى وكان محبوسا فى سجن الحجاج فدعى به يوما فلما رآه قال انك لسمين قال القيد والرتعة (٢) ومن يكن ضيفا للامير يسمن وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق لقد نقموا على عمر ولكن قعقعهم ووقعهم والله انى لاقرب ناصرا وأعز نفرا فضل فضل من مالى فمالى لا أفعل فى الفضل ما أشاء قال ورأيت الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب انا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرائر الاودية واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه قال فقال الحجاج ما يزيد بأبى عذرة هذا الكلام فقيل له ان معه يحيى بن يعمر فحمل اليه فلما أتاه قال أين ولدت قال بالاهواز قال فانى لك هذه الفصاحة قال أخذتها عن أبى عرائر الاودية أسافلها وعراعر الجبال أعاليها وأهضام الغيطان مداخلها والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر ورأيتهم يديرون فى كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى ان سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قالوا الضهل القليل والشكر الجماع والشبر البضع تطلها تذهب بحقها يقال دم مطلول ويقال بئر ضهول أى قليلة الماء قال فان كانوا انما رواهذا الكلام لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة وان كانوا انما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فأبيات من شعر العجاج أو شعر الطرماح أو اشعار هذيل تأتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا ولو خاطب بقوله ان سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها الاصمعى لظننت انه سيجهل بعض ذلك فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم أبو الحسن كان غلاما يقعر فى كلامه فأتى أبا الاسود الدئلى يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الاسود ما فعل أبوك قال أخذته الحمى فطبخته طبخا وفبخته فبخا وفضخته فضخا فتركته فرخا فنخته أضعفته والفبخ الرخو الضعيف وفضخته دقته فقال أبو الاسود فما فعلت امرأته التى كانت تشاره وتماره وتهاره وتزاره (٣) قال طلقها وتزوجت غيره فرضيت وحظيت (٤) وبظيت قال أبو الاسود وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت قال بظيت حرف من الغريب لم يبلك قال أبو الاسود يا بنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاستترها كما تستتر السنور خرأها قال أبو الحسن مر أبو علقمة النحوى ببعض

(١) يقال جلب الدم نشق (٢) هو بفتح فسكون الخص والسعة هو مثل لحسن الحال والقيد بمعنى عدم الخروج والسعى على المعاش (٣) تعدل عنه وتنحرف (٤) هو اتباع مثل حسن بسن

طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال مالكم تتكأكأ كؤن علىّ كأنكم تتكأكأ كؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى قالوا دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية وقال أبو الحسن هاج بأبى علقمة الدم فأتوا بحجام فقال للحجام اشدد قصب الملازم وارهف ظبات المشارط واسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكثرهن أبيا ولا تردد اتيا فوضع الحجام محاجمه فى جوانبه وانصرف لحديث أبى علقمة فيه غريب وفيه انه لو كان حجاما مرة مازاد على ما قال وليس فى كلام يحيى بن يعمر شئ من الدنيا الا انه غريب وهو أيضا من الغريب يفيض وذكروا عن محمد بن اسحاق قال لما جاء ابن الزبير وهو بمكة قتل مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة (١) فأخطأت أسته الحفرة والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة وأول هذا الكلام مستكره وهو موجود فى كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به وقال أبو يعقوب الاعور السلمى

وخلجة ظن يسبق الطرف خزمها * تشيف على غيم وتمكن من زحل
صدعت بها والقوم فوضى كأنهم * بكارة مرباع تبصبص للفحل

خلجة ظن أى ظن سريع تشيف تشرف بكارة مرباع أى نوق صعار قد اذلت للفحل مرباع أى نوق ربيع والمرباع ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش قال ابن عثمة

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

﴿وقال رجل من بنى يربوع﴾

الى الله أشكو ثم أشكو اليكما * وهل تنفع الشكوى الى من يزيدها
حزازات حب فى الفؤاد وعبرة * أظل باطراف البنان أذودها
يحن فؤادى من مخافة بينكم * حنين المزجا وجهة لا يريدها

(وقد أحسن الآخر حيث يقول)

وأكرم نفسى عن مناكحة * ويقصر مالى ان أنال الغواليا

(وقال الآخر)

واذا العبد أغلق الباب دونى * لم يحرم على متن الطريق

وقال الخليع العطاردى كنا بالبادية اذ نشأ عارض وما فى السماء قزعة معلقة وجاء السيل فاكتسح (٢) أبيا تا من بنى سعد فقلت

(١) هو المستوى من الارض (٢) أى اقتلعها وأخذها

فرحنا بوسمى تألق ودقه * عشاء فأبكانا صباحا فأسرعا
له ظلة كأن ريق وبلها * عجاجة صيف أودخان ترفعا
فكان على قوم سلاما ونعمة * والحق عادا آخرين وتبعا

﴿وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى﴾

الى معشر أردوا أخاك وكفروا * أباك فماذا بعد ذاك تقول
وقل لعبيد الله لو كان جعفر * هو الحى لم يبرح وأنت قتيل

فقال عبيد الله أقول عض أبو عطاء بظر امه فغلب عليه قال أبو عبيدة قال أبو البصير فى أبى رهم السدوسى وكان يلى الاعمال لابى جعفر

رأيت ابارهم يقرب منجعا * غلام أبى بشر ويجفو أبا بشر
فقلت ليحيى كيف قرب منجعا * فقال له ايريد على شبر

قال أبو عثمان وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها والقنا والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس والحد فى الارض والاشارة بالقضيب بكلام مستكره نذكره ان شاء الله تعالى فى الجزء الثالث ولابد أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ويزيد وعبد الملك وابن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب وبصناعة المنطق الا اليسير ولابد من ان نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور وغير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج ولابد من أن يكون فيه ذكر شأن اسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته وبيانه بعد أربع عشرة سنة وكيف نسى لغته التى ربى فيها وجرى على اعرابها وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية من غير تلقين ولا ترتيب وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حبسة ولا تعلق بلسانه شئ من تلك العاد ولابد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه وبعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجلة (١) رهطه ولابد أيضا من ذكر من صعد المنبر فحصر (٢) وخلط أو قال فأحسن ليكون الكتاب أكمل ان شاء الله تعالى ولابد من ذكر المنابر ولم اتخذت وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام وهل كانت المنابر لامة غيرها متنا وكيف كانت الحال فى ذلك وقد ذكرنا ان الامم التى فيها الاخلاق والآداب والحكم والعلم أربع وهى العرب والهند وفارس والروم وقال حكيم بن عياش الكلبى

ألم يك ملك أرض الله طرا * لاربعة له متميزينا
محير والنجاشى وابن كسرى * وقيصر غير قول المبترينا

(١) اكابر قومه (٢) منع عن الكلام

فما أدرى بأى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع وأما ذكره لحمير فان كان انما ذهب الى تبع نفسه فى الملوك فهذا له وجه وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع وهو لم يفضل النجاشى لمكان اسلامه يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر وكان وضع كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك والدليل على ان العرب أنطق وان لغتها أوسع وان لفظها أدل وان أقسام تأليف كلامها أكثر والامثال التى ضربت أجود وأسير (١) والدليل على ان البديهة مقصورة عليها وان الارتجال والاقتضاب خاص فيها وما الفرق بين اشعارهم وبين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعرا وكيف صار النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى الحانهم انما يقال على السنة نسائهم وهذا لا يصاب فى العرب الا القليل اليسير وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزوناً على موزون والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللحن والعى والغلط والغفلة أبواباً طريفة ونذكر فيه النوكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضرب به المثل منهم ونوادر من كلامهم ومجانين الشعراء لست أعنى مثل مجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة وانما أعنى مثل أبى حية فى أهل البادية ومثل جعيفران فى أهل الامصار ومثل أرسيموس اليونانى وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء ان شاء الله سبحانه وتعالى وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا فى بقية هذا الجزء ان شاء الله تعالى وقال أبو الحسن المدائنى قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا بك ولا أهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال فى الفتنة مرة مع أبى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لاقلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك (٢) عصب السلمة ولاجرنك تجريد الضب قال أنس من يعنى الامير أبقاه الله قال اياك أعنى أصم الله صداك قال فكتب أنس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستغرمة (٣) بجم الزبيب والله لقد هممت أن اركلك (٤) برجلى ركلة تهوى بها فى نار جهنم قاتلك الله اخيفش العينين أصك الرجلين أسود الجاعرتين (٥) والسلام وكان الحجاج اخيفش مسلق الاجفان ولذلك قال امام بن أرقم لنميرى وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يمنن عليه * أبو داود وابن ابى كثير
ولا الحجاج عينى بنت ماء * تقلب طرفها حذر الصقور

(١) أى أشهر (٢) العصب ضم ما تفرق من الشجر والسلمة شجر (٣) هى التى تجعل فى فرجها دواء تضيقه به (٤) الركل ضرب الفرس برجله ليعدو (٥) هما موضع الرمتين من أست الحمار

لان طير الماء لا يكون أبدا الا منسلق الاجفان والخفش دون العمش والعصب ان تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب وأصك الرجلين تصك احداهما الاخرى قال وخطب الحجاج يوما فقال فى خطبته والله ما بقى من الدنيا الا مثل ما مضى ولهو اشبه به من الماء بالماء والله ما احب أن ما مضى من الدنيا الى بعمامتى هذه المفضل ابن محمد الضبى قال كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ان ابعث الى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى ويفهم عنى فبعث اليه غدام بن شتير فقال الحجاج لله دره ما كتبت اليه فى أمر قط الا فهم عنى وعرف ما اريد قال أبو الحسن وغيره أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال أيها الناس انى اريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمدا هذا وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ألا وانى قد أوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من اظهارها الا مخافتى ألا وانكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة ألا وانى معجل لكم الاجابة لا أحسن الله الخلافة عليكم ثم نزل وكان يقول فى خطبته أيها الناس ان الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله وقال عمرو بن عبيد رحمه الله كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ان الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته واثابهم بها على طاعته فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسىء بخذلان الله اياه ولله النعمة على المحسن والحجة على المسىء فما اولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن بضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله فاحذركم الله الذى حذركم نفسه وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل ان تصيروا الى الدار التى صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة وأنا استخلف الله عليكم واستخلفه (١) منكم وقد روى هذا الكلام عن الحجاج وزياد أحق به منه

﴿ باب ﴾ ما ذكروا فيه من ان أثر السيف يمحو أثر الكلام قال جرير

يكلفنى رد العواقب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال الكميت بن معروف

خذوا العقل ان أعطاكم العقل قومكم * وكونوا كمن سيم الهوان فاربعا

ولا تكثروا فيه الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

والمثل السائر من قبل هذا سبق السيف العذل ومن أهل الادب زكريا بن درهم مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشى وزكريا هو الذى يقول

لا تنكروا للسعيد فضل نعمته * لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

(١) أجعله خليفة على بدلكم

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشى السراديق بن عبد الله السدوسى الفارسى ولما ظفر مسلم بن قتيبة بالازد كان من الجند فى دور الازد انتهاب واحراق وآثار قبيحة فقام شبيب ابن شيبة الى مسلم بن قتيبة فقال أيها الامير ان هريم بن عدى بن أبى طلحة وكان غير منطيق قال ليزيد بن عبد الملك فى شأن المهالبة يا أمير المؤمنين أنا والله ما رأينا أحدا اظلم ظلمك ولا نصر نصرك فافعل الثالثة نقلها قال الهيثم بن عدى قام عبد الله بن الحجاج التغلبى الى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به وقد كان عبد الملك حنقا عليه فاقام ببابه حولا لا يصل ثم ثار فى وجهه فى بعض ركباته فقال

أدنو ليرحمنى ويرتق خلتى * وأراك تدفعنى فأين المدفع

فقال عبد الملك الى النار فقال

ولقد أذقت بنى سعيد حرها * وابن الزبير فرأسه متضعضع

فقال عبد الملك قد كان بعض ذلك وانا استغفر الله وقال أبو عبيدة كان بين الحجاج وبين العديل بن فرخ العجلى بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل

اخوف بالحجاج حتى كأنما * يحرك عظم فى الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من ان تنالنى * بساط لايدى العملات عريض
مهامه أشباه كأن سرابها * ملاء بأيدى الغاسلات رحيض

ثم ظفر به الحجاج فقال له ياعديل هل نجاك بساطك العريض فقال أيها الامير أنا الذى أقول فيك

ولو كنت بالعنقاء وباسومها * لكان لحجاج على دليل
خليل أمير المؤمنين وسيفه * لكل امام مصطفى وخليل
بنى قبة الاسلام حتى كأنما * هدى الناس من بعد الضلال رسول

فقال له الحجاج اربح نفسك واحقن دمك وابالك واختها فقد كان الذى بينى وبين قتلك أقصر من ابهام الحبارى قال أبو الحسن وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيبا بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد فلما رأى روح بن زنباع ابطاءهم قال أيها الناس انا لا ندعوكم الى لخم وجذام وكلب ولكنا ندعوكم الى قريش ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به وهو يزيد بن معاوية ونحن ابناء الطعن والطاعون وفصلات الموت وعندنا ان احببتم واطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم فبايع الناس قال وخطب ابراهيم بن اسماعيل من ولد المغيرة المخزومى فقال

انا ابن الوحيد من شاء أحرز نفسه * صقر يلوذ حمامة بالعرفج

(ثم قال)

استوسقى أحمرة الوجين * سمعن حس أسد حرون
* فهن يضطرطن وينتزين *

ثم قال والله انى لابغض القرشى ان يكون فظا يا عجبا لقوم يقال لهم من أبوكم فيقولون أمنا من

قريش فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب فقال له غيره صه فان الامام يخطب فقال انما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن لا عند ضراط أحمرة الوجين وقال آخر سمعت ابن هبيرة على هذه الاعواد وهو يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من عدو يسرى ومن جليس يغرى ومن صديق يطرى قال أبو الحسن كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان ابن محرث خال مروان والياعلى مكة والمدينة وكان شاهرا سيفه لا يغمده و بلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى لا تعجل على ودعنى أتكلم قال أو بك كلام قال نعم وأزيد يا نافع وليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا وعندك أربع عقائل من العرب و بنيت ياقوتة بين الصفا والمروة يعنى داره وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجها وأكرمهم حسبا وليس لنا من ذلك الا التراب فلم نحسدك على شئ منه ولم نتفه عليك ونفست علينا ان نتكلم فقال تكلم حتى تتفك فكاك على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد قال صعصعة بن صوحان ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب عثمان دخلت عامه فقلت له أخرجنا من ديارنا وأموالنا ان قلنا ربنا الله قال نحن الذين أخرجناكم من ديارنا وأموالنا ان قلنا ربنا الله فمنا من مات بارض الحبشة ومنا من مات بالمدينة قال وقال الحجاج على منبره والله لاحونكم حو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ياأهل العراق ياأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة أى بنى اللكيعة وعبيد العصا و بنى الاماء والله لئن قرعت عصا لاتركنكم كامس الدابر مالك بن دينار قال ربما سمعت الحجاج يخطب و يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج قال وقسم الحجاج مالا فاعطى منه مالك بن دينار فقبل وأراد أن يدفع منه الى حبيب أبى محمد فابى أن يقبل منه شيأ ثم مر حبيب بمالك واذا هو يقسم ذلك المال فقال له مالك أبا محمد لهذا قبلناه فقال له حبيب دعنى مما هنالك أسألك بالله الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم قال بل اليوم فقال حبيب فلا خير فى شئ حبب اليك الحجاج ومر غيلان بن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر على نهر عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل أيها الامير يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة و يكون لشفاههم ومسيل مياههم وتأتيهم فيه ميرتهم قالوا ثم مر غيلان يسايرزيادا على ذلك النهر وكان قد عادى ابن عامر فقال زياد ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير تنزمنه دورهم و يغرق فيه صبيانهم ومن أجله تكثر بعوضهم فالذين كرهوا البيان انما كرهوا مثل هذا المذهب فاما نفس حسن البيان فليس يذمه الا من عجز عنه ومن ذم البيان مدح العى وكفى بذلك جهلا وخبالا ولخالد

ابن صفوان فى الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيها بهذا المذهب قال ورجع طاووس عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال ما ظننت ان قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال له رجل فى المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام فغضب ابن يوسف قال أبو الحسن وغيره قالوا دخل يزيد ابن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال على رجل أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنة الله فقال يا أمير المؤمنين انك رأيتنى والامر عنى مدبر ولو رأيتنى والامر على مقبل استعظمت من امرى ما استصغرت قال فقال سليمان افترى الحجاج بلغ قعرجهنم بعد فقال يزيد يا أمير المؤمنين يجىء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك فضعه من النار حيث شئت قال وذكر يزيد بن المهلب يزيد ابن أبى مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم وهم بأن يستكفيه مهما من أمره فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ألا أدلك على من هو أزهد فى الدينار والدرهم منه وهو شر الخلق قال بلى قال ابليس قال وقال أسيلم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل ان يستخلف أصلح الله الامير اذا ظننت ظنا فلا تحققه واذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم فاذا راوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لا تعلم ودس من يسأل لك عما لا تعلم وكان أسيلم بن الاحنف الاسدى ذا بيان وأدب وعقل ورجاه وهو الذى يقول فيه الشاعر

الا أيها الركب المخبون هل لكم * بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا
أسيلم ذاكم لا خفا بمكانه * لعين تدجا أو لاذن تسمع
من النفر البيض الذين اذا انتموا * وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حوك برديه ارقوا واوسعوا

وهذا الشعر من اشعار الحفظ والمذاكره الهيثم بن عدى قال قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف فأمرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم ان عدو الله الحجاج كان عبدا زبابا (١) قنور بن قنور (٢) لا نسب له فى العرب قال سليمان اى شتم هذا ان عدو الله الحجاج كتب الى انما أنت نقطة من مداد فان رأيت فى ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج وأنت النقطة فان شئت محوتك وان شئت أثبتك فالعنوه لعنه الله فاقبل الناس يلعنونه فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال يا أمير المؤمنين انا نخبرك عن عدو الله بعلم قال هات قال كان عدو الله يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراعنة وأكذب فى حديثه من الدجال فقال سليمان لرجاء بن حيوة هذا وأبيك الشتم لا ما تأتى به السفلة وعن عوانة قال قطع ناس

(١) هو كسحاب فأر عظيم أعم (٢) هو بتشديد الواو مع فتح القاف والنون الشرس الصعب

من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف فكتب اليهم من الحجاج بن يوسف اما بعد فانكم استخلصتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وأيم الله انى لاهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والابناء يتامى والديار خرابا والسواد بياضا فايعار فقة مرت باهل ماء فاهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه تقدمة منى اليكم والسعيد من وعظ بغيره والسلام مسلمة بن محارب قال كان الحجاج يقول أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين اخصاص البصرة اذا شاء خطب واذا شاء سكت يعنى الحسين يقول انه لم ينصب نفسه للخطب قال ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال انا لا نطيق أفواه الكمال يزيد الجمال عليهم المقال وعلينا الفعال وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار سفيان بن عيينة قال قال عباس اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من قال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة قال وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه من نجالس قال من يزيد فى علمكم منطقه وتذكركم الله رؤيته ويرغبكم فى الآخرة عمله قال ومر المسيح بقوم يبكون فقال ما لهؤلاء يبكون قالوا يخافون ذنوبهم فقال اتركوها يغفرلكم قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان وكان شاعرا خطيبا على عبد الملك بن مروان فقال له كيف تجدك قال أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود واسود منى ما كنت أحب ان يبيض واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ولان منى ما كنت أحب ان يشتد ثم أنشد

اسمع أنبيك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر * وقلة الطعم اذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميح (١) النظر * وحذرا أزداده الى حذر
وتركى الحسناء فى قبل الظهر * والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقالوا مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر وقال عبد الله بن الحسين المراء رائد الغضب فاحرزى الله عقلا يأتيك به الغضب وقالوا أربعة تشتد معاشرتهم الرجل المتوانى والرجل العالم والفرس المرح (٢) والملك الشديد المملكة وقال غاز أبو مجاهد يعارضه أربعة تشتد مؤنتهم النديم المعربد والجليس الاحمق والمغنى التائه والسفلة اذا نفروا وقال أبو شمر الغسانى أقبل على فلان باللحظ واللفظ وما الكلام الا زجر أو وعيد وقال عمير بن الحباب وروى ذلك عنه مسعر ما أغرب على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب واحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب قال وقامت امرأة من تغلب الى الحجاف بن حكيم حين

(١) التحميح شدة النظر وغؤور العين (٢) أى المختال والمتبختر

أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر بطون النساء فقالت له فض الله فاك واصمك واعماك وأطال سهادك وأقل رقادك فوالله ان قتلت الانساء أسافلهن دمى وأعالهن ثدى فقال الحجاف لمن حوله لولا ان تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن فقال انما الحجاف جذوة من نار جهنم قال وكان عامر بن الظرب العدوانى حكيما وكان خطيبا رئيسا وهو القائل يامعشر عدوان ان الخير ألوف عزوف (١) ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن حكيما حتى اتبعت الحكماء ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم وقال الاعشى بن شيبان

ولا أنانى أمرى ولا فى خليقتى * لمهتضم حقى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى من شر ما جنى * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وان فؤادا بين جنبى عالم * بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى
وفضلنى فى القول والشعر انى * أقول بما أهوى وأعرف ما أعنى

وقال رجل من ولد العباس ليس ينبغى للقرشى ان يستغرق فى شئ من العلم الا علم الاخبار وما غير ذلك فالنتف والشذر (٢) من القول وقال آخر

وصافية تعشى العيون رقيقة * رهينة عام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية بيننا * من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما زر قرن الشمس حتى كأننا * من العى نحكى أحمد بن هشام

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال أف لكم علم المؤدبين وهمة المحتاجين وقال ابن عتاب يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما فرضيا وحسن الكتابة جيد الحساب حافظا للقرآن راوية للشعر وهو يرضى ان يعلم أولادنا بستين درهما ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعانى ليس عنده غير ذلك لم يرض بالف درهم لان النحوى الذى لا امتناع عنده كالنجار الذى يدعى ليعلق بابا وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف وصاحب الامتاع يراد فى الحالات كلها وقال عبد الله بن يزيد السفيانى عود نفسك الصبر على الجليس السوء فانه لا يكاد يخطئك وقال سهل بن عبد العزيز من ثقل عليك بنفسه وغمك فى سؤاله فالزمه أذنا صما وعينا عميا سهيل بن أبى صالح عن أبيه قال كان أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه وقال ابن أبى أمية شهدت الرقاشى فى مجلس وكان الى بغيضا مقيتا

فقال اقترح كل ما تشتهى * فقلت اقترحت عليك السكوتا

وقال ابن عباس العلم أكثر من ان يحصى فخذوا من كل شئ أحسنه المدائنى عن العباس بن عامر قال خطب محمد بن الوليد بن عتيبة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته

(١) يقال عزفت نفسى عنه اذا أزهدت فيه (٢) أى يكفى من باقى العلوم قليلها

واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على ما فى كتاب الله فى امساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وخطب اعرابى وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال الحمد لله غير ملال لذكر الله ولا ايثار غيره عليه ثم ابتدأ القول فى حاجته وسأل اعرابى فاسا فقال جعل الله حظكم فى الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة وكتب ابراهيم ابن سيابة الى صديق له كثير المال كثير الدخل كثير النض اما مستسلفا واما سائلا فكتب اليه الرجل العيال كثير والدين ثقيل والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ابراهيم ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت محجوجا فجعلك الله محذورا وقال الشاعر

لعل مفيدات الزمان يفدننى * بنى(١) صامت فى غير شئ يضيرها

وقال اعرابى اللهم لا تنزلنى ما سوءا فأكون امرأ سوء وقال اعرابى اللهم قنى عثرات الكرام قال وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول الشحيح اعذر من الظالم فقال أخزى الله شيئين خيرهما الشح قال وأنشدنا أبو فروة

انى مدحتك كاذبا فاثبتنى * لما مدحتك ما يثاب الكاذب

وأنشد على بن معاذ

ثالبنى عمرو وثالبته * فاثم المثلوب والثالب
قلت له خيرا وقال الخنا * كل على صاحبه كاذب

أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد قام خطيبا فقال ان أباذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولما جلس عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على المنبر قال يا أيها الناس ان الله قد فتح عليكم افريقية وقد بعث اليكم ابن أبى سرح عبد الله بن الزبير بالفتح قم يا ابن الزبير قال فقمت وخطبت فلما نزلت قال يا أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن واخواتهن فأنى لم أر لابى بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا وقال الحريمى

أعددته ذخر الكل ملمة * سهم المنايا بالذخائر ولع

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب

ومسوم للموت يركب درعه * بين القواضب والقنا الخطار
يدنو وترفعه الرماح كانه * شلو(٢) تنشب فى مخالب ضار
فثوى صريعا والرماح تنوشه * ان الشراة(٣) قصيرة الاعمار
أدبا اما جئتهم خطباؤا * ضمناء كل كتيبة جرار

ولما خطب سفيان بن الابرد الاصم الكلبى فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ورأى عبد

(١) مفعول ثان ليفد أى تجعل هؤلاء القوم فائدته (٢) هو العضو وجسد الانسان بعد بلاه (٣) هو بالضم قوم من الخوارج لجوا فى الخصام فسموا بذلك

الله بن هلال العسكرى ان ذلك قد فت فى اعضاد أصحابه أنشأ يقول

لعمرى لقد قام الاصم بخطبة * لها فى صدور المسلمين غليل
لعمرى لئن أعطيت سفيان بيعتى * وفارقت دينى انى لجهول

فت فى عضدى اى غرنى وخوفنى وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال

بكيتك يا على بدر عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قال ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء اما كان بطنى لك وعاء اما كان حجرى لك فناء اما كان ثديى لك سقاء فقال ابنها أصبحت خطيبة رضى الله تعالى عنك لانها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته وقال النمر بن تولب

وقالت الا فاسمع لفظى وخطبتى * فقلت سمعنا فانطقى وأصيبى
فلم تنطق حقا ولست باهله * فقبحت من قائل وخطيب

وقال أبو عياد كاتب أبى خالد ما جلس أحد قط بين يدى الا تمثل لى انى سأجلس بين يديه قال الله عز وجل وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا ليس يريد بلاغة اللسان وان كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة قال وكانت خطبة قريش فى الجاهلية يعنى خطبة النساء باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولم أر مثلها ثوابا موت أمير المؤمنين والخلافة بعده انا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله على النعمة انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله فقام اليه عبد الله بن همام فقال

الله أعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايع الناس وقيل لعمرو بن العاصى فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك قال أجدنى أذوب ولا أثوب (١) وأجد نجوى (٢) أكثر من رزئى فابقاه الشيخ على ذلك وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة كيف تجدك قال أما الذى يعمدنى فحصر وأسر وقال مقاتل سمعت يزيد بن

(١) الثوب الرجوع (٢) النجو هو الخارج من الانسان والرزء بالضم الاصابة ومراده ان ما يخرج منه أكثر مما يصيبه من الطعام

المهلب يخطب بواسط فقال يا أهل العراق يا أهل السبق والسباق ومكارم الاخلاق ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد رتبت (١) لها الاشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فألبسوا لهم جلود النمور

﴿أول الثلث الثانى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبو عثمان الجاحظ الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة أردنا أبقاك الله ان نبتدئ صدر هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب اذ وصلوا ايمانهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الارض باطراف القسى والعصا أشار واعند ذلك بالقضبان والقنا وفى كل ذلك قد رويناه الشاهد الصادق والمثل السائر ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين والسلف المتقدمين والجلة من التابعين الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذا الانام وملح الارض وحلى الدنيا والنجوم التى لا يضل معها الساري والمنار الذى اليه يرجع الباغى والحزب الذى كثر الله به القليل وأعز به الذليل وزاد الكثير فى عدده والعزيز فى ارتفاع قدره وهم الذين جلوا بكلامهم الابصار العليله وشحذوا بمنطقهم الاذهان الكليله فنبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها من سوء عادتها وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من العمى الفاضح ونهجوا الطريق الواضح ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتجميله من العمل بالصواب وجزيل الثواب لقد كنت بدأت بالرد عليهم وبكشف قناع دعاويهم على اناسنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا والله الموفق والمستعان وعلى ان خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين باحسان مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون التى لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الشوهاء وقال عمران بن حطان خطبت عند زياد خطبة ظننت انى لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخا يقول هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الامر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد فقال أما بعد بغير ملال لذكر الله ولا ايثار غيره عليه فانا نقول كذا ونسأل كذا فرارا من أن تكون خطبته بتراء وشوهاء وقال شبيب بن شبة الحمد لله وصلى الله على رسوله أما بعد فانا نسأل كذا ونبذل كذا وبنا حفظك الله أشد الحاجة الى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح واللقب السمج المعيب بل قد نحب ان يزيد فى بهائه

(١) يقال رتب اذا ثبت ولم يتحرك

ونستميل

ونستميل القلوب الى اجتنابه اذ كان الامل فيه بعيدا وكان معناه شريفا ثمينا ثم اعلم بعد ذلك ان جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومشاكلا في استواء الصنعة ومنها ذوات الفقر الحسان والنتف الجياد وليس فيها بعد ذلك شئ يستحق الحفظ وانما حظها التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر رواة العلم الى حفظها أسرع وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ووفينا حقه من التمييز ونرجو أن لا نكون قصرنا في ذلك والله الموفق هذا سوى ما رسمناه في كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء وجمل كلام الاعراب الخلص وأهل اللسن من رجالات قريش والعرب أهل الخطابة من أهل الحجاز ونتف من كلام النساك ومواعظ من كلام الزهاد مع قلة كلامهم وشدة توقيهم ورب قليل يغني عن الكثير كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل بل رب كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة بل رب كناية تربي على افصاح ولحظ يدل على ضمير وان كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمى عرضه من اعتراض العايبين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفا بأهل الجماعة شنقا لاهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من أقطارها وسبقت اليه القلوب بأزمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ادارته ومن أعاره الله من معرفته نصيبا وأفرغ عليه من محبته ذنوبا حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم ولم أجد في خطب السلف الطيب والاعراب الاقحاح ألفاظا مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعا رديا ولا قولا مستكرها وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتاج التخير والتفكر ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله

ذماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه واحرازا لما خوله الله من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا وفى بيوت الشعر الامثال والاوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيذ والخنذيذ هو التام قال الاصمعى قال رؤبة هم الفحولة الرواة دون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور ولذلك قال الاول فى هجاء بعض الشعراء

يا رابع الشعراء فيم هجوتنى * وزعمت انى مقحم لا أنطق

فجعله سكيتا مخلفا ومسبوقا مؤخرا وسمعت بعض العلماء يقول طبقات الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وشعرور قال والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبى حمران سماه بذلك امرؤ القيس ابن حجر ومنهم ثم من بنى ضبة المفوف شاعر بنى حميس وهو الشويعر ولذلك قال العبدى

ألا انتهى سراة بنى حميس * شويعرها فويلية الافاع

قبيلة تردد حيث شاءت * كرائدة النعامة فى الكراع (١)

فويلية الافاع دويبة سوداء فوق الخنفساء والشويعر أيضا صفوان بن عبد يالميل من بنى سعد بن ليث ويقال ان اسمه ربيعة بن عثمان وهو الذى يقول

فسائل جعفرا وبنى أبيها * بنى البرا بطخفة (٢) والملاح

وأفلتنا أبو ليلى طفيل * صحيح الجلد من أثر السلاح

وقد زعم ناس ان الخنذيذ من الخيل هو الخصى وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر

يا ليتى يا ليت لم أر مثلها * أمر قرى منها وأكثر باقيا

وأكثر خنذيذا يجر عنانه * الى الماء لم يترك له الموت ساقيا

﴿وقال بشر بن خازم﴾

وخنذيذ ترى الغرمول (٤) مناه * كطى الزق علقه التجار

وأبين من ذلك قول البرجمى * وخناذيذ خصية وفحولا *

ويدل على ما قلنا قول العبسى

دعوت بنى سعد الى فشمرت * خناذيذ من سعد طوال السواعد

وكان زهير بن أبى سلمى يسمى كبار قصائده الحوليات وقد فسر سويد بن كراع العكلى ما قلنا فى قوله

أبيت بأبواب القوافى كأنما * أصادى بها سربا من الوحش نزعا

أكالئها حتى أعرس بعدما * يكون سحيرا أو بعيدا فاهجعا

عواصى الا ما جعلت امامها * عصائر بد تغشى نحورا وأذرعا

(١) هو قوائم الدابة (٢) هو بالفتح والكسر اسم موضع واسم يوم لبنى يربوع (٣) هو الذكر وهو بالضم

أهبت بعزالآبدات وراجعت * طريقا أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأولا يكاد يردها * لها طالب حتى يكل ويظلعا
اذا خفت أن تردى جلى رددتها * وراء الترا فى خشية ان تطلعا
وجشمنى خوف ابن عفان ردها * فثقفتها حولا جريدا ومربعا
وقد كان فى نفسى عليها زيادة * فلم أر الا أن أطيع وأسمعا

ولا حاجة بنا مع هذه الفقر الى الزيادة فى الدليل على ما قلنا ولذلك قال الحطيئة خير الشعر الحولى المحكك وكان الاصمعى يقول زهير بن أبى سلمى والحطيئة واشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج ابيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة وكان يقال لولا ان الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قعر الكلام واغتصاب الالفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سهوا وتهواو تنثال عليهم الالفاظ انثيالا وانما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدى وروبة ولذلك قالوا فى شعره مطرف بآلاف وخمار بواف وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء وكان أبو عبيدة يقوله ويحكى ذلك عن يونس ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الاشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة فى قصائد السماطين وبالطوال التى تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة واشباههما واذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد وفى صنعة طوال الخطب بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا الى الرأى فى معاظم التدبير ومهمات الامور وبينوه فى صدورهم وقيدوه على انفسهم فاذا قوموه الثقاف (١) وأدخل الكير وقام على الخلاص ابرزوه محكما منقحا ومصفى من الادناس مهذبا وقال الربيع بن أبى الحقيق لابى ياسر النضيرى

فلا تكثرن النجوى وأنت محارب * تؤامر فيها كل نكس (٢) مقصر

وكان عبد الله بن وهب الراسبى يقول اياى والرأى الغطير (٣) وكان يستعيذ بالله من الراى الدبرى وقال سحبان وائل شر خليطيك السوم المحزم لان السؤم لا يصبر وانما التفاضل فى الصبر والمحزم صعب لا يعرف ما يراد به وليس الحزم الا بالتجارب ولان عقل الغريزة مسلم على عقل التجربة ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه رأى الشيخ أحب الى من جلد الشاب ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهر الارن (٤) الا بعد طول الرياضة ولم تحول المعانيق هما البيح الا بعد طول التخليع ولم يحلبوا الزبون (٥) الا بعد الايباس

(١) هو التجارب (٢) هو المقصر من غاية الكرم (٣) هو كل ما أعجل عن ادراكه (٤) يقال ارن كفرح اذا بسط (٥) يقال ناقة زبون أى دفوع

وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم يسبقه اليه عربي ولم يشاركه فيه عجمي ولم يدع لاحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملا ومثلا سائرا فمن ذلك قوله ياخيل الله اركبي ومن ذلك قوله مات حتف أنفه ومن ذلك قوله لا يقتطع فيه عنزان ومن ذلك قوله الآن حمي الوطيس ولما قال عدي بن حاتم في قتل عثمان رضي الله تعالى عنه لا تحبق (١) فيه عناق قال له معاوية بن أبي سفيان رحمهما الله بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه يا اباطريف هل حبقت في قتل عثمان عناق قال أي والله والتيس الاضخم فلم يصر كلامه مثلا وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ومن ذلك قوله لابي سفيان بن حرب كل الصيد في جوف الفرا ومن ذلك قوله هدنة على دخن وجماعة على اقذاء ومن ذلك قوله لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ألا ترى ان الحارث بن خذان حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب قال ياأيها الناس اتقوا الفتنة فانها تقبل بشبهة وتدبر ببيان وان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين فضرب بكلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المثل ثم قال اتقوا عصبا تأتيكم من الشام كانها دلاء قد انقطع وذمها (٢) وقال ابن الاشعث لاصحابه وهو على المنبر قد علمنا ان كما نعلم وفهمنا ان كنا نفهم ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات وأنا أستغفر الله من كل ماخالف الايمان واعتصم به من كل ماقرب من الكفر وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد وما أنا من المتكلفين فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم لا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج (٣) الا بالحق ولا يستعين الا بالحلابة ولا يستعمل المؤاربة (٤) ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجزل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين من فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون

(١) يقال حبق بالفتح يحبق بالكسر بمعنى ضرط (٢) هو السيور بين آذان الدلو والعراقي (٣) هو بالسكون الظفر والفوز (٤) هي المداهاة والمخاتلة

المتظرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف الا فى المواضع التى يذمونها قال قيس بن خطيم

فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد

وقال ابن قتيبة وحمال أثقال اذا هى أعرضت * عن الاصل لا يستطيعها المتكلف

وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد جمعنا فى هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار ولعل بعض من لم يتسع فى العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن ان تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره كلا والذى حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا الا من ضل سعيه فمن كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ذكر الانصار فقال أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقال الناس كلهم سواء كأسنان المشط والمرء كثير بأخيه ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه وقال الشاعر

سواء كأسنان الحمار فلا ترى * لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا

وقال آخر

شبابهم وشيبهم سواء * فهم فى اللون أسنان الحمار

واذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقته علمت فضل ما بين الكلامين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم فتفهم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه وقال عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال لا تجن يمينك على شمالك وذكر الخيل فقال بطونها كنز وظهورها حرز وقال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة وقال خير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال نعمت العمة لكم النخلة تغرس فى أرض خوارة (١) وتشرب من عين خرارة وقال المضغعات فى المحل الراسخات فى الوحل وقال الحمى فى أصول النخل وذكر النحل فقال اعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وقال ليس منا من حلق أو صلق (٢) أو شق وقال نهيتكم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وقال الناس كالابل المائة لا تجد فيها راحلة وقال ما أملق تاجر صدوق وجاء فى الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وقال لا يوردن مجرب على مصح

(١) الخرير صوت الماء عند نزوله (٢) أى صاح صوتا شديدا

وقال لا تزال أمتى صالحا أمرها ما لم ترالامانة مغنما والصدقة مغرما ورأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ولن يهلك امرؤ بعد مشورة وقال المستشار مؤتمن وقال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء أمسك وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم وقال افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال استعينوا على طول المشى بالسعى وقال للختانة يا أم عطية اشمى ولا تنهكى فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج وقال لا تجلسوا على ظهور الطريق فان أبيتم فغضوا الابصار و ردوا السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف وقال ان الله يرضى لكم ثلاثا و يكره لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تتفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم و يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال قال و يقول ابن آدم مالى مالى وانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أووهبت فأمضيت وقال لوان لابن آدم واديين من ذهب لسأل اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب وقال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون وقال ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون و يؤلفون وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون (١) المتشدقون المتفيهقون وقال اياى والتشادق وقال اياى الفرج فى الصلاة وقال لا يؤمن ذوسلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال اياكم والمشارة فانها تميت الغرة وتحيى العرة وقال لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا وقال أعوذ بالله من الاعميين وبوار الايم وكان يقول أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع وقال رجل يارسول الله أوصنى بشئ ينفعنى الله به قال أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة وأكثر الدعاء فانك لا تدرى متى يستجاب لك وقال أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم واياك والبغى فان الله قد قضى انه من بغى عليه لينصرنه الله واياك والمكر فان الله قد قضى لا يحيق المكر السئ الا بأهله وقيل يارسول الله أى العمل أفضل فقال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله وقيل له أى الاصحاب أفضل فقال الذى اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك وقيل أى الناس شر قال العلماء اذا فسدوا وقال دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا أولا أنبئكم بأمر اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وقال تهادوا وتحابوا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصانى ربى بتسع أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية و بالعدل فى الرضا والغضب و بالقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وان يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى

(١) كثيرو يا الكلام فى غير داعية

عبرا وثلاث كلمات رويت مرسلة وقد رويت لاقوام شتى وقد يجوز أن يكون انما حكوهم ولم يبتدؤها منها قوله لو تكاشفتم لما تدافنتم ومنها قوله الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم ومنها قوله ما هلك امرؤ عرف قدره وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار قال وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر وقال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاجزم وحدثنا اسماعيل بن عياش الحمصي عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر وهو من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم ومن حديث أنس ابن مالك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتابة قال ويقول الله لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا ومن حديث عبد الله بن المبارك رفعه قال اذا ساد القبيل فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاءشره فلينتظروا البلاء ومن حديث ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومن حديث عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى تعالى عليه وسلم لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان ومن حديث عبد الله بن المبارك قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ما تصنع فقال هو مكاني أصنع فيه ما شئت فان أخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا وقال علق سوطك حيث يراه أهلك ودخل السائب بن أبي صيفي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أتعرفني قال كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشارني ولا يمارني وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالوالي يجلد فوق ما أمر الله به فيقول له الرب عبدي لم جلدت فوق ما أمرت به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدي لم قصرت عما أمرت به فيقول رب رحمته فيقول أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي قال فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا أعرفه الا انه صيرهما الى النار قال وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر عن قزعة قال قال لي ابن عمر اودعك كما ودعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقال كل أرض بسمائها وروى سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن أشياخه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضرمي ولقومه من محمد رسول الله الى الاقيال (١) العباهلة من أهل حضرموت باقام الصلاة وايتاء الزكاة على التيعة (٢)

(١) هم الملوك والعباهلة هم الاقيال المقرون على ملكهم (٢) هي بالكسر الاربعون من الغنم والتيمة بالكسر الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى

شاة والتيمة لصاحبها وفى السيوب (١) الخمس لا خلاء (٢) ولا وراط (٣) ولا شناق (٤) ولا شغار فمن جبى فقد أربى وكل مسكر حرام ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تغالوا فى النساء فانهن سقيا الله وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وارعاه على بعل فى ذات يده وقال مجالد عن الشعبى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اذهب ملك غسان وضع مهو ركنده والذى يدلك على ان الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم (ومما) روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من استعمال الاخلاق الكريمة والافعال الشريفة وكثرة الامر بها والنهى عما خالف عنها قوله من لم يقبل عذرا من متنصل صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض وقال فى آخر وصيته اتقوا الله فى الضعيفين وكلمته جارية فى السبى فقال لها من أنت قالت أنا بنت الرجل الجواد حاتم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال ﴿وقال﴾ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن ﴿وعن﴾ أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الانبياء من قبلى فما جاءكم عنى فاعرضوا على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقل وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت خلق القرآن وتلت قول الله وانك لعلى خلق عظيم ﴿وقال﴾ محمد بن على أدب الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم باحسن الآداب فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما وعى قال ما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴿قال﴾ حدثنا على بن مجاهد قال حدثنا هشام بن عروة قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينشد

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال عمر ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان الناس يستحسنون قول الاعشى

تشب لمقرورين يصطليانها * وباث على النار الندى والمحلق

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الاعشى ﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال المسروق منه فى تهمة من هو برىء حتى يكون أعظم جرما من السارق ﴿وقال﴾ أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقا فجثا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال ما هو الا

(١) هى الركاز (٢) هو الخلط لاجل خفة الزكاة (٣) هو الجمع بين متفرق وعكسه (٤) هو أخذ شئ من الشق وهو ما بين الفريضتين

البحر ﴿وقال﴾ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كذب الحطيئة حيث يقول

وان جياد الخيل لا تستفزنا * ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد اظهار حب الخيل وتعظيم شأنها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده الشريفة ويقص من نفسه ويلطع (١) أصابعه ولا يأكل متكأ ولم يرقط ضاحكا مل ء فيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو أهدى الى كراع (٢) لقبلت لم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولا ضرب أحدا بيده الا فى سبيل ربه ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه الا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من اكمل الكمال وذلك أنه حين دخل مكة عنوة وقد قتلوا اعمامه وبنى اعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد أن حصروه فى الشعاب وعذبوا أصحابه بانواع العذاب وجرحوه فى بدنه وأذوه فى نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده فلما دخلها بغير جند هم وظهر عليهم على صغر منهم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ﴿ثم قال﴾ أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وانما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب واذا عرفتم أول كل باب كنتم خلقاء أن تعرفوا الاواخر بالاوائل والمصادر بالموارد ﴿ومن﴾ خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة حجة الوداع ﴿وهى﴾ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ﴿أيها الناس﴾ ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم أشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ﴿وان﴾ ربا الجاهلية موضوع ﴿وان﴾ أول ربا يبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ﴿وان﴾ دماء الجاهلية موضوعة (وان) أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب (وان) مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ﴿أيها الناس﴾ ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ﴿أيها الناس﴾ ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴿وان﴾ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

(١) أى يلحسها (٢) هو الرجل

والارض (وان) عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان (١) لا يملكن لانفسهن شيأ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم اشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصيته ولا يجوز وصيته فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله (وعن الحسن) قال جاء قيس بن عاصم المنقرى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نظر اليه قال هذا سيد أهل الوبر فقال يارسول الله خبرنى عن المال الذى لا تكون على فيه تبعة من ضيف ضافنى أو عيال ان كثروا على قال نعم المال الاربعون والاكثر الستون وويل لاصحاب المئين الا من أعطى فى رسلها (٢) ونجدتها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ونحر سمينها وأطعم القانع والمعتر قال يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها وما يحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من ابلى (قال) فكيف تصنع بالطروقة قال تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به (قال) فكيف تصنع بالافقار قال انى لافقر (٣) البكر الضرع والناب المسنة قال فكيف تصنع بالمنيحة (٤) (قال) انى لامنح فى كل سنة مائة قال فاى المال أحب اليك امالك أم مال مواليك قال بل مالى قال فانما لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو أعطيت فامضيت وما سوى ذلك للمواريث وذكر أبو المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال دخلت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحد النظر اليه فقال لى يا ابن كعب مالك تحد النظر الى قلت لما نحل من جسمك وتغير من لونك قال فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حدقتاى على وجنتى وابتدر فمى وأنفى صديدا ودودا كنت الى أشد نكرة

(١) هى من النساء ما كان لها زوج (٢) هو اللبن (٣) يقال افقرنى بعيره أعارنى ظهره (٤) هى التى تحلب

أعد على حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس قلت سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون اغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ثم قال ألا أنبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده (١) وجلد عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه ان عيسى بن مريم قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تكافؤا ظالما فيبطل فضلكم يا بنى اسرائيل الامور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فالى الله ردوه وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل قوم على زينة من أمرهم ومفلحة فى أنفسهم يزرون على من سواهم و يتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الألباب من الناس وقال من رضى رقيقه فليمسكه ومن لم يرض فليبعه ولا تعذبوا عباد الله وقال فى آخر ما أوصى به اتقوا الله فى الضعيفين بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال ان هذا الحق كما انك ههنا أو كما انك قاعد يعنى معاذا صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء كثير بن هشام عن عيسى بن ابراهيم عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجمعة حج المساكين عوف عن الحسن أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان وانما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله الواقدى عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب الجواد من خلقه (أبو عبد الرحمن) الاشجعى عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما خلا يهودى بمسلم قط الا هم بقتله ويقال حدث نفسه بقتله أبو عاصم النبيل قال حدثنا عبيد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه على النار اسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر عن

(١) هو العطاء

رجل عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس من أخلاق المؤمن الملق (١) الا في طلب العلم عبد ربه ابن أعين عن عبد الله بن ثامة بن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب وقال فضل جاهك تعود به على أخيك الذي لا جاه له صدقة منك عليه وفضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة منك عليه وفضل قوتك تعود بها على أخيك الذي لا قوة له صدقة منك عليه وفضل علمك تعود به على أخيك الذي لا علم له صدقة منك عليه واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على أهله وانما مدار الامر والغاية التي يجري اليها الفهم ثم الافهام والطلب ثم التثبت وقال عمرو بن العاص ثلاثة لا أملهم جليسي ما فهم عني ودابتي ما حملت رحلي وثوبي ما ستر عورتي وذكر الشعبي ناسا فقال ما رأيت مثلهم أشد تنابذا في مجلس لا أحسن تفهما عن محدث ووصف سهل بن هارون رجلا فقال لم أر أحسن منه فهما لجليل ولا أحسن تفهما لدقيق وقال سعيد بن سلم لامير المؤمنين المأمون لو لم أشكر الله الا على حسن ما ابلاني في أمير المؤمنين من قصده الى بحديثه واشارته الى بطرفه لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية قال المأمون لان أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت وحسن الفهم اذا حدثت ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجده فيمن بقي وقال له مرة والله انك لتستقفي حديثي وتقف عند مقاطع كلامي وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته قال أبو الحسن قالت امرأة لزوجها مالك اذا خرجت الى أصحابك تطلقت وتحدثت واذا كنت عندي تعقدت واطرقت قال لاني أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلي وقال أبو مسهر بن المبارك ما حدثت رجلا قط الا أعجبني حسن اصغائه حفظ عني أم ضيع وقال أبو عقيل بن درست نشاط القائل على قدر فهم المستمع وقال أبو عياد كاتب ابن أبي خالد للقائل على المستمع ثلاث جمع البال والكتمان وبسط العذر وقال أبو عياد اذا أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث وأبو عياد هذا هو الذي قال ما جلس بين يدي رجل قط الا تمثل لي اني سأجلس بين يديه وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان وعبد الملك يومئذ غلام فقال انه لآخذ بأربع وتارك لاربع آخذ بأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف وبأحسن البشر اذا لقي وتارك لمحادثة اللئيم ومنازعة اللجوج ومداراة السفيه ومصاحبة المأفون (٢) وذم بعض الحكماء رجلا فقال يجزم قبل أن يعلم ويغضب قبل أن يفهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بعض رسائله الى قضاته الفهم الفهم مما يختلج في صدرك ولا يمكن تمام الفهم الا مع

(١) هو الود واللطف وان تعطي بلسانك ما ليس في قلبك (٢) هو الضعيف العقل والرأي الممتدح ما ليس عنده

تمام

تمام فراغ البال وقال مجنون بنى عامر

أتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبى فارغا فتمكنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة الى أخيه عيينة بن أسماء

أعين هلا اذ شغفت بها * كنت استعنت بفارغ العقل

أقبلت ترجو الغوث من قبلى * والمستغاث اليه فى شغل

وقال صالح المرى سوء الاستماع نفاق وقد لا يفهم المستمع الا بالتفهم وقد يتفهم أيضا من لا يفهم وقال الحارث بن جلذة

وحبست فيها الركب أحدس فى * كل الامور وكنت ذا حدس

﴿وقال النابغة الجعدى﴾

أبالى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

(وقال آخر) تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم العلم بالتعلم واذا كانت البهيمة اذا أحست بشئ من أسباب القاض (١) أحدت نظرها واستفرغت قواها فى الاستراح وجمعت بالها للتسمع كان الانسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف ولما اتهم قتيبة بن مسلم أبا مجلز لاحق بن حميد ببعض الامر قال له أبو مجلز أيها الامير تثبت فان التثبت نصف العفو وقال الاحنف تعلمت العلم من قيس بن عاصم وقال فيروز بن حصين كنت أختلف الى دار الاستخراج اتعلم الصبر وقال سهل بن هرون بلاغة الانسان رفق والعى خرق وكان كثيرا ينشد قول شتيم بن خويلد ولا يشعبون (٢) الصدع بعد تفاقم * وفى رفق أيديكم لذى الصدع شاعب

وقال ابراهيم الانصارى هو ابراهيم بن محمد المفلوج من ولد أبى زيد القارى الخلفاء والائمة وأمراء المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة وأما ما قال ولذلك فصل بينهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال مالكم أيها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما عنده ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الماء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسى (٣) والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونصب عمره وضحى ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه الا ان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدى ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا (٤) ودماء فما حافان كانت

(١) هكذا هو بالنسخ ولعله الفيض يعنى الكاوى (٢) هو الاصلاح (٣) هو الردىء وتخفف سينه وتشدد (٤) الشعاع التفرق أى أمة متفرقة

للباطل نزوة (١) ولاهل الحق جولة يعفو بها الاثر ويموت لها البشر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر أي بلادكم خرسة ان الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها

﴿ كلام أبي بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما عند موته ﴾

انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت انى أخاف ان لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت أنى لارجو ان لا اكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده الى التهلكة فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

﴿ وأوصى عمر رضى الله تعالى عنه ﴾ الخليفة من بعده فقال أوصيك بتقوى الله لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الاولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالانصار خيرا فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الامصار خيرا فانهم ردء العدو وجباة الفىء لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن تأخذ من حواشى اموال اغنيائهم فترد على فقرائهم وأوصيك بأهل الذمة خيرا ان تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة وأوصيك بتقوى الله أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس فى الله وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فان ذلك بأذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير فى عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وآمرك ان تشتد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم واياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد أصبحت

(١) توثب وثور

بمنزلة

بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به ايمانا ورضوانا وان غلبك الهوى اقترفت به سخط الله وأوصيك ان لا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسى وولدى فان عملت بالذى وعظتك وانتهيت الى الذى أمرتك أخذت به نصيبا وافرا وحظا وافيا وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الامور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا لان الاهواء مشتركة ورأس كل خطيئة ابليس وهو داع الى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرء موالاة عدو الله الداعى الى معاصيه ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفئ فتبغضهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة (٢) بين الاغنياء منهم ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتى اياك وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام ﴿ رسالة عمر رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه ﴾ رواها ابن عيينة وابو بكر الهذلى ومسلمة بن محارب رووها عن قتادة ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلى عن أبى المليح بن أسامة ان ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب الى أبى موسى الاشعرى بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى (٢) اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الامثال واه شباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا (٣) غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا (٤) فى ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم اياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما

(١) هى بالفتح وبضم العقبة فى المال ان يغب الشخص آخر (٢) اى اذا رفع لك الامر وجىء به اليك (٣) هو مفعول المدعى وأمدا هو المفعول الثانى (٤) هو المتهم بسبب قرابته كان يشهد لولده

بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام عليك وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى أول خطبة خطبها علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال أما بعد فلا يرعين مرع الا على نفسه فان من ارعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبي أخذه الله بيده ولا سادس هلك من ادعى ودوى من اقتحم فان اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة منهج عليه باقي الكتاب والسنة وأثار النبوة ان الله داوى هذه الامة بدوائين السوط والسيف فلا هوادة (١) عند الامام فيهما استتروا ببيوتكم واصطلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين أما اني لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه يا ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له انظروا ان أنكرتم فانكروا وان عرفتم فارزوا حق وباطل ولكل أهل ولئن كثر أمر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ما أدبر شئ فأقبل ولئن رجعت عليكم أموركم انكم لسعداء واني لاخشى أن تكونوا في فترة وما علينا الا الاجتهاد قال أبو عبيدة وروى فيها جعفر بن محمد ان ابرار عترتي وأطايب أرومتي (٢) أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا الا وأنا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا أثارنا تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق الا وان بنا تردد برة (٣) كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح وبنا ختم لا بكم * ومن خطب علي أيضا رضى الله تعالى عنه قالوا أغار سفيان بن عوف الازدي ثم الغامدي على الانبار زمان علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وعليها ابن حسان أو حسان البكري فقتله وازال تلك الخيل عن مسالحها فخرج على حتى جلس على باب السدة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان أو ابن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع أحجالها (٤) وقلبها ورعثها ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلما فلو أن

(١) هي اللين (٢) هي بالفتح والضم الاصل (٣) هي نقيض الدولة (٤) هو جمع حجل وهو الخلخال والقلب بالضم السوار وقوله ورعثها لعله ورعاثها جمع رعثة وهو القرط وما الرعث فله معان لا تناسب هنا

امرأ مسلما مات من بعدها أسفا ما كان عندى ملوما بل كان عندى بها جديرا فيا عجبا من جلد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى وفيئا ينهب يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون (١) ويعصى الله وترضون فاذا أمرتكم بالسير اليهم فى الحر قلتم حرارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام الاطفال وعقول ربات الحجال وددت ان الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى الى رحمته من بينكم والله لوددت انى لم أركم ولم أعرفكم معرفتكم والله حرت ندما و رثتم صدرى غيظا وجرعتمونى الموت أنفاسا وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل منهم أحد اشد لها مراسا وأطول لها تجربة منى لقد مارستها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين ولكنه لا رأى لمن لا يطاع قال فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فرنا بامرك فوالله لنضربن بدونك وان حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد قال فاثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال أين تقعان مما أريد ثم نزل * وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيبا فقال أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهى الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدى (٢) حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل وسألتمونى التأخير دفاع ذى الدين المطول هيهات لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اى دار بعد داركم تمنعون أم مع أى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع فى نصرتكم فرق الله بينى و بينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم لوددت ان لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم * وخطب أيضا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا ألا وانكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أمله ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم بالهدى يجر به الضلال ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * خطبة عبد الله بن مسعود رضى

(١) ثوالهم (٢) هو على صيغة أمر المؤنث وحياد بالبناء على الكسر معناه اتسعى اتساعا

الله تعالى عنه ﴿ أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وخير الامور عزائمها ما قل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها خير الغنى غنى النفس خير ما ألقى فى القلب اليقين الخمر جماع الاثام النساء حبالة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المعجزة من الناس من لا يأتى الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا أعظم الخطايا اللسان الكذوب سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية من يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له مكتوب فى ديوان المحسنين من عفا عنه الشقى من شقى فى بطن أمه السعيد من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه أحسن الهدى هدى الانبياء أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى أشرف الموت الشهادة من يعرف البلاء يصبر عليه من لا يعرف البلاء ينكره ﴿ خطبة عتبة بن غزوان السلمى ﴾ بعد الايلة حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد آذنت أهلها بصرم وانما بقى منها صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها ألا وانكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن ما يحضركم ألا وان من العجب انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفا وجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ (١) بالزحام ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة ما لنا طعام الا ورق البشام حتى قرحت أشداقنا فوجدت أنا وسعد بن مالك نمرة فشققتها بينى وبينه بنصفين والتقطت بردة فشققتها بينى وبينه فاتزرت بنصفها واتزر بنصفها وما منا أحد اليوم الا وهو أمير على مصر من الامصار وانه لم يكن نبوة قط الا تناسختها جبرية وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا وستجربون الامراء من بعدى فتعرفون وتنكرون ﴿ خطبة من خطب معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما ﴾ رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطرى وغيره قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب قال نفر من قريش يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم قال لا أدرى قال فوالله ما لهم بعدى الا الذى يسؤهم وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال يا أيها الناس انا قد أصبحنا فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيأ ويزداد فيه الظالم عتوا لا ننتفع بما علمناه ولا نسأل عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنعه من الفساد فى الارض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض (٢) وفره ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله ورجله والمعلن بشره قد أشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان تراها لنفسك ثمنا ولما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا

(١) هو من تبهظه الامور حتى يعجز عنها (٢) قلة ماله

بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه وقارب من خطو
بوشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية ومنهم من قد أقعده عن
طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرت به الحال عن أمله فتحلى باسم القناعة وتزين
بلباس الزهاد وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع
وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر وخائف منقمع وساكت مكعوم (١) وداع
مخلص وموجع ثكلان قد أخلتهم التقية وشملتهم الذلة فهم بحر أجاج أفواههم ضامرة
وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا في أعينكم
أصغر من حثالة (٢) القرظة وقراضة الجلمين (٣) واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ
بكم من بعدكم فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان أشغف بها منكم وفي هذه الخطبة أبقاك
الله ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية
ومنها ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعماهم عليه من القهر والاذلال
ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد
معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وانما
نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله أعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم ﴿ خطبة زياد بالبصرة
البتراء ﴾ قال أبو الحسن المدائني ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب وعن أبي بكر الهذلي قالا قدم
زياد البصرة والي معاوية بن أبي سفيان وضم اليه خراسان وسجستان والغسق بالبصرة
كثير فاش ظاهر قالا فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقال غيره ما بل قال الحمد لله على
افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعما فالهمنا شكرا أما
بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفي باهله على النار ما فيه سفهاؤكم
ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم
لم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل
معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت
مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث
الذي لم تسبقوا اليه من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة
والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج
الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على
المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ضنين من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما أنتم
بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام

(١) مشدود ما خوذ من يحكم المتاع شده بثوب (٢) الحثالة الغلث والقرظة النبات الذي يدبغ به (٣) فردتي المقص

ثم اطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وانى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم قناتكم ان كذبة المنبر بلقاء مشهورة فاذا تعلمتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى فاذا سمعتموها منى فاعتزوها فى واعلموا ان عندى أمثالها ممن نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه فايای وديج (١) الليل فانى لا أوتى بمدبج الا سفكت دمه وقد أجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم وايای ودعوى الجاهلية فانى لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم احداثا لم تكن وقد احدث لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم اكف عنكم يدى ولسانى ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بينى وبين اقوام احن (٢) فجعلت ذلك دبر اذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيأ فليتزع من اساءته انى لو علمت أن احدكم قد قتله السل من بغضى لما كشف له قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا أموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة (١) نسوسكم بسلطان الله الذى اعطانا ونذود عنكم بفيئ الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا واستوجبوا عدلنا وفيأنا بما صحتكم لنا واعلموا انى مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو انانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتمونى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وأيم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاى قال فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه قال فقام الاحنف بن قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثنى حتى نبتلى فقال له زياد صدقت فقام ابو بلال مرداس بن أمية وهو يهمس ويقول انبأنا الله بغير ما قلت قال الله وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى

(١) الديوج فيه (ز) هى جمع أعنه وهى العداوة (٣) هو جمع ذائد بمعنى دافع

والمقبل

والمقبل بالمدبر فسمعها زياد فقال انا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا خلا دبن يزيد الارقط قال سمعت من يخبر ان الشعبي قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن الا أحببت ان يسكت خوفا من ان يسيء الا زيادا فانه كان كلما اكثر كان اجود كلاما أبو الحسن المدائني قال قال الحسن او عدد عمر فعفا واوعد زياد فابتلى قال وقال الحسن تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس قال ابو عثمان قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه صدرا وذكرنا من خطب السلف جملا وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ومواعظ النساك ونقصد من ذلك الى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ وأبعد من السآمة والملال ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة الى أهلها ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله قال ابو الحسن المدائني قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب بن أبي صفرة في بعض أيامه مع الازارقة فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال آنس الله الاسلام بتلاحقكم فوالله لئن لم تكونوا أسباط نبوة انكم لاسباط ملحمة قال ابو الحسن دخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حالات لزمته ونوائب نابته فقال أصلحك الله انه قد عظم شأنك عن ان يستعان عليك ولست تصنع شيأ من المعروف الا وأنت اكبر منه وليس العجب بان تفعل ولكن العجب بان لا تفعل فقال يزيد حاجتك فذكرها فامر بها وأمر له بمائة الف درهم فقال اما الحملات فقد قبلتها وأما المال فليس هذا موضعه عيسى بن يزيد بن دأب عن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال قال عثمان بن ابي العاص الثقفي لبنيه يا بني اني قد اجدتكم في امهاتكم واحسنت في مهنة أموالكم واني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكم مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء فلما مات نجب ولو بعد حين قال فقال ابن عباس يا غلام اكتب لنا هذا الحديث قال ولما هممت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان معاشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا قال وسمعت اعرابيا ذكر يوما قريشا فقال كفى بقريش شرفا انهم أقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقربهم بيتا من بيت الله الاصمعي قال قيل لعقيل بن علفة لم تهجو قومك قال الغنم اذا لم يصفر لها لم تشرب قال وقيل لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق قال وسأل عمر رضي الله عنه عمرو بن معديكرب الزبيدي عن سعد فقال كيف أميركم قال خير أمير نبطي (١) في حوبته عربي في غمرته أسد في ناموريته يعدل في القضية ويقسم بالسوية وينفر بالسرية وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر لشر ما تقارضتما الثناء قال ولما ورد الحارث بن قيس الجهضمي لعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن عمرو العتكي عن غير اذن فاراد

(١) نسبة الى النبط وهم جيل ينزل بين العراقين والحوبة الغربة والنمرة هي الشملة التي فيها خطوط والناموزة بسكون الهمز هي عريسة الاسد

مسعود اخراجه من منزله قال عبيد الله قد أجارتني بنت عمك عليك وعقدها العقد الذي يلزمك وهذا ثوبها على وطعامها في مذاخري (١) وقد التف على منزلك وشهد له الحارث بذلك قال مر الشعبي بناس من الموالي يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده قال وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابي حاضر فقيل له كيف ترى هذا الكلام قال لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا وقال العذر طرف من البخل وقال أيضا الخرس خير من الخلابة وقال ابو عمر الضرير البكم خير من البذاء قال وقدم الهيثم بن الاسود بن العريان على عبد الملك بن مروان فقال كيف تجدك قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب ان يسود واسود مني ما كنت أحب ان يبيض واشتد مني ما كنت أحب ان يلين ولان مني ما كنت أحب ان يشتد ثم أنشد

اسمع أنيك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر * وقلة الطعم اذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر * وترك الحسناء في قبل الطهر
وحذرا زاده الى حذر * والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال اكثم بن صيفي الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء الفطنة وقال اكثم تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة وقال آخر لبنيه تباذلوا تحابوا قال ودخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله فقال له عيسى والله ما كانعدك للصراع ولقد أبقى الله لنا اكثرك ابقى لنا سمعك وبصرك واسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال له عروة والله يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به قال وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقرؤا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ولن يبلغ حق ذي حق ان يطاع في معصية الله ولن يقرب من أجل ولن يباعد من رزق ان يقوم رجل بحق او يذكر بعظيم وقال اعرابي لهشام بن عبد الملك أتت علينا ثلاثة أعوام فعام أكل الشحم وعام أكل اللحم وعام نتقى العظم وعندكم أموال فان كانت لله فادفعوها لي عباد الله وان كانت لعباد الله فادفعوها اليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين قال فهل من حاجة غير ذلك قال ما ضربت اليك أكباد الابل أدرع الهجير وأخوض الدجى لحاص دون عام قال شداد الحارثي ويكنى أبا عبيد الله قلت لامة سوداء بالبادية لمن أنت يا سوداء قالت لسيد الحضر يا أصلع قال قلت أولست بسوداء قالت أولست بأصلع قال قلت ما غضبك من الحق قالت الحق أغضبك لا تسبب ترهب ولان تتركه امثل وقال الاصمعي قال عيسى بن عمر قال ذو الرمة قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها سألتها كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ماشئنا وأنا

(١) الاجواف والامعاء

رأيت عبدا أسود لبني أسيد قدم عليهم من شق اليمامة فبعثوه ناطورا وكان وحشيا محرما لطول تغربه كان في الابل وكان لا يلقى الا الاكرة (١) فكان لا يفهم عنهم ولا يستطيع افهامهم فلما رآني سكن الي وسمعته يقول لعن الله بلادا ليس فيها عرب قاتل الله الشاعر حيث يقول * حر الثرى مستغرب التراب * أبا عثمان ان هذه العريب في جميع الناس كمقدار القرحة في جميع جلد الفرس فلولا ان الله رق عليهم فجعلهم في حاشية لطمست هذه العجم ان آثارهم أترى الاعيار (٢) اذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا والله ما أمر الله نبيه بقتالهم الا لضنة بهم ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيها لهم قال الاحنف أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار قال ولما مات أسماء بن خارجة الفزاري فبلغ الحجاج موته قال هل سمعتم بالذي عاش ماشاء ثم مات حين شاء وقال سلم بن قتيبة دأب المعروف أشد من ابتدائه أبو هلال عن قتادة قال قال أبو الاسود اذا أردت ان تكذب صاحبك فلقنه وقال أبو الاسود اذا أردت ان تعظم فت وقال أبو الاسود اذا أردت ان تفحم عالما فاحضره جاهلا قال قيل لاعرابي ما يدعوك الى نومة الضحى قال مبردة في الصيف مسخنة في الشتاء وقال اعرابي آخر نومة الضحى معجزة مبخرة وجاء في الحديث الولد مجبنة مبخلة قال ونظر أعرابي الى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال أما والله لئن أثرتموه لتمسكن منه بذنابي عيش أغبر وقال أسماء بن خارجة اذا قدمت المصيبة تركت التعزية وقال اذا قدم الاخاء قبح الثناء وقال اسحاق بن حسان لا تشمت الامراء ولا الاصحاب القدماء وسئل اعرابي عن راع له فقال هو السارح الآخر الرائح الباكر الحالب العاصر الحاذق الكاسر قال وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بني اصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء وروهم سير الحكماء واستزدني بزيادتك اياهم أزدك واياك ان تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك وزدني في تأديبهم أزدك في بري ان شاء الله تعالى محمد بن حرب الهلالي قال كتب ابراهيم بن أبي يحيى الاسلمي الى المهدي يعزيه على ابنته أما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه من عظم حق الله عليه فيما أبقى له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك وان الباقي بعدك هو المأجور فيك وان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه وقال سهل بن هارون التهنئة على أجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وقال صالح بن عبد القدوس

(١) هم الحراثون (٢) هو جمع عير وهو الحمار والعتاق الخيل الاصائل

ان يكن مابه أصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجل
كل آت لاشك آت وذو الجهـ * ـل معنى والهم والحزن فضل

وقال لقمان لابنه يابني اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال وكان يقال أربع لاينبغي لاحد أن يأنف منهن وان كان شريفا أو أميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته للعالم وقال بعض الحكماء اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال لاتغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير وكتب آخر أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترض الابال كل منا لك * ووصف بعض البلغاء اللسان فقال اللسان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف يعرف به الحقائق ومعز ينفي به الحزن ومؤنس تذهب به الوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة وملهم يونق الاسماع وقال بعض الاوائل انما الناس أحاديث فان استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل ولما وصل عبد العزيز بن زرارة الى معاوية قال يا أمير المؤمنين لم أزل أستدل بالمعروف عليك وامتطي النهار اليك فاذا ألوى بي الليل فقبض البصر وعفى الاثر أقام بدني وسافر أملي والنفس تلوم ولاجتهاد يعذر واذا بلغتك فقطني (١) قال وقال لقمان ثلاثة لايعرفون الا في ثلاثة مواطن لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا في الحرب ولا تعرف أخاك الا عند حاجتك اليه وقال أبو العتاهية

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر اخوه * فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

وقال علي بن الحسين لابنه يابني اصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق ولا تجب أخاك الى شئ ضرره عليك أعظم من منفعته له وقال الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات قال رب غيظ تجرعته مخافة ماهو أشد منه وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن طال صمته كثرت سلامته وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل (٢) وقال محمد ابن حرب الهلالي عن أبي الوليد الليثي قال خطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة وهي أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك أتيتني تشتري مني كبدي وارحم ولدي عندي أبغيتك أو زودتك والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب وقد أنكحتك خشية ان لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية أنصح ابنا وأودع ضعيفا قويا يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ماترك الاول للآخر ما يعيش به قال وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكن لها أهلا لا يرجون أحدكم الا ربه

(١) أي يكفيني ذلك عن كل اجتهاد (٢) أي التنقل من دين الى آخر

ولا

ولا يخافن الاذنبه ولا يستحى أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم واذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان قال وقال الاصمعى أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فافرط فقال على وكان يتهمه انا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قيمة كل انسان ما يحسن وقال له مالك الاشتر كيف وجد أمير المؤمنين امرأته قال كالخير من النساء الا أنها قباء(١) قال وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين قال لا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع قال ووقف رجل على عامر الشعبى فلم يدع قبيحا الا رماه به فقال له عامر ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال ابراهيم النخعى لسليمان الاعمش وأراد أن يعاشره فقال ان الناس اذا رأونا معا قالوا أعور وأعمش قال وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال ابراهيم وما عليك ان يسلموا ونسلم قال أبو الحسن كان هشام بن حسان اذا ذكر يزيد بن المهلب قال انه كانت السفن لتجرى فى جوده قال مكتوب فى الحكمة التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والوحدة خير من قرين السوء قال وكان مالك بن دينار يقول ما أشد فطام الكبير وينشد قول الشاعر

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وقال صالح المرى كن الى الاستماع أسرع منك الى القول ومن خطأ الكلام أشد حذرا من خطأ السكوت وقال الحسن بن هانئ

خل جنبيك للرام * وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من الـ * ـعجم واه بالجـ * ـام
ربما استفتحت بالمز * ح مغاليق الحمام(٢)

قال أبو عبيدة وأبو الحسن تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فاسهبوا فى القول ثم افترع المنطق رجل من أخريات الناس لا يخرج من حسن الا الى أحسن منه فقال مسلمة ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء الا بسحابة لبدت بحاجة قال أبو الحسن علم اعرابى بنيه الخراءة فقال اتبعوا الخلاء وابعدوا من الملاء واعلوا الضراء واستقبلوا الريح والجوا(٣) فجاج النعامة وامتسحوا باشملكم ويروى عن الحسن انه قال لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال يا بنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا اصاغركم فيسفه الناس كباركم ولا تهونوا عليهم وعليكم باستصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها آخرة كسب الرجل سئل دغفل النسابة عن بنى عامر بن صعصعة قال أعناق ظباء وأعجاز نساء قيل فتميم قال حجر أخشن ان دنوت منه أذاك وان تركته أعفاك قيل فاليمن قال سيدوانوك قال وكانوا

(١) هى دقيقة الحضر صامرة البطن وهى ممدوحة لغير القصد الذى ذكره (٢) هو ككتاب قضاء الموت وقدره (٣) الانجاج التوسعة

يقولون لا تستشير وامعلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء عفان بن شبة قال كنت رديف أبى فلقيه جرير على بغل فحياه أبى وألطفه فقلت له بعد ما قال لنا ما قال قال يا بنى أفوسع جرحى قال ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب الى مهاجاته فقال الكلابى ان نسائى بامتعتهن ولم تدع الشعراء فى نسائك مترقعا وقال جرير أنا لا ابتدى ولكنى أعتدى وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك قال أبو عبيدة لقى المخبل القريعى الزبرقان فقال كيف كنت بعدى أباشذرة قال كما يسرك محيلا مجربا قال وكان عبد الملك ابن مروان يقول جمع أبو زرعة يعنى روح بن زنباع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز وذكر لعمر بن الخطاب اتلاف شباب من قريش أموالهم فقال عمر خرقة أحدهم أشد على من عيلته وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس وقال زياد لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه وقال عمر بن العاص البطنة (١) تذهب الفطنة وقال معاوية بن أبى سفيان ما رأيت رجلا مستهترا بالباءة الا تبينت ذلك فى مئته (٢) قال الاصمعى قال أبو سليمان الفقعسى لاعرابى من طيئ أبامرأتك حمل قال لا وذو بيته فى السماء ما أدرى والله ما لها ذنب تشال به وما أتيتها الا وهى ضبعة (٣) قال أبو الحسن المدائنى اتخذ يزيد بن المهلب بستانا بخراسان فى داره فلما ولى قتيبة خراسان جعل ذلك لابله فقال له مرزبان مرو ان هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة ان أبى كان اشتربان يعنى رئيس الجماليين وأبو يزيد كان بستان بان قال وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوما لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ما خلا هاجر فقال له لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب قال ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال ان كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك قال وعزى عمرو بن عبيد أخاه على ابن مات له فقال ذهب أبوك وهو أصلك وذهب ابنك وهو فرعك فما حال الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذف مسلم ابن قتيبة قال وقال رجل من بنى تميم لصاحب له اصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه وعذل عاذل شعيب بن زياد على شرب النبيذ فقال لا أتركه حتى يكون شرعملى وقال المأمون اشربه ما استشعته حتى اذا استهل عليك فاتركه وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كتب أحدكم فليترب كتابه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة ونظر صلى الله تعالى عليه وسلم الى رجل فى الشمس فقال تحول الى الظل فانه مبارك وقال

(١) الامتلاء من الطعام (٢) هى القوة (٣) أى تشتهى الرجال

المغيرة

المغيرة بن شعبة لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب وكان يقال ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب قال وقدم سعيد بن العاصي على معاوية فقال كيف تركت أبا عبد الملك قال منفذ الامر ك ضابط العمالك فقال معاوية انما هو كصاحب الخبزة كفى انضاجها فاكلها فقال سعيد كلا انه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل سهما لك وسهما عليك قال فما باعد بينك وبينه قال خفته على شرفي وخافني على مثله قال فأي شئ كان له عندك في ذلك قال اسوءه حاضرا وأسره غائبا قال يا أبا عثمان تركتنا في هذه الحروب قال نعم تحملت الثقل وكفيت الحزم وكنت قريبا لو دعيت لاجبت ولو أمرت لاطعت قال معاوية يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم قال وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر والعتكي فلما أثنى الوفد على الحجاج عند الملك والحجاج حاضر قال زياد يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه وقال شبيب بن شيبة لمسلم بن قتيبة والله ما أدري أي يومك أشرف أيوم ظفرك أم يوم عفوك قال وقال غلام لابيه وقد قال لست لي بابا والله لانا اشبه بك منك بأبيك ولانت أشد تحصينا لامي من أبيك لامك قال وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الى رجل من اخوانه أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبتني جفاء من غير ذنب فأطمعني أولك في اخائك وآيسني آخرك في وفائك فلا أنا في اليوم مجمع لك اطراحا ولا انا في غد واثق باظهاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك فاقنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام وكتب الى أبي مسلم صاحب الدعوة أيضا من الحبس من الاسير في يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه ما بعد فاتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية فانك مستودع ودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عاريه والصنائع مرعيه وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا بمبلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب ان يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والامن من المخافة فقد أنعم الله عليك بان فوض أمرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديد مع معالجة الاغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة (١) فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى فتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفا تجد عندنا نصحا صريحا ووداصحيحا لا يضيع مثلك مثله ولا ينفى مثلك أهله

(١) هي مصدر آيسه اذا قنطه

فارع حرمة من ادركت بحرمته واعرف حجة من فلجت (١) بحجته فان الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء يمشون فى الابراد ونحن نحمل فى الاقياد بعد الخير والسعة والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان صريح الاخيار منجى الابرار الناس من دولتنا فى رخاء ونحن منها فى بلاء حين أمن الخائفون ورجع الهاربون رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن وانك أمين مستودع ورائد مصطنع والسلام ورحمة الله قال هشام بن الكلبى حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال شكت بنو تغلب السنة الى معاوية فقال كيف تشكون الحاجة مع ارتجاع البكارة واختلاف المهارة وقال ابن الكلبى كتب معاوية الى قيس بن سعد أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه فأكثر المحن وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران والسلام فكتب اليه قيس بن سعد أما بعد فانما أنت وثن بن وثن دخلت فى الاسلام كرها وخرجت طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبى وترقوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الاحنف فخرج الاذن فقال ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزيمة أمير المؤمنين لاخبرته ان دافة (٢) دفت ونازلة نزلت ونائبة نابت ونابئة نبتت كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنين وبره قال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد قال وقال غيلان بن خرشة للاحنف ما فيه بقاء العرب قال اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم وركبوا الخيل ولم تأخذهم حمية الاوغاد قال وما حمية الاوغاد قال ان يعدوا التواهب فيما بينهم ضيما وقال عمر العمائم تيجان العرب وقيل لاعرابى مالك لا تضع العمامة عن رأسك قال ان شيأ فيه السمع والبصر لحقيق بالصون وقال على رضى الله تعالى عنه جمال الرجل فى كمته (٣) وجمال المرأة فى خفها وقال الاحنف استجيدوا النعال فانها حلا خميل الرجال قال وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه فقال الاحنف مالكم ومالة يأكل رزقه وتحمل الارض ثقله ويكفى قرنه مسلمة بن محارب قال قال زياد لحرقة بنت النعمان ما كانت لذة أبيك قالت ادمان الشراب ومحادثة الرجال قال وقال سليمان بن عبد الملك قد ركبنا الفاره وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين حتى استخشناه وأكلنا الطيب حتى اجتناه فما أنا اليوم الى شئ أحوج منى الى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ وأشار واعلى عبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا انما يتولاها منك الطبيب فقال أنا بالصاحب آنس وقال معاوية بن أبى سفيان للنخار ابن أوس العذرى ابغنى محدثا قال أو مى يا أمير

(١) أى غلبت وظهرت (٢) هى الجيش يدفون نحو العدو (٣) هى بالضم القلنسوة

المؤمنين

المؤمنين قال نعم استريح منه اليك ومنك اليه قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابى مريم الحنفى والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح قال فتمنعنى لذلك حقا قال لا قال لا ضير انما يأسف على الحب النساء وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته لم تطلقها قال لأحبها قال أوكل البيوت بنيت على الحب فاين الرعاية والتذمم قال وأتى عبد الملك ابن مروان برجل فقال زبيرى عميرى والله لا يحبك قلبى أبدا قال يا أمير المؤمنين انما يبكى على الحب المرأة ولكن عدل وانصاف عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة قال نازع مروان ابن الزبير عند معاوية فرأى ابن الزبير ان ضلع معاوية مع مروان فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين ان لك حقا وطاعة علينا وان لك بسطة وحرمة فينا فاطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا الا فى حق الله ولا تطرق اطراق الافعوان فى أصول السخبر (١) أبو عبيدة قال قيل لشيخ مرة ما بقى منك قال يسبقنى من بين يدى ويلحقنى من خلفى وانسى الحديث واذكر القديم وآنس فى الملأ واسهر فى الخلاء واذا قمت قربت الارض منى واذا قعدت تباعدت عنى الاصمعى قال قلت لاعرابى معه ضاجعة من شاء لمن هذه قال هى لله عندى قال ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعبا ودخل بالكوفة قال لهيثم بن الاسود النخعى كيف رأيت الله صنع قال قد صنع الله خيرا فخفف الوطأة وأقل التثريب قال وقال ابن عباس اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله قال وكانوا يستحبون ان لا يجيبوا فى كل ما سئلوا عنه قال وقال ابن عمر من قال عند ما لا يدرى لا أدرى فقد أحرز نصف العلم قال وقال ابن عباس ان لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية واعتذر رجل الى مسلم بن قتيبة فقال مسلم لا يدعونك أمر قد تخلصت منه الى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه قال وكان يقال دعوا المعاذر فان أكثرها مفاجر قال وقال ابراهيم النخعى لعبد الله بن عوف تجنب الاعتذار فان الاعتذار يخالطه الكذب قال واعتذر رجل الى أحمد بن أبى خالد فقال لابى عياد ما تقول فى هذا قال يوهب له جرمه ويضرب على عذره أربعمائة وقد قال الاول عذره أعظم من ذنبه قال وقيل لابن عباس ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه فقال ابن عباس أى حق رفع وأى باطل وضع وقال عبد الله ابن جعفر لابنته يا بنية اياك والغيرة وانها مفتاح الطلاق واياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب واعلمى ان أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء قال ولما نازع ابن الزبير مروان عند معاوية قال ابن الزبير يا معاوية لا تدع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم (٢) بمعاوله ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه (٣) وأقل فى نفوسنا من خشاشه (٤) ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك

(١) هو شجر يشبه الاذخر (٢) هو جمع صفاة وهى الحجر الاملس (٣) هى الحيوان الذى يرمى نفسه فى النار (٤) هى أحد حشرات دواب الارض

طبقا تخافه قال معاوية ان يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه وان يتركه يتركه لمن هو فوقه وما أراكم منتهين حتى يبعث الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند مملة يسومكم خسفا ويوردكم تلفا فقال ابن الزبير اذن والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كجل الجراد (١) حافاتها الاسل لها دوى كدوى الريح تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة قال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع وليس للآكل الا الفلذة وللشارب الا الرنق (٢) بكر بن الاسود قال الحسن ابن على لحبيب بن مسلمة رب مسير لك فى غير طاعة الله قال أما مسيرى الى أبيك فلا قال بلى ولكنك اطعت معاوية على دنيا قليلة فلعمرى لئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى دينك ولوانك ان فعلت شرا قلت شرا كنت كما قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنك كما قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال أبو الحسن سمعت أعرابيا فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول أما بعد فانا ابناء سبيل وانضاء طريق وفل سنة تصدقوا علينا فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت أما والله انا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة وفى القلب غصة وقال الاحنف بخراسان يا بنى تميم تحابوا تجتمع كلمتكم وتباذلوا تعتدل أموركم وابدؤا بالجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم ومن كلام الاحنف السائر فى أيدى الناس الزم الصحة يلزمك العمل وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة نحن منا بتنا قصب وأنهارنا عجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب وقال الاحنف نحن أبعد منكم سرية وأعظم منكم تجربة وأكثر منكم ذرية واغذى منكم بررة وقال أبو بكر الهذلى نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجاجا قال كتب صاحب لابى بكر الهذلى الى رجل يعزيه عن أخيه أوصيك بتقوى الله وحده فانه خلقك وحده ويبعثك يوم القيامة وحده والعجب كيف يعزى ميت ميتا عن ميت والسلام قال وقال رجل لابن عباس أيما أحب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل قال ما أعدل بالسلامة شيأ وقال آخر حماقة صاحبى على أشد ضررا منها عليه شعبة أبو بسطام قال قال عبد الرحمن بن أبى ليلى لا أمارى أخى فاما أن أكذبه وأما أن أغضبه قال واحتد على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه فقال ابن أبى ليلى له اهد الينا من هذا ما شئت فلما مات ابن أبى ليلى وعمرو بن عبيد رحمهما الله قال أبو جعفر المنصور ما بقى أحد يستحيى منه قال ولما مات عبد الله بن عامر قال معاوية رحم الله أبا عبد الرحمن بمن يفاخر مسلمة بن محارب قال قال زياد ما قرأت كتاب رجل قط الا عرفت عقله فيه أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الاشدق قام خطيبا فقال

(١) هى الجماعات منه (٢) هو الماء الكدر

ان أباذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولما جاءه قتل أخيه مصعب بن الزبير قام خطيبا بعد خطبته الاولى فقال ان مصعبا قدم أيره وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل الشام حتى غشيته فى داره ولئن هلك مصعب ان فى آل الزبير خلفا منه قال ولما قدم ابن الزبير بفتح افريقية أمره عثمان فقام خطيبا فلما فرغ من كلامه قال عثمان أيها الناس أنكحوا النساء على أبائهن واخوتهن فانى لم أرفى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا قال وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابيا يقول اللهم اغفر لام أوفى قال ومن أم أوفى قال امرأتى وانها لحمقاء مرغامة (١) أكول قامة لا تبقى لها حامة غير انها حسناء فلا تفرك (٢) وأم غلمان فلا تترك قال ودفعوا الى اعرابية علكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها فى ذلك فقالت مافيه الا تعب الاضراس وخيبة الحنجرة قال وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين ورد عليه كتاب المنصور فى القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه فلما قتل أبو مسلم أذكره المنصور ذلك فقال ان أخاك ابراهيم الامام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال لا يزال الرجل يزداد فى رأيه اذا نصح لمن استشاره فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك وقال الحسن التقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم قال رجل لعمر بن عبيد انى لأرحمك مما يقول الناس فيك قال أفتسمعنى أقول فيهم شيأ قال لا قال اياهم فارحم قال ومدح نصيب أبا الحناء عبد الله بن جعفر فاجزل له من كل صنف فقيل له أتصنع هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله ان كان جلده أسود فان ثناءه لابيض وان شعره لعربى ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وانما أخذ واحل تنضى وثيابا تبلى ومالا يغنى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى قال وقف اعرابى فى بعض المواسم فقال اللهم أن لك على حقوقا فتصدق بها على وللناس تبعات قبلى فتحملها عنى وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة قال ووقف اعرابى فسأل قوما فقالوا له عليك بالصيارفة قال هناك والله قرارة اللؤم وقال مسلمة ثلاثة لا أعذرهم رجل أحفى شعره ثم أعفاه ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة أبو اسحق قال قال حذيفة كن فى الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب وقال الشاعر وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا

ألم تر أن الناب تحلب علبة (٣) * ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر

عتبة بن هرون قال قلت لرؤبة كيف خلفت ما وراءك قال التراب يابس والمرعى عابس قال وقال معاوية بن أبى سفيان لابن عباس انى لاعلم انك واعظ نفسه ولكن المصدور اذا

(١) هى المغضبة لبعلها والقامة هى التى قائل ماعلى الخوان والحامة خاصة الرجل من أهله (٢) أى لا تبغض
(٣) أى شديدة والثلب بالكسر الجمل تكسرت أنيابه هرما

لم ينفث جوى (١) قال وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أتقول الشعر مع الفسك والفضل والفقه قال لا بد للصدور من أن ينفث قال أبو الذيال قال شويس انا والله العربي لا أرفع الجربان (٢) ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ولانا أرسى من حجر وما قرقني الا الكرم أبو الحسن وغيره قال قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالبخراء من أرض حمص يا أمير المؤمنين انك تستنطقني بالانس بك واكف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك أفاسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل ذلك مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام قال كان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف قال بعضهم كنت أجالس ابن صغير في النسب فجلست اليه يوما فسألته عن شئ من الفقه فقال ألك بهذا حاجة علمك بذلك وأشار بذلك الى سعيد بن المسيب فجلست اليه لا أظن أن عالما غيره ثم تحولت الى عروة فتفقهت به ثبج بحر قال وقلت لعثمان البري دلني على باب الفقه قال اسمع الاختلاف قال وقيل لاعرابي عندك من تحب أن لا يكون طعامك قال عند أم صبي راضع أو ابن سبيل شاسع أو كبير جائع أو ذي رحم قاطع وقال بعضهم اذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة قال قلت فمن أسوأ الناس حالا قال من اتسعت معرفته وبعدت همته وقويت شهوته وضاقت مقدرته وذكر عند عائشة الشرف فقالت كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به قال ودخل رجل على أبي جعفر فقال له اتق الله فانكر وجهه فقال يا أمير المؤمنين عليكم نزلت ولكم قيلت واليكم ردت وقال رجل عند مسلمة ما استرحنا من عائك كندة حتى جاءنا هذا المزني فقال مسلمة أتقول هذا الرجل سار اليه فريقا قريش يعني نفسه والعباس بن الوليد ويزيد بن المهلب حاول عظيما ومات كريما عبد الله بن الحسن قال قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه خصصنا بخمس فصاحة وصباحة وسماحة ونجدة وحظوة يعني عند النساء علي بن مجاهد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال الاصمعي كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية فقالوا ما نكتب فيه فقال اكتبوا يسئل عن كل صناعة أهلها وقال شبيب بن شيبة للمهدي ان الله لم يرض ان يجعلك دون أحد من خلقه فلا ترض لنفسك ان يكون أحد أخوف لله منك قال يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء وقال ان من اهانة العلم أن تجاري فيه كل من جاراك قال وحمل رقبة بن مصلقة من خراسان رجلا الى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها اليها حتى تكون معها البينة على انها أمه فقالت لخادم لها اذهبي حتى تأتينا ببعض من يعرفنا فلما أتاها الرجل برزت وقالت الحمد لله أشكو الى الله الذي

(١) أي أصابه داء في صدره (٢) هي الصبغ الاحمر أو الخمر

أبرزني وشهر بالفاقة أهلي فلما سمع كلامها قال أشهد انك أمه فردي الخادم ولا حاجة بنا الى أن تجيء البينة قال وكان الحسن يقول في خطبة النكاح بحمد الله والثناء عليه أما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة عامر بن سعد قال سمعت الزبير يعزي عبد الرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبرها لا يصفر ربعك ولا يوحش بيتك ولا يضيع أجرك رحم الله متوفاك وأحسن الخلافة عليك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي صاحبه يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم قال مصعب بن الزبير على طول خطبته عشية عرفة فقال أنا قائم وهم جلوس واتكلم وهو سكوت ويضجرون وقال موسى بن يحيى كان يحيى بن خالد يقول ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه والرسول على مقدار عقل مرسله والهدية على مقدار مهديها قال وذكر اعرابي أميرا يقضي بالعشوة ويطيل النشوة ويقبل الرشوة وقال يزيد بن الوليد ان النشوة تحل العقدة وتطلق الحبوة وقال اياكم والغناء فانه مفتاح الزنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا توجه أحدكم في وجه ثلاث مرات فلم يصب خيرا فليدعه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لا تكونن ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها في طول حياته قال اعرابي خرجت حيث انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لي الفجر قال وسألت اعرابيا عن مسافة ما بين بلدين فقال عمر ليلة وأديم يوم وقال آخر سواد ليلة أو بياض يوم وقال بعض الحكماء لا يضرك حب امرأة لا تعرفها وقال رجل لابي الدرداء فلان يقرئك السلام فقال هدية حسنة ومحمل خفيف قال وسرق مزبد نافجة مسك فقيل له ان كل من غل يأتي يوم القيامة بحمله على عنقه قال اذا والله أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل قال ومن أبخل البخل ترك رد السلام قال ابن عمر لعمري اني لارى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام وجاء رجل الى سليمان فقال يا أبا عبد الله فلان يقرأ عليك السلام فقال أما انك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك قال مثنى بن زهير لرجل احتفظ بكتابي حتى توصله الى أهلي فمن العجب ان الكتاب ملقى والسكران مؤتى وكان عبد الملك بن الحجاج يقول لانا للعاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل قال واياك ومصاحبة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك وكتب الحجاج الى عامل له بفارس ابعث الي بعسل من عسل خلار (١) من النحل الابكار من الدستفشار الذي لم تمسه النار

(١) هو موضع بفارس ينسب اليه العسل

وقال الشاعر وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاخلاق نفسك فاجعل
قال ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقى عليه الماء فقال وما المرء الا حيث يجعل نفسه لو أن هذا البرذون هملج (١) ما فعل به هذا عمران بن هداب قال قال مسلم بن قتيبة دأب المعروف أشد من ابتدائه وقال محمد بن واسع الاتقاء على العمل أشد من العمل وقال يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء وقال محمد بن محمد الحمراني من التوقى ترك الافراط في التوقى وقال أبو قرة الجوع للحمية أشد من العلة وقال الجماز الحمية احدى العلتين وقال القمي من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه وفي شك مما يأمل من دوام الصحه وقال اعتبر عزمه بحميته وحزمه بمتاع بيته قال وذكر اعرابي رجلا فقال حمى المبتلى حنوط المعافى وقالوا أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقيل لرجل من الحكماء ما جماع البلاغة قال معرفة السليم من المعتل وفصل ما بين المضمن والمطلق وفرق ما بين المشترك والمفرد وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد وقال سهل ابن هرون في صدر كتاب له واجب على كل ذي مقالة ان يبتدي بالحمد قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وقال أبو البلاد

انا وجدنا الناس عودين طيبا * وعودا خبيثا لا يبض (٢) على العصر
تزين الفتى اخلاقه وتشينه * وتذكر اخلاق الفتى وهو لا يدرى

﴿وقال آخر في هذا المعنى﴾

سابق الى الخيرات أهل العلى * فانما الناس أحاديث
كل امرئ في شأنه كادح * فوارث منه وموروث

ولما قال حمل بن بدر لبني عبس والاسنة في ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم نؤدي السبق وندي الصبيان وتخلون سربنا وتسودون العرب انتهره حذيفة وقال اياك والكلام المأثور وقال الشاعر اليوم خمر ويبدو في غد خبر * والدهر من بين انعام وابآس
قال وقال اعرابي ان المسافر ومتاعه لعلى قلت (٣) الا ما وقى الله وقالوا السفر قطعة من العذاب وصاحب السوء قطعة من النار قال وجلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البراءة من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فجاءه رجل من بني تميم فاراده على ذلك فقال يا أمير المؤمنين نطيع احياكم ولا نبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال ان هذا رجل فاستوص به خيرا وقال الشاعر

قالت امامة يوم برقة واصل * يا ابن العذير لقد جعلت تغير
أصبحت بعد زمانك الماضي الذي * ذهبت شبيبته وغصنك أخضر
شيخا دعامتك العصا ومشيعا * لا تبتغي خيرا ولا تستخبر

(١) أي ء حتى ارتاض (٢) أي لا يخرج منه شئ عند العصر (٣) هو كفرح الهلاك

وكان

وكان الربيع بن خثيم لا يخبر ولا يستخبر وكان مطرف بن عبد الله يستخبر و يخبر قالوا فينبغي أن يكون أعقلهم وقال أبو عبيدة كان ابن سيرين لا يستخبر ولا يخبر وأنا أخبر وأستخبر وقال أبو عمرو بن العلاء لاهل الكوفة لكم حذلقة النبط وصلفهم ولنا دهاء فارس وأحلامهم وأنشدوا للحارث بن حلزة اليشكري

لا أعرفنك ان أرسلت قافية * تلقى المعاذير ان لم تنفع العذر

ان السعيد له في غيره عظة * وفي التجارب تحكيم ومعتبر

ومعنى المعاذير ههنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى في القرآن بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ههنا الستور وقال أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج فقال له أما انك ان لم تعد الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك قالوا كان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه في ذلك فقال أدعكم على شريطة قالوا وما هي يا أمير المؤمنين قال غض الابصار ورد السلام وارشاد الضلال قالوا قد قبلنا فتركهم وكان نوفل بن أبي عقرب لا يجلس الا على باب داره وكان عامرا بالمارة فقيل له ان في ذلك نشرة وصرف النفوس عن الامانى واعتبار المن اعتبر وعظة لمن فكر فقال ان في ذلك حقا يجز عنها ابن خثيمة قالوا وما هي قال غض الطرف وردا التحية وارشاد الضال وضم اللقطة والتعرض لطلاب الحوائج والنهى عن المنكر والشغل بفضول النظر الداعية الى فضول القول والعمل وعادة ان قطعتها اشتدت وحشتك وان وصلتها قطعتك عن أمورهي أولى بك قال فضيل ابن عياض لسفيان الثوري دلني على جليس اطمئن اليه قال هيهات تلك ضالة لا توجد وقيل لبعض العلماء أي الامور أمتع قال مذاكرة العلماء وقيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة أي الامور امتع قال الامانى وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أساري ابن الاشعث ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو وقال هزيم بن عدي ابن أبي طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيد بن المهلب ما رأينا أحدا ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك قال وذم رجل رجلا فقال هو سيئ الرويه قليل التقية كثير السعاية قليل النكاية قال معاوية لمعاوية بن خديج الكندي ما جرأك على قتل قريش قال ما أنصفتمونا تقتلون حلماءنا وتلومونا على قتل سفهائكم وهو الذي قال لام الحكم بنت أبي سفيان والله لقد نكحت فما استكرمت وولدت فما أنجبت قال أبو بكر بن مسلمة عن أبي اسحق القيسي قال لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال من كان في يديه شئ من مال عبد الله ابن حازم فلينبذه وان كان في فيه فليلفظه وان كان في صدره فلينفثه فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم قال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن حازم وما بخراسان أحسن مالا منهم عنبسة القطان قال شهدت الحسن وقال له رجل بلغنا انك تقول لو كان على بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيرا له مما صنع فقال الحسن يا لكع أما والله لقد فقدتموه سهما من

مرامى الله غير سؤوم لامر الله ولا سروقة لمال الله أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله فاحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك رياضا مونقه وحدائق مغدقه ذاك ابن أبي طالب بالكع يزيد بن عقال قال عبد الملك بن صالح يوصى ابنه وهو أمير بسرية ونحن ببلاد الروم فقال له أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذى ان وجد ربحا تجر والا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك وقال بعض الحكماء لا تصطنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه فاذا اصطنعت الى الكرام فازدرع المعروف واحصد الشكر قال وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ ومثله البيت السائر فى الناس

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

وقالوا من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى وقال الايادى صاحب الصرح الذى اتخذ سلما لمناجاة الرب وهو الذى كان يقول مرضعة وفاطمة القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام قال زعيم بكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلكت جرهم وربلت (١) أيادو كذلك الصلاح والفساد من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة واياه عنى الشاعر بقوله

ونحن اياد عبيد الاله * ورهط مناجيه فى السلم
ونحن ولاة حجاب العتيق * زمان الرعاف على جرهم

* تعزية امرأة للمنصور على أبى العباس مقدمه من مكة قالت أعظم الله أجرك فلا مصيبة أجل من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك وقال عثمان بن حزيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى اجلائهم مع عبد الله بن على عمه يا أمير المؤمنين لقد أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت وقدرت فعفوت وقال آخر يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين وقال آخر من انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه واذا انتقمت فقد انتقصت واذا عفوت تطولت ومن أخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر فى العالمين فضله وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفى طرف من العجز ومن رضى أن لا يكون بين حاله وبين حال الظالم الا استرقيق وحجاب ضعيف فلم يجزم فى تفضيل الحلم وفى الاستيثاق من ترك دواعى الظلم ولم تر أهل النهى والمنسوبين الى الحجا والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح وبكثرة الاغتفار

(١) أى كثروا وكثر أموالهم وأولادهم

وشدة

وشدة التغافل وبعد فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب والمعافى مستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن يثنى عليك بضيق الصدر على ان اقالتك عثرة عباد الله موجب لاقالتك عثرتك من رب عباد الله وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك قال والموت الفادح خير من اليأس الفاضح وقال الآخر لا أقل من الرجاء فقال الآخر بل اليأس المريح وقال عبد الله بن وهب الراسبى ازدحام الجواب مضلة للصواب وليس الرأى بالارتجال وليس الحزم بالاقتضاب فلا تدعونك السلامة من خطا موبق (١) أو غنيمة من صواب نادر الى معاودته والتماس الارباح من قبله ان الرأى ليس بنهبى وخير الرأى (٢) خير من فطيره ورب شئ غابه خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه ولما قدم بعبد الجبار ابن عبد الرحمن الى المنصور قال يا أمير المؤمنين قتلة كريمة قال تركتها وراءك يا ابن اللخناء ولما احتال أبو الازهر المهلب بن عبيد المهرى لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معداق وأسلمه الى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد الى المنصور ولما صار الى المنصور قال لاعذر فاعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم قال ان لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اخرج فانك جاهل وأنت عتيقهم ما حييت قال زياد بن ظبيان التيمى لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام ألا أوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت ودخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية الى من أوصى بك أبوك يا غلام قال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ أوصاك قال أوصانى أن لا يفقد اخوانه منه الا وجهه فقال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا لاشدق قال ولما دا هن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابراهيم بن عبد الله وصار سفيان الى المنصور أمر الربيع فخلع سواده (٣) ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من احسانى اليه وحسن بلائى عنده والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الاعداء وقد رأى أمير المؤمنين ان يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم قال يونس بن حبيب المفحم (٤) يأتيه دون ما يرضى ويطلب فوق ما يقوى وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحرين فقال البحر كثير العجائب وأهله أصحاب الزوائد فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا ما لا يكون فى باب ما قد يكاد ان يكون فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب

(١) مهلك (٢) أى الرأى المتأمل فيه ولو بعد زمن (٣) أى ملبوسه الاسود الذى كان شارة أهل الدولة حينئذ
(٤) أى المغلوب

الأحاديث سلما الى ادعاء المحال وقال بعض العرب حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن بنى اسرائيل ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وجاء فى الحديث كفى بالمرء حصارا كونه البحر وكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال يا أمير المؤمنين البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود وقال الحسن املاء الخير خير من الصمت والصمت خير من املاء الشر وقال بعضهم مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت عبد الله بن شداد قال أرى داعى الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع لا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان مرغوبا اليه وطالب أصبح مطلوبا اليه والزمان ذو ألوان من يصحب الزمان يرى الهوان وان غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وقيل لشيخ أين شبابك قال من طال أمده وكثر ولده ودف (١) عدده وذهب جلده ذهب شبابه وقال زياد لا يعدمنك من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب وقال عبد الرحمن بن أم عبد الحكم لولا ثلاث ما باليت متى مت تزاحف الاحرار الى طعامى وبذل الاشراف وجوههم الى فى أمر أجد اليه السبيل وقول المنادى الصلاة أيها الامير وقال ابن الاشعث لولا أربع خصال ما أعطيت بشر ياطاعة لو ماتت أم عمران يعنى أمه ولو شاب رأسى ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسى صغيرا وقال معاوية أعنت على على بثلاث خصال كان رجلا يظهر سره وكنت كتوما السرى وكان فى أخبث جند وأشده خلافا وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا وخلا باصحاب الجمل فقلت ان ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهنا فى دينه (٢) وان ظفروا به كانوا أهون على شوكة منه وكنت أحب الى قريش منه فكم شتيت جامع الى ومفرق عنه جهم بن حسان السلطى قال رجل للاحنف دلنى على حد بلا مرزئة قال الخلق الصحيح (٣) والكف عن القبيح ثم اعلموا ان أدوأ الداء اللسان البذى والخلق الردى وقال محمد بن حرب الهلالى قال بعض الحكماء لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له والداخل فى سرائنين لم يدخلاه ولا آتى الدعوة لم يدع اليها ولا الجالس المجلس لا يستحقه ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ولا المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحمق فى الدالة (٤)

﴿باب مزدوج الكلام﴾

قالوا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى معاوية رضى الله تعالى عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب وقال رجل من بنى أسد مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام اليه شيخ منا فقال اصبر أبا أمامة فانه فرط افرطته وخير قدمته وزخر ادخرته

(١) هو نسف الشئ واستئصاله (٢) أى أنسبه الى الوهن فى الدين بسبب قتله لهم (٣) أى السهل اللين
(٤) هى الشهرة

فقال مجيبا له ولد دفنته وأكل تجملته وغيب وعدته والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد قال الاصمعي قال قال ابن قصير خير الخيل الذي اذا استدبرته جبى (١) واذا استقبلته اقعى واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى (٢) واذا ردى دحا ونظر ابن قيصر الى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فاشار الى فرس منها فقال تجبى هذه سابقة قالوا وكيف قال رأيتها مشت فكتفت (٣) وخبت فوجفت (٤) وعدت فنسفت وذكرت امرأة زوجها فقالت ذهب زفره وأقبل بخره وفتر ذكره وكان مالك بن الاخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال الذي يغرف من بحر أشعرهما * قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الاحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال وسنذكر من الخطب المسندة الى أربابها مقدارا لا يستفرغ مجهود من قرأها ثم نعود بعد ذلك الى ما قصرنا منها وخف والى أبواب قد تدخل في هذه الجملة وان لم يكن مثل هذه باعيانها والله الموفق * قال أبو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكري عن خالد بن صفوان قال دخل عبد الله بن الاهتم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر الا وهو ماثل بين يديه يتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون والعرب بشر تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر تحتازونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها ميتهم في النار وحيهم أعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث اليهم رسولا منهم عزيزا عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه ولقبوه في اسمه ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بأمره ولا ينزل الا باذنه واضطروه الى بطن غار فلما أمر بالغرامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته وأعلى كلمته وأظهر دعوته ففارق الدنيا نقيا تقيا صلى الله تعالى عليه وسلم * ثم قام بعده أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسلك سنته وأخذ بسبيله وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الذي كان قابلا منهم فانتضى السيوف من اغمادها وأوقد النيران من شعلها ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقي الارض دماءهم حتى أدخلهم في الذي خرجوا عنه وقررهم بالذي نفروا منه وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوي عليه وحبشية ترضع ولدا له فرأى ذلك غصة عند موته في حلقه فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرئ اليهم منه وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضي الله تعالى عنه * ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فمصر الامصار وخلط الشدة باللين فمسرعن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد للامور اقرانها

(١) هو بالتشديد بمعنى وضع يديه على ركبتيه وانكب على وجهه (٢) الردى رجم الفرس الارض بحوافرها
(٣) هو من باب فرح انفراج في أعالي غراضيف الكتف (٤) هو ضرب من سير الخيل

وللحرب آلتها فلما أصابه قن المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس ليسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له قن المغيرة استهل يحمد الله ان لا يكون أصابه ذو حق فى الفىء فيستحل دمه بما استحل من حقه وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفا فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده فادى ذلك الى الخليفة من بعده وفارق الدنيا نقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع (١) ثم انك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقمتك ثديها فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله فالحمد لله الذى جلابك حوبتها وكشف بك كربتها امض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيأ أقول قولى هذا واستغفر الله ولكم وللمؤمنين والمؤمنات قال ولما أن قال ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع سكت الناس كلهم الا هشاما فانه قال كذبت ❊ خطبة عمر بن عبد العزيز أبو الحسن ❊ قال حدثنا المغيرة ابن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز بحمص خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدا وان لكم معادا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شئ وحرم الجنة التى عرضها السموات والارض واعلموا أن الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ألا ترون انكم فى اسلاب الهالكين وسيخلفهم من بعدكم الباقون كذلك حتى ترددوا الى خير الوارثين ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه فى صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايم الله انى لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى فاستغفر الله لى ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا الا سددناها ولا أحد منكم الا وددت ان يده مع يدى ويحمى الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله أن لو أردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما باسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله ❊ خطبة أخرى ❊ ذهب عنى اسنادها أما بعد فانك ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت غمومها وتلونت مصايد عدو الله فيها ومانصب من الشرك لاهل الغفلة عما فى عواقبها فلن يهدموها ولن ينزع أوتادها الا الذى بيده تلك الاشياء وهو الرحمن الرحيم ألا وان لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها مصابيح النور فى أفواههم تزهو وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ركبوا نهج السبيل وقاموا على العلم الاعظم هم خصماء الشيطان الرجيم وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم اسأل الله

(١) أى اعوجاج يقال ظلع البعير اذا غمز فى مشيه

أن يجعلنا منهم ﴿خطبة أبي حمزة الخارجي﴾ دخل أبو حمزة الخارجي مكة وهو أحد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وأمره ووحيه انزل الله له كتابا بين له فيه ما يأتي وما يتقي فلم يكن في شك من دينه ولا شبهة في أمره ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمين معالم دينهم وولى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر دينهم فقاتل أهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضي الله تعالى عنه ثم ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفيء وفرض الاعطية وجمع الناس في شهر رمضان وجلد في الخمر ثمانين وغزا العدو في بلادهم ومضى لسبيله رضي الله تعالى عنه ثم ولي عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ثم سار في الست الاواخر بما أحبط به الاوائل ثم مضى لسبيله رضي الله تعالى عنه ثم ولي علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى لسبيله رضي الله تعالى عنه ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله خولا (١) ومال الله دولا ودينه دغلا ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله ثم ولي يزيد بن معاوية يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود الفاسق في بطنه المأبون في فرجه ثم اقتصهم خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المأبون في فرجه الذي لم يؤنس منه رشد وقد قال الله تعالى في أموال اليتامى فان آنستم منهم رشدا وادفعوا اليهم أموالهم فامرأة محمد أعظم يا كل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وهتكت فيها الاستار وأخذت من غير حلها حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدتوثبا به ثم التفت الى أحدهما فقال ألا أطير نعم فطار الى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه وأما بنو أمية ففرقة ضلاله وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف تاسع ليس منها فأخذ كلها تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله وأما هذه الشيعة فشيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصيرة نافذة في الدين ولا بعلم نافذ في القرآن ينقمون المعصية على أهلها ويعملون اذا ولوا بها يصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان يؤملون

(١) هو جمع خولي وهو الراعي الحسن القيام على المال

الدول فى بعث الموتى و يعتقدون الرجعة الى الدنيا قلد وادينهم رجلا لا ينظر لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ثم أقبل على أهل الحجاز فقال يا أهل الحجاز أتعيرونني باصحابي وتزعمون انهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا شبابا أما والله انى لعالم بنبئا بعكم فيما يضركم فى معادكم ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق أيديكم شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم انضاء (١) عبادة واطلاح (٢) سهر فنظر الله اليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بذكر آية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين اذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار قد أكلت الارض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت و برقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء فكم من عين فى مناقير طير طال ما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله ثم قال أوه أوه أوه ثم بكى ثم نزل ﴿ خطبة قطرى بن الفجاءة ﴾ صعد قطرى ابن الفجاءة منبر الازارقة وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة ونافدة بائدة أكالة غوالة بذلة نقالة لا تعدو اذا هى تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا مع ان امرأ لم يكن منها فى حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائرها بطنا الا امنحته من ضرائها ظهرا ولم تطله غبطة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرى اذا أصبحت له منتصرة ان تمسى له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى أمر عليه جانب وأوبى وان أتت امرأ من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها تبعا ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن الا أصبح منها على قوادم خوف غرارة غرور رمافيها فان ما عليها الا خير فى شئ من زادها الا التقوى من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه كم واثق بها قد أفجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى اختيال فيها قد خدعته وكم من ذى أبهة بها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذى تاج قد كبته لليدين

(١) هى جمع نضو وهو الخفيف اللحم من التعب (٢) هو جمع طلح وهو التعب

والفم

والفم سلطانها دول وغيثها رنق (١) وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام قطافها سلع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ألستم فى مساكن من كان أطول منكم اعمارا وأوضح منكم آثارا وأعد عديدا وأكثف جنودا واعتد عتودا تعبد وا للدنيا أى تعبد وآثروها أى ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية أو اغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن زان لها وأخلد اليها حين ظعنوا عنها الفراق الابد الى آخر المستند هل زودتهم الا الشقاء واحلتهم الا الضنك أو نورت لهم الا الظلمة أو أعقبتهم الا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم عليها تطمئنون يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فبئست الدار لمن أقام فيها فاعلموا وأنتم تعلمون انكم تاركوها لا بد فانما هى كما وصفها الله باللعب واللهو وقد قال الله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وذكر الذين قالوا من أشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ان أخصبوا لم يفرحوا وان أقحطوا لم يقنطوا جمع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متناؤون (٢) لا يزورون ولا يزارون حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم وكنا نحن الوارثين استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غيرانا ظعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد يقول الله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقه

(خطبة محمد بن سليمان) يوم الجمعة وكان لا يغيرها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى وسعد فى الاولى والآخرة ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله

(١) أى كدر (٢) أى متلاصقون فى النادى وهو متحدث القوم

و يتبع رضوانه و يتجنب سخطه فانما نحن له و به أوصيكم عباد الله بتقوى الله و أحثكم على طاعة الله و أرضى لكم ما عند الله فان تقوى الله أفضل ما تحاث الناس عليه و تداعوا اليه و تواصوا به فاتقوا الله ما استطعتم و لا تموتن الا و أنتم مسلمون ﴿خطبة عبيد الله بن زياد﴾ صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية و حيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب الرياضى قد جمع الجموع يريد خلعه فقال يا أهل البصرة انسبونى فوالله ما مهاجرا بى الا اليكم و ما مولدى الا فيكم و ما أنا الا رجل منكم والله لقد وليكم أبى و ما مقاتلتكم الا أربعون ألفا فبلغ بها ثمانين ألفا و ما ذريتكم الا ثمانون ألفا و قد بلغ بها عشرين و مائة ألف و أنتم أوسع الناس بلادا و أكثره جنودا و أبعده مقادا و أغنى الناس عن الناس أنظروا رجلا تولونه أمركم يكف سفهاءكم و يحمى لكم فيئكم و يقسمه فيما بينكم فانما أنا رجل منكم فلما أبوا غيره قال انى أخاف أن يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بأمرى ﴿خطبة معاوية﴾ الهيثم بن عدى عن أبى بكر ابن عياش عن أشياخه قال حضرت معاوية الوفاة و يزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المرى و الضحاك بن قيس الفهرى فقال أبلغانى يزيد و قولا له أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك و عترتك فمن أتاك منهم فأكرمه و من قعد عنك فتعهده و انظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار (١) دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم و لا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر و عبد الله ابن الزبير و حسين بن على فاما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه (٢) الورع و أما الحسين فانى أرجو ان يكفيه الله بمن قتل أباه و خذل أخاه و أما ابن الزبير فانه خب ضب و فى غير هذه الرواية فان ظفرت بابن الزبير فقطعه ارباقات معاوية فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال ان أمير المؤمنين معاوية كان أنف العرب و هذه أكفانه و نحن مدرجوه فيها و مخلون بينه و بين ربه فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فأنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم * و اشكر حباء الذى بالملك أصفاك
لا رزء أصبح فى الاقوام قد علموا * كمارزئت و لا عقبى كعقباك
أصبحت راعى أهل الدين كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاك
و فى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت و لا نسمع بمنعاك

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك ﴿خطبة قتيبة بن مسلم الباهلى﴾ قام بخراسان حين خلع فقال أتدرون من تبايعون انما تبايعون يزيد بن ثوران يعنى هنقة القيسى كانى بامير

(١) الشعار هو الثوب الذى يلى الجسد و الدثار الثوب الذى فوقه (٢) أى سكته و غلبه

من حاوحكم (١) قد أتاكم يحكم فى أموالكم وفروجكم وابشاركم ثم قال الاعراب وما الاعراب فلعنة الله على الاعراب جمعتكم كما يجمع قزع (٢) الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل (٣) وجزيرة ابر كاوان يركبون البقر ويأكلون العضب فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفيء قالوا مرنا بأمرك قال غروا غيرى * قال وخطب مرة أخرى فقال يا أهل العراق ألست أعلم الناس بكم أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعلجة بظراء لا تمنع رجليها وأما هذا الحى من عبد قيس فاضرب العير بذنبه وأما هذا الحى من الازد فعلوج خلق الله وانباطه وايم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم فاما هذا الحى من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان (وخطب مرة أخرى) فقال يا أهل خراسان قد جربتم الولاة قبلى أتاكم أمية فكان كاسمه أمة الرأى وأمية الدين فكتب الى خليفته ان خراج خراسان وسجستان لو كان فى مطبخه لم يكفه ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية ثم لم يجب فيئا ولم يتك عدوا ثم أتاكم بنوه بعده مثل اطباء الكلبة منهم ابن الرحمة حصان يضرب فى عانه ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمن لكم السبل حتى ان الظعينة لتخرج من مرو الى سمرقند فى غير جواز

﴿ خطبة الاحنف بن قيس ﴾ قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه يا معشر الازد وربيعة أنتم اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر واشقاقنا فى النسب وجيراننا فى الدار ويدنا على العدو والله لازد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ولازد الكوفة أحب الينا من تميم الشام فان استشرف شناتكم وأبى حسد صدوركم ففى أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سعة

﴿ خطبة جامع المحاربى ﴾ ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيبا سمحا وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط بنيتها فى غير بلدك وأورثتها غير ولدك وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم وتسخط طريقتهم فقال له جامع اما انهم لو أحبوك لاطاعوك على انهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع ما يبعدهم منك الى ما يقربهم اليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن ايقاعك بعدو عيدك ووعيدك بعد وعدك قال الحجاج انى والله ما أرى ان أردنى اللكيعة الى طاعتى الا بالسيف فقال أيها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج الخيار يومئذ لله قال أجل ولكن لا تدرى لمن يجعله الله فغضب الحجاج وقال يا هناه انك من محارب فقال جامع

وللحرب سمينا وكان محاربا * اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

(١) حاوحكم قبيلة وهى حكم بن سعد العشيرة فى مذحج وليست عندهم بشريف (٢) هو محرك قطع من السحاب (٣) هو كزبرج نبت له حب أسود

والبيت للخضرى فقال الحجاج والله لهممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك فقال جامع ان صدقناك أغضبناك وان غششناك أغضبنا الله فغضب الامير أهون علينا من غضب الله قال أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر وانسل جامع فربين صفوف خيل الشام حتى جاوز الى خيل أهل العراق وكان الحجاج لا يخلطهم فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وتميم العراق وازد العراق وقيس العراق فلما رأوه اشرأبوا اليه وبلغهم خروجه فقالوا له ما عندك دافع الله لنا عن نفسك فقال ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ودعوا التعادى ما عاداكم فاذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم أيها التميمى هو أعدى لك من الازدى وأيها القيسى هو أعدى لك من التغلبى وهل ظفر بمن ناواه منكم الا بمن بغى معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام فاستجار يزفر بن الحرث (وخطب الحجاج) فقال اللهم أرنى الغى غيا فأجتنبه وأرنى الهدى هدى فأتبعه ولا تكلنى الى نفسى فاضل ضلالا بعيدا والله ما أحب ان ما مضى من الدنيا بعد امتى هذه ولما بقى أشبه بما مضى من الماء بالماء

(وخطبة له) الهيثم بن عدى قال أنبأنى بن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تكبيرا فى السوق فراعه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق و بنى اللكيعة وعبيد العصا واولاد الاماء والقمع بالقرقر (١) انى سمعت تكبيرا لا يراد الله به وانما يراد به الشيطان وانما مثلى ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمدانى

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذيال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

أما والله لا تقرع عصا عصا الا جعلتها كامس الدابر ﴿خطبة عمرو بن كلثوم﴾ أما بعد فانه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده اياهم برغبته وائتمانه اياهم على حرمته ﴿خطبة يزيد بن الوليد﴾ ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان قام خطيبا بعد ان حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك وما بى اطرى نفسى وانى لظلوم لها ولقد خسرت ان لم يرحمنى ربى ولكنى خرجت غضبا لله ودينه وداعيا الى الله وسنة نبيه لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع انه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب وانه لابن عمى فى النسب وكفئ فى الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره وسألته ان لا يكلنى الى نفسى ودعوت الى ذلك من أجابنى من أهل ولا يتى

(١) هو مثل يضرب للذليل اذا القمع هو الكمأة البيضاء الرخوة والقرقر الارض المطمئنة فكانه يقول هو لا يمتنع على من اجتناه

حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي أيها الناس ان لكم علي ان لا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكرى نهرا ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجا ولا ولدا ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فان فضل فضل نقلته الى البلد الذي يليه ممن هو أحوج اليه منه وان لا أجركم (١) في ثغوركم فأفتنكم وافتن أهاليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم واقطع نسلهم ولكم عندي اعطياتكم في كل سنة وارزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فاذا أنا وافيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكافئة وان أنا لم أوف لكم فلكم ان تخلعوني الا ان تستتيبوني فان أنا تبت قبلتم مني وان عرفتم أحدا يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فاردتم ان تبايعوه فانا أول من بايعه ودخل في طاعته أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصلبه وكان يقرؤن في الكتب يا مبذر الكنوز يا سجادا بالاسحار وكانت ولايته رحمة وعليهم حجة اخذوك فصلبوك * خطبة يوسف بن عمر * قام خطيبا فقال اتقوا الله عباد الله فكم من مؤمل أملا لا يبلغه وجامع مالا لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه أصابه حراما وأورثه عدوا فاحتمل اصره وباء بوزره وورد على ربه آسفا لاهفا قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف بن قيس عند عمر بشار بن عبد الحميد عن أبي ريحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر فقال هلال بن وكيع يا أمير المؤمنين انا لباب من خلفنا وغرة من ورائنا من أهل مصرنا فانك ان تصرفنا بالزيادة في اعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريف تأميلا وتكن لذوي الاحساب أبا وصولا فانا ان نكن مع ما منحت (٢) به من فضائلك وندلي من أسبابك كالجد الذي لا يحل ولا يرحل نرجع بأنف مصلومة وجدود عاثرة فمحنا وأهالينا بسجل من سجالك المترعة * وقام زيد بن جبلة فقال يا أمير المؤمنين سود الشريف وأكرم الحسيب وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة ونطرد به الفاقة فانا بقف من الارض يابس الاكناف مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع وانا من العرب اليوم اذا تيناك بمرأى ومسمع فقام الاحنف فقال يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قيلا ولا فالا واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيأ يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن

(١) يقال جرمه بمعنى قطعه (٢) الت المد والتوسع وقوله كالجد خبر نكن وقوله نرجع جواب ان أي ان لم نزد في اعطياتنا مع ما نعوم به من مدحك نكون كالغني صلم أنفه أي شق وعثر جده أي ذهب وقوله فمحنا أي اعطنا

عسى ان تفتحمه الاعين وتخونهم الالسن فلا يوفد اليك يا أمير المؤمنين ﴿خطبة الحجاج﴾
بعد دير الجماجم خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال يا أهل العراق ان الشيطان
قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم
أفضى الى الافخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فخشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم
خلافا أخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة
وتعظكم وقعة أو يحجركم اسلام أو ينفعكم بيان ألستم أصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر
وسعيتم بالغدر واستجمعتم الكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وأنا أرميكم بطرفي
وأنتم تتسللون لواذا وتتهزمون سراعا ثم يوم الزاوية ومايوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم
وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها
النوازع الى اعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح
وقصمكم الرماح ثم يوم دير الجماجم ومايوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل
الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يا أهل العراق الكفرات بعد الفجرات
والغدرات بعد الختارات والنزوة بعد النزوات ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان
آمنتم أرجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث
أو استغواكم غاو أو استنفركم عاص أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع الا تبعتموه وآويتموه
ونصرتموه ورحبتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر الا كنتم
أتباعه وأنصاره يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع ثم التفت الى أهل
الشام فقال يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم (١) الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد
عنها الحجر ويكنهامن المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا أهل الشام أنتم
الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء وقال رجل لحذيفة أخشى أن أكون منافقا فقال لو
كنت منافقا لم تخش ذلك وقال آخر اعلم ان المصيبة واحدة ان صبرت وان لم تصبر فهما
مصيبتان ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك وقال صالح بن عبد القدوس

ان يكن ما به أصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجل

وقال آخر تعزعن الشئ اذا منعته لقلة ما يصحبك اذا أعطيته وما خفف الحساب وقله خير
مما كثره وثقله وقال حدثنا ابو بكر الهذلي واسمه سلمى قال اذا جمع الطعام أربعا فقد
كمل اذا كان حلالا وكثرت الايدي عليه وسمى الله في أوله وحمد في آخره ﴿خطبة زياد﴾
وخطب زياد فقال استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فوالله لا يأتيني
شيخ بشاب قد استخف به الا أوجعته ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به الا نكلت به
ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به الا انتقمت له منه على بن سليم قال قال حاتم طي

(١) هو ذكر النعام

لعدى ابنه أى بنى ان رأيت ان الشر يتركك ان تركته فاتركه قال وقال عدى بن حاتم لابن له قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف قال لا والله لا يكون أول شئ وليته من الدنيا منع قوم من طعامك قال وقال مدينى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك وقال ابن شبرمة ذهب العلم الا عبارات فى أوعية سوء الهيثم بن عدى عن ابن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج الى الفارسان فاذا هو باعرابى فى زرع فقال له ممن أنت قال من أهل عمان قال فمن أى القبائل قال من الازد قال علمك بالزرع قال انى لاعلم من ذلك علما قال فاى الزرع خير قال ماغلظ قصبه وأعتم نبته وعظمت جسته وطالت سنبلته قال فاى العنب خير قال ماغلظ عموده واخضر عوده وعظم عنقوده قال فاخير التمر قال ماغلظ الحاؤه ودق نواه ورق سحاؤه

﴿باب من اللغز فى الجواب﴾

قالوا كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا فمر به رجل فقال يا راعى الغنم ما عندك قال عجراء من سلم يعنى عصاه قال انى ضيف قال للضيفان أعددتها وقال ابن سليم ان قيس ابن سعد بن عبادة قال اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال قال خالد بن الوليد لاهل الحيرة أخرجوا الى رجلا من عقلائكم فاخرجوا اليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى وهو الذى بنى القصر وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة فقال له خالد من أين أقصى اثرك قال من صلب أبى قال فمن أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال ماسنك قال عظم قال أتعقل لاعقلت قال اى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال كم أتى عليك من الدهر قال لو أتى على شئ لقتلنى قال ما تزيدنى مسألتك الا غما قال ما اجبتك الا عن مسألتك قال أعرب أنتم أم نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فعرب أنتم أم سلم قال سلم قال فما بال هذا الحصون قال بنيناها للسفيه حتى يجئ الحليم فينهاه قال كم أتت عليك سنه قال خمسون وثلثمائة قال ما أدركت قال أدركت سفن البحر ترفأ الينا فى هذا الجرف ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال فى قرى مخصبة متواترة حتى ترد الشام ثم قد أصبحت خرابا يبابا وذلك دأب الله فى العباد والبلاد قال قال وأتى أزهر بن عبد الحارث رجل من بنى يربوع فقال الا أدخل قال وراءك أوسع لك فقال ان الشمس أحرقت رجلى قال بل عليهما تبردا قال يا آل يربوع قال ذليلا دعوت يا بنى حريص أطعمتكم عاما أول جلة فأكلتم جلتكم وأغرتم على جلة الضيفان قال وقال الحجاج لرجل من الخوارج أجمعت القرآن قال أمتفرقا كان فأجمعه قال أتقرأ ظاهرا قال بل اقرؤه وأنا أنظر اليه قال أتحفظه قال أخشيت فراره فاحفظه قال ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك

قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملى وتلقاه بدمى وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم يوما يكسرشهوتك ولا تصم يوما يضر بصلواتك فان الصلاة أفضل من الصوم وكن كالاب لليتيم وكالزوج للارملة ولا تحاسب القريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة وسمع الاحنف رجلا يطرى يزيد عند معاوية فلما خرج من عنده استحنفر فى ذمهما فقال الاحنف مه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال سعيد بن أبى عروبة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر أحب الىّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال أيوب السختيانى النمام ذو الوجهين أحسن الاستماع وخالف فى الابلاغ حفص بن صالح الازدى عن عامر الشعبى قال كتب عمر الى معاوية أما بعد فانى كتبت اليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيرا الزم خمس خصال يسلم لك دينك وتأخذ فيه بأفضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة واليمين القاطعة وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله وانما ضيع حقه من لم يرفق به واس بينهم فى لحظك وطرفك وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء أبو يوسف عن العرزمى عمن حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب اليه لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان وقال عمر بن عبد العزيز اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل علمه ما كان قبله ونزاهة عن الطمع وحلم على الخصم واقتداء بالائمة ومشاورة أهل الرأى قال الهلالى لما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان قال له ان أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل أن أقول اياى منك فان الظن اذا أخلف منك أخلف منى فيك وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك وكن لنفسك تكن لك واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد ان شاء الله تعالى ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الاشداق قال المازنى

من كان يزعم أن بشرا ملصق * فالله يجزيه وربك أعلم
ينبئك ناظره وقلة لحمه * وتشادق فيه ولون أسحم
ان الصريح المحض فيه دلالة * والعرق منكشف لم يتوسم
أما لسانك واختباؤك قاعدا * فزيارة العدسى عندك أعجم
انى لارجو ان يكون مقالهم * زورا وشانيك الحسود المرغم

﴿ وفى مثل ذلك يقول مورق العبدى ﴾

قد علم الغربى والمشرق * انك فى القوم صميم مصلق
عودك نبع وهشيم بورق * وأنت جدب وربيع مغدق
وأنت ليل ونهار مشرق * لولا عجوز فحمة ودردق
وصاحب جم الحديث مونق * كيف الفوات والطلوب مورق
شيخ نمغيظ وأسنان يبرق * وحنجر رحب وصوت مصلق
وشدق ضرغام وناب يحرق * وشاعر باقى الرسوم مغلق

﴿باب فى صفة الرائد﴾

للغيث وفى نعته للارض قال أبو الجيب وصف رائد أرضا جدبة فقال اغبرت جادتها وذرع مرتعها وقضم شجرها ورقت كرشها وخور عظمها والتقى سرحاها وتميز أهلها ودخل قلوبهم الوهل وأموالهم الهزل قال الجادة الطريق الى الماء والجمع جواد والتقى سرحاها يقول اذا أكل كل سارح ما يليه التقيا عند الماء واذا لم يكن للجمال مرعى الا الشجر وحده رقت اكراشه وقوله تميز أهلها تفرقوا فى طلب الكلأ ومرتع مذرع اذا كان بعيدا من الماء ومرتع قاصر اذا كان قريبا من الماء ويقولون كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب اذا ألجأهم الى طلبه من بعده ووصف اعرابى أرضا أجدبها فقال خلع شيحها وأبقل رمثها وخضب عرفجها واتسق نبتها وأخضرت قريانها واخوصت بطنانها واحلست أكمامها واعتم نبت جراثيمها وأجرت بقلتها وذرقتها وخبازتها واحودت خواصر ابلها وشكرت حلوبتها وسمنت قتوبتها وعمد ثراها وعقدت تناهيها وأماهت ثمارها ووثق الناس بصائرها قال ويقال خلع الشيح اذا أورق الخالع من الغصاه الذى لا يسقط ورقه أبدا وكذلك السدر لا يتجرد وكل شجر له شوك فهو غضاه والواحد غضه الا القتاد ولا يعبل الا الارطى ويقال كلح الشجر اذا اخوصت بطنانها اذا نبت فيه قضبان رقاق وخضب عرفجها يقول اسود واخوص الشجر وهو الذى لا شوك له ومن الغضاه قشره وقصده فاذا يبست فهو عود اتسق نبتها أى تتام أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم واحودت خواصر ابلها تشد احناها على خواصرها كى لا تحبط والحبط انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ايضر العبط قال نعم كما يضر الحبط وشكرت يقول غزرت وقوله عمد ثراها وذلك اذا قبضت منه على شئ فتعقد واجتمع من ندوته يقال عمد الثرى يعمد عمدا وهو ثرى عمد فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب وهو أن تقيس السماء بالمرفق فيقول بلغت وضح الكف ثم الرسغ ثم الغضمة ثم المرفق ثم ينصف العضد ثم يبلغ المنكب فاذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى فيقال ان ذلك حياسنين والتناهى واحدتها تنهية وهو مستقر السيل وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى اذا انتهى منتهاه دار بالابطح حتى تلتقى طرفا السيل والصائرة الكلأ والماء قالوا

قاتل الحجاج ابن الاشعث فى المربد فخطب ابن الاشعث الناس فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا وشمالا فما تلبث الا أن تموت فمر به رجل من بنى قشير فقال قبح الله هذا ورأيه يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ويعدهم الاضاليل ويمنيهم الباطل وناس كثير يرون ان ابن الاشعث هو الحسن دون القشيرى قال بشار

وجد كعصب البرد حملت صاحبى * الى ملك للصالحات قرين

وقال آخر وبكر كنوار الرياض حديثها * تروق بوجه واضح وقوام

أبو الحسن كان معاوية يأذن للاحنف أول من يأذن له فأذن له يوما ثم أذن لمحمد بن الاشعث حتى جلس بين معاوية والاحنف فقال له معاوية لقد أحسست من نفسك ذلا انى لم آذن له قبلك الا ليكون الى فى المجلس دونك وانا كما تملك أموركم فما ريدوا ما يراد بكم فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لادبكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصيل الخزاعى يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أجن ثمامها وأمشر سلمها واعذق اذخرها فقال عليه السلام دع القلوب تقر قال وسأل أبو زياد الكلابى الصقيل العقيلى حين قدم من البادية عن طريقه فقال انصرفت من الحج فاصعدت الى الزبذة فى مقاط الحرة ووجدت بها صلالا من الربيع من خضمة خص وصليان وقرمل حتى لو شئت لانخت ابلى فى أذن القفعاء فلم أزل فى مرعى لا أحسن منه شيأ حتى بلغت أهلى وقال سلام الكلابى رأيت ببطن فلج منظرا من الكلأ لا انساه ووجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الابل تحتهما قفعاء وحريث قد أطاع وامسك بأفواه الماء أى لا تقدر أن ترفع رؤسها وتركت الحوران ناقعة فى الاجارع وذم أرضا فقال وجدنا أرضا ماحلة مثل جلد الاجرب تصىء حياتها ولا يسكت ذيبها ولا يقيد راكبها وقال النضر قات لابى الخضير ما أعجب ما رأيت من الخصب قال كنت أشرب رثأة تجرها الشفتان جرا وقارصا مما رصا اذا تجشأت جدع انفى ورأيت الكماة تدرسها الابل بمناسمها والوضر يشمه الكلب فيعطس قال الاصمعى قال المنتجع ابن نبهان قال رجل من أهل البادية كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها محمد بن كناسة قال أخبرنى بعض فصحاء اعراب طيئ قال بعث قوم رائدا فقالوا ما وراءك قال عشب وتعاشيب وكماة متفرقة شيب تقلعها باخفافها النيب قالوا لم تصنع شيأ هذا كذب فارسلوا آخر فقالوا ما وراءك قال عشب ثأد ممولى وعهد متدارك جعد كافخاذ نساء بنى سعد تشبع منه الناب وهى تعد وقال لان النبت اذا كان قليلا وقعت عليه الابل واذا كان كثيرا أمكنها الاكل وهى تعد وقالوا بعث رجل أولاده يرتادون فى خصب فقال أحدهم رأيت بقلا وماء غيلا يسيل سيلا وخوصة يميل ميلا يحبها الرائد لا وقال الثانى رأيت دمنة على دمنة فى عهدها غير قديمة وكلأ تشبع منها الناب قبل العظيمة وقال أبو محجب قيل لأوفى بن عبيد أنت وادى كذا وكذا فارتده لنا

وجدت به خشباء رمى وعشباء شرمى قال والهرمى الذى ليس له دخان اذا أوقد من يبسه وقدمه والشرمى العشب الضخم يقال هذا عشب شرم وقال هرم بن زيد الكلابى اذا أحيا الناس قيل قد أكلأت الارض وآخر نفشت العنز لاختها ولحس الكلب الوضر وقال آخر نفاش العنزان ينتفش شعرها وتنصب روقيها فى أحد شقيها التنطح صاحبتها وانما ذلك من الاشر حين ازدهت وأعجبتها أنفسها ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لانهم فى الجدب لا يدعون للكلب شيأ يلحسه قال أبو مجيب اذا أجدب الرائد قال وجدت أرضا أرمى عشمى فاما العشمى فالتى يرى فيها الشجر الاعشم وانما يعشم من الهبوة ويقال للشيخ انما هو عشمة فاما الارمى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة قال أبو عبيدة قال بعض الاعراب تركت جرادا عرادا كانها نعامة بازكة يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم وقيل لاعرابى ما وراءك قال خلفت أرضا تظالم معزاها يقول سمنت وأشرت فتظالمت وتقول العرب ليس أظلم من حية وتقول العرب ليس أظلم من ورل وأظلم من ذئب كما تقول أغدر من ذئب وكما تقول اكسب من ذئب قال الاسدى

لعمرك لوانى أخاصم حية * الى فقعس ما أنصفتنى فقعس
اذا قلت مات الداء بينى وبينهم * أتى حاطب منهم لآخر يقبس
فما لكم طلسا الى كانكم * ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس

وقال الفزارى ولو أخاصم أفعى نابها الشق * أو الاساود من صم الاهاضيب
ولو أخاصم ذئبا فى اكيلته * لجأنى جمعهم يسعى مع الذيب

يقول بلغ من الظلم قومنا لنا انا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم لقضوا لهما علينا وقالت العرب اذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة هذا فى قلة العشب وانما تلحسه الناقة لقلته وقصره وحدثنا أبو زياد الكلابى قال بعث قوم رائدا لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع اليهم قالوا له ما وراءك قال رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك وتشكت منه النساء وهم الرجل باخيه قال أما قوله الجمل البروك يقول لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره وأما قوله وتشكت منه النساء فانه موخوذ من الشكوة والشكاء أصغر الوطاب يقول لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب وقوله وهم الرجل باخيه أى هم ان يدعوه الى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب وقال غيره الخصب يدعو الى طلب الطوايل وغز والجيران والى ان يأكل القوى من هو أضعف منه وقالوا فى الكلاء كلأ تشبع منه الابل معقلة وكلأ حابس فيه كمرسل يقول من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها وتقول كلأ يتجع منه كبد المصرم وأنشد الباهلى

ثم مطرنا مطرة رويه * فنبت البقل ولا رعيه

وأنشد الاصمعى فجنبك الجيوش أبا زنيب * وجاد على مسارحك السحاب

يجوز ان يكون دعاء عليه وأن يكون دعاء له وقال الآخر

أمرعت الارض لو ان مالا * لوان نوقا لك أو جمالا * أو ثلة من غنم اماللا

وقال ابن الاعرابي سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال تتابعت علينا الاسمه حتى منعت السفار وظالمات المعزى واحتلبت الدرة بالجره لقيط قال دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر فقال ما أصابنى من مطر ولكنى سمعت رائدا يقول هلم أطعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران وتتنافس فيها المعزى وتبقى بها الجره حتى تتنزل الدره أبو زيد قال تخاصمت امرأتان الى ابنة الخس فى مراعى أبويهما فقالت الاولى ابل أبى ترعى الاسيلح قالت ابنة الخس رغوة وصريح وسنام اطريح قالت الاخرى مرعى ابل أبى الخلة قالت ابنة الخس سريعة الدرة والجرة وقال الاخوص بن جعفر بعد ما كبر وعمى وبنوه يسوقون به أى شئ ترتعى الابل قالوا عرف الثمام والضغه قال سوقوا ثم انها عادت فارتعت بمكان آخر فقال أى شئ ترتعى الابل قالوا العضاه والغضه قال عودوه يشبع بعيد وقال سوقوا حتى اذا بلغوا بلدا آخر قال أى شئ ترتعى الابل قالوا نصيا وصليانا قال مكفية لرعائها مطولة لذراها ارعوا واشبعوا ثم سألهم فقال أى شئ ترتعى الابل قالوا الرمث قال خلقت منه وخلق منها قال أبو صاعد وزعم الناس ان أول ما خلقت الابل من الرمث وعلامة ذلك انك لا ترى دابة تريده الا الابل قال وقيل لرؤبة ما وراءك قال الثرى يابس والمرعى عابس قال وقالت امرأة من الاعراب أصبحنا ما يرقد لنا فرس وما ينام لنا حرس قالوا كان أبو النجيب كثيرا ما يقول لا أرى امرأة تصبر عينيها ولا شريفا يهنأ بعيرا ولا امرأة تلبس نطاق يمنة * وخطب بلال بن ابى بردة بالبصرة فعرف انهم قد استحسنوا كلامه فقال لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ان تقبلوا أحسن ما تسمعون منا قال وقال عمر ابن عبد العزيز ما قوم أشبه بالسلف من الاعراب لو اجفاء فيهم وقال غيلان أبو مروان اذا أردت ان تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الاعراب قال رجل من بنى سليم وسأله الحجاج عن المطر فقال أصابتنا سحائب ثلاث سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار لجة ثم أصابتنا الثانية بسواء فلبدت الدماث ورحضت العزاز وأسالت التلاع وحرقت الرجع وصدعت الكماة عن أماكنها ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين فلاثت الاخاد وافعمت كل واد وأقبلنا فى ماء يجر الضبع ويستخرجها من وجارها وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال ظهر الاعصار وكثر الغبار وأكل ما أشرف من الجبنه وأيقنا انه عام سنه قال أبو الحسن بن العتاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ان الاسكندر كان لا يدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها فخرج اليه فالطفه الاسكندر واعظمه فقال له أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأتاك على كل ما هويت لانا وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك وأحب

ان لا تشفعني فيهم وان تخالفني في كل ما سألتك لهم فاعطاه من ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه فلما توثق منه قال فان حاجتي ان تدخلها وتخربها وتقتل أهلها قال ليس الى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج والهفاه على فرج في جبهة أسد وطلبة بمائة ألف قال الاصمعي دخل درست بن رباط الفقهي على بلال ابن أبي بردة وهو في الحبس فعلم بلال انه شامت به فقال بلال ما يسرني بنصيبي من الكره حمر النعم فقال درست فقد أكثر الله لك منه قال الهيثم بن عدي كان سجان يوسف بن عمر يرفع الى يوسف بن عمر أسماء الموتى فقال له عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري اقبض هذه العشرة الآلاف درهم وارفع اسمي في الموتى قال فرفع اسمه في الموتى فقال يوسف بن عمر حتى به فرفع اليه فاعلمه فقال ويحك اتق الله في فاني أخاف القتل قال وأنا أيضا أخاف ما تخاف ثم قال قتلك أهون من قتلي ولا بد من قتلك فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال وأما عبد الله بن المقفع فان صاحب الاستخراج لما ألح عليه في العذاب قال لصاحب الاستخراج أعندك مال وأنا أربحك ربحا ترضاه وقد عرفت وفائي وسخائي وكتمانك فعيني مقدار هذا النجم فأجابه الى ذلك فلما صار عليه مال ترفق به مخافة ان يموت تحت العذاب فيتوى ماله وقال رجل لعمر والغزال مررت بك البارحة وأنت تقرأ قال لو أخبرتني أي آية كنت فيها لأخبرتك كم بقي من الليل وسمع مورج البصري رجلا يقول أمير المؤمنين يرد على المظلوم فرجع الى صحيفة فرد على براءة بسم الله الرحمن الرحيم وكان عبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه يعطش وقيل له ان شربت الماء مت فاقبل ذات يوم بعض العواد فقال كيف حال أمير المؤمنين قال أنا صالح الحمد لله ثم أنشأ يقول

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواجم

ويلكم اسقوني ماء ولو كان فيه تلف نفسي فشرب ثم مات وكان حبيب بن مسلمة الفهري رجلا غزاء للترك فخرج ذات مرة الى بعض غزواته فقالت له امرأته أين موعدك قال سرادق الطاغية أو الجنة ان شاء الله تعالى قالت اني لارجو أسبقك الى أي الموضعين كنت به فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك ولما مدح الكميت بن زيد الاسدي مخلد بن يزيد المهلب قال له ابن بيض انك يا أبا المستهل لكالجالب التمر الى هجر قال نعم ولكن تمرنا أجود من تمركم وكان السيد الحميري مولعا بالشراب فمدح أمير امن أمراء الاهواز ثم صار اليه بمديحه له فلم يصل اليه واغب الشراب فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل اليه فجلس من بعد فقرب به وشم منه ريح الشراب فقال له ما كنت أظن أباها شم يفعل هذا ولكن يحتمل لمادح آل رسول الله أكثر من هذا يا جارية هلمي الدواة ثم كتب الى بعض وكلائه ادفع الى أبي هاشم مائتي دورق ميتخجا قال السيد لقد كنت أظن

الامير أبلغ مما هو قال قال وأى شئ رأيت من العى قال جعلك بين حرفين وأنت تجترئ باحدهما امح هذه الخمشة بخنجاودع ميتا على حالها ففعل وحمل الكتاب فاخذها غبيطا عبد الله بن قائد قال قالت امرأة الحصين بن المنذر للحصين كيف سدت قومك وأنت بخيل وأنت ذميم قال لانى شديد الرأى شديد الاقدام قال وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان قال لانى حليم وانى عفيف قال زبان ان بنى بدر يراع جوف * كل خطيب منهم مؤف * أهوج لا ينفعه الثقيف

﴿وقال لبيد بن ربيعة﴾

وأبيض يجتاب الخروق على الوجا * خطيبا اذا التفت المجامع فيصلا

وقال فى تفضيل العلم والخطابة وفى مدح الانصاف وذم الشغب

ولقد بلوتك وابتليت خليقتى * ولقد كفاك معلمى تعليمى

وقال لبيد ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

يتآكلون مغالة وخيانة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب

﴿وقال زيد بن جندب﴾

ما كان أغنى رجلا اضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

﴿وقال لقيط بن زرارة﴾

انى اذا عاقبت ذو عقاب * وان تشاغبنى فذو شغاب

وقال ابن أحمر وكم حلها من تيحان سميدع * مصاف الندى سار بهما مطعم

طوى البطن متلاف اذا هبت الصبا * على الامر غواص وفى الحى شيظم

وقال الآخر وأغر منخرق القميص سميدع * يدعو ليغزو ظالما فيجاب

قد مد أرسان الجياد من الوجا * فكانما ارسانها أطناب

وقال الآخر كريم يغض الطرف عند خيانة * ويدنو واطراف الرياح روان

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقال آخر يقطع طرفه عنى سويد * ولم أذكر بسيئة سويدا

توق حداد شوك الارض تسلم * وغير الاسد فاتخذن صيدا

وقال آخر لاتحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

﴿وللحسين بن مطير﴾

رأيت رجلا أودى بوافر لحمه * طلاب المعالى واكتساب المكارم

خفيف الحشا ضربا كان ثيابه * على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لها لا تعجبين فانني * أرى سمن الفتيان احدى المشائم

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى عبد الله بن عباس فى الامر يعرض مع جلة اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول غص غواص

وقال ابن أحمر هل لامنى قوم لموقف سائل * أو فى مخاصمة اللجوج الاصيد

وقال لبيد بن ربيعة فى التطبيق على قوله

ياهرم بن الاكرمين منصبا * انك قد أوتيت حكما معجبا * فطبق المفصل واغنم طيبا

وقال آخر فلما ان بدا القعقاع لجت * على شرك تقاوله نقالا

تعاورن الحديث وطبقته * كما طبقت بالنعل المثالا

وقال ابن أحمر لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعلم بعد تدبر الامر

وقال ليست بثوناة الحديث ولا * فنق مغالبة على الامر

وقال تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعده نزر

وقال وخصم مضل فى الضجاج تركته * وقد كان ذا شغب فولى مواثبا

وذكر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه اكتتل بن شماخ العكلى فقال الصبيح الفصيح وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره عبد الله بن المبارك عن معمر عن الحسن عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سيكون بعدى أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال غدوت الى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال امرؤ وزر وعمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه امرؤ كان عند قلبه زاجر او عند همه ذاكر امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله وان قاده الى طاعة الله قبله وتبعه فان قاده الى معصية الله كفه وبعث عدى بن ارطاة الى المهالبة أبا المليح الهذلى وعبد الله بن عبد الله بن الاهتم والحسن البصرى فتكلم الحسن فقال عبد الله والله ما تمنيت كلاما قط أحفظه الا كلام الحسن يومئذ قال وتنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير عليا رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه والله ما بنى الناس شيأ قط الا هدمه الدين وما بنى الدين قط شيأ فاستطاعت الدنيا هدمه ألم تر الى على كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا الى السماء وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح والله لكأنما يكشفون به عن الجيف أبو الحسن قال قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء أى بنى انى مؤد اليك حق الله فى حسن تأديبك فأد الى حق الله فى حسن الاستماع أى بنى كف الاذى وارفض البذاء واستغن عن الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا فانه يوشك ان يورطك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وكان يقال من لانت كلمته وجبت

محبته ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما يضره

﴿باب ان يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه﴾

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء ودار قوراء وفرس فاره مرتبط بالفناء وقيل لضرار بن الحسين ما السرور قال لواء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير وقيل لعبد الملك بن صالح ما السرور قال

كل الكرامة نلتها * الا التحية بالسلام

وقيل لعبد الله بن الاهتم ما السرور قال رفع الاولياء وحط الاعداء وطول البقاء مع القدرة على النماء وقيل للفضل بن سهل ما السرور قال توقيع جائز وأمر نافذ أبو الحسن المدايني قال قيل لانسان بحرى أى شئ تمنى قال شربة من ماء الفنطاس والنوم فى ظل الشراع وريح اذا نبدا وقيل لطفيلى كم اثنتين فى اثنتين قال أربعة أرغفه وقال الفلاس القصاص كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وستين درهما وقلت لملاح لى وذلك بعد العصر فى رمضان انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الارض قال أكثر من مردين ونصف وقال آخر وقع علينا اللصوص فاول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المردى وكانت فخذه أغلظ من هذا السكان واسود وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سوادا من هذا القير وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق فزلق حمارى فكاد يلقينى بجنبى لكنه تماسك فاقفى على عجزه فقال الشيخ الملاح لا اله الا الله ما أحسن ما جلس على كوثله ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر الى الطين قال أى اداري يجى من هذا الطين ومررنا بالخلد بعد خرابه فقال أى اصطبلات تجى من هذا الموضع وقيل لبعضهم ما المروءة قال طهارة البدن والفعل الحسن وقيل لمحمد بن عمران ما المروءة قال أن لا تعمل فى السر شيأ تستحى منه فى العلانية وقيل للاحنف ما المروءة قال العفة والحرفة وقال طلحة بن عبيد الله المروءة الظاهرة الثياب الظاهرة وقيل لابى هريرة ما المروءة قال تقوى الله واصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالافنية قال ونظر بكر بن الاشعر وكان سجانا مرة الى سوردار بجالة بن عبدة فقال لا اله الا الله أى سجن يجى من هذا وقال انسان صير فى باعنى فلان عشرين جريبا ودانقين ونصفا ذهبا قال ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الى عير مقبلة فقال لابى ذر ما كنت تحب ان تحمل هذه فقال أبو ذر رجالا لا مثل عمرى وقال للزهرى ما الزهد فى الدنيا قال أما انه ليس بشعث اللمة ولا تشف الهيئة ولكنه طلف النفس عن الشهوة وقيل للزهرى ما الزهد فى الدنيا قال ان لا يغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك ونظر زاهد الى فاكهة فى السوق فلما لم يجد ما يبتاعها عزى نفسه وقال يا فاكهة موعدى واياك الجنة قال مر المسيح صلوات الله وسلامه على

نبينا وعليه بحلق بني اسرائيل فشتموه فكلما قالوا شرا قال المسيح خيرا فقال له سمعون الصفي أكلما قالوا شرا قلت خيرا قال المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه كل امرئ يعطى ما عنده وقال بعضهم قيل لامرئ القيس بن حجر ما أطيب عيش الدنيا قال بيضاء رعبوبة بالطيب مشبوبة بالشحم مكروبة وسئل عن الدنيا الاعشى فقال صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية وقيل مثل ذلك لطرفة فقال مطعم شهي وملبس وفي ومركب وطي وقال كان محمد بن راشد البجلي يتغدى وبين يديه شيوطة وخياط يقطع له ثيابا وراءه يلحظ الشيوطة فقال قد زعمت ان الثوب يحتاج الى حوقة فكم مقدارها قال ذراع في عرض الشيوطة ودخل آخر على رجل يأكل اترجة بعسل فاراد أن يقول السلام عليكم فقال عسليكم ودخلت جارية رومية على راشد البستي لتبلغه عن مولاتها فبصرت بحمار قد أدلى في الدار فقالت قالت مولاتي كيف أير حماركم فيما زعم أبو الحسن المدايني وأنشد ابن الاعرابي

واذا أظهرت أمرا حسنا * فليكن أحسن منه ما يستر
فسر الخير موسوم به * وسر الشر موسوم بشر

﴿وأنشد ابن الاعرابي﴾

أرى الناس يبنون الحصون وانما * غوائل آجال الرجال حصونها
وان من الاعمال دونا وصالحا * فصالحها يبقى ويهلك دونها

﴿وأنشد ابن الاعرابي﴾

حسب الفتى من عيشه * زاد يبلغه المحلا
خبز وماء بارد * والظل حين يريد ظلا

﴿وقال بعض الاعراب﴾

وما العيش الا شبعة وتشرق * وتمر كاخفاف الرباع وماء

محمد بن حرب الهلالي قال قلت لاعرابي انى لك لواد قال وان لك من قلبي لرائد قال وأتيت اعرابيا في أهله مسلما عليه فلم أجده فقالت امرأته عشر الله خطاك أي جعلها عشرة أمثالها قال وكان مسلم بن قتيبة يقول لم يضع صواب القول حتى يضيع صواب العمل أبو الحسن قال قال الحجاج لمعلم ولده علم ولدي السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم أبو عقيل بن درست قال رأيت أباهاشم الصوفي مقبلا من جهة النهر فقلت له في أي شئ كنت اليوم قال في تعليم ما ليس ينسى وليس لشئ من الحيوان عنه غنى قال قلت وما ذلك قال السباحة حدثنا علي بن محمد وغيره قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سا كني الامصار أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر وقال ابن التوأم علم ابنك الحساب قبل الكتاب فان الحساب اكسب من الكتاب ومؤنة تعلمه أيسر ووجوه منافعه اكثر وكان يقال لا تعلموا

بناتكم الكتاب ولا ترووهن الشعر وعلموهن القرآن ومن القرآن سورة النور وقال آخر بنو فلان يعجبهم أن يكون في نسائهم أباضيات ويؤخذون بحفظ سورة النور وكان ابن التوأم يقول من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الابناء أن يعلموه الكتاب والحساب والسباحة * خطب رجل امرأة اعرابية فقالت له سل عني بني فلان وبني فلان وبني فلان فعدت قبائل قال وما علمهم بك قالت في كلهم قد نكحت قال أرى بك جلنفعة قد حزمتك الحزائم قالت لا ولكني جوالة بالرجل شمريس وقال الفرزدق لامرأته نوار كيف رأيت جريرا قالت رأيتك ظلمته اولا ثم شغرت عنه برجلك آخرا قال أنا أفي قالت نعم اما انه قد علبك في حلوه وشاركك في مره قال وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوما فتناول من بين يدي معاوية شيأ فقال يا ابن صوحان لقد انتجعت من بعيد قال من اجدب انتجع وبصر الفرزدق بجرير محرما فقال والله لقد افسدت على ابن المراغة حجه ثم جاءه مستقبلا له فجهزه بمشقص كان معه ثم قال

انك لاق بالمشاعر من منى * فخارا فخبرني بمن أنت فاخر

فقال جرير لبيك اللهم لبيك ولم يجبه قال ودخل مالك بن اسماء سجن الكوفة فجلس الى رجل من بني مرة فاتكأ المري عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال هل تدري كم قتلنا منكم في الجاهلية قال مالك اما في الجاهلية فلا ولكني اعرف من قتلتم منا في الاسلام وقال المري ومن قتلنا منكم في الاسلام قال أنا قد قتلتني غما قال ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زياد الهلالي وهو عامل على أرمينية وقد بات في موضع غدير قريب منه ضفادع فقال عبد الله للمحاربي ما تركتنا أشياخ محارب ننام في هذه الليلة لشدة اصواتها قال المحاربي اصلح الله الامير انها اضلت برقعا لها فهي في بغائه اراد الهلالي في قول الاخطل

تنق بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربي قول الشاعر

لكل هلالي من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقميص

وقال العتبي رأين الغواني الشيب لاح بعارضي * فاعرضن عني بالخدود النواضر
وكن اذا أبصرنني أو سمعن بي * سعين ففر قعن الكوى بالمحاجر
لئن حجبت عني نواظر عين * رمين باحداق المها والجآذر
فاني من قوم كرام أصولهم * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف في الاسلام في الشرك قادة * بها واليهم فخر كل مفاخر

قال لبيد والشاعرون الناطقون اذاهم * سلكوا طريق مرقش ومهلهل

وقال آخر أم من لباب اذا ما اشتد حاجبه * ام من لخصم بعيد الغور مغوار

وقال حاجب بن دينار المازنى

نحن بنو الفحل الذى سال بوله * بكل بلاد لا يبول بها فحل
ابى الناس والاقلام ان يحسبوهم * اذا حصل الاخماس أو يحسب الرمل
فان غضبوا شدوا المشارق منهم * ملوك وحكام كلامهم فصل

وقال اعرابى من بنى حنيفة وهو يمزح

مر الجراد على زرعى فقلت له * الزم طريقك لا تواقع بافساد
فقام منهم خطيبا فوق سنبلة * انا على سفر لابد من زاد

وقال آخر يهجو بعض الخطباء

يمان ولا يمون وكان شيخا * شديدا اللقم صلقاما خطيبا

ذهب الى قول الاحوص

ذهب الذين أحبهم فرطا * وبقيت كالمقمور فى خلف
من كل مطوى على عنق * مضطجع يكفى ولا يكفى

وقال الحسن بن هانئ اذا نابه أمر فاما كفيته * واما عليه بالكفى ء تشير

وقال آخر ذرينى لاعيى بما حل ساحتى * اسودوا كفى أو اطيع المسودا

وقال بشار وفى العبرات الغر صبر على الندى * اولئك حى من حزيمة أغلب
وألام من يمشى ضبيعة انهم * زعانف لم يخطب اليهم محجب

وكذلك قول أعشى بن ثعلبة

ما ضر غازى نزار ان يفارقه * كلب وجرم اذا ابناؤه اتفقوا
قالت قضاعة انا من ذوى يمن * الله يعلم ما برو اولا صدقوا
يزداد لحم المناقى فى منازلنا * طيبا اذا عز فى أعدائنا المرق
وما خطبنا الى قوم بناتهم * الا بارعن فى حافاته الحرق

قوله خطبنا ههنا من الخطبة وقولهم فى الشعر الاول من الخطبة وقال بلعاء بن قيس

أبست لنفسى الخسف لما رضوا به * ودليتهم شتمى وما كنت مفحما

وقال بلعاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعشم

الا ابلغ سراقة بن مالك * فبئس مقالة الرجل الخطيب
اترجوان تؤد بطعن ليث * فهذا حين تبصر من قريب

وقال منصور الضبى

ليت الفتى عجرد امنا مكانهم * وليتهم من وراء الاخضر الجارى
قد قام سيدهم عمران يخطبهم * ما كان الخير عمران بامار

تقول العرب الخلة تدعو الى السلة وكانوا اذا أسروا أسيرا قال المادح أسره فى مزاحفة

ولم يأسره فى سلة وفى الحديث لا اسلال ولا اغلال قال وفى المثل الحاجة تفتح باب المعرفة ونذكر ههنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة قال سويد المرائد الحارثى أو غيره

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة * فنقبل عقلا أو نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلتم انا ظلمنا فانكم * بدأتم ولكنا أسأنا التقاضيا
وقد ساءنى ما جرت الحرب بيننا * بنى عمنا لو كان أمر مدانيا

وقال ضابئ بن حارث

ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

وقال حارثة بن بدر

وقل للفؤاد ان نزابك نزوة * من الروع أفرخ اكثر الروع باطله

وقال لبيد واكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

وقال الشاعر وهو وحيد بن أوس الطائى

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
وانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقال آخر هو الشمس الا ان للشمس غيبة * وهذا الفتى الجرمى ليس يغيب
يروح ويغدو ليس ينتر ساعة * وان قيل ناء منك فهو قريب

وقال آخر خلافا لقولى من فيالة رأيه * كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا

﴿وقال حارث بن بدر﴾

اذا مامت سر بنى تميم * على الحدثان لا يلقون مثلى
عدو عدوهم أبدا عدوى * كذلك شكلهم أبدا وشكلى

وهذا شبيه بقول الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وقال عمر ولمعاوية من أصبر الناس قال من كان رأيه رائد الهواه واختلفوا بحضرة الزهرى فى معنى قول القائل فلان زاهد فقال الزهرى الزاهد الذى لا يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه لا تكونن أول مشير وايالك والرأى الفطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على متلون ولا على لجوج وخف الله فى موافقة هوى المستشير فان التماس موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قل صديقه وقال عمر للاحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل ورعه

ومن قل ورعه ذهب حياؤه ومن ذهب حياؤه مات ومات قلبه وقال المهلب يابنى تباذلوا تحابوا فان بنى الام يختلفون فكيف بنو العلات ان البر ينسأ فى الاجل ويزيد فى العدد وان القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذل واتقوا ذلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش ويذل لسانه فيهلك وعليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة فان القتال اذا وقع وقع القضاء فان ظفر فقد سعد وان ظفر به لم يقولوا فرط وافى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال القلوب معك والسيوف عليك والنصر فى السماء وقال بعضهم حجب اعرابى على باب السلطان فقال أهين لهم نفسى لاكرمها بهم * ولا يكرم النفس الذى لا يهينها

وقال جرير قوم اذا حضر الملوك وفودهم * نتفت شواربهم على الابواب

وقال آخر نهيت جميع الحضر عن ذكر خطه * يدبره فى رأيه ابن هشام
فلما وردت الباب أيقنت اننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر وافى الوفود فوافى من بنى جمل * بكر الحمالة فانى السن عرزوم

وقال تميم فديتك أن لا تسمعينى ملامة * ولا تنكى قرح الفؤاد فيجزعا

وقال آخر قليل التشكى للمصائب ذاكرا * من اليوم اعقاب الاحاديث فى غد

وقالوا أشد من الموت ما يتمنى له الموت وقال الفرزدق وهو يصف طعنة

يود لك الادنون لو مت قبلها * يرون بها شرا عليك من القتل

قال وقيل للاحنف ما بلغ من حزمك قال لا ألى ما كفيت ولا أضيع ما وليت وقال آخر لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهر جار وسوق قائمة وقاض عدل وقالوا لا تبنى المدن الا على الماء والمرعى والمحتطب وقال مالك بن دينار لو بمصر رأيت الحجاج يتكلم على منبره ويذكر حسن صنيعه الى أهل العراق وسوء صنيعهم اليه حتى انه ليخيل الى انه صادق مظلوم أبو عبد الله الثقفى عن عمه قال سمعت الحسن يقول لقد وقذتنى كلمة سمعتها من الحجاج قلت وان كلام الحجاج ليقذك قال نعم سمعته على هذه الاعواد يقول ان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لحرى ان تطول عليها حسرته وقال بعضهم كان يقال ما وجدنا أحدا أبلغ فى خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة قال دخل الزبرقان بن بدر على زياد وقد كف بصره فسلم تسليما جافيا فأدناه زياد فاجلسه معه وقال يا أبا عياش القوم يضحكون من جفائك قال وان ضحكوا فوالله ان منهم رجل الا ود أنى أبوه دون أبيه لغيه أو لرشده قال ونظر هشام بن عبد الملك الى قبر عثمان بن حيان المرى فقال جثوة من جثى النار قال وكان يقال صاحب السوء قطعة من النار والسفر قطعة من العذاب قال آخر وكان يقال عذابان لا يكترث لهما الداخل فيهما السفر الطويل والبناء الكثير وقال رجل من أهل المدينة من ثقل على صديقه خف على عدوه ومن أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون وقال سهل ابن هرون ثلاثة يعودون الى أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران فقال له أبو عبد ان المخلع الشاعر ما تقول فى المنعظ فضحك حتى استلقى ثم قال

هنا بياض بالاصل

وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

وقال أبو الدرداء أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب قال وقال ناس البخل قيد والغضب جنون والسكر مفتاح الشر وقال بعض البخلاء ما نصب الناس لشئ نصبهم لنا هبهم يلزموننا الذم فيما بيننا وبينهم مالهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا قال وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن لابيه ما شعر كثير عندى كما يصفه الناس فقال له أبوه انك لن تضع كثيرا بهذا انما تضع بهذا نفسك قال أنشد رجل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قول طرفة

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى

فقال عمر لولا ان أسير فى سبيل الله وأضع جبهتى لله وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر لم أبال ان أكون قد مت وقال عامر بن عبد قيس ما آسى من العراق الا على ثلاث على ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين واخوان لى منهم الاسود بن كلثوم وقال آخر ما آسى من البصرة الا على ثلاث رطب السكر وليل الخزير وحديث أبى بكر وقال سهل بن هرون

ولكننى أبكى بعين سخينة * على حال تبكى له عين أمثالى
فراق خليل أو شجى يستفزنى * لخلة أمر لا يقوم لها مالى
فيا كبدى حتى متى القلب موجع * بشكل حبيب أو تعذر افضالى
وما العيش الا ان تطول بنائل * والالقاء الاخ ذى الخلق العالى

وقال اعرابى لولا ثلاث هن عيش الدهر * الماء والنوم وأم عمرو * لما خشيت من مضيق القبر قال وقال الاحنف أربع من كن فيه كان كاملا ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحى قومه دين يرشده أو عقل يسدده أو حسب يصونه أو حياء يقنعه وقال المؤمن بين أربع مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يجاهده وشيطان يفتنه وأربع ليس أقل منهن اليقين والعدل ودرهم حلال وأخ فى الله وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ما أنا لم يعدم خصلة من أربع آية محكمة أو قضية عادلة أو أخا مستفادا أو مجالسة العلماء وقالوا من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب قال أبو ذر الغفارى كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقالوا تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين وبالحياء حتى ذهب الحياء وبالمروأة حتى ذهبت المروأة وقد صاروا الى الرغبة والرهبة وأحريهما ان تذهبا وقال بعضهم دعا رجل على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى طعام فقال نأتيك على أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك وقال الحصين بن المنذر

وكل خفيف الساق يسعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى أن يفتح الباب أجمعا

وقال آخر

ونفسك اكرمها فانك ان تهن * عليك فان تلقى لها الدهر مكرما

اعتذر ابن عوف الى ابراهيم النخعى فقال له اسكت معذورا فان الاعتذار يخالطه الكذب

أبو عمر الزعفراني قال كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حشمه في ذلك اليوم شيأ الا قال لا فقال عمرو أقل من قول لا فانه اليسر في الجنة قول لا وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا سأل لم يجده أعطى واذا سأل ما لا يجد قال يصنع الله قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان قول نعم يضرين على المسألة قال وانما خص عمر رضي الله تعالى عنه بذلك النساء وقال بعضهم ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال على الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ومهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة فمن ذا الذي يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا أم متى استذمت اليك بصارع آبائك في البلى أم بمضاجع أمهاتك في الثرى كم مرضت بيديك وكم علت بكفيك تطلب له الشفاء وتستوصف له الاطباء غداة لا يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك وقال عمر رضي الله تعالى عنه ما بال أحدكم ثاني وساده عند امرأة مغيبة ان المرأة لحم على وضم الا ماذب عنه وقال بعضهم مات ابن لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال عش أيها الملك العظيم سعيدا ولا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسكها وقال لما توفي معاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عطاء بن أبي صيفي الثقفي فقال يا أمير المؤمنين أصبحت وقد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله وقد قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنوبه وقد أعطيت بعده الرئاسة وولية السياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنؤنه أم يعزونه فاقبل غيلان بن مسلمة الثقفي فسلم عليه ثم قال يا أمير المؤمنين أصبحت قد رزئت خير الآباء وسميت خير الاسماء وأعطيت أفضل الاشياء فعظم الله لك على الرزية الصبر واعطاك في ذلك نوافل الاجر وأعانك على حسن الولاية والشكر ثم قضى عبد الملك بخير القضية وأنزله بأشرف المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية فقال له الوليد من أنت فانتسب له قال في كم أنت قال في مائة دينار قال فالحقه بأهل الشرف ولما توفي المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدي فسلم قال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله لامير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية وكتب ميمون بن مهران الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن ابنه عبد الملك فكتب اليه عمر كتبت الي تعزيني عن ابني عبد الملك وهذا أمر لم أزل انتظره فلما وقع لم أنكره وقال الشاعر

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده * ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

وقيل قدم ما عندك ولا تدخر عنا ما عندك وقال آخر كان شيخ يأتي ابن المقفع فالح عليه يسأله

الغداء عنده وفى ذلك يقول انك تظن انى اتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم اليك الا ما عندى قال فلما أتاه اذا اليس فى منزله الا كسرة يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فلما لم يذهب قال والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل انك لو تعرف من صدق وعده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تراده كلمة ولم تقف طرفة عين قال وكان يقال أول العلم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقال آخر كان يقال لا وحشة أوحش من عجب ولا ظهير أعون من مشورة ولا فقر أشد من عدم العقل وقال مورق العجلى ضاحك معترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه وقال خير من العجب بالطاعة أن لا يأتى بطاعة وقال شبيب لابى جعفر ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعلن فوق شكرك شكرا وقال آخر لابى جعفر فى أول ركبة ركبها ان الله قد رأى أن لا يجعل أحدا فوقك فرنفسك أهلا أن لا يكون أحد اطوع لله منك وسفه رجل على ابن له فقال ابنه والله لانا أشبه بك منك بابيك ولانت أشد تحصينا لامى من أبيك لامك وقال عمرو بن عبد لابى جعفر ان الله قد وهب لك الدنيا باسرها فاشتر لنفسك منه بعضها وقال الاحنف ثلاث لا أناة فيهن عندى قيل وما هن يا أبا بحر قال المبادرة بالعمل الصالح واخراج ميتك وان تنكح الكفء أيمك وكان يقول لا فعى تحكك فى ناحية بيتى أحب الى من ايم ردت عنها كفؤا وكان يقال ما بعد الصواب الا الخطأ وما بعد منعهن من الاكفاء الا بذلهن للسفلة والغوغاء وكان يقال لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة الى كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويباعدها وان كانت قريبة ولا الى الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته وكان الاحنف يقول لا مروأة لكذوب ولا سؤدد لبخيل ولا ورع لسيئ الخلق وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب فى موضع ترى انه ينفعك فانه يضرك قالوا لا تصرف حاجتك الى من معيشته من رؤس المكاييل والسنة الموازين وقالوا انفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحدا من النقصان وقال قال عامر بن ظرب العدوانى يا معشر عدوان ان الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم قال وقال الاحنف لان ادعى من بعيد أحب الى من ان أقصى من قريب وكان يقول اياك وصدر المجلس وان صدرك صاحبه فانه مجلس قلعة قال وقال زياد ما أتيت مجلسا قط الا تركت منه مالو أخذته كان لى وتركت مالى أحب الى من أخذى ما ليس لى وقال الاحنف ما كشفت أحدا عن حالى عنده الا وجدته دون ما كنت أظن قال وأثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فافرط وكان على له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك قال وكان يقال خمس خصال تكون فى الجاهل الغضب فى غير غضب والكلام فى غير نفع والعطية فى غير موضع والثقة بكل أحد وان لا يعرف صديقه من عدوه وأثنى اعرابى على رجل

فقال ان خيرك لسريح وان منعك لمريح وان رفدك لربيح وقال سعيد بن مسلم كنت واليا بارمينية فغبر أبو زهمان العلائى على بابى أياما فلما وصل الى مثل بين يدى قائما بين السماطين وقال والله انى لاعرف أقواما لو علموا ان سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لازمافهم ايثار اللتنزه عن عيش رقيق الحواشى اما والله انى لبعد الوثبة بطىء العطفة انه والله ما ينثنينى عليك الا مثل ما يصرفنى عنك ولان أكون مقلا مقربا أحب الى من ان أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لانضبطه ولا مالا لانحن أكثر منه وهذا الامر الذى صار اليك فى يديك كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله ودخل عتبة ابن عمر بن عبد الرحمن بن حرث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى بعد حجاب شديد وكان عتبة سخيا فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا يدانون فى أموالهم فاذا فنيت ادانوا فى اعراضهم فعلم عتبة انه يعرض به فقال أصلح الله الامير ان رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فاولئك تبقى لهم أموالهم ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فاذا نفدت ادانوا على سعة ما عند الله فخجل خالد وقال انك لمنهم ما علمت قال وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كورز هلا أجبت أمير المؤمنين اذ سألك عن مالك قال انه ان استكثره حسدنى وان استقله حقرنى أبو الحسن قال ووعظ عروة بنيه فقال تعلموا العلم فانكم ان تكونوا صغار قوم فعسى ان تكونوا كبار قوم آخرين ثم قال الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم واذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه واعلموا ان عنده لها أخوات قال وقال رجل لرجل هب لى درهما قال أتصغره لقد صغرت عظيما الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر الدية قال الاصمعى خرجت بالدارمى قرحة فى جوفه فبزق بزقة خضراء فقيل له قد برأت اذ بزقتها خضراء قال والله لو لم يبق فى الدنيا زمردة خضراء الا بزقتها ما نجوت مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان فرأى جارية فقال ويلك ما لهذه الجارية قال أعلمها القرآن قال فليكن الذى يعلمها أصغر منها اسحق ابن أيوب قال هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله يقول لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قال ذلك القليل نريد وهرب رجل من الطاعون الى النجف أيام شريح فكتب اليه أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق وان من بالنجف من ذى قدرة لقريب قال ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له زوجنى ابنتك فقال هل قرأت القرآن قال لا قال ادنوه منى فادنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل ضمه اليك فاذا قرأ وجناه ولما استعمل يزيد ابن أبى مسلم بعد الحجاج قال انا كمن سقط منه درهم فوجد دينارا وقال يزيد لابن أبى مسلم قال أبى للحجاج

انما أنت جلدة ما بين عيني وأنا أقول انك جلدة وجهي كله ومع هذا انه صعد المنبر فقال علي بن أبي طالب لص ابن لص صب عليه شؤبوب عذاب فقال اعرابي كان تحت المنبر ما يقول أمركم هذا وفي قوله لص ابن لص أعجوبتان احداهما رميه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه لص والاخرى انه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد انه ضم اللام في لص بكر بن عبد العزيز الدمشقي قال سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولي الخلافة وهو يقول اذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لي عليكم واذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لي عليكم واذا أغرتكم فجمرتكم فلا طاعة لي عليكم فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لابيه يا أمير المؤمنين اقتل أبي فديتك وقال مرة أخرى يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان قال وقال عبد الملك أضر بالوليد حبناله فلم نوجهه الى البادية قال ولحن الوليد على المنبر فقال الكروس لا والله ان رأيته على هذه الاعواد قط فامكنني ان أملأ عيني منه من كثرته في عيني وجلالته فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندي كبعض أعوانه وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التي تذكر فيها الحاقة فقرأ ياليتها كانت القاضية فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال أما انه ان كان قالها انه لاحد الاحدين قالوا وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ولم يكن في ولده أفصح من هشام ومسلمة قال وقال صاحب الحديث أخبرني أبي عن اسحق ابن قبيصة قال كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة وكذلك كتب محمد فقلت لمولى لمحمد ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة فاخبره المولى بقولي فاذا كتاب قد ورد علي أما بعد فقد أخبرني فلان بما قلت وما أحسبك تشك ان قريشا أفصح من الاشعريين والسلام ومن بني الصريم الصدي بن الحلق وفد به الحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له ممن أنت فقال له من بني صريم قال له ما اسمك قال الصدي بن الحلق قال دعافي عنقه خارجي حيث هذا يدل على ان عامة بني صريم كانوا خوارج وكان منهم البرك الصريمي واسمه الحجاج الذي ضرب معاوية بالسيف وله حديث والخزرج بن الصدي بن الحلق كان خطيبا وقال الشاعر في بني صريم

أصلي حيث تدركني صلاتي * وبئس الدين دين بني صريم

قياما يطعنون على معد * وكلهم على دين الخطيم

والخطيم باهلي قال الاصمعي وأبو الحسن دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما نجدك تملك عشرين سنة وقال الآخر كذبت بل نجدك تملك ستين سنة قال فقال الوليد ما الذي قال هذا الأبط بصغري ولا ما قال هذا يغرمثلي والله لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولا فرقنه تفريق من يموت غدا وخطب الوليد فقال ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عيني الا وانه جلدة وجهي كله

﴿هنا تم الجزء الاول من كتاب البيان والتبيين ويليه الجزء الثاني أوله باب اللحن﴾

﴿تنبيه﴾ قد صار تفسير الكلمات اللغوية من هذا الجزء بقلم حضرة الفاضل النبيه حسن أفندي انفاكهاني لغاية ملزمة ٧ والباقي بمعرفة حضرة الفاضل الشيخ محمد الزهري الغمراوي حفظهما الله وحقوق اعادة طبعه بهذه الصفة محفوظة لملتزمه

﴿ فهرست الجزء الاول من البيان والتبيين للعلامة الامام أبي عثمان عمرو الجاحظ رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة	
٢	خطبة الكتاب
١١	ذكر ماجاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه
١٦	ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة
٢٣	(باب البيان)
٣٤	مطلب فى بيان الاشارة باليد
٣٥	مطلب القول فى العقد وهو الحساب دون اللفظ
٣٦	مطلب فى النصبة فهى الحال الناطقة
٤٣	باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابناء والفقهاء والامراء الخ
٥٨	كلام بشر بن المعتمر
٦٩	مطلب فى ذكر ماقالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور
٧١	باب فى ذكر اللسان
٧٢	باب فيما كانوا يمدحون شدة العارضة
٨٠	باب الصمت
٨١	مطلب مانشده جرير فى فوت الرأى
٨٦	باب من القول فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز
٨٧	باب فى حسن البيان وفى التخلص من الخصم
٨٩	باب فى الشعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب
٩٠	باب فى وصف كلامهم فى أشعارهم
٩٢	باب فيما يذكرونه من الكلام الموزون ومايمدحون به
٩٣	باب فيما يقولون به فى الخطب واللسن والامتداح والمديح
٩٨	باب فيما كانوا يعيبون النوك والعى والحمق الخ
١٠٠	باب فى ذكر المعلمين من أمثال العامة
١٠٠	باب فيما يقال فلان أحمق أو مائق فليس يريدون ذلك المعنى بعينه
١٠١	باب فيما قاله بعض الربانيين من الادباء
١٠٢	باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك
١٠٩	باب ماقالوا فيه من الحديث الحسن
١١١	باب فى حسن الاسجاع فى الكلام
١١٥	باب فى اسجاع عبد الله بن المبارك
١١٧	خطبة من خطب النبى صلى الله عليه وسلم
١١٨	ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك
١١٨	باب أسماء الخطباء والبلغاء والانبياء وذكر قبائلهم وانسابهم ومن الخطباء الفضل ابن عيسى الرقاشى
١١٩	ومنهم قس بن ساعدة
١١٩	وزيد بن على بن الحسين
١٢١	وخالد بن سلمة المخزومى وعمرو بن سعيد وهو الاشدق
١٢٢	وسهيل بن عمر وعبد الله بن عروة بن الزبير
١٢٣	وعمرو بن خولة ومحمد بن جعفر بن حفص
١٢٦	باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان
١٣٨	باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان
١٣٩	باب ماقيل فى المخاصر والعصى وغيرهما

صحيفة	
١٤٦	باب ماذكر وافيه من ان أثر السيف يمحو أثر الكلام
١٥٤	أول الثلث الثانى
١٦٣	ومن خطب النبى صلى الله عليه وسلم حين حج حجة الوداع
١٦٨	كلام أبى بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته
١٦٨	وصية عمر رضى الله عنه للخليفة بعده
١٦٩	رسالة عمر لابى موسى الاشعرى رضى الله عنهم
١٧٠	خطب الامام على رضى الله عنه
١٧١	خطبة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
١٧٢	خطبة عتبة بن غزوان وسيدنا معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهم
١٧٣	خطبة زياد بالبصرة البتراء
١٩٢	باب مزدوج الكلام

صحيفة	
١٩٤	خطب عمر بن عبد العزيز
١٩٥	خطبة أبى حمزة
١٩٦	خطبة قطرى بن الفجاءة
١٩٧	خطبة محمد بن سليمان
١٩٨	خطبة عبيد الله بن زياد وخطبة معاوية وخطبة قتيبة بن مسلم الباهلى
١٩٩	خطبة الاحنف بن قيس وخطبة جامع المحاربى
٢٠٠	خطب الحجاج وعمر بن كلثوم ويزيد ابن الوليد
٢٠١	خطبة يوسف بن عمر
٢٠٢	خطبة الحجاج بعد دير الجماجم
٢٠٣	باب من اللغز فى الجواب
٢٠٥	باب فى صفة الرائد
٢١٢	باب ان يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه

﴿تمت﴾

﴿الجزء الثانى﴾
من كتاب البيان والتبيين تأليف الامام أبى
عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن
محبوب الكنانى البصرى
المتوفى بالبصرة فى المحرم
سنة ٢٥٥
هجريه

﴿حقوق الطبع محفوظه﴾

﴿الطبعة الاولى﴾
(بالمطبعة العلمية سنة ١٣١٣)
﴿هجريه﴾

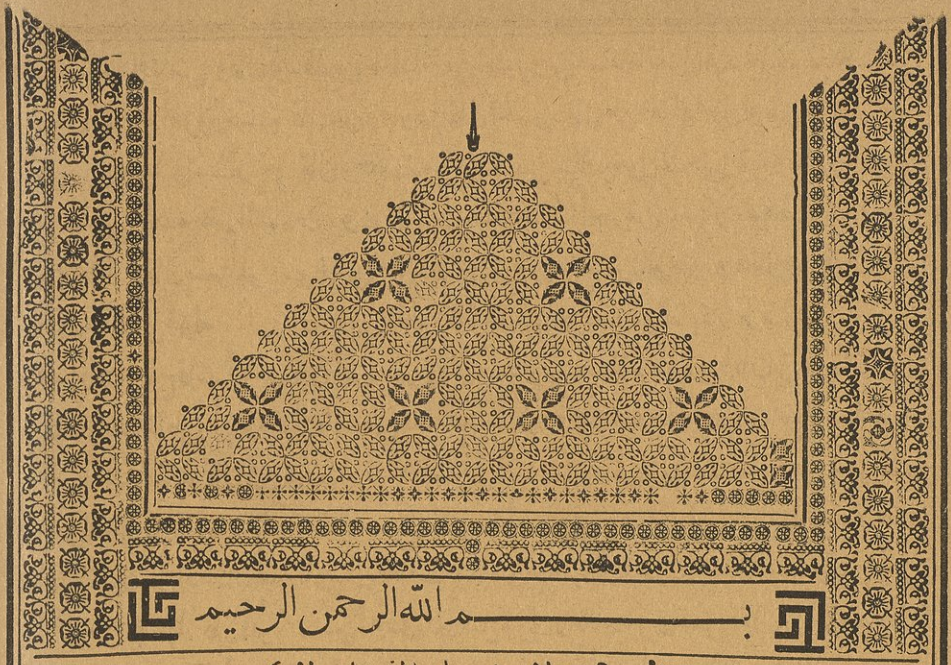

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾

﴿باب اللحن﴾

قال أبو عثمان عمرو بن بحر حدثنا عثام أبو يحيى عن الاعمش عن عمارة بن عمير قال كان أبو معمر يحدثنا فيلحن يتبع ما سمع أبو الحسن قال أوفد زياد عبيد الله بن زياد الى معاوية فكتب اليه معاوية ان ابنك كما وصفت ولكن قوم من لسانه وكانت فى عبيد الله لكنة لانه كان نشأ بالاساورة مع أمه مرجانة وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسوارى وكان قال مرة افتحوا سيوفكم يريد سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مفرغ

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل امرك للضياع

ولما كلمه سويد بن منجوف فى الهثهات بن ثور قال له يا ابن البظراء فقال له سويد كذبت على نساء بنى سدوس قال اجلس على أست الارض قال سويد ما كنت أحسب ان للارض أستا قالوا قال بشر بن مروان وعنده عمر بن عبد العزيز لغلام له ادع لى صالحا فقال الغلام ياصالحا فقال له بشر ألق منها ألف قال له عمر وأنت فزد فى الفلك ألفا وزعم يزيد مولى عون قال كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء فكان اذا دعاها قال ياضمياء بالضاد فقال له ابن المقفع قل ياظمياء فناداها ياضمياء قال فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال هى جاريتى أو جاريتك قال نصر بن سيار لا تسم غلامك الا باسم نحيف على لسانك وكان محمد بن الجهم ولى المكى صاحب النظام موضعا من مواضع كسكر وكان المكى لا يحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه وكان اسم ذلك الشاغثنا وقيل لابى حنيفة ما تقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به قال لا ولو ضرب

رأسه ياباقبيس وقال يوسف بن خالد التيمي لعمرو بن عبيد ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها قال له عمرو أحسن قال من قفأوها قال احسن قال من قفائها قال له من عناك هذا قل من قفاها واسترح قال وسمعت من يوسف بن خالد يقول لا حتى يشجه بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين وكان يوسف يقول هذا أحمر من هذا يريد هذا أشد حمرة من هذا وقال بشر المريسي قضى الله لكم الحوايج لي أحسن الوجوه وأهنؤها فقال قاسم التمار هذا على قوله

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر وقال مسلم بن سلام حدثني أبان بن عثمان قال كان زياد النبطي أخو حسان النبطي شديدا للكنة وكان نحويا قال وكان بخيلا دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال فمن لدن دأوتك فقلت لبى الى ان اجبتني ما كنت تصنع يريد من لدن دعوتك الى ان اجبتني ما كنت تصنع قال وكانت أم نوح وبلال ابني جرير أعجمية فقال لها لا تكلمي اذا كان عندنا رجال فقالت يوما يا نوح جردان دخل في عجان أمك وكان الجرذ أكل من عجينها قال أبو الحسن أهدى الى فيل مولى زياد حمار وحش فقال لزياد أهدوا النا حمار وهش قال أي شئ تقول ويلك قال اهدوا النا ايرا يريد عيرا قال زياد الثاني شر من الاول قال يحيى بن فل

وان يك زيد فصيح اللسان * خطيبا فان استه تلحن
عليك بسك ورمانة * وملح يدق ولا يطحن
وحلتيت كرمان ونانخاه * وشمع يسخن في مدهن

وهذا الشعر في بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر

اذا أنت تعلقت بحبل من أبي الصلت * تعلقت بحبل وا هن القوة منبت
فخذ من شعر كيسا ن ومن اظفار سجت * ألم يبلغك تسال لدى العلامة البرت

وقال

المرء ما سرجوية * داء المرء من تحت وقال البرد حت

لقد كان في عينيك ياحفص شاغل * وانف كثيل العود عما تتبع
تتبع لحنا في كلام مرقش * وخلقك مبني على اللحن أجمع
وعينك اقواء وانفك مكفأ * ووجهك ايطاء فانت المرقع

وقال المديني في هجائه أهل المدينة

ولحنكم بتقصير ومد * وألأم من يدب على العفار

علي بن معاذ قال كتبت الى فتى كتابا فاحابني فاذا عنوان الكتاب الى ذاك الذي كتب الى وقرأت على عنوان كتاب لابي أمية الشمري للموت أنا قبله وكتب ابن المرادي الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته وقال ابراهيم بن سيار أنا لا أقول مت قبلك لاني اذا مت قبلك مات هو بعدي ولكن أقول مت بدلك وكتب عقال بن شبة بن عقال الى زهير بن المسيب للامير المسيب بن زهير من عقال بن شبة بن عقال ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه

بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يشرك قراه أبوه على خاتمه قال هذا أقبح من الشرك وقال عبد الملك بن مروان اللحن هجنة على الشريف والعجب آفة الرأى وكان يقال اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق فى الخطب وزعم المدائنى ان خالد ابن عبد الله وكان يولع بالتشديق قال ان كنتم رجبيون فانا رمضانيون ولولا ان تلك العجائب قد صحت على الوليد ما جوزت هذا على خالد قال وكتب الحصين بن الحر كتابا الى عمر فلحن فى حرف فيه فكتب اليه عمر ان قنع كتابك سوطا وبلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار انه كان ينشد بيت أبى دلف

البسينى الدرع قدطا * ل عن الحرب جاحى

فسألته عن ذلك فحلف انه انما قال البسينى الدرع قدطال عن الحرب جاحى قال الله تبارك وتعالى ولتعرفنهم فى لحن القول فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع وكان سليمان بن عبد الملك يقول المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث يفخم اللحن كما يفخم نافع ابن جبير الاعراب وقال الشاعر فى نحو ذلك

لعمرى لقد قعبت حين لقيتنا * وأنت بتقعيب الكلام جدير

وقال خلف الاحمر وفرقعهن بتقعيبه * كفرقعة الرعديين السحاب

وقال الميسانى ولحنكم بتقعيب ومد * وألأم من يدب على العفار

وقال الاصمعى خاصم عيسى بن عمر النحوى الثقفى رجلا الى بلال بن أبى بردة فجعل عيسى يشبع الاعراب وجعل الرجل ينظر اليه فقال له بلال لان يذهب بعض حق هذا أحب اليه من ترك الاعراب فلا تتشاغل به واقصد بحجتك وقدم رجل من النحويين رجلا الى السلطان فى دين له عليه فقال أصلح الله الامير لى عليه درهمان قال خصمه لا والله أيها الامير ان هى الا ثلاثة دراهم لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما قال خاصم رجل الى الشعبى أو الى شريح رجلا فقال ان هذا باعنى غلاما فصيحا صبيحا قال هذا محمد بن عمر بن عطارد بن حاجب بن زرارة قال مر ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن جميد الحميرى فقال يا ماسرجويه انى أجد فى حلقى بححا قال انه عمل بلغم فلما جاوزه قال أنا أحسن ان أقول بلغم ولكنه كلمنى بالعربية فكلمته بالعربية وروى أبو الحسن ان الحجاج كان يقرأ انا من المجرمين المنتقمون وقد زعم رؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله ص والقرآن والحرف الآخر وما تنزلت به الشياطون أبو الحسن قال كان سابق الاعمى يقول الخالق البارئ المصور فكان ابن جابان اذا لقيه قال يا سابق ما فعل الحرف الذى تشرك بالله فيه قال وقرأ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنون وقال ابن جابان وان أمنوا أيضا

لم تنكحهم وقال مسلمة بن عبد الملك انى لاحب أن أسأل هذا الشيخ يعنى عمرو بن مسلم فما يمنعنى منه الا لحنه قال وكان أيوب السختيانى يقول تعلموا النحو فانه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف وقال عمر أيضا تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض قال رجل للحسن يا أبى سعيد فقال كسب الدوانيق شغلك عن ان تقول يا أباسعيد قالوا وأول لحن سمع بالبادية هذه عصاتى وأول لحن سمع بالعراق حتى على الفلاح

﴿باب﴾ ومن اللحانين البلغاء خالد بن عبد الله القسرى وخالد بن صفوان الاهتمى وعيسى ابن المدور وقال بعض النساك أعربنا فى كلامنا فالحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فاعرب حرفا قال أخبرنى الربيع بن عبد الرحمن السلمى قال قلت لاعرابى أتهمز اسرائيل قال انى اذا لرجل سوء قال قلت فتجر فلسطين قال انى اذا لقوى وكان هشيم يقول حدثنا يونس عن الحسن يقولها بفتح الياء وكسر النون وكان عبد الاعلى بن الاعلى السامى يقول فاخذه فصرعه فذبحه فاكله بكسر هذا أجمع وكان مهدى بن مهلهل يقول حدثنا هشام مجزومة ثم يقول ابن ويجزمه ثم يقول حسان ويجزمه لانه حين لم يكن نحو يارأى ان السلامة فى الوقف وأما خالد بن الحرث وبشر بن المفضل الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كان لسانه لسان اعرابى فصيح أبو زيد النحوى وأبو سعيد المعلم قال خلف قلت لاعرابى ألقى عليك بيتا سا كنا قال على نفسك فألقه وقال أبو الفضل العنبرى لعلى بن بشير انى التقطت كتابا من الطريق فأنبئت ان فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به قال نعم ان كان مقيدا قال والله ما أدرى أمقيد هو أم مغلول الاصمعى قال قيل لاعرابى أتهمز الرمح قال نعم قيل له فقلها مهموزة فقالها مهموزة قال أتهمز الترس قال نعم فلم يدع سيفا ولا ترسا الا همزه فقال له أخوه وهو يهمز أبه دعوا أخى فانه يهمز السلاح أجمع وقال بعضهم ارتفع الحزياد رجل وأخوه فى ميراث فقال ان أبونا مات وان أخينا وثب على مال أبانا فاكله فقال زياد الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك وأما القاضى فقال فلا رحم الله أباك ولا تبح عظم أخيك قم فى لعنة الله وقال أبو شيبة قاضى واسط آتيتمونا بعد ان أردنا ان نقم قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الاول وفى بعض الجزء الثانى كلاما من كلام العقلاء البلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء وقدرو ينا نوادر من كلام الصبيان والبحرمين من الاعراب ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المره من الموسوسين ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب التكلف من الحمقى فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة الى بعض الهزل قال أبو عبيدة أرسل ابن لجعل بن لجيم فرساله فى حلبة فجاء سابقا فقال لابيه يا أبت بأى شئ أسميه فقال افقأ احدى عينيه وسمه الاعور وشعراء مضر يحمقون رجال الازد ويستخفون أخلاقهم قال عمر بن لجاء

تصطك ألحيها على دلائها * تلاطم الازد على عطائها

وقال بشار وكأن غلى دنانهم فى دورهم * لغط العتيك على خوان زياد

وقال الراجز لبيك بى ارفل فى بجادى * حازم حقوى وصدرى بادى

أفرج الظلماء عن سواد * أقوى لشول بكرت صوادى

كأنما أصواتها بالوادى * أصوات جن عن عمان غاد

وقال الآخر واذا سمعت هديلهن حسبته * لغط المعاول فى بيوت هداد

و بسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانيه وقال ابن أحمر

أخا لها سمعت عرفا فحسبه * اهابة القسر ليلا حين تنتشر

وقال الكميت كان الغطامط من غليها * اراجيز اسلم تهجو غفارا

فجعل الاراجيز التى شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدر لاسلم دون غفار

﴿ باب النوكى ﴾ قالوا ومن النوكى مالك بن زيد مناه بن تميم الذى لما دخل على امرأته فرأت ما رأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضا مشتملا قالت ضع علبتك قال يدى أحفظ لها قالت فاخلع نعليك قال رجلاى احفظ لهما قالت فضع شملتك قال ظهرى أولى بها فلما رأت ذلك قامت فجلست الى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها ومن المجانين والموسوسين والنوكى ابن فتار وصباح الموسوس وريسموس اليونانى وأبو حية النميرى وأبو يس الحاسب وجعيفران الشاعر وجرنفش ومنهم سارية الليل ومنهم ريطة بنت كعب بن سعد بن تميم بن مرة وهى التى نقضت غزلها أنكاثا فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل وهى التى قيل لها خرقاء وجدت صوفا ومنهم دغة وجهيزة وشولة وذراعة المعديه ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * فاما ريسموس فكان من موسوسى اليونانيين قال له قائل ما بال ريسموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله قال مثله مثل المسن الذى يشحذ ولا يقطع ورآه رجل يأكل فى السوق فقال ما بال ريسموس يأكل فى السوق قال اذا جاع فى السوق أكل فى السوق وألح عليه بالمسئلة رجل وهو ساكت فقيل له يشتمك مثل هذا وأنت ساكت قال أرأيت ان نبحك كلب انتبحه ورحك حمار اترحه وكان اذا خرج فى الفجر يريد الفرات ألقى فى دوارة بابه حجرا حتى لا يعانى دفع بابه اذا رجع وكان كلما رجع الى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب منصفقا فعلم ان أحدا يأخذ الحجر من مكانه فكمن لصاحبه يوما فلما رآه قد أخذ الحجر قال مالك تأخذ ما ليس لك قال لم أعلم انه لك قال فقد علمت انه ليس لك * أما جعيفران الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال قل شعرا على الجيم فانشأ يقول

عادنى الهم فاعتلج * كل هم الى فرج سل عنك الهموم بالكا * س والراح تنفرج

وهى أبيات وكان يتشيع قال له قائل أتشتم فاطمة وتأخذ درهما قال لا بل أشتم عائشة

وآخذ نصف درهم وهو الذى يقول

ما جعفر لابيه * ولاله بشبيه * أضحى لقوم كثير فكلهم يدعيه

هذا يقول بنى * وذا يخاصم فيه * والام تضحك منهم لعلمها بابيه

وهو الذى يقول فى قوم لاطة

كانهم والايور عامدة * صيا قل فى جلابة النصل

* وأما أبو يس الحاسب فان عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة فلما جن كان يهذى انه سيصير ملكا وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم وكان أبو نواس والرقاشى يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ويرويانها أبا يس اذا حفظها لم يشك انه الذى قالها فمن تلك الاشعار قول أبى نواس

منع النوم ادكارى زمنا * ذاتها ويل واشيا نكر * واعتراك الروم فى معمعة

ليس فيها الجبان من مقر * كائنات ليس عنها مذهب * خطها يوشع فى كتب الزبر

وعلامات سيأتى قبله * جة أولها سكر النهر * ويليهم رجل من هاشم

اقنص الناس جميعا للحمر * يبتنى فى الصحن من مسجدهم * للمصلين من الشمس ستر

ورجاء يبتنى مطهرة * ضخمة فى وسطها طشت صفر * فهنالكم حين يفشو أمركم

وهنالك ينزل الامر النكر * فاتبعوه حيث ما سار بكم * أيها الناس وان طال السفر

ودعوا بالله ان تهزوا به * لعن الرحمن من منه سخر

والبصريون يزعمون ان أبا يس كان أحسب الناس * اما أبو حية النميرى فانه أجن من جعيفران وكان أشعر الناس وهو الذى يقول

الا هى اطلال الرسوم البواليا * لبسن البلى مما لبسن الليا ليا

وهو الذى يقول فالقت قناعا دونه الشمس واتقت * باحسن موصولين كف ومعصم

وحدثنى أبو المنجوف قال قال أبو حية عن لى ظبى فرميته فراغ عن سهمى فعارضه والله السهم ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الجنادات وقال والله رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه وكان يكلم العمار ويخبر عن معاوضته للجن * وأما جرنفش فانه لما خلع الفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرنفش نح بغلتك حلق الله ساقيك قال ولم عافاك الله قال لانك كذوب المخرة زانى الكمرة قال أبو الحسن وبلغنى ان الفرزدق لما ان قال له الجرنفش ما قال نادى يا بنى سدوس فلما اجتمعوا اليه قال سودوا الجرنفش عليكم فانى لم أر فيكم أعقل منه ومن مجانين الكوفة عيناده وطاق البصل حدثنى صديق لى قال قلت لعيناده ايما أجن أنت أو طاق البصل قال أنا شئ وطاق البصل شئ ومن مجانين الكوفة بهلول وكان يتشيع قال له ابن الصباح أكثر الله فى الشيعة مثلك قال بل أكثر الله فى المرجئة مثلى وأكثر فى الشيعة

مثلك وكان جيد القفاء فربما مر به من يحب العبث فيقفده فحشا قفاه خرأ وجلس على قارعة الطريق فكلما قفده انسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به يافتى شم يدك فلم يعد بعده أحد يقفده وكان يغنى بقيراط ويسكت بدانق وكانت بالكوفة امرأة رعناء يقال لها مجيبة ففقد بهلولا فتى كانت مجيبة أرضعته فقال له بهلول كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مجيبة فوالله لقد كانت تزق لى الفرخ فأرى الرعونة فى طيرانه قال حدثنى حجر بن عبد الجبار قال مر موسى بن أبى ردقاء فناداه صباح الموسوس يا ابن أبى الردقاء أسمنت برذونك وأهزلت دينك اما والله ان امامك لعقبة ولا يجاوزها الا المخف فحبس موسى برذونه وقال من هذا فقيل له هذا صباح الموسوس فقال ماهو بموسوس هذا نذير قال أبو الحسن دعا بعض السلاطين مجنونين ليحركهما فيضحك مما يجىء منهما فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف فقال أحدهما لصاحبه كنا مجنونين فصرنا ثلاثة وقال عمر بن عثمان شيعت عبد العزيز بن عبد الملك المخزومى وهو قاضى مكة الى منزله وبباب المسجد مجنونة تصفق وهى تقول

ارق عينى طراطر القاضى * هذا المقيم ليس ذاك الماضى

فقال يا أبا حفص أتراها تعنى قاضى مكة وقال تذاكروا اللثغ فقال قوم أحسن اللثغ ما كان على السين وهو ان يصير ثاء وقال آخرون على الراء وهو ان يصير غينا فقال مجنون البكرات انا أيضا ألثغ اذا أردت ان أقول شرائط قلت رشيط قال وبعث عبيد الله بن مروان عم الوليد الى الوليد بقطيفة حمراء فكتب اليه الوليد قد وصلت الى القطيفة وأنت يا عم أحمق أحمق وقال محمد بن بلال لوكيله زيد اشتر طيبا سيرافيا قال تريده سيرافى أو سيرافى سيرافى وقال محمد بن الجهم للمكى أراك مستبصرا فى اعتقاد الجزء الذى لا يتجزأ فينبغى ان يكون عندك حقا حقا قال اما ان يكون عندى حقا حقا فلا ولكنه عندى حق ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد على ان يشترى طعاما من طعامها فى بعض البيادر فقال لها انى قد رأيت متاعك قالت هاشمية قل طعامك قال وقد أدخلت يدى فيه فاذا متاعك قد ضم وحمى وصار مثل الجيفة قالت يا أبا طالب ألست قد قلبت الشعير فاعطنا ماشئت وان وجدته فاسدا ودخل أبو طالب على المأمون فقال كان أبوك يا با خير لنا منك وأنت يا با ليس تعدنا وليس تبعث الينا ونحن يا با تجارك وجيرانك والمأمون فى كل ذلك يتبسم قيل للمثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو على اليمامة ان ههنا مجنونا له نوادر فاتوه به فقال ما هجاء النشاش قال الفلج القادى فغضب ابن هبيرة وقال ما جئتمونى به الا عمدا ما هذا بمجنون والنشاش يوم كان لقيس على حنيفة والفلج يوم كان لحنيفة على قيس وأنشدوا

ترى القوم اسواء اذا حسبوا معا * وفى القوم زيف مثل زيف الدراهم

وقال

وفتى زاده عز المهابة ذلة * وكل عزيز عنده متواضع

وقال قد ينفع الادب الاحداث فى مهل * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان العصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

﴿باب فى العى﴾ قال جعفر ابن أخت واصل كتب رجل الى صديق له بلغنى ان فى بستانك آسا يهمنى فهب لى منه أمرا من أمر الله عظيم وقال أبو عبد الملك وهو الذى كان يقال له عناق كان عياش وعمامة حى كان يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله فلما مات عمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله وقال له عياش بن القاسم باى شئ تزعمون ان أبا على الاسوارى أفضل من سلام أبى المنذر قال لانه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته وكان يقول فيك عشر خصال من الشر أما الثانية والرابعة كذا وأما السابعة كذا وأما العاشرة كذا قال قلنا للفقعسى كيف تناوك على حدان بن حبيب قال هو والله عندى الكذا الكذا وقال الخرداذى أجرك الله وعظم أجركم وآجركم فقيل له فى ذلك فقال هذا كما قال عثمان بن الحكم بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم قالوا له ويلك ان هذا لا يشبه ذلك وكتب الى بعض الامراء أبقاك الله وأطال بقاءك ومد فى عمرك وكان أبو ادريس السمان يقول وأنت فلا صحبك الله الا بالخير ويقول وأنت فلا حيا الله وجهك الا بالسلام وأنتم فلا بيتكم الله الا بالخير ومر ابن أبى علقمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه صفيرتان فقال له ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض وقال المهلب لرجل من بنى ملكان أحد بنى عدى متى أنت قال أيام عتيبة بن الحارث بن شهاب وأقبل على رجل من الازد فقال له متى أنت قال أكلت من حبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عامين قال أطعمك الله محمك وأنشد المعيطى وأنزلنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت الذى لا اشاكله
فحامقته حتى يقال سجيـــة * ولو كان ذا عقـل لكنت أعاقله

قال وخطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد فقال هذا كما قال الله تعالى
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

وخطب والى اليمامة فقال ان الله لا يقار عباده على المعاصى وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم فسمى مقوم ناقة الله وهؤلاء من الجفاة والاعراب المحرمين وأصحاب البحر فيه ومن قل فقهه فى الدين اذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين وخطب وكيع بن أبى سود بخراسان فقال ان الله خلق السموات والارض فى ستة أشهر فقيل له انها ستة أيام قال وأبيك لقد قلتها وانى لاستقلها وصعد المنبر فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على الله منذ بعث نبيه من مضر الا وان ربيعة قوم كشف فاذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مناخرها فان فرسا لم يطعن فى منخره الا كان أشد على فارسه من عدوه وضربت بنو مازن الحنات بن يزيد المجاشعى فجاءت جماعة منهم فيهم غالب أبو الفرزدق فقال ياقوم

كونوا كما قال الله لا يعجز القوم اذا تعاونوا وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال في حرب مسعود والاحنف ان جاء حتات جئت وان جاء الاحنف جئت وان جاء حارثة جئت وان جاؤا جئنا وان لم يجيئوا لم يجئ وهذا باطل وقد سمعنا الصبرة كلاما لا ينبغي أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام ولما سمع الاحنف فتيان بني تميم يضحكون من قول العرندس

لحا الله قوما شوا جارهم * اذا الشاة بالدرهمين الشصب

أرى كل قوم رعوا جارهم * وجار تميم دخان ذهب

قال تضحكون أما والله ان فيه لمعنى سوء قال وكان قبيصة يقول رأيت غرفة فوق البيت ورأى جرادا يطير فقال لابيه ولنكم ماترون فان عامتها موتى وانه في أول ما جاء الجراد قبل جراده ووضعها على عنقه على انها من الباكورة وهذه الاشياء ولدها الهيثم بن عدي عند صنيع داود بن يزيد في أمر تلك المرأة ماصنع قال أبو الحسن وتغدى أبو السرايا عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد وقدامه جدي فقال كل من كلية فانه يزيد في الدماغ فقال لو كان هذا هكذا لكان رأس الامير مثل رأس البغل قال أبو كعب كنا عند عياش بن القاسم ومعنا سيفويه القاص فاتينا بفالوذجة حارة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشي عليه من شدة حرها فلما أفاق قال مات لي ثلاثة بنين ما دخل جوفي عليهم من الحرقة ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة سعيد بن مالك قال جالسني رجل فقير لا يكلمني ساعة ثم قال لي جلست قط على رأس تنور فخريت فيه آمنا مطمئنا قال قلت لا قال فانك لم تعرف شيأ من النعيم قط قال وقال هشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه أي شيء ألذ قال له الابرش بن حسان أصابك جرب قط فحككته قال مالك أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك وكان آنس الناس به ومن غرائب الحمق المذهب الذي ذهب اليه الكميت ابن زيد في مديح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يقول

فاعتتب الشوق من فؤادي * والشعر الى من اليه معتتب * الى السراج المنير أحمد

لا تعدلني رغبة ولا رهب * عنه الى غيره ولو رفع الناس الى العيون وارتقبوا

وقيل أفرطت بل قصدت ولو * عنفني القائلون أو ثلبوا * اليك يا خير من تضمنت الار

ض ولو عاب قولي العيب * لج بتفضيلك اللسان ولو * أكثر فيك اللجاج واللجب

فمن رأى شاعرا مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم ان ناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه ولقد مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فازاد على قوله وبورك قبر أنت فيه وبوركت * به ولد أهل بذلك يثرب

يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويثرب يعني المدينة

لقد غيبوا برا وحزما ونائلا * عشية وارى الصفيح المنصب

وهذا شعر يصلح في عامة الناس وكتب مسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب انك والله

ما أنت بصاحب هذا الامر صاحب هذا الامر مغمور وموتور وأنت مشهور وغير موتور فقال له رجل من الازد يقال له عثمان بن المفضل قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا وقال جاء ابن لحديج بن علي وكان ابن خال يزيد بن المهلب فقال ليزيد زوجني بعض ولدك فقال له عثمان بن المفضل زوجه ابنك مخلدا فانه انما طلب بعض الولد ولم يستثن شيأ ومن الحمقاء كثير عزة ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدح بمديح استجاده فقال له سلني حوائجك فقال تجعلني في مكان ابن زمانه قال ويلك ذلك رجل كاتب وأنت شاعر فلما خرج ولم ينل شيأ قال

عجبت لاخذي خطة الغي بعدما * تبين من عبد العزيز قبولها
فان عادلي عبد العزيز بمثلها * وامكنني منها اذا لا أقيلها

قال أبو الحسن قال طارق قال ابن جابان لقي رجل رجلا ومعه كلبان فقال هب لي احدهما قال أيهما تريد قال الاسود قال الاسود أحب الي من الابيض قال فهب لي الابيض قال الابيض أحب الي من كليهما قال وقال رجل لرجل بكم تبيع الشاة قال أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيت بها ثمانية فان كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة قال أبو الحسن قال طارق بن المبارك دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال كساني الامير ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بالآخر وقال مرض فتى عندنا فقال له عمه أي شئ تشتهي قال رأس كبشين قال لا يكون قال فرأسي كبش طارق قال وقع بين جار لنا وجاره يكنى أبا عيسى كلام فقال اللهم خذني لابي عيسى قالوا أتدعو الله على نفسك قال فخذ لابي عيسى مني أبو زكريا العجلاني قال دخل عمرو بن سعيد على معاوية وهو ثقيل فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت صالحا قال أصبحت عينك غائرة ولونك كاسفا وأنفك ذابلا فاعهد عهدك ولا تخدع عن نفسك قال وقال عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي يرحم الله عمر بن الخطاب كان يقول اللهم اني أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات فقال عبيد الله بن زياد بن أبيه رحم الله عمر كان يقول لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج مائقا وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون كونوا بلها كالحمام وقال قائل حماقة صاحبي علي أشد ضررا منها عليه وقالوا شر دبير لهبنقة القيسي وبجنونه يضرب المثل فقال من جاءه فله بعيران فقيل له أتجعل في بعير بعيرين فقال انكم لا تعرفون فرحة الوجدان واسمه يزيد بن ثروان وكنيته أبو نافع قال الشاعر

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود
عش بجدو كن هبنقة القيسي * نوكا أو شبيه ابن الوليد

وهبنقة هو يزيد بن ثوران أحد بني قيس بن ثعلبة ولما خلع قتيبة بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان قام خطيبا فقال يا أهل خرسان أتدرون من وليكم انما وليكم يزيد بن ثروان

كنى به عن هبنقة وذلك ان هبنقة كان يحسن من ابله الى السمان ويدع المهازيل ويقول انما أكرم من أكرم الله وأهين من أهان الله وكذلك كان سليمان يعطى الاغنياء ولا يعطى الفقراء ويقول أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله وقال الفرزدق ما عيبت بجواب أحد قط ما عيبت بجواب مجنون بدير هرقل دخلت فاذا هو مشدود الى اسطوانة فقلت بلغنى انك حاسب قال ألقى على ما شئت قال فقلت امسك معك خمسة وجلدتها قال نعم قلت امسك معك أربعة وجلدتها قال نعم قلت كم معك قال تسعة وجلدتها مرتين وكان زريق الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتم أهل المجلس فلما ان كان بالغداة عاتبوه قال نعم زنيت أمها تكم فماذا عليكم قال وخطب يوما عتاب بن ورقاء فقال هذا كما قال الله تبارك وتعالى انما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب قالوا له ان هذا ليس من كتاب الله قال ما ظننت الا أنه من كتاب الله قال خطب عدى بن زياد الايادى فقال أقول كما قال العبد الصالح ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد قالوا له ليس هذا من قول عبد صالح انما هو من قول فرعون قال من قاله فقد أحسن وقال اعرابى

خلق السماء وأهلها فى جمعة * وأبوك يمدر حوضه فى عام

وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه وقال ان جامعة عمرو بن سعيد بن العاصى عندى وانى والله لا يقول أحدكم هكذا الا قلت به هكذا وفى خطبة له أخرى وانى والله ما أنا بالخليفة المستضعف وهو يعنى عثمان بن عفان ولا أنا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا أنا بالخليفة المأبون يعنى يزيد بن معاوية قال أبو اسحق والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منهما أبعد من العيوق والله ما أخذتهما من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ولا تدعى شورى ولا وصية قال أبو الحسن دخل كردم السدوسى على بلال بن أبى بردة فدعاه الى الغداء فقال قد أكلت قال وما أكلت قال قليل رزفا كثرت منه ودخل كردم الزراع أرض قوم يزرعها فلما انتهى الى زنقة منها لم يحسن تزريعها قال هذه ليس لكم قالوا هى لنا ميراث وما نازعنا فيها انسان قط قال لا والله ما هى لكم قالوا فحصل لنا حساب ما لا نشك فيه قال عشرين فى عشرين مائتين قال قالوا من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا قال ودخل عكابة بن نميلة النميرى دار بلال بن أبى بردة فرأى ثورا مجللا فقال ما أفرهه من بغل لولا أن حوافره مشقوقة ومن النوكى وممن رمى عدوه فى المجانين ابن فنان الازدى وضرب به المثل ابن ضب العتكى فى قوله يجدع بن على خال يزيد بن المهلب حيث قال

لولا المهلب يا جديع ورهطه * تغدو عليك لكنت كابن فنان
أنت المردد فى الجياد وانما * تأتى سكيتا كل يوم رهان

وقال آخر يهجو امرأة بأنها مضياع خرفاء

وان بلائى من دينة كلما * رجوت انتعاشا أدركتنى بعاثر
تبرد ماء السعن فى ليلة الصبا * وتستعمل الكركور فى شهر ناجر

وفى خطأ العلماء قال أبو الحسن قال الشعبى سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف فكان بينى و بين أبى الزناد فقال بيننا كما عالم أهل المدينة فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها وقال طرفة بن العبد يهجو قابوس بن هند الملك

لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر فى زمن رخى * كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا تطير
فأما يومنا فنظل ركبا * وقوفا ما نحل وما نسير
واما يومهن فيوم سوء * يطاردهن بالجرد الصقور

الفلوشكى قال قلت لاعرابى أى شئ تقرأ فى صلاتك قال أم الكتاب ونسبة الرب وهجاء أبى لهب وكان الفلوشكى البكرادى أجن الناس وأعيى الخلق لسانا وكان شديد القمار شديد اللعب بالودع قال ابن عم له وقفت على بقية تمر فى بيدر لى فأردت أن أعرفه بالحزر ومعنا قوم يجيدون الحرص وقد قالوا فيها واختلفوا فهجم علينا الفلوشكى فقلت له كم تحزر فى هذا التمر فقال انا لا أعرف الا كرار وحساب القفزان ولكن عندى مرجل أطبخ فيه تمر نبيذى وهو يسع مكوكين وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مرجلا قال فلا والله ان أخطأ بقفيز واحد قال المهلب والازد حوله أرأيتم قول الشاعر

اذا غرز المحالب أتاقته * يمج على منا كبه الشمالا

والى حبيب غيلان بن خرشة شيخ من الازد فقال له قل هو ابن الفعل فقالها فقال المهلب ويلكم ما جالستم الناس وأنشد بعض أصحابنا

ألكنى الى مولى أكيمة وانهه * وهل ينتهى عن أول الزجر أحمق

وزعم الهيثم بن عدى عن رجاله ان أهل بربر أخف بنى تميم أحلاما وأقلهم عقولا قال الهيثم ومن النوكى عبيد الله بن الحر وكنيته أبو البرش قال الهيثم خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابه فقال هذا كتاب الامير وهو والله أهل لان أطيعه وهو أبى وأكبر منى وكان فيما زعموا ابن السعيد الجوهرى يقول صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو الحسن صعد عدى بن أرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حصر فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء و يسقيهم وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رآهم قد شفنوا أبصارهم وفتحوا اسماعهم نحوه قال نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله فتح قفل تيسر قالوا وصعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى امام عادل احوج منكم الى امام خطيب قال قالوا لزياد الاعجم لم لا تهجو جريرا فقال اليس الذى يقول

كان بنى طهية رهط سلمى * حجارة خارئ يرمى كلابا

قالوا بلى قال ليس بينى وبين هذا عمل قال أبو الحسن خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك وخطب أمير المؤمنين الموالى وهكذا القبه خطبة نكاح فحصر قال اللهم انا نحمدك ونستعينك ولا نشرك بك وقال مولى لخالد بن صفوان زوجنى أمتك فلانة قال قد زوجتكها قال افأدخل الحى حتى يحضروا الخطبة فقال أدخلهم فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال أما بعد فان الله أعز وأجل من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة قال وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر سل مسألة الحمقاء واحفظ حفظ الاكياس قال ودخل كثير عزة وكان محمقا ويكنى أبا صخر على يزيد ابن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ما يعنى الشماخ بن ضرار بقوله

اذا الارطى توسد أبرديه * خدود جوازئ بالرمل عين

قال يزيد وما يضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ما عنى هذا الاعرابى الجلف واستحمقه وأخرجه فالوا وكان عامر بن كريز يحمق قال عوانة قال عامر لامه يا أمه مسست اليوم برد العاصى ابن وائل السهمى فقالت ثكلتك أمك رجل بين عبد المطلب بن هاشم وبين عبد شمس ابن عبد مناف يفرح ان تصيب يده بردرجل من بنى سهم ولما حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال زياد أيها الامير انك ان أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك وقيل لرجل من الوجوه قم فاصعد المنبر وتكلم فلما صعد حصر وقال الحمد لله الذى يرزق هؤلاء وبقى ساكتا فانزلوه وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صلعة رجل فقال اللهم العن هذه الصلعة وقيل لوازع اليشكرى قم فاصعد المنبر وتكلم فلما رأى جمع الناس قال لولا ان امرأتى لعنها الله حلفتنى على اتيان الجمعة اليوم ما جمعت وأنا أشهدكم انها منى طالق ثلاثا ولذلك قال الشاعر

وماضرنى أن لا أقوم بخطبة * وما رغبتى فى ذا الذى قال وازع

قال ودخلت على أنس بن أبى شيخ واذا رأسه على مرفقه والحجام يأخذ من شعره فقلت له ما يحملك على هذا قال الكسل قال قلت فان لقمان قال لابنه اياك والكسل واياك والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال ذاك والله انه لم يعرف لذة الكسولة قال وقيل لبحر بن الاحنف ما يمنعك ان تكون مثل أبيك قال الكسل وقال الآخر

أطال الله كيس بنى رزين * وحقى ان شربت لهم بدينى * أأكتب ابلهم شاء وفيها
بريع فصالها بنتا لبون * فاخلقوا بكيسهم دهاة * ولا لجاء بعد فيجبونى

وذكر آخر الكيس فى معاتبة لبنى أخيه حين يقول

عفا ريتا على وأكل مالى * وعجزا عن أناس آخرينا

فهلا غير عمكم ظلمتم * اذا ما كنتم متظلمينا
فلو كنتم لكيسة أكاست * وكيس الام اكيس للبنينا

وقال بعضهم عيادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجيء فى غير وقت وعاد رجل رقبة بن الحر فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك اليه نفسه فقال له رقبة اذا دخلت على المرضى فلا تنع اليهم الموتى واذا خرجت من عندنا فلا تعد الينا وسئل معاوية بن الكواء عن أهل الكوفة فقال ابحث الناس عن صغيره واتركه لكبيره وسئل شريك عن أبى حنيفة فقال أعلم الناس بما لا يكون واجهل الناس بما يكون وسأل معاوية دغفلا النسابة عن اليمن فقال سيد وانوك وذكر عتبة بن حصين عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الاحمق المطاع قال وجن اعرابى من اعراب المربد ورماه الصبيان فرجم فقالوا له أما كنت وقورا حليما فقال بلى بأبى أنتم وأمى والله ما استحمقت الا قريبا وكان أول جنونه من عبث الناس به ورمى اذ ساناه فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وضمه الى الوالى فقال له الوالى ولم رميت هذا وشججته قال انا لم أرمه هو دخل تحت رميتى وكان وكيع بن الدورقية يحمق قال الوليد بن هشام القحذمى أبو عبد الرحمن قال أخبرنى أبى قال لما قدم أمية خراسان قيل له لم لا تدخل وكيع بن الدورقية فى صحابتك قال هو أحمق فركب يوما وسايره فقال له ما أعظم رأس برذونك قال قد كفاك الله حمله ثم سايره قليلا فقال أصلحك الله أرأيت يوم لقيت أبا فديك ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك قال اعزب قبحك الله وأمر به فنحى وساير سعيد بن مسلم موسى أمير المؤمنين والحربة فى يد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفى التراب الذى تثيره دابة عبد الله بن مالك فى وجه موسى وعبد الله لا يشعر بذلك وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف أن يسير على محاذاته واذا حاذاه ناله ذلك التراب فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن مسلم فقال ألا ترى ما نلقى من هذا الخائن فى مسيرنا هذا قال والله يا أمير المؤمنين ما قصر فى الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق وساير البطريق الذى خرج الى المعتصم من سورعمورية محمد بن عبد الملك والافشين بن كاوس فساوم كل واحد منهما بما يرذونه وذكر انه كان يرغبهما أو يربحهما فاذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم ولما استجلس المعتصم بطريق خرشنة تربع ومد رجليه وقال زيادوقرأت مثل كسب الربيع بن زياد الحارثى ما كتب الى الا فى اجترار منفعة أو دفع مضرة وما كان فى موكبى قط فتقدم عنان دابته عنان دابتى ولا مست ركبته ركبتى ولا شاورت الناس قط فى أمر الا سبقهم الى الرأى فيه كان على شرط زياد عبد الله بن الحصين صاحب مقبرة بنى حصين والجعد بن قيس النمرى صاحب طاق الجعدى وكان يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة فاذا كان يوم جعل

الحربة سارا بين يديه معا فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض فقال زياد لصاحب حربته تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف الى منزله وعدار جل من أهل العسكر بين يدى المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه يقول لك أمير المؤمنين اركب قال قال المأمون لا يقال لمثل هذا اركب انما يقال لمثل هذا انصرف وكان الفضل بن الربيع يقول مساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الامير بالكرامة فاذا أردت أن تقول كيف يجد الامير نفسه فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة والمسألة توجب الجواب فان لم يجبك استدعليك وان اجابك استدعليه وقال محمد بن الجهم دخلت على المأمون فقال لى مازال أمير المؤمنين اليك مشتاقا فلم أدر ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء قال أبو الحسن قال ابن جابان قال المهدى كان شبيب ابن شبيبة يسايرنى فى طريق خراسان فيتقدمنى بصدر دابته فقال لى يوما ينبغى لمن سايرخليفة أن يكون بالموضع الذى اذا أراد الخليفة أن يسأله عن شئ لا يلتفت اليه ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ انتهينا الى مخاضة فاقتحمت دابتى ولم يقف واتبعنى فملأ ثيابى ماء وطينا قال فقلت يا أبا معمر ليس هذا فى الكتاب قال الهيثم بن عدى كنت قائما الى جنب حميد بن قحطبة وهو على برذون فتفاج البرذون ليبول فقال لى تنح لا يهريق عليك البرذون الماء وجاء رجل الى محمد بن حرب الهلالى بقوم فقال ان هؤلاء الفساق مازالوا فى مسيس هذه الفاجرة قال ماظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغى ان يكنى عن الفجور بهن وقلت لرجل من الحساب كيف صار البرذون المتحصن الى البغلة أحرص منه على الرمكة والرمكة أشكل بطبعه قال بلغنى ان البغلة أطيب حلوة وقال صديق لنا بعث رجل وكيله الى رجل من الوجوه يقتضيه مالا له عليه فرجع اليه مضروبا فقال ما بالك ويلك قال سبك فسبيته فضربنى قال وباى شئ سبنى قال هن الحمار فى حرام من أرسلك قال دعنى من افترائه على أنت كيف جعلت لابى الحمار من الحرمة مالم تجعله لحرامى فهلا قلت ابو الحمار فى هن أم من أرسلك أبو الحسن قال كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوثوب بالشام فحمل الى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه فقال له يوما أنشدنى قصيدة زهير التى أولها لمن الديار بقنة الحجر وهى التى على الراء

لمن الديار بقنة الحجر * أقوين من حجج ومن شهر

فانشده فقال المهدى ذهب والله من يقول مثل هذا قال السمرى وذهب والله من يقال فيه مثل هذا فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه واستحمقه الناس ولما دخل خالد ابن طليق على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم

اذا القرشى لم يضرب بعرق * خزاعى فليس من الصميم

فغضب المهدى وقال أحمق فانشد خالد فقال

اذا كنت فى دار فحاولت رحلة * فدعها وفيها ان أردت معاد

فسكن عند ذلك المهدى وقال بشار

خليلى ان العسر سوف يفيق * وان يسارا من غد لخليق

وما كنت الا كالزمان اذا صحا * صحوت وان ماق الزمان أموق

قالوا ومن النوكى أبو الربيع العامرى واسمه عبد الله وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر

شهدت بان الله حق لقاؤه * وان الربيع العامرى رقيع

أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

قالوا ومن النوكى ربيعة بن عسل أحد بنى عمرو بن يربوع وأخوه ضبيع بن عسل ووفد ربيعة على معاوية فقال معاوية حاجتك قال زوجنى ابنتك قال اسقوا ابن عسل عسلا فاعاد عليه العسل ثلاثا فتركه وقد كاد تنقد بطنه قال فاستعملنى على خراسان قال زياد أعلم بثغوره قال فاستعملنى على شرطة البصرة قال زياد أعرف بشرطته قال فاكسنى قطيفة أو قال هب لى مائة ألف جذع لدارى قال وأين دارك قال بالبصرة قال كم ذرعها قال فرسخان فى فرسخين قال فدارك فى البصرة أو البصرة فى دارك قال عوانة استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر يوما المجوس وعنده الناس فقال لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمى فبلغ ذلك معاوية فقال قاتله الله أترونه لو زاده على مائة ألف فعل فعزله أبو الحسن وقد ربيعة بن عسل على معاوية بن يربوع وهو من بنى عمرو بن يربوع فقال لمعاوية أعنى بعشرة آلاف جذع فى بناء دارى بالبصرة فقال له معاوية كم دارك قال فرسخان فى فرسخين قال معاوية هى فى البصرة أم البصرة فيها قال بل هى فى البصرة قال معاوية فان البصرة لا تكون هذا وقال أبو الاحوص الرياحى

ليس بيربوع لى العقل حاجة * سوى دنس تسود منه ثيابها

فكيف بنوكى مالك ان كفرتم * لهم هذه أو كيف بعد خطابها

مشايم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

الهيثم عن الضحاك بن رمل قال بينا معاوية بن مروان واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جلجل اذ قال للطحان لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الجلجل قال ربما أدركتنى سامة أو نعسة فاذا لم أسمع صوت الجلجل علمت انه قد قام فصحت به قال معاوية أفرأيت ان قام ثم قال برأسه هكذا هكذا وجعل يحرك رأسه عنة ويسرة وما يدريك أنت انه قائم قال الطحان ومن لى بحمار يعقل مثل عقل الامير ومعاوية ابن مروان هذا هو الذى قال لابى امرأته ملأتنا ابنتك البارحة بالدم قال انها من نسوة يخبئن ذلك لازواجهن وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قتل الله

زيدا ونصرا ابن سيار يريد نصر بن حزيمة وقال على الاسوارى عمر بن الخطاب معلق بشعرة
قلت وما صيره الى ذلك قال لما صنع بنصر بن سيار يريد نصر بن الحجاج بن علاط وقالوا
أحب الرشيد ان ينظر الى أبى شعيب القلال كيف يعمل القلال فادخلوه القصر وأتوه
بكل ما يحتاج اليه من آلة العمل فبينما هو يعمل اذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه فلما رآه
نهض قائما فقال له الرشيد دونك ما دعيت له فانى لم آتك لتقوم الى وانما أتيتك لتعمل
بين يدى قال وأنا لم آتك ليسوء أدبى وانما أتيتك لازداد بك فى كثرة صوابى فقال له
الرشيد انما تعرضت لى حين كسدت سوقك قال أبو شعيب ياسيد الناس وما كساد عملى
فى جلال وجهك فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال والله ما رأيت أنطق منه أولا ولا أعمى
منه آخرا ينبغى لهذا ان يكون أعقل الناس أو أجن الناس عبد الله بن شداد وقال أرى
داعى الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع ومن بقى اليه ينزع ولا تزهدن فى معروف فان
الدهر ذو صروف فكم من راغب قد كان مرغوبا اليه وطالب قد كان مطلوبا اليه والزمان
ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان * الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن
على عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا فعلت أمتى خمس عشرة
خصلة حل بها البلاء اذا أكلوا الاموال دولا واتخذوا الامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع
الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات فى المساجد واكرم الرجل
مخافة شره وكان زعيم القوم أرذلهم واذا لبس الحرير وشربت الخمور واتخذت القيان
والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا بعد ذلك ثلاث خصال ريحا حمراء ومسخا
وخسفا الهيثم قال اخبرنا الكلبى قال كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى العباس
ابن عبد المطلب وأبا سفيان وبنيهما وأمية بن خلف قال وقال ابن عباس لم يكن فى العرب
أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السائب بن الاقرع قال حدثنى الشعبى أن السائب شهد فتح
مهرجان قذف ودخل منزل الهرمزان وفى داره ألف بيت فطاف فيه فاذا ظبى من جص
فى بيت منها ما دیده فقال أقسم بالله انه يشير الى شئ انظروا فانظروا فاستخرجوا سفط كنز
الهرمزان فاذا فيه ياقوت وزبرجد فكتب فيه السائب الى عمر وأخذ منه فصا أخضر
وكتب الى عمر ان رأى أمير المؤمنين ان يهبه لى فليفعل فلما عرض عمر السفط على الهرمزان
قال فاين الفص الصغير قال عمر سألنيه صاحبنا فوهبته له قال ان صاحبك بالجوهر لعالم
قال أخبرنا مجالد عن الشعبى قال قال السائب لجميل بن يصبهرى أخبرنى عن مكان من القرية
لا يخرب حتى اقتطع ذلك المكان قال ما بين الماء الى دار الامارة قال فاختط لثقيف فى ذلك
الموضع قال الهيثم بت عندهم ليلة فاذا ليلتهم مثل النهار أبو الحسن قال قال عبد الرحمن
ابن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية اما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت قال معاوية
اذا كنت أكون معاوية بن أبى سفيان منزلى الابطح ينشق عنى سيله وكنت أنت عبد

الرحمن بن خالد منزلك اجياد أعلاه مدرة وأسفله عذرة وقال سهيل بن عمرو أشبه امرأ بعض بزه فصار مثلا وقال محرز بن علقمة

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب
صموتا فى المجالس غير عى * جديرا حين ينطق بالصواب

وقال ابن الرقاع أم تداخلت الحتوف عليهم * أبوابهم فكشفن كل غطاء
فاذا الذى فى حصنه متحرز * منهم كآخر مصحر بفضاء
والمرء يورث مجده ابناءه * ويموت آخر وهو فى الاحياء
والقوم أشباه وبين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء

وقال بعضهم بيضاء ناصعة البياض كانها * قمر توسط نصف ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الحسان مظنة للحسد
وترى ما آقيها تقلب مقلة * حوراء ترغب عن سواد الاثمد

وقال الآخر خود اذا كثر الحديث تعوذت * بحما الحياء وان تكلم تقصد

وقال آخر لسانك خير وحده من قبيلة * وما عد بعد فى الفتى أنت فاعله
سوى طبع الاخلاق والفحش والخنا * ابت ذاكم أخلاقه وشمائله

وقال الآخر على امرئ هدعرش الحى مصرعه * كانه من ذوى الاحلام من عاد

وقال النابغة أحلام عاد واجسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم

وقالت الخنساء خطاب معضلة فراج مظلمة * ان جاء مفظعة هيا لها بابا

وعد الاصمعى خصال معد فقال

كانوا اديما ما عز اشاته * اخلص فيه القرظ الآهب * أو مرقئ عرق دم مفرج
أو سائل فى لزبة زاعب * أو ذمة يوفى بها عاقد * أو عقده يحكمها آرب
أو حائط من غير لا نعمة * أو رحم مت بها جانب
أو خطبة بزلاء مفصولة * يرضى بها الشاهد والغائب

وقال ابن نوفل يهجوه

وأنت كساقط بين الحشايا * يصير الى الخبيث من المصير * ومثل نعامة تدعى بعيرا
تعاظمها اذا ما قيل طيرى * وان قيل احملى قالت فانى * من الطير المربة بالوكور
وكنت لدى المغيرة عير سوء * تبول من المخافة للزئير * لاعلاج ثمانية وشيخ
كبير السن ذى بصر ضرير * تقول لما أصابك أطعمونى * شرابا ثم بلت على السرير

وقال عبد يغوث الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا * فما لكما فى اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل وما لومى أخى من شماليا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن * ندامای من نجران أن لا تلاقيا

أبا كرب والايهمين كليهما * قيسابا على حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين الموالياً
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة * أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا
وتضحك منى شيخة عبشمية * كان لم ترقبلى أسيرا يمانيا

قال أبو عثمان وليس فى الارض أعجب من طرفة بن العبد وعبيد يغوث وذلك انا اذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت احاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الامن والرفاهية وأبو عبيدة قال حدثنى أبو عبد الله الفزارى عن مالك بن دينار قال ما رأيت أحدا أبين من الحجاج ان كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه حتى أقول فى نفسى انى لاحسبه صادقا وانى لاظنهم ظالمين له قال وكانت العرب تخطب على رواحلها وكذلك روى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قس بن ساعدة قال أخبرنى عبد الرحمن بن مهدى عن مالك بن أنس قال الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة والقيام على الاقدام رخصة وجاء فى الاثر لا تجعلوا ظهوركم مجالس ووقف الهيثم بن مطهر الفأفاء على ظهر دابته على باب الخيزران ينتظر بعض من يخرج من عندها فلما طال وقوفه بعث اليه عمر الكلوازى فقال انزل عن ظهر دابتك فلم يرد عليه شيأ فكرر الرسول اليه فقال انى رجل أعرج وان خرج صاحبى من عند الخيزران فى موكبه خفت ان لا أدركه فبعث اليه ان لم تنزل أنزلناك فبعث اليه قال هو حبيس فى سبيل الله ان أنزلتنى عنه أن أقضمته شهرا فانظر أيهما خير له اراحة ساعة أو جوع شهر قالوا له هذا الهيثم بن مطهر قال هذا شيطان وقال أبو علقمة النحوى يا آسى انى رجعت الى المنزل وأنا سنق لقس فاتيت لشنشنة من لو به ولكيك وقطيع أقرن قد غدرن هناك من سمن ورقاق سرشصان وسقيط عطعط ثم تناولت عليها كاسا فقال له الطبيب خذ خرفقا وسفلقا وحرفقا فقال ويلك أى شئ هذا قال وأى شئ ما قلت قال الزبرقان أحب صبياننا الينا العريض الورك السبط الغرة الطويل الغرلة الابله العقول وابغض صبياننا الى الاقيعس الذكر الذى كأنما ينظر من جحر واذا سأله القوم عن أبيه هرفى وجوههم قال الهيثم قال الاشعث اذا كان الغلام سائل الغرة طويل الغرلة ملثاث الازره كان به لوثة فما يشك فى سوددة قال أبو الحسن كان المخبش أشدق خرطمانيا سائلا لعابه كأنما ينظر من قلتين كان ترقوتيه بوان أو خالفة وكان كاهله كركرة جمل فقأ الله عينى هاتين ان كنت رأيت بعده ولا قبله مثله وكان زياد حول المنبر وبيوت الاموال والدواوين الى الازد وصلى بهم وخطب فى مسجد حدان فقال عمرو بن العرندس

فاصبح فى الحدان يخطب آمنا * وللازد عز لا يزال تلاد

وقال الاعرج والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقامة بالكلام الفاصل
وقال ابن مفرغ ومتى تقم يوم اجتماع عشيرة * خطباؤنا بين العشيرة تفصل

وقال أيضا فيارب خصم قد كفيت دفاعه * وقومت منه درأه فتنكبا

وقال آخر وحامل ضب ضغن لم يضرنى * بعيد قلبه حلو اللسان

ولو انى أشاء نقمت منه * بشغب من لسان تحان

وقال أيضا عهدت به هندو هند عزيزة * عن الفحش بلهاء العشاء نؤوم

رواح الضحى ميالة بختيرية * لها منطق يصبى الحليم رخيم

وقال آخر وخصم يركب العوصاء طاط * على المثلى قصاراه القراع

وملوم جوانبها رواح * تزجى بالرماح لها شعاع

وقال محلم بن فراس يرثى منصورا وهما ابنى المسجاح

كم فيهم لو تمتعنا حياتهم * من فارس يوم روح الحى مقدام

ومن فتى يملأ الشيزى مكالة * شحم السديف ندى الحمد مطعام

ومن خطيب غداة الحفل مرتجل * ثبت المقام أريب غير مفحام

وقال خالد للقعقاع انا فرك على اينا أطعن بالرماح واطعم للسجاح وأنزل بالبراح قال لا بل على أينا أفضل أبا وجدا وعما وقديما وحديثا قال خالد أعطيت يوما من سأل وأطعمت حولا من أكل وطعنت فارسا طعنة شككت فخذيه بجنب الفرس قال القعقاع وأخرج نعلين فقال ربع أبى عليهما أربعين مرباعا لم تشكل فيهن تميمة ولدا كان ملك بن الاخطل التغلبى وبه كان يكنى أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال وجدت جريرا يغرف من البحر ووجدت الفرزدق ينحت من صخر فقال الاخطل الذى يغرف من بحر أشعرهما وقال بعضهم

وما خير من لا ينفع الاهل عيشه * وان مات لم يجزع عليه أقاربه

كهام على الاقصى كليل لسانه * وفى بشر الادنى حداد مخالبه

وقال العمانى اذا مشى لكل قرن مقرن * ثم مشى القرن له كالارعن

بصارم يفرى صفيح الجوشن * مقرطن ذاف الى مقرطن

يقضى الى أم الفراخ المكمن * حيث يقول الهامة اسقنى اسقنى

* كم لابى محمد من موطن *

قال العمانى ومقول نعم لزاز الخصم * ألد يشتق لاهل العلم

بباطل يدحض حق الخصم * حتى يصيروا كسحاب اليكم

وقال عبيد فى حديث على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حين رأى فلانا يخطب فقال هذا الخطيب الشحشح قال هو الماهر الماضى قال الطرماح

كأن المطايا ليلة الخمس علقت * بوثابة تنضو الرواسم شحشح

وقال ذو الرمة لدن غدوة حتى اذا امتدت الضحى * وحث القطين الشحشحان المكاف

يعنى الحادى قال وكان أسد بن كرز يقال له خطيب الشيطان فلما استعمل ابنه على العراق قيل له خطيب الله فجرت الى اليوم قال أبو السلم الهذلى

أصخر بن عبد الله ان كنت شاعرا * فانك لا تهدى القريض لمفحم

وقال بلعاء بن قيس أبيت لنفسى الخسف لما رضوا به * ووليتهم مهما وما كان مفحما

وقال عبد الله بن مصعب وقف معاوية على امرأة من بنى كنانة فقال لها هل من قرى قالت نعم قال وما قراك قالت عندى خبز خمير ولبن قطير وماء نمير وقال أحيحة

والصمت أكرم * بالفتى مالم يكن عى شينه والقول ذو خطل اذا * مالم يكن لب يعينه

وقال أبو ثمامة الضبى ومناحصين كان فى كل خطبة * يقول الامن ناطق متكلم

وقال عبيد بن أمية الضبى واستب هو والحرث بن شيبة الحاشمى عند النعمان فقال

ترى بيوتا وترى رماح * ونعم مزنم سحاح * ومنطق ليس له نجاح

ياقصبا طار به الرياح * وأذرعا ليست لها ألواح

وقال قيس بن الخطيم وبعض القول ليس له حصاة * كمخض الماء ليس له اناء

وهذا شبيه بقوله كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى به المتبول وهو عناء

وقال أبو ثمامة أخاصمهم مرة قائما * واجثو اذا ما جثوا للركب

اذا منطق قاله صاحبى * تعقبت آخر ذا معتقب

وقال الشماخ ومرتبة لا يستطاع بها الردى * تركت بها الشك الذى هو عاجز

ويروى * تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز *

﴿ باب ﴾ من الكلام المحذوف ثم نرجع بعد ذلك الى الكلام الاول هيثم عن يونس عن الحسن يرفعه ان المهاجرين قالوا يارسول الله ان الانصار فضلونا بانهم آووا ونصروا وفعلوا وفعلوا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتعرفون ذاك لهم قالوا نعم قال فان ذاك ليس فى الحديث غير هذا يريد ان ذاك شكر ومكافأة قال وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى حاجة وجعل يمت بقرابة فقال عمر وان ذاك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذاك لم يزده على ان قال فان ذاك ولعل ذاك فان ذاك كما قلت ولعل حاجتك ان تقضى

وقال عبد الله بن قيس بكرت على عواذلى * يلحينى والومهنه

وقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه

وقال الاسدى لعبد الله بن الزبير لاحملت ناقة حملتنى اليك قال ابن الزبير ان وراكبها عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن أبى هاشم القاسم بن كثير عن قيس الخارجى انه سمع عليا يقول سبق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر وخبطتنا فتنة ما شاء الله ليس فى الحديث أكثر من هذا ولما كتب أبو عبيدة الى عمر جواب كتاب عمر فى أمر الطاعون فقرأ عمر الكتاب استرجع فقال له المسلمون مات أبو عبيدة قال لا ولكن أن

قد وقال النابغة أزف الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالنا وكان قد

وأنشد ابن اعرابي اذا قيل أعمى قلت ان وربما * أكون وانى من فتى لبصير

اذا ابصر القلب المروأة والتقى * فان عمى العينين ليس يضير

وان العمى أجر وذخر وعصمة * وانى الى هذى الثلاث فقير

ابن أبي الزناد قال كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكان يكتب الى عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه فكتب اليه انه ليخيل الى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى اضأن أم ماعز وان كتبت اليك باحدهما كتبت الى أذكر أو أنثى فان كتبت اليك باحدهما كتبت الى صغير أم كبير واذا أتاك كتابى فى مظلمة فلا تراجعنى والسلام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انى لاستعين بالرجل الذى فيه ليس فى الحديث غيره هذا ثم ابتدأ بالكلام فقال ثم أكون على قفائه اذا كان أقوى من المؤمن الضعيف وأراده وقول الاسدى

سويد فيه فابغونا سواه * ابيناه وان بهاه تاج

ولم يقل فيه كذا وكذا وقال الراجز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * فى سمن حم وتمر وأقط

حتى اذا كاد الظلام ينكشط * جاء بمذق هل رأيت الذئب قط

وقيل للمنتجع بن نبهان أولابى مهدية ما انتضاض فاخرج طرف لسانه وحركه وقيل له ما ألد لنطى فزحر وتقاعس وفرج ما بين منكبيه ومن الكلام كلام يذهب السامع منه الى معانى أهله والى قصد صاحبه كقول الله تبارك وتعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقال لا يموت فيها ولا يحيى وقال و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وسأل المفسر عن قوله لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ليس فيها بكرة ولا عشى وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان كنت فى شك مما نزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قالوا لم يشك ولم يسأل وقال عمر رضى الله تعالى عنه فى جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا أنهى عنهما واضرب عليهما وهذا مثل قائل لو قال أتضر بنا على الكلام فى الصلاة وعلى التطبيق اذا ركعنا فيقول نعم أشد الضرب اذا كان قد تقدم منه اعلامه اياهم بحال الناسخ والمنسوخ وقد سأل رجل بلالا مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقد أقبل من جهة الحلبة فقال له من سبق قال سبق المقربون قال انما أسألك عن الخيل قال وانا اجيبك عن الخير فترك بلال جواب لفظه الى خيره وأنفع له حدثنى عبد الملك بن شيبان قال حدثنى يعقوب بن الفاضل الهاشمى قال كتب أبو جعفر الى سلم يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وعقر نخلهم قال فكتب اليه سلم بأى ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل فكتب اليه أبو جعفر أما بعد فانى لو كتبت

اليك بافساد غرهم لكتبت الى تستأذنني بأية تبدأ بالبر في أم بالشهر يزوعزله وولى محمد ابن سليمان وقال ابن مسعود ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل مئنة كقولك مخلقة ومجدرة ومجراة قال الاصمعي مئنة علامة وقال عبد الله عليكم بالعلم فان أحدكم لا يدري متى يحتاج اليه ولما أقدم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عمرو بن العاص من مصر قال له عمر لقد سرت سير عاشق قال عمر وانى والله ما تأبطتني الاماء ولا حملتني البغايا في غبرات المآلى قال له عمرو والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه وان الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل والبيضة منسوبة الى طرفها وقام عمر فدخل وقام عمرو فقال قد أفحش أمير المؤمنين علينا وجاء في الحديث لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلا وقال اعرابي اللهم لا تنزلني منزلا مسوءا فأكون امرأ سوء وقال بلعاء بن قيس

وكم كان في آل الملوح من فتى * منادى مفدى حين تبلى سرائره
وكم كان في آل الملوح من فتى * يجيب خطيبا لا يخاف عواثره

وقال آخر ومخاصم قاومت في كبد * مثل الرهان فصار الى العذر

وقال آخر وجه قبيح ولسان أبكم * ومشفر لا يتوارى أضخم

ولما رأى الفرزدق درست بن رباط الفقيمي على المنبر وكان أسود دميما قصيرا قال

بكى المنبر الشرقي اذ قام فوقه * أمير فقيمي قصير الدوارج

وقال بكى المنبر الشرقي والناس اذ رأوا * عليه فقيميا قصير القوائم

وانما كان يعادي بني فقيم لانهم قتلوا أباه غالبا قال أبو عبيدة قال رجل ليونس بن حبيب اذا أخذتم في مذاكرة الحديث وقع على النعاس قال فاعلم انك حمار في مسلاخ انسان قال ودخل عبد الله بن حازم على عبد الله بن زياد وهو يخطر في مشيته فقال للمنذر بن الجارود حركه فقال يا ابن حازم انك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البغي ذيلها قال أما والله انى مع ذلك لانفذ بالسريه واضرب هامة البطل المشيح ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثر شعرا وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال لعنك الله من دراهم والله ما تقومين بمؤنة خيلنا وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه خذ الحكمة انى أتتك وان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها وقال عمرو بن العاص لاهل الشام يوم صفين أقيموا صفوفكم مثل قص الشارب واعيروا جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فوالله ما هو ظالم ومظلوم وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه يومئذ عضوا على النواجذ من الاضراس فانه انباء للسيوف عن الهام وقال رجل طرحلك اذا عتقبت بالسيف والعصا وأنت مخير في رفعها ساعة المسالمة والموادعة ولما أقاموا ابن هبيرة بين العقابين قال له أبوه طرحلك الارض وأصر اصرار الفرس واذكر أحاديث غدوا ياك وذكر الله في هذا الموضع فانه من الفشل قال وقيل للحجاج من أخطب الناس قال صاحب

العمامة السوداء بين اخصاص البصرة يعني الحسن وقال الاحنف قال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا وقال عمر احذروا من فلتات الشباب كلما أورثك النبز واعلقك اللقب فانه ان يعظم بعدها شأنك يشتد على ذلك ندمك ولما بنى عتبة بن غزوان وأصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب اليهم عمر قد كنت أكره لكم ذلك فاذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب ولما بلغه انهم قد اتخذوا الضياع وعمروا الارضين كتب اليهم لا تنهكوا وجه الارض فان شحمتها فيه وقال عمر بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك وقال فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين وقال أملكوا البجين فانه أحد العينين وقال اذا اشتريت بعيرا فاجعله ضخما فان أخطأك خير لم يخطئك سوق وقال عمر العمائم تيجان العرب وقال نعم المسند الاحتباء وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس كالابل ترى المائة لا تجد فيها راحلة وأنشدوا

وكان من زهر الخزامى والندى * والاقحوان عليه ريطة برنس
واذا ترنم حوله ذبانه * أصغى تسمع خائف متوجس
خرجت عليه من الضراء دواجن * تحتث نحوم لاذوان أشوس
يسمى يمثل والصغير كلامه * وتحى يداه لهن وحي الاخرس

وقال الراعي أباخالد لا تنبذنا فصاحة * كوحي الصفا خطت لكم في فؤاديا

وقال الشاعر رب طرف مصرح عن ضمير بما هجس

وقال آخر * يلحن القول والطرف الفصيح * وقال المثقب العبدي في استماع الثور وتوجسه وجمع باله اذا أحس بشيء من أسباب القانص وذكر ناقة

كأنها أسفع ذو جدة * يضمه القفر وليل سد
كأنما ينظر من برقع * من تحت روق سكب مذود
تصيخ للنبأة أسماعه * اصاخة الناشد للمنشد
ويوجس السمع لنكرائه * من خشية القانص والمؤسد

وقال بعض العبيد شعرا يقع في ذكر الخطباء وفي ذكر أشداقهم وشادقهم

أغرك مني أن مولاي مزيدا * سريع الى داعي الطعام سروط
غلام أناه الذل من نحو شدقه * له نسب في الواغلين بسيط
له نحو دور الكاس اما دعوته * لسان كذلق الزاعبي سليط

﴿وقال الاول﴾ * ان سليطا كاسمه سليط * وقال بعض العبيد في بعض العبيد

وقد كان مفتوق اللهاة وشاعرا * أشدق يفرى حين لا أحد يفرى *

وقال مورق العبدي يتوعد مولاه

لولا عجوز فحمة ودردق * وصاحب جم الحديث مونق

كيف الفوات والطلوب مورق * شيخ مغيظ وسنان يبرق
وخنجر رحب وصوت مصلق * وشدق ضرغام وناب مخرق

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصفين فقال تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب ان أغمس لسانى فيها ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر

لا تتم بلبيع اللحم أعلم منكم * بضرب السيوف المرهفات القواطع

وقال عمرو بن هداب انما كنا نعرف سودد مسلم بن قتيبة انه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين وقال الاصمعى دخل حبيب بن شوذب الاسدى على جعفر بن سليمان بالمدينة فقال أصلح الله الامير حبيب بن شوذب وادا الصدر جميل الذكر يكره الزيارة المملة والعقدة المنسية وفى الحديث زرغبا تزدد حبا وقال بعضهم عن الثورى عن محمد بن عجلان عن عياض بن عبد الله قال ان الدين مجمع لكل هم هم بالليل وذل بالنهار ورداية الله فى أرضه فاذا أراد الله ان يذل عبدا جعله طوقا فى عنقه عمر بن در قال الحمد لله الذى جعلنا من أمة تغفر لهم السيآت ولا تقبل من غيرهم الحسنات * ابن أبى زياد كنا لا نكتب الاسنة وكان الزهرى يكتب كل شئ فلما احتيج اليه عرف انه أوعى الناس قال فيروز بن حصين اذا أراد الله أن يزيل عن عبده نعمة كان أول ما يغير منه عقله وقيل لمحمد بن كعب القرظى ما علامة الخذلان قال ان يستقبح الرجل ما كان عنده حسنا ويستحسن ما كان عنده قبيحا وقال محمد بن حفص كن الى الاستماع أسرع منك الى القول ومن خطأ القول أشد حذرا من خطأ السكوت وقال الحسن اذا جالست العلماء فكن على ان تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه سفيان بن عيينة قال كان يقال العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه وقال الشاعر أبو هممان الغلابى

لئن مصرفا تثنى بما كنت أرتجى * واخلفنى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه * وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
فما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

وقال الآخر وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

وقال كعب الاحبار قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام الهدية تفقأ عين الحكيم وتسفه عقل الحليم قال زحم رجل سالم بن عبد الله فزحم سالم الذى يليه فقال له ياشيخ ما أحسبك الا شيخ سوء قال سالم ما أحسبك أبعدت قال وسأل رجل محمد بن عمير ابن عطارد وعتاب بن ورقاء فى عشر ديات فقال محمد على دية فقال عتاب الباقى على فقال محمد نعم العون اليسار على المروءة وقال الاحنف

فلو مد سروى بمال كثير * لجدت وكنت به باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وقال يزيد بن حجية حين بلغه ان زياد بن خصفة تبعه ولم يلحق به

أبلغ زيادا انني قد كفيته * أموري وخليت الذي هو غالبه
وباب شديد داؤه قد فتحته * عليك وقد أعيت عليك مذاهبه
هبلت فما ترجو غناي ومشهدي * اذا كان يوم لا توارى كواكبه

وقال آخر * ومنطق حرق بالعواسل * قال تجردت حضرمية لزوجها ثم قالت هل ترى من خلق الرحمن من تفاوت قال أرى فطورا وقال آخر راودت امرأة شيخا واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فلامته فقال لها انك تفتحين بيتا وأنا أنشر ميتا علي بن محمد عن عمر بن مجاشع ان عمر رضي الله تعالى عنه كتب الى أبي موسى الاشعري أما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فاعوذ بالله ان تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة واهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم الحدود ولو ساعة من نهار واذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل واخف الفساق واجعلهم يدا ويد اور جلا رجلا واذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا يا آل فلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيؤا الى أمر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام وقد بلغ أمير المؤمنين ان ضبة تدعو يا آل ضبة وانى والله ما أعلم ان ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر أمرهم بنفسك فانما أنت امرؤ منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا وقد بلغ أمير المؤمنين انه فشا لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك يا عبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بوادخصب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها في السمن واعلم ان للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل زاغت رعيته وان أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام عوانة قال قدم علينا أعرابي من كلب وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه فقال له رجل أما لحديثك هذا آخر فقال اذا عجز وصلناه قال قال معاوية ليونس الثقفي اتق ان اطير بك طيرة بطيئا وقوعها قال أليس لي ولك المرجع بعد الى الله قال بلى فاستغفر الله رقبة بن مصقلة قال ما سمعت عمر بن ذر يتكلم الا ذكرت النفخ في الصور وما سمعت أحدا يحكيه الا تمنيت ان يجلد ثمانين قال وتكلم عمر بن ذر فصاح بعض الزمانين صيحة فلطمه رجل قال عمر بن ذر ما رأيت ظلما قط أوفق لي من هذا قال وقال طاوس كنت عند محمد بن يوسف فبلغه رجل من بعض أعدائه كلاما فقال رجل من القوم سبحان الله فقال طاوس ما ظننت ان قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم كأنه عنده انما سبح ليظهر استعظام الذي كان من الرجل ليوقع به وقال الآخر

لو كان عدوك البطى المسهم * اذ بدا منك الذى لا يكتم
وجه قبيح ولسان أبكم * ومشفر لا يتوارى أضخم

وقال الآخر يعقر القول لكيما تحسبه * من الرجال الفصحاء المعربه
وهو اذا نسبته من كربه * من نخلة نابتة فى خربه

قالت امرأة الحطيئة للحطيئة حين تحول عن بنى رياح الى بنى كليب بئس ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش لانهم متفرقون وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا على بن محمد عن مسلمة ابن محارب عن داود بن أبى حرب بن أبى الاسود عن أبيه قال قال بعشنى وعمران بن حصين عثمان بن حنيف الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقلنا يا أم المؤمنين أخبرينا عن مسيرك هذا اعهد عهده اليك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم رأى رأيته قالت بلى رأى رأيته حين قتل عثمان انا تقمنا عليه ضربة بالسوط وموقع السحابة المحاة وامرة سعيد والوليد فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد أن مصناه كما يماص الاناء فاستفى فركبتم منه هذه ظالمين فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم قلت فما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمرك أن تقرى فى بيتك فعثت تضربين الناس بعضهم ببعض قالت وهل أحد يقاتلنى أو تقول غير هذا قلنا نعم قالت ومن يفعل ذلك أزنيم بنى عامر ثم قالت هل أنت مبلغ عنى يا عمران قال لا لست مبلغا عنك خيرا ولا شرا فقلت لكنى مبلغ عنك فهاتى ما شئت قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان تعنى محمد بن أبى بكر وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى وادرك عمارا بحفرته فى عثمان حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرناه شام بن حسان عن الحسن ان زيادا بعث الحكم بن عمرو على خراسان فاصاب مغنما فكتب اليه زياد ان أمير المؤمنين معاوية كتب الى يأمرنى ان أصطفى له كل صفراء وبيضاء فاذا أتاك كتابى هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك فكتب اليه الحكم انى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ووالله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجا والسلام ثم أمر المنادى فنادى فى الناس ان غدوا على غنائمكم فغدوا فقسمها بينهم قال وقال خالد بن صفوان ما رأينا أرضا مثل الأيلة أقرب مسافة ولا أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعائد قال الكسائى لقيت اعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف والشئ بعد الشئ أقرنه بغيره فقال تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنب كلمة منها أشبه شئ بها وابعد شئ منها منك ووصف اعرابى رجلا فقال ذاك والله ممن ينفع سلمه ويتواصف حلمه ولا يستمر أظلمه وقال آخر لخصمه لئن هممت الى الباطل انك لقطوف الى الحق قال ورأى رقبة بن مصقلة العبدى جارية

عند العطار فقال له ما تصنع هذه عندك قال أكيل لها حناء قال أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه محمد بن سعيد عن ابراهيم بن خويطب قال قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس ان هذا الامر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء وقد بلغ الامر بنا وبكم ما ترى وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن كانت فانظر فيما بقى بغير ما مضى فانك رأس هذا الامر بعد على وانما هو أمير مطاع ومأمور مطيع ومشاور مأمون وأنت هو وقال عيسى بن طلحة لعروة ابن الزبير حين ابتلى برجله فقطعها يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا وبقى أكثرك لنا قال أبو الحسن خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل ان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون خليت سبيله فقيل له أقر بالجنون قال لا والله لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى قالت أم هاشم السلولية ماذكر الناس مذكورا خيرا من الابل احناه على أحد بخير ان حملت أثقلت وان مشت أبعدت وان نحرت أشبعت وان حلبت أروت حدثنى سليمان بن أحمد الحرشى قال حدثنى عبد الله بن محمد بن حبيب قال طلب زياد رجلا كان فى الامان الذى سأله الحسن بن على لاصحابه فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه الى زياد من الحسن بن على الى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لاصحابنا وقد ذكر لى فلان انك عرضت له فاحب أن لا تعرض له الا بخير فلما أتاه الكتاب ولم ينسبه الحسن الى أبى سفيان غضب فكتب من زياد بن أبى سفيان الى الحسن أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك وأيم الله لاطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك وان أحب لحم الى آكله للحم أنت منه فلما وصل الكتاب الحسن وجه به الى معاوية فلما قرأه معاوية غضب وكتب من معاوية ابن أبى سفيان الى زياد بن أبى سفيان أما بعد فان لك رأيين رأيا من ابى سفيان ورأيا من سمية فاما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها وقد كتب الى الحسن بن على انك عرضت لصاحبه فلا تعرضن له فانى لم أجعل لك اليه سبيلا وان الحسن بن على ممن لا يرمى به الرجوان وان العجب من كتابك اليه لا تنسبه الى أبيه أفالى أمه وكلته وهو ابن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالآن حين اخترت له والسلام قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشام ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو العراق قال كتب محمد بن كعب

القرظى فقيل له والانصارى قال أكره ان أمن على الله بما لم افعل قال قام عمرو بن العاص بالموسم فاطرى معاوية و بنى أمية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين فقال ابن عباس يا عمرو انك بعت دينك من معاوية فاعطيته ما فى يدك ومنالك ما فى يد غيره فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك وكان الذى أخذت منه دون ما أعطيته وكل راض بما أخذ واعطى فلما صارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقص حتى لو أن نفسك فيها ألقيتها اليه وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يوما وطأتك ولا نكبتنا فيها حربك وان كنت فيها الطويل اللسان قصير السنان آخر الحرب اذا أقبلت وأولها اذا أدبرت لك يدان يد لا تبسطها الى خير و يد لا تقبضها عن شر ووجهان وجه مؤنس ووجه موحش ولعمرى ان من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول حزنه على ما باع واشترى لك بيان وفيك خطل ولك رأى وفيك نكد ولك قدر وفيك حسد فاصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك فقال عمرو اما والله ما فى قريش أحد أثقل وطأة على منك ولا احد من قريش قدر عندى مثل قدرك قال و رأى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان رجلا يشتم رجلا وآخر يسمع منه فقال للمستمع نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وانما نظر الى شر ما فى وعائه فافرغه فى وعائك ولو ردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها عوانة قال اختصم الى زياد رجلان فى حق كان لاحدهما على الآخر فقال المدعى أيها الامير انه ليسطو على بخاصة ذكر أنها له منك فقال زياد صدق وسأخبرك بمنفعتها له ان يكن الحق له عليك آخذتك به وان يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه قال ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها وان كان لاجل الارزاء بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك وان كتاب الله ليعد بجميل العزاء حسن العوض منك فانتجز من الله موعده فيك بالصبر عنك واستخلصه بالاستغفار لك وقامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الاحنف بن قيس وهى على راحلة فقالت انا لله وانا اليه راجعون رحمك الله أبا بحر من مجن فى جنن ومدرج فى كفن فوالذى ابتلانى بفقدك و بلغنا يوم موتك لقد عشت حميدا ومت فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد وارى الزناد منيع الحريم سليم الاديم وان كنت فى المحافل لشريفا وعلى الارامل لعطوفا ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا وان كنت لمسودا والى الخلفاء لموفدا وان كانوا القول لمستمعين ولرأيك لمتبعين ثم انصرفت أبو الحسن قال قال عمرو بن العاصى ما رأيت معاوية قط متكئا على يساره واضعا احدى رجليه على الاخرى كاسرا احدى عينيه يقول للذى يكلمه ياهناه الا رجت الذى يكلمه وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كونوا أوعية الكتاب و ينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضيركم أن لا

يكثر لكم وكتب معاوية الى عائشة أن اكتبي الى بشئ سمعتيه من أبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم فكتبت اليه سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من عمل بما يسخط الله عاد حامده من الناس له ذاما أوصى بعض العلماء ابنه فقال أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك بكر بن أبي بكر القرشي قال قال اعرابي ما غبنت قط حتى يغبن قومي قيل وكيف ذلك قال لا أفعل شيأ حتى أشاورهم قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم قال نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأننا الف حازم قال أبو الحسن أول من أجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الحاجي وكان أول من عمل المحامل الحجاج قال بعض رجاز الاكرياء

أول عبد عمل المحاملا * أخزاه ربي عاجلا وآجلا

وقال آخر شيب أصداغي وهن بيض * محامل لقدها نقيض

قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لو نحل رجل اخاشقيقا لم يأمن أن يبدو منه ما يبدو من الثوب ذي الخرق فرحم الله رجلا أغضى على الاقذاء واستمتع بالظاهر وقال الاصمعي سمعت بعض الاعراب يقول من ولد الخير انتج له فراخا تطير بالسرور ومن ولد الشر أنبت له نباتا مر المذاقة قضبانه الغيظ وثمره الندم وأنشد النضر بن شميل

يحب بقائي المشفقون ومدتي * الى أجل لو يعلمون قريب

وما أربي في أرذل العمر بعدما * لبثت شبابي قبله ومشيبي

وأنشد ابن الاعرابي

يا ابن الزبير جزاك الله لائمة * هلا انتهيتم وفي الاقوال تعتيب

تنزو لتدرك من كعب غطارفة * لا تستوي بسرة العرجون والطيب

كما ترى فرخ عش لا حراك به * وفوقه من نسال الريش تزغيب

ما فيكم قد علمنا من محافظة * يوم الحفاظ ولا خير المنكوب

وأنتم تحت ارواق البيوت اذا * هبت شآمية درن طحاريب

أنتم مناخ الخنا قبحا لخلتكم * فكلكم يا بني البلقاء مقشوب

في ذمتي أن تضجوا من مصادمتي * كما تضج من الحر الجناديب

ما بين ادريس نتاج له دفر * ومقصد القلب ذي ستين معصوب

خالي سماعة فاعلم لا خفاء به * لقد هوى بك يا دفين شخوب

صعب منا كبه تعيا السكاة به * خوفا وتصطادهم منه كلا ليب

وأنشد ابن المعذل تواعد للبين الخليط لينبتوا * وقالوا الرامي الظهر موعدك السبت

ففاجأني بغتا ولم أخش بينهم * واقطع شئ حين يفجؤك البغت

مضى لسليمى منذ ما لم ألاقها * سنون توالت بيننا خمس اوست

وفى النفس حاجات اليكم كثيرة * بر بانها فى الحى لو أخر الوقت
تأيمت حتى لامنى كل صاحب * رجاء سليمى أن تئم كما امت
لئن بعت حظى منك يوما بغيره * لبئس اذا يوم التغابن ما بعت
تمنى رجال ان أموت وعهدهم * بأن يتمنوا لو حييت اذا مت
وقد علموا عند الحقائق اننى * أخو ثقة ما ان ونيت ولا انت
وانى وقد سيرت نبلى واننى * كأنى وقد وقعت أنصالها رشت

وقال أحمد بن المعذل أنشدنى اعرابى من طى

ولست بميال الى جانب الغنى * اذا كانت العليا فى جانب الفقر
وانى لصبار على ما ينوبنى * وحسبك ان الله اثنى على الصبر

خطبة للحجاج حدثنى محمد بن يحيى بن على عن عبد الحميد عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بريد العراق واليا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب الى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه واصحابه خوارج فهموا به حتى اذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لاحتمل الشر بحلمه واحذوه بنعله واجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وانى لانظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحا قد شمرت عن ساقها فشمر ثم قال

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

وقال أيضا

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى

انى والله يا أهل العراق والشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق ما أغمز تغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجربت من الغاية ان أمير المؤمنين كتب كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها عودا فوجهنى اليكم فانكم طالما أوضعتم فى الفتن واضطجعتم فى مراقد الضلال وسننتم سنن الغى أما والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون انى والله لا أعد الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات وقالا وقيلا وما تقول وفيم أنتم وذاك أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لادعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وانهبت ماله ثم

دخل منزله * بسم الله الرحمن الرحيم أبو الحسن قال كتب الحجاج بن يوسف الى قطري بن الفجاءة سلام عليك أما بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية قد علمت حيث تجرعت ذلك أنك عاص لله ولولاة أمره غير انك اعرابي جلف أمي تستطعم الكسرة وتشتفي بالتمرة والامور عليك حسرة خرجت لتناول شبعة فلحق بك طغام صلوا بمثل ماصليت به من العيش يهزون الرماح ويستنشؤن الرياح على خوف وجهد من أمورهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ثم أهلكهم الله بثلاث حتين والسلام فاجابه قطري بن الفجاءة من قطري بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه فالحمد لله على ما أظهر من دينه واطلع به أهل السفال وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه كتبت الي تذكرني اعرابي جلف أمي واستطعم الكسرة واشتفي بالتمرة ولعمري يا ابن أم الحجاج وانك لميت في جبلتك مطلخم في طريقتك واه في وثيقتك لا تعرف الله ولا تجزع في خطيئتك يئست واستيأست من ربك فالشيطان قرينك لا تجاز به وثاقك ولا تنازعه خناقك فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك وأوضح لي طلعتك فوالذي نفس قطري بيده لعرفت ان مقارعة الابطال ليس كتصدير المقال مع اني أرجو أن يدحض الله حجتك وان يمتعني مهجتك * خالد بن يزيد الطائي قال كتب معاوية الى عدي بن حاتم حاجتيك ما لا ينسى يعني قتل عثمان فذهب عدي بالكتاب الى علي فقال ان المرأة لا تنسى قاتل بكرها ولا أباء عذرها فكتب اليه عدي ان ذلك مني كلمة شيباء وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يا غلام ارفع ذلك النشيل يعني روثا وقيل له أين خرج هذا الحبن قال تحت منكبي وقيل لقتيبة أين خرج بك هذا الخراج قال بين الوانفة والصفنة قال وقيل لرقبة ما بال القراء أشد شيء نهمة وغلمة قال أما الغلمة فانهم لا يزنون وأما النهمة فلانهم يصومون وعرض عليه رجل الغداء فقال له يا هذا ان أقسمت علي والا فدعني وقال مورق العجلي ما تكلمت بكلمة في الغضب اندم عليها في الرضا وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابني ولا يئست منها ولا أتكلم الا فيما يعنيني قال مكتوب في حكمة داود عليه السلام على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على شانه قال ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير وكان هناك ما ظننت انك تقدم بلدا انا فيه قال الفرزدق اني طالما خالفت رأي العجزه وقال يونس بن حبيب اذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب واذا قالوا مغلب فهو المغلوب قال امرؤ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقال بعضهم انى امرؤ ينفع قومي مشهدي * أذب عنهم باساني ويدي

وقال قتيبة بن مسلم اذا غزوتم فاطيلوا الاظفار وقصروا الشعور قال ونظر مخنث الى شيخ قبيح الوجه في الطريق فقال ألم ينهكم سليمان بن داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار قال

وعزى اعرابي ناسا فقال يرحم الله فلانا لقد كان كثير الاهالة وسم الاشداق وقال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم * كلون الراء لبده الصقيع

وقال أعرابي رحم الله فلانا ان كان لضخم الكاهل ثم جلس وسكت وقال آخر كان والله نقي الاظفار قليل الاسرار وسار رجل اعرابيا بحديث فقال أفهمت قال بل نسيت قال وائلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب

لقد صبرت الذل أعواد منبر * تقوم عليها في يديك قضيب
بكى المنبر الغربي اذ قمت فوقه * وكادت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لما شبت أدركك الذي * يصيب سراة الازد حين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل * وفيك لمن عاب المزون عيوب
وقد أوحشت منهم رساتيق فارس * وبالمصر دور جمة ودروب
اذا عصبة ضجت من الجرح ناسبت * مزونية ان النسيب نسيب

وقال بشار الاعمى في عمر بن حفص

مابال عينك دمعها مسكوب * حربت فانت بنومها محروب
وكذاك من صحب الحوادث لم يزل * تأتي عليه سلامة ونكوب
يا أرض ويحك اكرميه فانه * لم يبق للعتكي فيك ضريب
أبهى على خشب المنابر قائما * يوما واحزم ان تشب حروب
ان الرزية لا رزية مثلها * يوم ابن حفص في الدماء خضيب
لا يستجيب ولا يجير لسانه * ولقد يجير لسانه ويجيب
غلب العزاء على ابن حفص والاسى * ان العزاء بمثله مغلوب
اذ قيل أصبح في المقابر ثاويا * عمر وشق لواؤه المنصوب
فظللت اندب سيف آل محمد * عمرا وعزهنا لك المندوب
فعليك يا عمر السلام فاننا * باكوك ما هبت صبا وجنوب

قال اسمعيل بن غزوان الاصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة والبيان الجيد والجمال البارع قليل وذكر أبو الحرث صاحب مسجد ابن رغبان فقال ان حدثته سابقك الى ذلك الحديث وان سكت عنه أخذ في الترهات وقال أبو وهب انا أستثقل الكلام كما يستثقل حريث السكوت كما قال ابن شبرمة لاياس بن معاوية شكلي وشكلك لا يتفقان أنت لا تشتهي ان تسكت وأنا لا أشتهي ان أسمع وقال أبو مقبل بن درست اذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه وقال ابن بشار البرقي كان عندنا واحد يتكلم في البلاغة فسمعته يقول لو كنت أنا ليس أنا وأنا ابن من انا منه لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وابن

من أنامنه وقالوا ثلاث يسرع اليهن الخلف الحريق والتزويج والحج قال المهلب ليس شئ انمى من بقية السيف فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار اليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل قال الله تبارك وتعالى ولكم فى القصاص حياة يا أولى الباب وقال بعض الحكماء قتل البعض احياء للجميع وقال همام الرقاشى

ابلغ ابا مسمع عنى مغلغلة * وفى العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلى رجالا لم يكن لهم * فى الحق ان يلجوا الابواب قدامى
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم * قبرا وأبعدهم من منزل الذام
حتى جعلت اذا ما حاجة عرضت * بباب قصرك ادلوها باقوام

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج والله لاعدنكم عدا ولاحصدنكم حصدا فقالت أنت تحصد والله يزرع فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ولم يظهر من عدد القتل مثل الذى ظهر فى آل أبي طالب وآل الزبير وآل المهلب وقال الشاعر فى آل الزبير

آل الزبير بنو حرة * مروا بالسيوف صدورا حناقا
يموتون والقتل داء لهم * يغيثون يوم السباق السباقا
اذا فرج القتل من عيصهم * أبى ذلك العيص الا انفاقا

قال احترقت دار ثمامة فقالوا له ما أسرع خلف الحريق قال فانا استحرق الله وقال ثمامة سمعت قاصا بعباد ان يقول فى دعائه اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين قال وتساقط الذباب على وجهه فقال الله أكبر كثر الله بكم القبور قال وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال ينبغى ان يكون هذا آخر القرآن قيل له ولم قال رأيت عهودا تنبذ وقال أبو عبد العزيز قال الغزال القاص فى قصصه ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور فحكيت ذلك لابى عتاب الجزار فقال أبو عتاب بئس ما قال ودت والله الذى لا اله الا هو ان الله لم يكن خلقنى وانى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين قال ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فامر عمر بقطع لسانه قال الزبرقان نشدتك الله يا أمير المؤمنين ان لا تقطعه فان كنت لابد فاعلا فلا تقطعه فى بيت الزبرقان قيل له انه لم يذهب هناك انما أراد ان يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة وتقول العرب قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها وتقول ذبحنى العطش والمسك الذبيح وركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم وتقول العرب فلان لسان القوم ونابهم الذى يفترون عنه وهؤلاء انف القوم وخراطيمهم وبيسان لسان الارض يوم القيامة وفلان اصطلم الوادى وفلان عين البلد قال الاصمعى قال رجل لابى عمرو بن العلاء أكرمك الله قال محدثة قال وكان أبو عون يقول كيف أنت أصلحك الله وكان الاصمعى يقول قولهم

جعلت فداك وجعلني الله فداك محدث وقد روى علماء البصريين ان الحسن لما سمع صراخا في جنازة أم عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فالتفت قال له عبد الاعلى جعلت فداك لا والله ما أمرت ولا شعرت قال الاصمعي صلى اعرابي فاطال الصلاة والى جانبه ناس فقالوا ما أحسن صلاته قال وأنا مع هذا صائم قال الشاعر

صلى فاعجبني وصام فرابني * عدا القلوص عن المصلي الصائم

وقال طاهر بن الحسين لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا أبا عبد الله قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فاجبتنا عن مسألتين * بسم الله الرحمن الرحيم قال عوانة قال زياد بن أبيه من سعادة الرجل أن يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره قال الباهلي قيل لاعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم قال لانا نقول وأكبادنا تحترق قال أبو الحسن كانت بنو أمية لا تقبل الراوية الا ان يكون راوية للمراثي قيل ولم ذاك قيل لانها تدل على مكارم الاخلاق وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من خير صناعات العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم وقال شعبة كان سماك بن هرب اذا كان له الى الوالي حاجة قال فيه أبيانا ثم يسأله حاجته قال أبو الحسن كان شظاظ لصا فاغار على قوم من العرب فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح فقال رجل من أصحابه لقد أصبحنا على قصد من طريقنا قال ان الحسن معان وقال أبو الحسن أربى غلام من بني علي على عبد الملك وعبد الملك يومئذ غلام فقال له كهل من كهولهم لما رآه ممسكا عن جواب المربي عليه لو شكوته الى عمه انتقم لك منه قال امسك يا كهل فاني لا أعد انتقام غيري انتقاما قال أبو الحسن خاض جلساء عبد الملك يوما في قتل عثمان فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين في أي سنك كنت يومئذ قال كنت دون المحتلم قال فما بلغ من حزنك عليه قال شغلني الغضب له عن الحزن عليه وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا اشترى دقيقا قال اللهم ارزقني أنعمهم حياء وأطولهم عمرا وكان اذا استعمل رجلا قال ان العمل كبير فانظر كيف تخرج منه قال ومضى أبو عبد الله الكرخي الى الربض فجلس على بابه ونفش لحيته وادعى الفقه فوقف عليه رجل فقال له اني أدخلت أصبعي في أنفي فخرج عليها دم فقال احتجم قال جلست طبيبا أو فقيها قالوا بينا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه واذا شيخ بقربه قد أقبل عليه بعد ان طال جلوسه فقال له اني أجد في قفاي حكة افترى لي ان أحتجم قال الشعبي الحمد لله الذي حولنا من الفقه الى الحجامة قال وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدة الاجتهاد فقال اعرابي كان شاهد الكلام مهم بئس الرجل هذا أيظن ان الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب وقال ابن عون أدركت ثلاثة يتشددون في السماع وثلاثة يتساهلون في المغاني فاما الذين يتساهلون فالحسن والشعبي والنخعي وأما الذين

يتشددون فمحمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة ما رأيت أحسن أدبا من عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران قال أبو الحسن حدثني عبد الاعلى قال رأيت الطرماح مؤدبا بالري فلم أر أحدا آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لاسماعهم الى حديثه منه ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كانهم قد جالسوا العلماء قال كان رجل يبلغه كلام الحسن البصري فبينا الرجل يطوف بالبيت اذ سمع رجلا يقول عجبا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم قال فقلت في نفسي هذا الحسن قال وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف وحويطب بن عبد العزى وعقيل بن أبي طالب وكان عقيل أكثرهم ذكر المثالب الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وجقوه وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول قد سمعت الرجل يجمقه حتى ألف بعض الاعداء فيه الاحاديث فمنها قولهم ثلاثة جمقاء كانوا اخوة ثلاثة عقلاء والام واحدة علي وعقيل وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم وعتبة ومعاوية ابنا أبي سفيان وأمهما هند بنت عتبة بن ربيعة وعبد الملك ومعاوية ابن مروان وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي فكيف وجعدة بن هبيرة يقول

أبي من بني مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى علي بخاله * وخالي علي ذو الندى وعقيل

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون

وخالي بغاة الخير تعلم انه * جدير يقول الحق لا يتوعر
وجدي علي ذو التقى وابن أمه * عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولاة الخير في كل موطن * اذا ما ونى عنه رجال وقصروا

وقال حسان ان خالي خطيب جابية الجو * لان عند النعمان حين يقوم
وهو الصقر عند باب ابن سلمى * يوم نعمان في السكبول سقيم
وسطت نسبتي الذوائب منهم * كل دار فيها أب لي عظيم
وأبي في سميحة القائل الفا * صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ * ي من القوم ظالع مكعوم
تلك أفعاله وفعل الزبعرى * خامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم
ولي الناس منكم اذ أبيتم * أسرة من بني قصي صميم
وقريش تجول منا لواذا * ان يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم * انما يحمل اللواء النجوم

وكان عقيل رجلا قد كف بصره وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها اطول وغاضب عليا وأقام بالشام فكان ذلك أيضا أطلق للسان الباغي والحاسد فيه وزعموا انه قال له معاوية هذا أبو يزيد لولا انه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقال له مرة أنت معنا يا أبا يزيد قال ويوم بدر قد كنت معكم وقال معاوية يوما يا أهل الشام هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه تبت يدا أبي لهب وتب قالوا نعم قال فان أبا لهب عمه فقال عقيل فهل سمعتم قول الله عز وجل وامرأته حمالة الحطب قالوا نعم قال فانها عمته قال معاوية حسبنا ما لقينا من أخيك وذكروا ان امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت يا بني هاشم لا يحبكم قلبي أبدا أين أبي أين عمي أين أخي كان اعناقهم أباريق الفضة ترد انفسهم قبل شفاههم قال لها عقيل اذا دخلت جهنم فخذي على شمالك وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه فلان لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه قال وسمع اعرابي رجلا يقرأ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر قالها بفتح الكاف فقال الاعرابي لا يكون فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الاعرابي يكون ﴿ باب من الشعر ﴾ فيه تشبيه الشئ بشئ قال الشاعر بدا البرق من نحو الحجاز فشاقني * وكل حجازي له البرق شائق

سرى مثل نبض العرق والليل دونه * واعلام ابلى كلها والاسالق

وقال الآخر أرقت لبرق آخر الليل يلمع * سرى ذائبا فيها يهب ويهجع

سرى كاحتساء الطير والليل ضارب * بأرواقه والصبح قد كاد يسطع

حدثني ابراهيم بن السندي عن أبيه قال دخل شاب من بني هاشم على المنصور فسأله عن وفاة ابيه قال مرض أبي رضي الله تعالى عنه يوم كذا ومات رضي الله تعالى عنه يوم كذا وترك رضي الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا فانتهره الربيع وقال بين يدي أمير المؤمنين تواليه بالدعاء لابيك فقال الشاب لا ألومك لانك لم تعرف حلاوة الآباء قال فاعلمنا ان المنصور ضحك في مجلس ضحكا قط افتر عن نواجذه الا يومئذ وحدثني ابراهيم بن السندي عن أبيه قال دخل شاب من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى أدنه فقال قد تغديت يا أمير المؤمنين فكف عنه الربيع حتى ظننا انه لم يفطن لخطابه فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفع في قفاه فلما رأى ذلك الحجاب منه دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع الى المنصور فقال المنصور ان الربيع لا يقدم على مثل هذا الا وفي يديه حجة فان شئتم اغضيتم على ما فيها وان شئتم سألته وأنتم تسمعون قالوا فاسأله ودعا الربيع وقصوا قصته فقال الربيع هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ثم تبذل بين يديه وأكل ثم دعاه الى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التي صيره

فيها الى أن قال حين دعاه الى غدائه قد تغديت واذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين الا سدخلة الجوع ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل حدثني ابراهيم بن السندي عن أبيه قال والله اني لواقف على رأس الرشيد والفضل بن الربيع واقف في الايسر والحسن اللؤلؤي يسائله ويحدثه عن امور وكان آخر ما سأله عن بيع أمهات الاولاد فلولا اني ذكرت ان سلطان ما وراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وان سلطاني انما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخذت بضبعيه وأقمته فلما ان صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع أما والله لو كان هذا منك في مسايرة أو موقف لعلمت ان للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك وحدثني ابراهيم بن السندي قال بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقة يحدث المأمون والمأمون يومئذ أمير اذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤي نمت أيها الامير ففتح المأمون عينه وقال سوقي والله خذيا غلام بيده قال وكنا يوما عند زياد بن محمد بن منصور ابن زياد وقد هيأ لنا الفضل بن محمد طعاما ومعنا في المجلس خادم وكان لا يتهم فجاء رسول الفضل الى زياد فقال يقول لك أخوك قد أدرك طعامنا فتحولوا ومعنا في المجلس ابراهيم النظام وأحمد بن يوسف وقطرب النحوي في رجال من ادباء الناس وعلمائهم فما منا أحد فطن لخطأ الرسول فاقبل عليه مبشر الخادم فقال يا ابن اللخناء تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عرض الناس ألا تقول يا سيدي يقول لك أخوك ترى أن تصير الينا باخوانك فقد تهيأ أمرنا * واتبعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك فمر به خادم من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال ان الاديب وان لم يكن ملكا فقد يجب على الخادم ان يخدمه خدمة الملوك فانظر ان تخدمه خدمة تامة قلت له وما الخدمة التامة قال الخدمة التامة أن تقوم في دارك لبعض الامر وبينك وبين النعل ممشى خمس خطا فلا يدعك أن تمشي اليها ولكن يأخذها ويدنيها منك ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغي لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب ومن الخدمة التامة أن يكون اذا رأى متكئا يحتاج الى مخدة أن لا ينتظر أمرك ويتعاهد ليقة الدواة قبل أن تأمره ان يصب فيها ماء أو سوادا ويفض عنها الغبار قبل أن يأتيك بها وان رأى بين يديك قرطاسا على طية قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره واشباه ذلك قال ولما كلم عروة بن مسعود الثقفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في ذلك ربما مس لحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له المغيرة بن شعبة نح يدك عن لحية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن لا ترجع اليك يدك فقال عروة يا غدر وهل غسلت رأسك من غدرتك الا بالامس قال ونادى رجال من وفد بني تميم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وقال الله عز وجل ذكره لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال ابن هرمة أو غيره

لله در سميدع فجعت به * يوم البقيع حوادث الايام

هش اذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
فاذا رأيت شقيقة وصديقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

قال أبو الحسن بينا هشام يسير ومعه اعرابى اذا انتهى الى ميل عليه كتاب فقال للاعرابى انظر أى ميل هذا فنظر ثم رجع اليه فقال عليه محجن وحلقة وثلاثة كاطباء الكلبة ورأس كأنه رأس قطاة فعرفه هشام بصورة الحجاء ولم يعرفه الاعرابى وكان عليه خمسة وهى من نوادر الاعراب استشهدوا اعرابيا على رجل وامرأة فقال رأيته قد تقصمها يخفرها بمؤخره ويجذبها بمقدمه وخفى على المسلك وقال آخر رأيت قد تبطنها ورأيت خلخالها شائلا وسمعت نفساعاليا ولا علم لى بشئ بعد وقال اعرابى رأيت هذا قد تناول حجرا فالتف بهذا وحجز الناس بينهم واذا هذا يستدمى وقال بعضهم الشيب نذير الآخرة وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال آخر الشيب توأم الموت وقال الحكيم شيب الشعر موت الشعر وموت الشعر علة موت البشر وقال المعتمر بن سليمان الشيب أول مراحل الموت وقال السهمى الشيب تمهيد الحمام وقال العتابى الشيب تاريخ الكتاب وقال النمرى الشيب عنوان الكبر وقال عدى بن زيد العبادى

وابيضاض السود من نذر الشر * وهل مثله لحى نذير

وقال الآخر أصبح الشيب فى المفارق شاعا * والكثى الرأس من بياض قناعا
ثم ولى الشباب الا قليلا * ثم يأبى القليل الا انزاعا

قال وقال رجل لاشعب ما شكرت معروفى عندك قال لان معروفك جاء من عند غير محتسب فوقع الى غير شاكر وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد خففت صلاتك جدا فقال لانه لم يخالطها رياء * كلام بعض المتكلمين من الخطباء الحمد لله كما هو أهله والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين أخى لا تغتر بطول السلامة مع تضييع الشكر ولا تعملن نعمة الله فى معصية فان أقل ما يجب لمهديها الا تجعلها ذريعة فى مخالفته واعلم ان النعم نوافر ولعل ما اقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالتوبة واستدم الراهن منها بكرم الجوار واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ولا تحسب أن سبوغ ستر نعم الله عليك غير متقاص عما قريب اذا لم ترج لله وقارا وانى لاخشى أن يأتيك أمر الله بغتة أولا ملاء فهو أولى مغبة وأثبت فى الحجة ولان لا تعلم ولا تعمل خير من أن تعلم ولا تعمل ان الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية ولا استخفاف بربوبية وليس كمن قهرته الحجة واعرب له الحق مفصحا عن نفسه فآثر الغفلة والتحسيس من الشهوة على الله تبارك وتعالى فأسحقت نفسه عن الجنة وأسلمها لابد العقوبة فاستشر عقلك وراجع نفسك وادرس نعم الله عليك وتذكر احسانه اليك فانه مجلبة للحياء ومردعة للشهوة ومشحذة على الطاعة فقد أظل البلاء أو كان قد فكفف عنك غرب شؤبوبه وجوائح سطواته بسرعة النزع وطول التضرع ثلاث هى أسرع

فى العقل من النار فى يبيس العرفج اهمال الفكرة وطول التمنى والاستغراب فى الضحك ان
الله لم يخلق النار عبثا ولا الجنة هملا ولا الانسان سدى فاعترف رق العبودية وعجز البشرية
فكل زائد ناقص وكل قرين مفارق وكل غنى محتاج وان عصفت به الخيلاء وابطره العجب
وصال على الاقران فانه مذال مدبر ومقهور ميسران جاع سخط المحنة وان شبع بطر النعمة
ترضيه اللمحة فيستشرى مرحا وتغضبه الكلمة فيستطير شفقا حتى تنفسخ لذلك منته
وتنتقض مريرته وتضطرب فريصته وتنتشر عليه حجته وللعجب من لبيب تو بقه الحماطة
ويسلم مع الاضاعة ويؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة ان أهمل عمى وان علم نسى كيف
لم يتخذ الحق معقلا ينجيه والتوكل رائدا يحميه أعمى عن الدلائل وعن وضوح الحجة أم آثر
الخسيس على الاجل النفيس وكيف توجد هذه الصفة مع صحة العقدة واعتدال الفطرة
وكيف يشير رائد العقل بايثار القليل الفانى على الكثير الباقى وما أظن الذى أقعدك عن
تناول الحظ مع قرب مجناه حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ولا يقدح فى غرماتك فوت
الجنة وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ونأت عن قلبك العبرة الا طول مجاورة التقصير
واعتياد الراحة والانس بالهوينا وايثار الاخف والف قرين السوء فاذكر الموت وأدم
الفكرة فيه فان من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى وان كان ما يوجد بالعيان من
مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه وهجنة ما أصبحت فيه من ايثار باطلك على
حق الله واختيار الوهن على القوة والتفريط على الحزم والاشفاق على الدون واصطناع
العار والتعرض للمقت وبسط لسان العائب فستنبطات الغيب أحرى بالعجز عن تحريكك
ونقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك فاستحى للبك واستبق ما أفضل الحذلان من
قوتك قبل أن يستولى عليه الطبع ويشتد عليه العجز أو ما علمت ان المعصية تثمر المذلة
وتفل غرب اللسان مع السلاطة بل ما علمت ان المستشعر بذل الخطيئة المخرج نفسه من
كنف العصمة المتحلى بدنس الفاحشة نطف الثناء زمر المروأة قصى المجلس لا يشاور وهو
ذو بذلاء ولا يصدر وهو جميل الرواء يسالم من كان يسطو عليه ويضرع لمن كان يرغب
اليه يجذل بحاله المبغض الشانى ويثلب بقربه القريب الدانى غامض الشخص ضئيل
الصوت نزر الكلام متلجلج الحجة يتوقع الاسكات عند كل كلمة وهو يرى فضل مزيته
وصريح لبه وحسن فضيلته ولكن قطعه سوء ما جنى على نفسه ولو لم تطلع عليه عيون الخليقة
لهجمت العقول باذهانه وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المتفرس من عرى من حلية
التقوى وسلب طائع الهدى ولو لم يتغشه ثوب سريرته وقبيح ما احتجن اليه من مخالفة ربه
لاضرعته الحجة ولفسخه وهن الخطبة ولقطعه العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار ذوى الطهارة
فى الكلام وادلال أهل البرأة فى النداء هذه حال الخاطئ فى عاجل الدنيا فاذا كان يوم الجزاء
الاكبر فهو عان لا يفك وأسير لا يفادى وعارية لا تؤدى فاحذر عادة العجز والف الفكاهة

وحب الكفاية وقلة الاكتراث للخطيئة والتأسف على الفائت منها وضعف الندم
في اعقابها أخي انعى اليك القاسي فانه ميت وان كان متحركا وأعمى وان كان رائيا فاحذر
القسوة فانها رأس الخطايا وامارة الطبع وهي الشوهاء العاقر والداهية العقام وأراك تركض
في حبائلها وتستقبس من شررها ولا بأس أن يعظ المقصر مالم يكن هاذيا ولن يهلك امرؤ عرف
قدره ورب حامل علم الى من هو أعلم منه علمنا الله وايا كم مافيه نجاتنا واعاننا وايا كم على
تأدية ما كلفنا والسلام قال وقلت لحباب انك تكذب في الحديث فقال وما عليك اذا كان
الذي أزيد فيه أحسن منه فوالله ما ينفعك صدقه ولا يضرك كذبه ومايدور الامر الا على
لفظ جيد ومعنى حسن ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك وذهب كلامك قال أبو
الحسن سمع اعرابي رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال يفعل ماذا قال وكان يقال
أول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره أبو
الحسن قال قرأ رجل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فان زللتم من بعد
ماجاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم فقال الاعرابي لا يكون قال ودخل على
المهدي صالح بن عبد الجليل فسأله أن يأذن له في الكلام فقال تكلم فقال انا لما سهل
علينا ما توعر على غيرنا من الوصول اليك قمنا مقام الاداء عنهم وعن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم باظهار ما في أعناقنا من فريضة الامر والنهي عند انقطاع عذر الكتمان
في التقية ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع ووعدت الله وجلة كتابه ايثار الحق على ماسواه
فجمعنا وايا كم شهد من مشاهد التمحيص ليتم مؤدينا على موعود الاداء عنهم وقابلنا على
موعود القبول أو يردنا تمحيص الله ايانا في اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية
الكاذبين فقد كان أصحاب رسول الله صل الله تعالى عليه وسلم يقول من حجب الله عنه العلم
عذبه على الجهل وأشد منه عذابا من أقبل اليه العلم وأدبر عنه ومن أهدى الله اليه علما فلم
يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها فاقبل ما أهدى الله اليك من ألسنتنا قبول
تحقيق وعمل لا قبول فيه سمعة ورياء فانه لا يخلفك منا اعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم
أو تذكير لك من غفلة فقد وطن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نزولها
تعزية عما فات وتحصينا من التمادي ودلالة على المخرج فقال واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من ايثار
الحق ومنابذة الاهواء فانك ان لم تفعل ذلك يرى أثرك وأثر الله عليك فيه ولا حول ولا قوة
الا بالله قال ودخل رجل على معاوية وقد سقطت أسنانه فقال يا أمير المؤمنين ان الاعضاء
يرث بعضها بعضا فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك وحدثنا اسمعيل بن علية
قال حدثنا زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوى
عليه قبره بالارض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون احداهما عند رأسه والاخرى عند

رجليه ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما وأحاط به الناس قال رحمك الله يا بنى فقد كنت برا بابيك ومازلت مذ وهبك الله لى بك مسرورا ولا والله ما كنت قط مسرورا بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صيرك الله اليه فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيآتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لامره فالحمد لله رب العالمين ثم انصرف وحدثنى محمد بن عبيد بن عمر قال أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه قال قال لى عمرو بن معاوية بن عمرو ابن عتبة جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فكنت لا أكون فى قبيلة الاشهر أمرى فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدى حرمى بنفسى قال المبارك فارسل الى ان وافنى عند باب الامير سليمان بن عبد الملك قال فاتيته فاذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشئ مسدولة قال فقلت يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها ان هذا ليس من لباس هذا اليوم قال ولا والله لكن ليس عندى ثوب الا أشهى ما ترى قال فاعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبته قال فدخل ثم خرج الى مسرورا قال فقلت له حدثنا ما جرى بينك وبين الامير قال دخلت عليه ولم يرنى قبل ذلك فقلت أصلح الله الامير لفظنى البلاء اليك ودلنى فضلك عليك فاما قبلتنى غانما واما رددتنى سالما قال من أنت أعرفك قال فانتسبت له فقال اقعد فتكلم غانما سالما ثم أقبل على فقال حاجتك يا ابن أخى قال فقلت ان الحرم اللاتى أنت أقرب الناس اليهن معنا وأولى الناس لهن بعدنا قد خفن بخوفنا ومن خاف خيف عليه قال فوالله ما أجابنى الا بدموعه فقال يا ابن أخى يحقن الله دمك ويحفظ حرمك ويوفر عليك مالك ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت قال فقلت أكون متواريا أو ظاهرا فقال كن متواريا كظاهر فكنت والله أكتب اليه كما يكتب الرجل الى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت اليه طيلسانه فقال مهلا ان ثيابنا اذا فارقتنا لم ترجع الينا ومن أحاديث النوكى حدثت عن أبى سعيد الرفاعى أنه سئل عن الدنيا والدابة فقال أما الدنيا فهذه التى أنتم فيها وأما الدابة فهى دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشئ من أمرها الا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء وسقوفهم من قثاء وأنعامهم من قثاء وخيلهم من قثاء وهم فى أنفسهم من قثاء وقثاؤهم أيضا من قثاء قالوا له يا أبا سعيد زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشئ من أمرها وكذلك نحن لهم وأراك تخبرنا عنهم باخبار كثيرة قال فمن ثمة أعجب زيادة قالوا ذم رجل عند الاحنف الكمأة بالسمن فقال رب ملوم لا ذنب له عبد الله بن مسلم عن شيبة بن عقال أن رجلا قال فى مجلس عبيد الله بن زياد ما أطيب الاشياء فقال رجل ما شئ أطيب من ثمرة برسيان كأنها من آذان النوكى عليها بزبدة وقال أوس بن حار لابن عامر

ظلت عقاب النوك تخفق فوقه * رخو طفاطفه قديم الملعب

قد ظل يوعدني وعين وزيره * خضراء خاشعة كعين العقرب

يعني بوزيره عبد الله بن عمير الليثي وكان أخاه لامه امهما دجاجة بنت أسماء السلمية وقال بن مناذر في خالد بن عبد الله بن طليق الخزاعي وكان المهدي استقضاه وعزل عبيد الله بن الحسن العنبري أتى دهرنا والدهر ليس بمعتب * يا آبدة والدهر جم الاوابد

بعزل عبيد الله عنا فيالله * خلافا وباستعمال ذي النوك خالد

بحيران عن قصد السبيل تصده * خيانة سلام ولحية فائد

اذالك من ريب الزمان وصرفه * واحداثه أم نحن في حلم راقد

وقال أيضا قل لامير المؤمنين الذي * من هاشم في سرها واللباب

ان كنت للسخطة عاقبتنا * بخالد فهو أشد العذاب

أصم أعمى عن سبيل الهدى * قد ضرب الجهل عليه بالحجاب

يا عجبا من خالد كيف لا * يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال خالد يحكم في الناس بحكم الجاثليق * يا أبا الهيثم ما كنت لهذا بخليق

لا ولا كنت لما حملت منه بطيق * أي قاض أنت للظلم وتعطيل الحقوق

وقال يقطع كف القاذف المفتري * ويجلد اللص ثمانينا

سقيا ورعيا لك من حاكم * يحيي لنا السنة والدينا

وقال زهرة يا قوم من دل على عالم * يعلم ما حد حرسارق

وقال آخر واني لمضاء على الهول واحدا * ولو ظل ينهاني اخيفش شاحج

تشبه للنوكى أمورا كثيرة * وفيها لاكياس الرجال مخارج

وقال آخر لا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا تدبرا

غيره اذا ظعنوا عن دار ضيم تعاذلوا * عليها وردوا وفدهم يستقيلها

وقال النابغة ولا يحسبون الخير لا شر بعده * ولا يحسبون الشر ضربة لازب

والعرب تقول اخزى الله الرأي الدبري وقالوا وجه الحجاج الى مطهر بن عمار بن ياسر عبد الرحمن بن سليم الكلبي فلما كان بحلوان اتبعه الحجاج مددا وعجل عليه بالكتاب مع تحية الغلط وانما قيل له ذلك لكثرة غلطه فمر تحية بالممددوهم يعرضون بخانقين فلما قدم على عبد الرحمن قال له أين تركت مددنا قال تركتهم يخنقون بعارضين قال أو يعرضون بخانقين قال نعم اللهم لا تخانق في باركين ولما ذهب يجلس ضرط وكان عبد الرحمن أراد أن يقول الا تغدى فقال الا تضرط قال قد فعلت اصلحك الله قال ما هذا أردت قال صدقت ولكن الامير غلط كما غلطنا فقال انا غلطت من فمي وغلط هو من أسته

﴿ باب من البله الذي يعترى من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب ﴾ وهو كما قال ابو وائل اسمعكم تقولون الدانق والقيراط فايما أكثر قالوا وكان عامر بن عبد الله بن الزبير

فى المسجد وكان قد أخذ عطاءه فقام الى منزله ونسيه فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقال له أوين نجد ذلك المال قال سبحان الله او يأخذ احد ما ليس له أبو الحسن قال قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيرى سرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيرى فلم يتخذ نعلا حتى مات وقال أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا ان يسرقها فيأثم وقالوا ان الخلفاء والائمة أفضل من الرعية وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم لانهم أفقه فى الدين وأقوم بالحقوق وأرد على المسلمين وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العباد ولان نفع ذلك لا يعدوهم رؤسهم ونفع هؤلاء يخص ويعم والعبادة لا تدله ولا تورث البله الا من آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة فمن هناك صاروا بلهاء حتى صار لا يجىء من اعبدهم حاكم ولا امام وما أحسن ما قال أيوب السختيانى حيث يقول فى أصحابى من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته فاذا لم يجز فى الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد وقال الشاعر

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

ومن غير هذا الباب قوله اذا ما الشيخ عوتب زاد شرا * ويعتب بعد صبوته الوليد

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج وقال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه من الفرج

وقال الفرزدق انى وسعدا كالحوار وأمه * اذا وطئته لم يضره اعتمادها

وقال اعرابى تعلمنى بالعيش عرس كانما * تبصر فى الامر الذى أنا جاهله

يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى * وكل كأن لم يلق حين يزايله

وقال آخر شهدت وبيت الله انك بارد الثنايا لذيذ لثمها حين يلثم

غيره الله يعلم يا مغيرة اننى * قد دستها دوس الحصان الهيكل

وأخذتها أخذ المقصب شاته * عجلان يشويها لقوم نزل

وقال آخر شهدت وبيت الله انك بارد الثنايا وان الكشح منك لطيف

وانك مشبوح الذراعين خلجم * وانك اذ تخلو بهن عفيف

وقال آخر فهلا من وزار او حصين * جميم فرج حاضنة كعاب

واقسم انه قد حل منها * محل السيف من قعر القراب

وقال آخر أترجو ان تسود ولن تعنى * وكيف يسود ذو الدعة البخيل

وقال الهذلى وان سيادة الاقوام فاعلم * لها صعداء مطلعها طويل

وقال جرير بن الخطفى

تريد ان أرضى وأنت بخيلة * ومن ذا الذى يرضى الاخلاء بالبخل

وقال اسحق بن حسان بن قوهى

ودون الندى فى كل قلب ثنية * لها مصعدا حزن ومنحدر سهل

وود الفتى فى كل نيل ينيله * اذا ما انقضى لوان نائله جزل

وقال آخر عزمت على اقامة ذى صباح * لشئ ما يسود من يسود

وقال آخر وتعجب ان حاولت منك تنصفا * واعجب منه ما تحاول من ظلمى

اياحسن يكفيك ما فيك شاتما * لعرضك من شتم الرجال ومن شتمى

وقال آخر كما قال الحمار لسهم رام * لقد جمعت من شتى لامر

وقال آخر أراك حديدة فى رأس قدح * ومتن جلالة من ريش نسر

وقال آخر اذا مامات مثلى مات شئ * يموت بموته بشر كثير

وأشعر منه عبدة بن الطيب حيث يقول فى قيس بن عاصم

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال امرؤ القيس فى شبيه بهذا المعنى

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط انفسا

وقال آخر وزهدنى فى صالح العيش اننى * رأيت يدى فى صالح العيش قلت

وقال معن بن أوس ولقد بدا لى ان قلبك ذاهل * عنى وقلبى لو بدا لك أذهل

كل يجامل وهو يخفى بغضه * ان الكريم على القلى يتجمل

وقال ركاض نرامى فنرمى نحن منهن فى الشوا * ويرمين لا يعدلن عن كبدينا

اذا ما لبس الحلى والوشى أشرقت * وجوه ولبات يثلبننا الحلما

ولين السبوب حمرة قرشية * زبيرية يعلمن فى لونها علما

وقال آخر اعلل نفسى بما لا يكون * كما يفعل المائق الاحمق

وقال آخر تولت بهجة الدنيا * فكل جديدها خلق * وخان الناس كلهم

فما أدرى بمن أثق * رأيت معالم الخيرا * تسدت دونها الطرق

فلا حسب ولا أدب * ولا دين ولا خلق

وقال أبو الاسود الديلى لنا جيرة سدوا النجازة بيننا * فان ذكروك السد فالسد أكيس

ومن خير ما ألصقت بالدار حائط * يزل به صقع الخطاطيف أملس

وقال آخر عقمت أم انتنا بكم * ليس فيكم رجل غيردنى

واذا ما الناس عدوا شرفا * كنتم من ذاك فى بال رخى

وقال آخر قد بلوناك بحمد الله ان اغنى البلاء * فاذا كل مواعيدك والجد سواء

وقال آخر ولقد هززتك للمديح * فكنت ذا نفس لئيمه

أنت الرقيع ابن الرقيع * ابن الرقيع ابن الرقيعه

وقال آخر لكل أناس سلم يرتقى به * وليس الينا فى السلاليم مطلع

وغايتنا القصوى حجاز ان هبطناه بلقع

وينفر منا كل وحش وينتمى * الى وحشنا وحش البلاد فيرتع

﴿وقال آخر﴾

لو جرت خيل نكوصا * لجرت خيل دفافه هى لا خيل رجاه * لا ولا خيل مخافة

وقال الحزيمى اخلع ثيابك من أبى دلف * واهرب من الفجعة الصلف

لا يجبنك من أبى دلف * وجه يضىء كدرة الصدف

انى رأيت أخى أبا دلف * عند الفعال مولد الشرف

وأنشد ابن الاعرابى

أهلكتنى بفلان ثقتى * وظنون بفلان حسنه * ليس يستوجب شكر ارجل

نلت خيرا منه من بعد سنه * كنت كالهادى من الطير رأى * طمعا أدخله فى سجنه

زاد فى قرب صديقى فاقة * أورثت من بعد فقر مسكنه

وأنشدنا اذا المرؤ أولاك الهوان فأوله * هوانا وان كانت قريبا أواصره

فان أنت لم تقدر على ان تهينه * فذره الى اليوم الذى أنت قادره

وقارب اذا ما لم تكن لك قدرة * وصمم اذا أيقنت انك عاقره

وقال بعض ظرفاء الاعراب

واذا خشيت من الفؤاد لحاجة * فاضرب عليه بجرعة من رائب

وهذا من شكل قوله ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا * وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال بعض المحدثين ما أشبه الامرة بالوصل * وأشبه الهجران بالعذل

وقالت الخنساء لم تره جارة يمشى بساحتها * لريبة حين يخلى بيته الجار

مثل الرديني لم تدنس عمامته * كانه تحت طى البرد أسوار

وقال آخر ناديت هيذان والابواب مغلقة * ومثل هيذان سنى فتحة الباب

كالهند وانى لم تقلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

وقال آخر أرى كل ريح سوف تسكن مرة * وكل سماء ذات درستقلع

ولست بقوال اذا قام حالبا * لك الويل لا تجهد لعلك ترضع

ولكن اذا جادت بما دون حلبها * جهدنا ولم نمذق بما نتوسع

وقال آخر تمنى رجال ان أموت وغايتى * الى أجل أقصى مداه قريب

وما رغبتى فى آخر الدهر بعدما * لبست شبابى كله ومشيبى

وأصبحت فى قوم كان لست منهم * وبادقرونى منهم وضروبى

وقال رأيت الناس لما قل مالى * وأكثرت الغرامة ودّعونى

فلما ان غنيت وثاب وفرى * اذا هم لا أبالك راجعونى

وقال آخر وكنا نستطب اذا مرضنا * فصار سقامنا بيد الطبيب

فكيف نجيز غصتنا بشئ * ونحن نغص بالماء الشريب

وقال عدى بن زيد لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

وقال التوت اليمانى ويروى اللوب بالباء والتوت هو الصواب وهو المعروف بتويت فكبره هنا

على أى باب اطلب الاذن بعدما * حجبت من الباب الذى أنا حاجبه

وقال آخر لاتضجرن ولاتدخلك معجزة * فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وقال محمد بن بشر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لاتيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقال بعض الاعراب فان طعاما ضم كفى وكفها * لعمرك عندى فى الحياة مبارك

فمن أجلها استوعب الزاد كله * ومن أجلها تهوى يدى وتدارك

وقال آخر كانى لما مسنى السوط مقرم * من الجحم صعب ان يقاد نفور

فكم قد رأينا من لئيم موطأ * صبور على مس السياط وفور

وذى كرم فى القوم نهد مشيع * جزوع على مس السياط ضجور

وقال أحيحة بن الجلاح

استغن عن كل ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

والبس عدوك فى رفق وفى دعة * لباس ذى اربة للدهر لباس

ولا يغرنك أضغان مزملة * قد يضرب الدبر الرامى بأحلاس

وقال أحيحة أيضا استغن أومت ولا يغررك ذو نشب * من ابن عم ولا عم ولا خال

انى أكب على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاقوام ذو المال

يلوون ما عندهم عن حق أقربهم * وعن عشيرتهم والمال بالوال

وقال آخر سأنبيك مالا بالمدينة اننى * أرى عازب الاموال قلت فواضله

وقال آخر ولا خير فى فضل اذا لم يكن له * على طول مر الحادثات بقاء

وقال العباس بن الاحنف

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا * وصلا يمر على من ذاقه العسل

وقال بعض سفهاء الاعراب

لاخير فى الحب أبا السنور * أويلتقى أشعرها وأشعرى * واطبق الحصبة فوق المبعر

وقال آخر وحظك زورة فى كل عام * موافقة على ظهر الطريق

سلاما خاليا من كل شئ * يعود به الصديق على الصديق

وقال عطارد ولا يلبث الحبل الضعيف اذا التوى * وجاذبه الاعداء ان يتخذما

وما يستوى السيفان سيف مؤنث * وسيف اذا ما عض بالعظم صمما

وقال طريح بن اسمعيل فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك

سعيت ابتغاء الشكر فيما صنعت بى * فقصرت مغلو باوانى لشاكر
لانك تعطينى الجزيل بداهة * وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر
فارجع مغبوطا وارجع بالتى * لها أول فى المكرمات وآخر
وقد قلت شعرا فيك لكن تقوله * مكارم فيما تبتنى ومفاخر
قواصر عنها لم تحط بصفاتها * يراد بها ضرب من الشعر آخر

وقال آخر

فكم من مليم لم يصب بملامة * ومتبع بالذنب ليس له ذنب
وكم من محب صد عن غير علة * وان لم يكن فى وصل خلته عتب

وقال آخر

لعل له عذرا وأنت تلوم * وكم لائم قد لام وهو مليم

كما قال الاحنف

* رب ملوم لا ذنب له *

وقال ابن المقفع

فلا تلم المرء فى شأنه * فرب ملوم ولم يذنب

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى

وان امرأ يمسى ويصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب العصا الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة * هذا أبقاك الله تعالى الجزء الثالث من القول فى البيان والتبيين وما شاكله ذلك من غرر الاحاديث وشاكله من عيون الخطب ومن الفقر المستحسنة والنتف المتخيرة والمقطعات المستخرجة وبعض ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب باخذ المخصرة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى والمنثور الذى لم يقف وبالارجاز عند المتح وعند مجاثاة الخصم وساعة المشاولة وفى نفس المجادلة والمحاورة وكذلك الاسجاع عند المنافرة والمفاخرة واستعمال المنثور فى خطب الحمالة وفى مقامات الصلح وسل السخيمة والقول عند المعاقرة والمعاهدة وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولا اختلاف تاليف ولا التماس قافية ولا تكلف لوزن مع الذى عابوا من الاشارة بالعصى والاتكاء على أطراف القسى وخدوجه الارض بها واعتماده عليها اذا استحفرت فى كلامها وافتنت يوم المحفل فى مذاهبها ولزومهم العمائم فى أيام الجوع وأخذ المخاصر فى كل حال وجلوسها فى خطب النكاح وقيامها فى خطب الصلح وكل ما دخل فى باب الحمالة وأكد شأن المحالفة وحقق حرمة المجاورة وخطبهم على رواحلهم فى المواسم العظام والمجامع الكبار والتماسيح بالاكف والتحالف على النار والتعاقد على الملح وأخذ العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم

ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درقم لذ للشتال الحرث بن حلزة اليشكرى

واذكر واحلف ذى المجاز وما * قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الخون والتعدى وهل * تنقض ما فى المهارق الاهواء

الخون الخيانة ويروى الجور وقال أوس بن حجر

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه * كما صد عن نار المهول حالف

وقال الكميت كهولة ما أوقد المحلفون * لدى الحالفين وما هولوا

وقال الاول حلفت بالملح والرماد وبالنار وبالله تسلم الحلقه
حتى يظل الجواد منعقرا * وتخضب النبل غرة الورقه

وقال الاول حلفت لهم بالملح والجمع شهد * وبالنار واللات التى هى أعظم

وقال الحطيئة فى اضجاع القسى

أمن لخصم مضجعين قسيهم * صعر خدودهم عظام المفخر

وقال لبيد بن ربيعة فى خدوجه الارض بالقسى والعصى

نشين صحاح البيد كل عشية * بعوج السراء عند باب محجب

ومثله اذا اقتسم الناس فضل الفخار * اطلنا على الارض ميل العصا

ومثله حكمت لنا فى الارض يوم محرق * أيامنا فى الناس حكما فيصلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى

ما ان أهاب اذا السرادق عمه * قرع القسى وأرعش الرعديد

وقال كثير فى الاسلام اذا قرعوا المنابر ثم خطوا * بأطراف المخاصر كالغضاب

وقال أبو عبيدة سأل معاوية شيخا من بقايا العرب أى العرب رأيته أضخم شانا قال حصين ابن حذيفة رأيته متوكئا على قوسه يقسم فى الحليفين أسد وعطفان وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة

غلب تشذر بالدخول كانها * جن البدى رواسيا اقدامها

وقال معن بن أوس المزنى

الا من مبلغ عنى رسولا * عبيد الله اذ عجل الرسالا
تعاقل دوننا أبناء ثور * ونحن الاكثرون حصى ومالا
اذا اجتمع القبائل حشت ردقا * أمام الماسحين لك السبالا
فلا تعطى العصا الخطباء يوما * وقد تكفى المقادة والمقالا

فذكر عصى الخطباء كما ترى وقال الآخر فى حمل القناة

انى امرؤ لا تخطاه الرفاق ولا * جدب الخوان اذا ما استثنى المرق
صلب الحيازيم لا هذر الكلام اذا * هز القناة ولا مستعجل زهق

وقال جرير بن الخطفى فى حمل القناة

من للقناة اذا ماعى قائلها * وللاعنة يا عمرو بن عمار

قالوا وهذا مثل قول أبي المجيب الربعي حيث يقول لا تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يمدحك يقول اذا قام يخطب فقد قام المقام الذي لابد من أن يخرج منه مذموما أو محمودا وقال عبد الله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن أخطب بني تميم فقال خداش ابن لبيد بن بيتة بن خالد يعني البعيث الشاعر وانما قيل له البعيث لقوله

تبعثث مني ما تبعثث بعدما * امرت حبالي كل مرتها شزرا

وقال أبو اليقظان كانوا يقولون اخطب بني تميم البعيث اذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض ثم رفعها قال يونس لعمري لئن كان مغلبا في الشعر لقد كان غلب في الخطب واذا قالوا غلب فهو الغالب واذا قالوا مغلبا فهو المغلوب وفي حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء البقيع ومعه مخصرة فجلس فنكت بها الارض ثم رفع رأسه فقال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار وهو من حديث أبي عبد الرحمن السلمي ومما يدلك على استحسانهم شأن المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ذي المخصرة وهو صاحب ليلة الجهني وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعطاه مخصرة فقال تلقاني بها في الجنة وهو مهاجر عقبي أنصاري وهو ذو المخصرة في الجنة وقالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية القضيب للايقاع والقناة للنقار والعصا للقتال والقوس للرمي وليس بين الكلام وبين العصا سبب ولا بينه وبين القوس نسب وهما الى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه وليس في حملها ما يشحذ الذهن ولا في الاشارة بها ما يجلب اللفظ وقد زعم أصحاب الغناء ان المغني اذا ضرب على غنائه قصر عن المغني الذي لا يضرب على غنائه وحمل العصا بأخلاق الفدادين أشبه وهو بجفاة الاعراب وعنجهية أهل البدو ومزاولة اقامة الابل على الطرق أشكل وبه أشبه قالوا والخطابة شئ في جميع الامم وبكل الاجيال اليه أعظم الحاجة حتى ان الزنج مع الغثارة ومع فرط الغباوة ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج لتطيل الخطب وتفوق في ذلك جميع العجم وان كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها اخطأ وأجهل وقد علمنا ان أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم ولاء وأشدهم فيه تحنكا أهل مرو وأفصحهم بالفارسية الدرية وباللغة الفهلوية اهل قصبة الاهواز فاما نغمة الهزيذه ونغمة الموبذان فلصاحب تفسير الزمزمة قالوا ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كارونديمن احتاج الى العقل والادب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والالفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر الى سير الملوك فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها

فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم وعرف اين البيان والبلاغة وأين تكامات تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الامم من المعروفين بتدقيق المعانى وتخيير الالفاظ وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعصى والقضبان والقسى كلا ولكنكم كنتم رعاة بين الابل والغنم فحملتم القنا فى الحضر بفضل عادتكم بحملها فى السفر وحملتموها فى المدر بفضل عادتكم بحملها فى الوبر وحملتموها فى السلم بفضل عادتكم بحملها فى الحرب ولطول اعتيادكم لخاطبة الابل جفا كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كانكم انما تخاطبون الصمان اذا كلمتم الجلساء وانما كان جل قتالكم بالعصا ولذلك فخر الاعشى على سائر العرب فقال

لسنا نقاتل بالعصا ولانرامى بالحجارة * الا علالة أو بداهة قارح نهد الجزارة

وقال الآخر فان تمنعوا منا السلاح فعندنا * سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جنادل املاء الا كف كأنها * رؤس رجال حلقت بالمواسم

وقال جندل الطهوى حتى اذا دارت رحى لا تجرى * صاحت عصى من قنا وسدر

وقال آخر دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبى لها غير آلف

فناولنى خشناء لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف

من الشثنات الكزم انكرت مسها * وليست من البيض الرقاق اللطائف

معاودة حمل الهراوى لقومها * فرورا اذا ما كان يوم التنائف

وقال آخر ما للفرزدق من عز يلوذ به * الا بنى العم فى أيديهم الخشب

قالوا وانما كانت رماحكم من مران واسنتكم من قرون البقر وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدم ولم يكن ذا ركاب والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما وكان فارسهم يطعن بالقناة الصماء وقد علمنا ان الجوفاء أخف محملا وأشد طعنة ويفخرون بطول القناة ولا يعرفون الطعن بالمطارد وانما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش ويفخرون بطول الرمح وقصر السيف فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجل دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف وان كان الطول فى الرمح انما صار صوابا لانه ينال به البعيد ولا يفوته العدو ولان ذلك يدل على شدة سير الفارس وقوة يده فكذلك السيف العريض الطويل وكنتم تتخذون للقناة زجا وسنانا حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه ويستعين بحمية فرسه وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخلف منها على مثل ما قدم فانما طعنكم الدره والنهزة والخلس والزج وكنتم تتائدون فى الحرب وقد علم ان الشركة ردية فى ثلاثة أشياء فى الملك والحرب والزوجة وكنتم لا تقاتلون بالليل ولا تعرفون البيات ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفاضة ولا الدراجة ولا يعرفون من

آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدباب ولا المخادق ولا الحسك ولا يعرفون الاقمية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود والتجافيف ولا الجواشن ولا الخود ولا السواعد ولا الاجراس ولا الوهق ولا الرمي بالمنجكان ولا الزرق بالنفط ولا النيران وليس لكم في الحرب صاحب علم يرجع اليه المنحاز ويتذكره المنهزم وقتالكم اما سلة واما مزاحفة والمزاحفة على مواعد متقدمة والسلة مسارقة وفي طريق الاستلاب والخلسة قالوا والدليل على انكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامري

ياشدة ماشددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

ويدلك على ذلك أيضا قول الحرث بن ضرار

وعمرو اذ أتانا مستميتا * كسونار أسه عضبا صقيلا

فلولا الليل ما آبوا بشخص * يخبر أهلهم عنهم قليلا

وقال أمية بن الاشكر ألم تر أن ثعلبة بن سعد * غضاب حبذا غضب الموالي

تركت مصرفا لما التقينا * صريعا تحت أطراف العوالي

ولولا الليل لم يغلب ضرار * ولا رأس الحمار أبو جفال

قلنا ليس لكم فيما ذكرتم في هذه الاشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن وهول الليل وربما تحاجز الفريقان وان كان كل واحد منهما يرى البيات ويرى أن يقاتل اذا بيتوه وهذا كثير والدليل على انهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك في قتل كعب بن مزيقيا الملك الغساني

وليلة تبع وخميس سعد * أتونا بعد ما غنا دبيبا

فلم نهدأ لبأسهم ولكن * ركبنا حدكوكبهم ركوبا

بضرب تفلق الهامات منه * وطعن يفصل الحلق الصليبا

وقال بشر بن أبي حازم فاما تميم تم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

يقول شربوا اللبن الرائب فسكروا منه وهو اللبن الذي قد أخرجت زبدته وقال عباض السدي

ونحن نجلنا الابن ميلاء نحره * بنجلاء من بين الجوانح تشهق

ويوم بني الذبان نال أخاهم * بارماحنا بالسبي موت محدق

ومنا حماة الجيش ليلة أقبلت * اياديز جيها الهمام محرق

وقال آخر وعلى شتير راح منا وائح * بأبي قبيصة كالفتيق المقرم

تردي بشر خاف المغادر بعدما * نشر النهار سواد ليل مظلم

وقال عباض بن السدي لحمام بسطام بن قيس بعدما * جنح الظلام بمثل لون العظلم

وقال أوس بن حجر باتوا يصيب القوم ضيفا لهم * حتى اذا ما ليلهم أظلما

فردهم شهباء ملمومة * مثل حريق النار أو أضرما

والله لولا قرزل مانجا * وكان مثوى خدك الاخرما
نجاك جياش هزيم كما * أجمت وسط الوبر الميسما

وبعد فهل قتل ذؤاب الاسدى عتيبة بن الحرث بن شهاب الاوسط الليل الاعظم حين تبعوهم فلحقوهم وكانوا اذا اجتمعوا للحرب دخنوا بالنهار وأوقدوا بالليل قال عمرو بن كلثوم وذكر واقعة لهم

ونحن غداة أوقد فى خزازى * رقدنا فوق رقد الراقدينا

وقال خمخام السدوسى

وانا بالصليب ببطن فخ * جميعا واضعين به لظانا
تدخن بالنهار لئيصرونا * ولانخفى على أحد أتانا

وأما قولهم لايعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الاصلت

واحرزنا المغانم واستبحنا * حمى الاعداء والله المعين
بغير خلابة وبغير مكر * مجاهرة ولم نخبأ كمين

وأما ذكرهم للركب فقد أجمعوا على ان الركب كانت قديمة الا ان ركب الحديد لم تكن فى العرب الا أيام الازارقة وكانت العرب لاتعود أنفسها اذا أرادت الركوب ان تضع أرجلها فى الركب وانما كانت تنزوا وتنزوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لاتخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع يقول أى لاتتكئ قوته مادام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غير ان يستعين بركاب وقال عمر الراحة عقلة واياكم والسمنة فانها عقلة ولهذه العلة قتل خالد بن سعيد بن العاصى حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله ولذلك قال عمر حين رأى المهاجرين والانصار لما أخصبوا وهم كثير منهم بمقاربة عيش العجم تعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وقال احفوا وانتعلوا فانكم لاتدرون متى تكون الجفلة وكانت العرب لاتدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج ولكنهم كانوا وان اتخذوا الركب فانهم لايستعملونها الا عند مالابد منه كراهية ان يتكلوا على بعض مايورثهم الاسترخاء والتفنج ويضاهؤن أصحاب السرفة والنعمة قال الاصمعى قال العمرى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكانما خلق على ظهر فرسه وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد وهو يومئذ ولى عهد هشام ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له أبوك يحسن مثل هذا فقال مسلمة لابى مائة عبد يحسنون مثل هذا فقال الناس لم ينصفه فى الجواب وزعم رجال من مشيختنا انه لم يقم أحد من بنى العباس بالملك الا وهو جامع لاسباب الفروسية وأما ماذكر وا فى شأن رماح العرب فليس الامر فى ذلك على مايتوهمون وللرماح طبقات فمنها النيزك ومنها المربوع ومنها المخموس ومنها التام ومنها الخطل وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لافراط طوله فاذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا فقال كان يخرج فى الليلة الصنبرة عليه الشملة الفلوت بين المزادتين النضوحين على الجمل الثفال

معتقل الرمح الخطل قالوا له وأبيك ان هذا لهو الجلد ولا يحمل الرمح الخطل منهم الا الشديد الايدى والمدل بفضل قوته عليه الذى اذا رآه الفارس فى تلك الهيئة هاب وحاد عنه فان شد عليه كان أشد لاستخدامه له والحال الاخرى ان يخرجوا فى الطلب بعقب الغارة فربما شد على الفارس المولى فيفوته بان يكون رمحه مربوعا أو مخموسا وعند ذلك يستعملون النيازك والنيزك أقصر الرماح واذا كان الفارس الهارب يفوت الفارس الطالب زجه بالنيزك وربما هاب مخالطة فيستعمل الزج دون الطعن صنيع ذواب الاسدى بعتيبة بن الحرث ابن شهاب وقال الشاعر

وأسمر خطيا كان كعوبه * نوى القسب قد أرمى ذراعا على العشر

وقال آخر هاتيك تحملنى وأبيض صارما * ومحربا فى مارن مخموس

وقال آخر تولوا وأطراف الرماح عليهم * بوادر مربوعاتها وطوالها

وهم قوم الغارات فيهم كثيرة وبقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب والفارس ربما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته قال كعب ابن مالك نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقال آخر اذا الكماة تنحوا ان ينالهم * حد الظباة وصلناها بايدينا

وقال رجل من بنى تميم يميز

وصلنا الرقاق المرهفات بخطونا * على الهول حتى امكنتنا المضارب

وقال حميد بن ثور الهلالى

ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا * اذا ظن ان السيف ذو السيف قاصر

وقال آخر الطاعنون فى النحور والكلى * شزرا ووصال السيوف بالخطا

وأما ما ذكروا من اتخاذ الزج لسافلة الرمح والسنان لعاليته فقد ذكروا ان رجلا قتل أخوين فى نقاب تقول العرب لقيته سقابا ونقابا أى مواجهة أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته وقدم فى ذلك راكب من قبل بنى مروان على قتادة يستثبت الخبر فاثبته له من قبله وقال الآخر ان لقيس عادة تعتادها * سل السيوف وخطى تزدادها

وقد وصفوا السيوف أيضا بالطول فقال عمارة بن عقيل

بكل طويل السيف ذى خبر زانه * جرى على الاعداء معتمد الشطب

وجملة القول انا لا نعرف الخطب الا للعرب والفرس وأما الهند فانما لهم معان مدونة وكتب مجلدة لا تضاف الى رجل معروف ولا الى عالم موصوف وانما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة وللبونانيين فلسفة وصناعة منطق وكان صاحب المنطق نفسه بكىء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون ان جالينوس كان أنطق الناس ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا

الجنس من البلاغة وفى الفرس خطباء الا ان كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فانما هو
عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكر ودراسة
الكتب وحكاية الثانى علم الاول وزيادة الثالث فى علم الثانى حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر
عند آخرهم وكل شئ للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكانه الهام وليست هناك معاناة
ولا مكابدة ولا اجالة فكرة ولا استعانة وانما هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز
يوم الخصام أو حين ان يمتح على رأس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة أو عند
صراع أو فى حرب فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذى اليه
يقصد فتأتيه المعانى أرسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه
أحد من ولده وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد
عندهم أظهر واكثر وهم عليه أقدر وأقهر وكل واحد فى نفسه أنطق ومكانه من البيان
أرفع وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من ان يفتقروا الى تحفظ
أو يحتاجوا الى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله
فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد
ولا تحفظ ولا طلب وان شيأ الذى فى أيدينا جزء منه لبالمقدار الذى لا يعلمه الا من أحاط
بقطر السحاب وعدد التراب وهو الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون ونحن أبقاك الله
اذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المنثور والاسجاع ومن
المزدوج وما لا يزدوج شفعنا العلم على ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة
والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى
البيان ان يقول فى مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل ونحن لا نستطيع ان نعلم ان
الرسائل التى فى أيدى الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة اذا كان
مثل ابن المقفع وسهل بن هرون وأبى عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان
لا يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير وأخرى انك متى أخذت
بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الاعراب الخلص ومعدن الفصاحة التامة ووقفته على شاعر
مفلق أو خطيب مصقع علم ان الذى قلت هو الحق وأبصر الشاهد عيانا فهذا فرق ما بيننا
وبينهم فتفهم عنى فهمك الله ما أنا قائل فى هذا واعلم انك لم ترقوما قط أشقى من هؤلاء
الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلا كا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من
أهل هذه النحلة وقد شفى الصدور منهم طويل جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار
الشنآن فى قلوبهم وغليان تلك المراجل الغائرة وتسعر تلك النيران المضطرمة ولو عرفوا
أخلاق كل ملة وزى كل لغة وعللهم فى اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيآتهم
وماعلة كل شئ من ذلك ولم اختلقوه ولم تكلفوه لاراحوا أنفسهم وتخففت مؤنتهم على

من خالطهم والدليل على ان أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومن معدن شريف ومن المواضع التي لا يعيبها الا جاهل ولا يعترض عليها الا معاند اتخاذ سليمان بن داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب فجعلها لتلك الخصال جامعة قال الله عز وجل وقوله الحق فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين والمنسأة هي العصا وقال أبو طالب حين قام بدم الرجل الذي ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما في حبل وتجاذبا

أمن أجل حبل لا أباك علوته * بمنسأة قد جاء حبل واحبل

وقال آخر اذا دببت على المنساة من كبر * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

قال أبو عثمان وانما بدأنا بذكر سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام لانه من أنبياء العجم والشعوبية اليهم أميل وعلى فضائلهم أحرص ولما أعطاهم الله أكثر وصفاوذكرا وقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى ان يفي بذلك بعلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما الى قوله ولا يفلح الساحر حيث أتى فلذلك قال الحسن بن هانئ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه فان تك من فرعون فيكم بقية * فان عصى موسى بكف خصيب

ألم تر ان السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم الا بالعصى ولا عارضهم موسى الا بعصاه وقال الله عز وجل وقال موسى يا فرعون اني رسول رب العالمين حقيق على الا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال الله عز وجل قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ألا ترى انهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصى والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في اعطاء البرهان ما جعل للعصا وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا وقال الله تبارك وتعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبر ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك في تلك العصا وانما العصا جزء من الشجرة وقال الله عز وجل والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وقالت الحكماء انما تبنى المدائن على الماء والكلأ

والحطب فجمع بقوله أخرج منها ماءها ومرعاها النجم والشجر والملح واليقطين والبقل والعشب فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى ثم قال على النسق متاعا لكم ولانعامكم فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله لان الملح لا يكون الا بالماء ولا تكون النار الا من الشجر وقال تبارك وتعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون وقال أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين والمرخ والعفار والسواس والعراجين وجميع عيدان النار وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غنى بنفسه بالغ للمقوى وغير المقوى وحجر المرو يحتاج الى قراعة الحديد وهما يحتاجان الى العطبة ثم الى الحطب والعيدان هى القادحة وهى المروية وهى الحطب قال الله عز وجل الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون والماعون الماء والنار والكلأ وقال الاسدى

وكأن أرحلنا بأوطس محصب * بلوى عنيزة من مقيل الترمس

فى حيث خالطت الخزامى عرفجا * ياتيك قابس أهلها لم يقبس

وانما وصف خصب الوادى ولدونة عيدانه ورطوبة الورق وهذا خلاف قوله

فان السنان بركب المرء حده * من العار أو يعدو على الاسد الورد

وان الذى بنهاكم فى طلابها * يناغى نساء الحى فى طرة البرد

يعال والايام تنقص عمره * كما ينقص النيران من طرف الزند

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال أصلها ثابت وفرعها فى السماء وذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة الحرم فقال لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها وقال الله عز وجل وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وتقول العرب ليس شئ ادفأ من شجرة ولا أظل من شجرة ولم يكلم الله موسى الا من شجرة وجعل أكثر آياته فى عصاه وهى من الشجرة ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحواء اذهما أصل هذا الخلق وأوله الا بشجرة ولذلك قال ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وجعل بيعة الرضوان تحت شجرة وقال وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وسدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى شجرة وشجرة سر تحتها سبعون نبيا لا تعبل ولا تسرف وحين اجتهد ابليس فى الاحتيال لآدم وحواء عليهما السلام لم يصرف الحيلة الا الى الشجرة وقال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وفيما ضرب من الامثال بالعصى قالوا قال جميل بن يصبهرى حين شكا اليه الدهاقون شر الحجاج قال أخبرونى أين مولده قالوا الحجاز قال ضعيف معجب قال فنشؤه قالوا الشام قال ذاك شر ثم قال ما أحسن حالكم ان لم تبتلوا معه بكاتب منكم يعنى من أهل بابل فابتلوا بزاذان فروخ الاعور ثم ضرب لهم مثلا فقال ان فاسا ليس فيها عود الا فى بين الشجر فقال بعض الشجر لبعض ما ألقى هذا هنا لخير قال فقالت شجرة عادية ان لم يدخل فى أست هذا

منكن عود فلا تخفنه وقال يزيد بن مفرغ

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

قالوا أخذه من الفلتان الفهمى حيث قال

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الاشارة

وقال مالك بن الريب العبد يقرع بالعصا * والحر يكفيه الوعيد

وقال بشار الحر يلحى والعصا للعبد * وليس للملحف مثل الرد

وقال آخر حاولت حين صرمتنى * والمرء يعجز لا محاله * والدهر يلعب بالفتى

والدهر أروغ من ثعاله * والمرء يكسب ماله * بالشح يورثه الكلاله

والعبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه المقاله

ومما يدخل فى باب الانتفاع بالعصا ان عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته ان تقرع بالعصا اذا هو فه عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صخر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس بن مليل الاياديين وكان يقال لعامر ذو الحلم ولذلك قال الحرث بن وعلة وزعمتم ان لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم

وقال المتلمس لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وقال الفرزدق بن غالب

فان كنت انسانى حلوم مجاشع * فان العصا كانت لذى الحلم تقرع

ومن ذلك حديث سعيد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة واعتزام الملك على قتل أخيه ان هو لم يصب ضميره فقال له سعيد أبيت اللعن أتذعنى حتى أقرع بهذه العصا أختها فقال له الملك وما علمه بما تقول العصا فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فاخبره ونجا من القتل وذكر العصا يجرى عندهم فى معان كثيرة تقول العرب العصا من العصية والافعى بنت حية تريد أن الامر الكبير يحدث عن الامر الصغير ويقال طارت عصا فلان شققا وقال الاسدى عصى الشمل من اسد أراها * قد انصدعت كما انصدع الزجاج

يقال فلان شق عصا المسلمين ولا يقال شق ثوبا ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق وقال العتابى فى مديح بعض الخلفاء

امام له كف تضم بنانها * عصا الدين ممنوع من البرى عودها

وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليه قربها وبعيدها

وقال المضرس الاسدى

وألقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وقال المضرس أيضا

فالقت عصا التسيار عنها وخيمت * بارجاء عذب الماء بيض محافره

يقال لبنى أسد عبيد العصا يعنى انهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء قال بشر ابن أبى حازم عبيد العصا لم يتقوك بذمة * سوى شيب سعدان شيبك واسع

وتسمى العرب كل صغير الرأس العصا وكان عمر بن هبيرة حقير الرأس قال سويد

فمن مبلغ رأس العصا ان بيننا * ضغائن لا تنسى وان قدم الدهر

وقال آخر فمن مبلغ رأس العصا ان بيننا * ضغائن لا تحصى وان قيل سلت

رضيت لقيس بالقليل ولم تكن * أخا راضيا لو أن نعلك زلت

وكان والبة حقير الرأس فقال أبو العتاهية فى رأس والبة ورؤس قومه

رؤس عصى كن من عود أثلة * لها قادح يفرى وآخر مجرب

والدليل على انهم كانوا يتخذون الخاصر فى مجالسهم كما يتخذون القنا والقسى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء

فى كفه خيزران ريحها عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

وقال الآخر مجالسهم خفض الحديث وقولهم * اذا ما قضوا فى الامر وحى المخاصر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة * اذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

قال وحدثنى بعض أصحابنا قال كنا منقطعين الى رجل من كبار أهل العسكر وكان لبثنا عنده يطول فقال بعضنا ان رأيت أن تجعل لنا أمارة اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذى قلنا لك فقال امارة ذلك ان أقول اذا شئتم وقيل ليزيد مثل ذلك فقال اذا قلت على بركة الله وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال اذا ألقيت الخيزرانة من يدى قالوا فاى شئ تجعل لنا أصلحك الله قال اذا قلت يا غلام الغداء وفى الحديث أن رجلا ألح على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله أقصنى فلما كشف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه وفى تثبيت شان العصى وتعظيم أمرها والطعن على ذم حاملها قالوا كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال أولها السواد وهو سرار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذنك على ان يرفع الحجاب وتسمع سوادى وكان معه مسواك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت معه عصاه قال ودخل عمر بن سعد على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل حمص وليس معه الا جراب واداوة وقصعة وعصاة فقال له عمر ما الذى أرى بك من سوء الحال أم تصنع قال وما الذى ترانى اولست ترانى صحيح البدن معى الدنيا بحذافيرها قال وما معك من الدنيا قال معى جرابى احمل فيه زادى ومعى قصعتى اغسل فيها ثوبى ومعى اداوتى احمل فيها ما ئى لشرابى ومعى عصاى ان لقيت عدوا قاتلته وان لقيت

حية قتلتها وما بقى من الدنيا فهو تبع لما مضى وقال الهيثم بن عدى عن الشرقى بن القطامى وسأله سائل عن قول الشاعر

لا يعدلن أتاويون تضربهم * نكباء صر باصحاب المحلات

قال أليس المحلات الدلو والمقدحة والقربة والفاس قال فاين أنت عن العصا والصفن خير من الدلو الجمع وقال النمر بن تولب

أفرغت فى حوضها صفنى لتشربه * فى داثر خلق الاعضاء اهدام

وأما العصا فلو شئت ان أشغل مجلسى كله بخصالها لفعلت وتقول العرب فى مديح الرجل الجلد الذى لا يفتات عليه بالرأى ذلك الفحل لا يقرع أنفه وهذا كلام يقال للخاطب اذا كان على هذه الصفة لان الفحل اللئيم اذا أراد الضراب ضرب أنفه بالعصا وقد قال ذلك أبو سفيان بن حرب بن أمية عند ما بلغه من تزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بام حبيبة وقيل له مثلك تنكح نساؤه بغير اذنه فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه والحمار الفاره يفسده الصوت وتصلحه المقرعة وأنشد لسلامة بن جندل

انا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

وقال الحجاج والله لأعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وذلك لان الاشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان ودخل أبو مجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصى فقال أيها الامير ان الله قد جعل لكل شئ قدرا ووقت فيه وقتا فالعصى للانعام والبهائم والسيوط للحدود والتعزير والدرة للادب والسيف لقتال العدو والقود ثم قال الشرقى دعنا من هذا خرجت من الموصل وأنا أريد الرقة مستخفيا وانا شاب خفيف الحال فصحبنى من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله فذكر انه تغلبى من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمى بها فى بعض الاودية فكنا نمشى فاذا اصبنا دوابا ركبناها واذا لم نصب الدواب مشينا فقلت له فى شأن عصاه فقال لى ان موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه حين آنس من جانب الطور نارا وأراد الاقتباس لاهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الا ومعه عصاه فلما صار بالوادى المقدس من البقعة المباركة قيل له القى عصاك واخلع نعلك فرمى نعليه راغبا عنهما حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكى وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته فى عصاه ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف انسان ولا جان قال الشرقى انه ليكثر من ذلك وانى لاضحك منها وانبا يقول فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى فكان حماره يمشى فاذا تلكأ أكرهه بالعصا وكان حمارى لا ينساق واعلم انه ليس فى يدى شئ يكرهه فسبقنى الفتى الى المنزل فاستراح وأراح ولم أقدر على البراح حتى وافانى المكارى فقلت هذه واحدة فلما أردنا الخروج من

الغد لم نقدر على شئ نركبه فكنا نمشى فاذا أعيى توكأ على العصا وربما حفر ووضع العصا على وجه الارض فاعتمد عليها ومركانه سهم وألح حتى انتهينا الى المنزل وقد تفسخت من الكلال واذا فيه فضل كبير فقلت هذه ثانية فلما كان فى اليوم الثالث ونحن نمشى فى أرض ذات اخاديق وصدوع اذ هجمنا على حية منكرة فساورتنا فلم تكن عندى حيلة الا خذلانه واسلامه اليها والهرب منها فضربها بالعصا فثقلت فلما بهشت له ورفعت صدرها ضربها حتى وقذها ثم ضربها حتى قتلها قلت هذه ثالثة وهى أعظمهن فلما خرجنا فى اليوم الرابع والله قرمت الى اللحم وأنا ارب معدم اذا أرنب قد اعترضت فخذها فما شعرت والله الا وهى معلقة وأدركناذكاتها فقلت هذه رابعة واقبلت عليه لوان عندنا نارا لما أخرت اكلها الى المنزل قال فان عندك نارا فأجرج عويدا من مزوده ثم حكه بالعصا فاورت ايراء المرخ والعفار عنده لا شئ ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش واوقد ناره وألقى الارنب فى جوفها فاخرجنا وقد لزق بها من الرماد والتراب ما نغصها الى فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها واعراضها ضربا رقيقا حتى انتشر كل شئ عليها فاكلناها وسكن القرم وطابت النفس فقلت هذه خامسة ثم انا نزلنا بعض الحانات واذا البيوت ملاى رؤثا وترابا ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم فلم نجد موضعا نظل فيه فنظر الى حديدة مسحاة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نصابا لها ثم قام فجرب جميع ذلك الروث والتراب وجرد الارض بها جردا حتى ظهر بياضها وطابت ريحها فقلت هذه سادسة وعلى أى حال لم تطب نفسى أن أضع طعامى وثيابى على تلك الارض فنزع والله العصا من حديدة المسحاة فوتدها فى الحائط وعلق ثيابى عليها فقلت هذه سابعة فلما صرت الى مفرق الطرق واردت مفارقته قال لى لو عدلت معى فبت عندى كنت قد قضيت حق الصحبة والمنزل قريب فعدلت معه فادخلنى فى منزل يتصل ببيعة قال فما زال يحدثنى ويطرفنى ويلطفنى الليل كله فلما كان السحر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله واذا هو أحذق الناس بضربه فقلت له ويلك اما أنت مسلم وانت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم قال بلى قلت فلم تضرب بالناقوس قال جعلت فداك ان أبى نصرانى وهو صاحب البيعة وهو شيخ ضعيف فاذا شهدته برزته بالكفاية واذا هو شيطان مارد واذا اظرف الناس كلهم وأكثرهم أدبا وطلبا فخبرته بالذى أحصيته من خصال العصا بعد ان كنت هممت ان أرمى بها فقال والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا الى الصبح لما استنفدتها ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق تفسير شعر غنية الاعرابية فى شأن ابنها وذلك انها كان لها ابن شديد العرامة كثير التلفت الى الناس مع ضعف اسر ودقة عظم فواثب مرة فتى من الاعراب فقطع الفتى انفه وأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت الدية فزادت دية

أذنه فى المال وحسن الحال ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته فلما رأت ما قد صار عنده من الابل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها

أحلف بالمروة يوما والصفا * انك خير من تفاريق العصا

فقال لابن الاعرابى ما تفاريق العصا قال العصا تقطع ساجورا وتقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا فان كان رأس الشظاظ كالفلكة صار للبختى مهارا وهو العود الذى يدخل فى أنف البختى واذا فرق المهار جاءت منه تواد والسواجير تكون للكلاب والاسراء من الناس وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بناس من ههنا يقادون الى حظوظهم بالسواجير واذا كانت قناة فكل شقة منها قوس بندق قال فان فرقت الشقة صارت سهاما فان فرقت السهام صارت حظاء وهى سهام صغار قال الطرماح كحظاء الغلام والواحدة حظوة وسروة فان فرقت الحظاء صارت مغازل فان فرقت المغزل شعب به الشعاب اقداحه المصدوعة المشقوقة على انه لا يجد لها أصلح منها وقال الشاعر

نوافذ أطراف القنا قد شككته * كشكك بالشعب الاناء المثلما

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الاوساط والصغار ما لا يحصيه أحد واذا فرقت ففيها مثل الذى ذكرنا وأكثر فأى شئ يبلغ فى المرفق والرد مبلغ العصا وفى قول موسى على نبينا وعليه السلام ولى فيها مآرب أخرى دليل على كثرة المرافق فيها لانه لم يقل ولى فيها مأربة أخرى والمآرب كثيرة فالذى ذكرنا قبل هذا داخل فى تلك المآرب ولا نعرف شعرا يشبه معنى شعر غنية بعينه لا يغادر منه شيأ ولكن زعم أصحابنا أن اعرابيين ظريفين من شياطين الاعراب حطمتهما السنة فانحدرا الى العراق واسم أحدهما حيدان فبينما هما يتماشيان فى السوق فاذا فارس قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع أصبعا من أصابعه فتعلق به حتى أخذ منه ارش الاصبع وكانا جائعين مقرورين فحين صار المال فى أيديهما قصد البعض الكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتهيا فلما أكل صاحب حيدان فشبع أنشأ يقول

فلا غرث ما كان فى الناس كربج * وما بقيت فى رجل حيدان أصبع

وهذا الشعر وشعر غنية من المظرف الناصع الذى سمعت به وظرف الاعراب لا يقوم له شئ وناس كثير لا يستعملون فى القتال الا العصا منهم الزنج قبيلة كنجوبة والنمل والكلاب وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون فى حروبهم ومنهم النبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة وأثقف ما تكون الاكراد اذا قاتلت بالعصى وقتال المخارجات كلها بالعصى ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب والناس يضربون المثل بقتال البقار بقناته ويقال فى المثل ما هو الا ابنة عصا وعتدة رشا ويقال للراعى انه لضعيف العصا اذا كان قليل الضرب بها للابل شديد الاشفاق عليها قال الراعى

ضعيف العصا بادي العروق ترى له * عليها اذا ما اجدب الناس أصبعا

واذا كان الراعي جلدا قويا عليها قالوا صلب العصا ولذلك قال الراجز

* صلب العصا باق على آذاتها * وقال الآخر في معنى الراعي * لا تضربا وأشهرا العصيا *

ويقولون قد أقبل فلان ولا نت عصاه اذا أصابه السواف فرجع وليس معه الا عصاه لانه لا يفارقها كانت له ابل أم لا ويقولون كلما قرعت عصا بعصا وعصا على عصا وعصا عصا قالوا أخذوا فلانا بذلك وقال حميد بن ثور

اليوم تنتزع العصا من ربها * ويلوك ثنى لسانه المنطيق

ويكتب مع قوله

تخشى العصا والزجر ان قيل حل * يرسلها التغميض ان لم ترسل

وقال آخر

هذا وورد بزل وسدس * يغلى بها كل مميم مرغس

ردت من الغور واكناف الرسى * من عشب احوى وحمض مورس

وزائد جلد العصا وكهمس * ان قيل قم قام وان قيل اجلس

* داست سماطى عفر مدعس *

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بشامة بن حزن النهشلى

فدا لرعاء بالجبيرة دينوا * باعصيهم والماء برد المشارب

الا نعيم لا تجوز بحوضه * فقلت تحلل يا نعيم بن قارب

فان زيادا لم يكن ليردها * وسبرة عن ماء النضيح المقارب

أغرك أن جاءت ظمأ وباشرت * بأعناقها برد النصاب الصباصب

تناولن ما فى الحوض ثم امتذينه * بجذع وأعناق طوال الذوائب

ويقولون فلان ضعيف العصا اذا كان لا يستعمل عصاه ولذلك قال البعيث

وأنت بذات السدر من أم سالم * ضعيف العصا مستضعف متهضم

وقال الآخر

وما صاديات حن يوما وليلة * على الماء يخشين العصى حوان

لوائب لا يصدرن عنه بوجهة * ولا هن من برد الحياض دوان

يرين حباب الماء والموت دونه * فهن لاصوات السقاة روان

باوجع منى جهد شوق وغلة * اليك ولكن العدو عدانى

وقال الآخر

فما وجد ملواح من الهيم حلئت * عن الماء حتى جوفها يتصلصل

تحوم وتغشاها العصى وحولها * اقاطيع انعام تعل وتنهل

باعظم منى غلة وتعطفا * الى الورد الا اننى اتحمل

ويقال ضرب فلان ضرب غرائب الابل وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب وقال الحرث بن صخر

بضرب يزيل الهام عن سكناته * كما ذيد عن ماء الحياض الغرائب

وقال الآخر للهام ضرابون بالمناصل * ضرب المذيد غرب النواهل

وقال ابن احمر رود الشباب كانها غصن * بحرام مكة ناعم نضر

وقال الآخر اماترينى قائما فى جل * جم الفتوق خلق همل * محاذرا أبغض عن تحتل عند اعتلال دهرك المعتل * فقد أرى فى اليلق الرفل * أصون للانس جميل الدل

* لدنا كخوط البانة المتبل *

وتكون العصا محراثا وتكون مخصرة وتكون المخصرة قضيب حبرة وعود ساجور ثم تكون تودية ويقال للرجل اذا كانت فيه ابنة فلان يخبأ العصا وقال الشاعر

زوجك رجل صالح لكنه يخبأ العصا)

وفى الامثال تحذفه بالقول كما تحذف الارنب بالعصا وقال اياس بن قتادة العبشمى

سانحرا ولاها واحذف بالعصا * على أثرها انى لما قلت عازم

قال ابن كناسة فى شرط الراعى على صاحب الابل ليس لك ان تذكر أمى بخير ولا شر ولك حذفى بالعصا عند غضبك أصبت أم أخطأت ولى مقعدى من النار وموضع يدى من الحار والقار كان العتبى يحدث فى هذا الحديث بين أحدهما قوله عن الاعرابى وكان اذا خرست الالسن عن الرأى حذف بالصواب كما تحذف الارنب بالعصا وأما الحديث الآخر فذكران قوما أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابيا يدلهم على الطريق فقال انى والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم وأشرط عليكم قالوا له فهات مالك قال يدى مع أيديكم فى الحمار والقار ولى موضعى من النار موسع على ما فيه وذكر والدى عليكم محرم قالوا فهذا لك فما لنا عليك ان أذنبت قال اعراضة لا تؤدى الى تعب وعتب وهجرة لا تمنع من مجامعة السفرة قالوا فان لم تعتب قال فحذفة بالعصا اخطأت أم أصابت وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وانما قرأتهما فى بعض الكتب من المستحدثين ولاهل المدينة عصى فى رؤسها عجر لا تكاد اكفهم تفارقها اذا خرجوا الى ضياعهم ومتنزهاتهم ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة وكان الافشين يقول اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤس عظمائهم بالدبوس والدبوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عجرة وقال جحشويه

يارجلا هام بلياد * معتدل كالغصن مياد * هام به غسان لما رأى

ايرالهه مثل عصا الحادى * ولم يزل يهوى أبو مالك * كل فتى كالغصن مناآد

يعجبه كل متين القوى * للطعن فى الادبار معتاد

وقالوا تغميض الناقة عينها كى تركب العصا الى الحوض وهو معنى قول أبى النجم

تغشى العصا والزجر ان قيل حل * يرسلها التغميض ان لم ترسل

وهذا مثل قول الهذلى

ولانت أشجع من اسامة اذ * شدوا المناطق فوقها الحلق * حد السيوف على عواتقهم
وعلى الاكف ودونها الدرق * كغمائم الشيران بينهم * ضرب تغمض دونه الحلق
وقال حميد بن ثور الهلالى

اليوم تنتزع العصا من ربها * ويلوك ثنى لسانه المنطيق

يقال رجل كالقناة وفرس كالقناة وقال الشاعر

متى ما يجى يوما الى المال وارثى * يجد جمع كف غير ملاى ولا صفر
يجد فرسا مثل القناة وصارما * حساما اذا ما هز لم يرض بالهبر

وجاء فى الحديث أجدبت الارض على عهد عمر رضى الله تعالى عنه حتى ألقت الرعاة العصا وعطلت النعم وكسر العظم فقال كعب يا أمير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا أصابتهم السنة استسقوا بعصبة الانبياء فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب وساورت حية اعرابيا فضربها بعصا وسلم منها فقال

لولا الهراوة والكفان انهلنى * حوض المنية قتال لمن وردا

وقال الآخر دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبى لها غير آنف
فناولنى خشناء لما لمستها * بكفى ليست من اكف الخلائف
من الشثنات الكزم انكرت لمسها * وليست من البيض الرقاق اللطائف
معاودة حمل الهراوى لقومها * فرورا اذا ما كان يوم التسايف

وقال الحجاج بن يوسف لانس بن مالك والله لاقلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك عصب السلمة ولاجودنك تجريد الضب وقال عمر رضى الله تعالى عنه لابى مريم الحنفى والله لاأحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح لان الارض لا تقبل الدم فاذا جف الدم تقلع جلبا وقد أسرف المتلمس حيث يقول احارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

وأشد سرفا منه قول أبى بكر الشيبانى قال كنت أسير مع بنى عم لى من بنى شيبان وفينا من موالينا جماعة فى أيدى التغالبة فضربوا أعناق بنى عمى وأعناق الموالى على وهدة من الارض فكنت والذى لا اله الا هو أرى دم العربى يتميز من دم الموالى حتى أرى بياض الارض بينهما فاذا كان هجينا قام فوقه ولم يعتزل وأنشد الاصمعى

يذدن وقد ألقيت فى قعر حفرة * كما ذيد عن حوض العراك غرائبه

وقال العباس بن مرداس

نقاتل عن أحسابنا بر ماحنا * فنضربهم ضرب المذيد الحوامسا

وقال الفرزدق بن غالب

ذكرت وقد كادت عصا البين تنشظى * خيالك من سلمى وذو اللب ذاكر

وقال الاسدى اذا المرء اولاك الهوان فاوله * هوانا وان كانت قريبا أواصره

ولا تظلم المولى ولا تضع العصا * على الجهل ان طارت اليك بوادره

وقال جرير بن عطية

الا رب مصلوب حملت على العصا * وباب استه عن منبر الملك زائل

وقالوا فى مديح العصا نفسها مع الاغصان وكرم جوهر العصى والقسى

اذا قامت لسجنها تثنت * كان عظامها من خيزران

وقال المؤبل بن أثيل

والقوم كالعيدان يفضل بعضهم * بعضا كذلك يفوق عود عودا

لو يستطيع عن القضاء حيادة * وعن المنية ان تصيب محيدا

كانت تقيد حين تنزل منزلا * فالآن صار لها الكلال قيودا

وقال آخر وأسلمها الباكون الا حمامة * مطوقة ورقاء بان قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة * يكاد يدنيها من الارض لينها

وقال الآخر الا أيها الركب المخبون هل لكم * باخت بنى هند عتيبة من عهد

أألقت عصاها واستقرت بها النوى * بارض بنى قابوس أم ظعنت بعدى

وقال الآخر الا هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على غصن غض النبات من الرند

وقال آخر فى امرأة رآها فى شارة وبزة فظن بها جمالا فلما سفرت فاذا هى غول فقال

وأظهرها ربى بمن وقدرة * على ولولاذاك مت من الكرب

فلما بدت سبحت من قبح وجهها * وقلت لها الساجور خير من الكلب

وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بقوم من هنا يقادون الى حظوظهم فى السواجير والساجور يسمى الزمارة قالوا وفى الحديث فاتى الحجاج بسعيد بن جبير وفى عنقه زمارة

وقال بعض المسجنين ولى مسمعان وزمارة * وظل مديد وحصن امق

وكم عائد لى وكم زائر * لو أبصرنى زائرا قد شهق

المسمعان القيدان وسمى الغل الذى فى عنقه زمارة وأما قول الوليد

اسقنى يا زبير بالقرقاره * قد ظمينا وحنت الزماره

اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد أحاطت فما لها كفاره

فالزمارة ههنا المزمار وقال أيضا صاحب الزمارة فى صفة السجن

فبت باحصنها منزلا * ثقيلا على عنق السالك * ولست بضيف ولا فى كراه

ولا مستعير ولا مالك * ولى مسمعان فادناهما * يغنى ويمسك فى الحالك

وليس بغصب ولا كالرهون * ولا يشبه الوقف عن هالك * وأقصاهما ناظر فى السما

* عمدا وأوسخ من عارك *

المسمعان ههنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس قال أخبرنى الكلابى قال قاتلت

بنو عم لى بعضهم بعضا فجعل بعضهم ينضم الى بعض لو اذا منى وليس لى فى ذلك هجير الا قولى

قد جعلت تأوى الى جثمانها * وكرسها العادى من أعطانها

فلما طلبوا القصاص قلت دونكم يا بنى عمى حقكم فنحن اللحم وأنتم الشفرة ان وهبتم شكرت وان اعتقلتم عقلت وان اقتصصتم صبرت قال سألت يونس عن قوله نسيا منسيا قال تقول العرب اذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه انظروا الى انسائكم وهى العصا والقدح والشظاظ والحبل قال فقلت انى ظننت ان هذه الاشياء لا ينساها أربابها الا لانها أهون المتاع عليهم قال ليس ذلك كذلك والمتاع الجم فى يذكر بنفسه وصغار المتاع تذهب عنها العيون وانما تذهب نفوس العامة الى حفظ كل شئ ثمين وان صغر جسمه ولا يقفون على اقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد المحلات فى الاسفار وقال يونس المنسى ما تقادم العهد به ونسى حينا لهوانه ولم تكن مريم لتضرب المثل فى هذا الموضع بالاشياء النفيسة التى الحاجة اليها أعظم من الحاجة الى الشئ الثمين فى الاسواق وقال الاشهب بن رميلة أو نهشل بن حرى

قال الاقارب لا تغرركم كثرتنا * وأغن نفسك عنا أيها الرجل

عل بنى يشدد الله أعظمهم * والنبع ينبت قضبانا فيكتهل

وكان فرس الاخنس بن شهاب يسمى العصا والاخنس فارس العصا وكان لجذيمة الابرش فرس يقال لها العصا ولبنى جعفر بن كلاب شحمة والغدير والعصا فشحمة فرس جزء ابن خالد والعصا فرس عوف بن الاحوص والغدير فرس شريح بن الاحوص والعصا أيضا فرس شبيب بن كعب الطائى وقال بعضهم أو بعض خطبائهم

وليس عصاة من عراجين نخلة * ولا ذات سير من عصى المسافر

ولكنها اما سألت فنبعة * ومبراة شيح من جياد المخاصر

والرجل يتمنى اذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول لو كان فى العصا سير وكذلك قال حبيب بن أوس مالك من همة وعزم * لو انه فى عصاك سير * رب قليل جدا كثيرا

كم مطر بدوه مطير * صبرا على النائبات صبرا * ما فعل الله فهو خير

واذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت من يده اذا نعس وسئل عن قوله ولى فيها مآرب أخرى قال لست أحيط بجميع ما آرب موسى عليه السلام ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب الحاجة الى العصا من ذلك انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة فى زمن هيج الفحول وكذلك فحول الحجور فى المروج ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المدنف والاقطع الرجل والاعرج فانها تقوم مقام رجل أخرى وقال اعرابى مقطوع الرجل

الله يعلم انى من رجالهم * وان تخددن متنى اطمارى

وان رزئت يدا كانت تجملنى * وان مشيت على زج ومسمار

والعصا تنوب للاعمى عن قائده وهى للقصار والفاشكار والدباغ ومنها المفأدة للملة ومحراك

للتنور قال الشاعر

اذا كان ضرب الخبز مصحابخرقة * واخمد دون الطارق المتنور

كانه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد انضج خبزته يصفه بالبخل وهى لدق الجص والجبين والسمسم قال الشماخ بن ضرار * وجرشواء بالعصا غير منضج *
ولخبط الشجر وللفيج وللكارى فانهما يتخذان المخاصر فاذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا فى حضرهما وهرولتهما فى أصناف ذلك بالاعتماد على وجه الارض وهى تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم ويتخذها الراعى لغنمه وكل راكب لمركبه ويدخل عصاه فى عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل وتكون ان شئت وتدا فى حائط وان شئت ركزتها فى الفضاء وجعلتها قبلة وان شئت جعلتها مظلة وان جعلت فيها زجا كانت عنزة وان زدت فيها شيأ كانت عكازا وان زدت فيها شيأ كانت مطرادا وان زدت فيها شيأ كانت رمحا والعصا تكون سوطا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب بالقضيب وكفى بذلك دليلا على عظم غنائها وشرف حالها وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء وقد كان مروان ابن محمد حين أحيط به دفع البرد والقضيب الى خادم وأمره أن يدفنهما فى بعض تلك الرمال ودفع اليه بنتاله وأمره أن يضرب عنقها فلما أخذ الخادم فى الاسرى قال ان قتلتموه ضاع ميراث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم وقال فى صفة قناة

واسمر عانق فيه سنان * شراعى كساطعة الشعاع

وقال آخر هونة فى العنان تهتز فيه * كاهتزاز القناة تحت العقاب

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر

للهام ضرابون بالمناصل * ضرب المذيد غرب النواهل

وقال عباس بن مرداس

نطاعن عن احسابنا برماحنا * ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا

قال الآخر دافع عنها جلبى وحشى * فهو كعود النبأة الاجش

وقال نصيب الاسود

ومن يبق مالا عدة وصيانة * فلا الدهر مبقيه ولا الشح وافره
ومن يك ذا عود صليب يعده * ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

وقال آخر تخيرت من نعمان عودا أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
خليلى عوجا بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجارنا * ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

وقال الآخر وتلك ثيابى لم تدنس بغدرة * ووردى زنادى فى ذرى المجد ثاقب

ولو صادفت عودا سوى عود نبعة * وهيهات افنية الخطوب النوائب

وقال الآخر عصا شربانة دهنت بزبد * تدق عظامه عظما فعظما

وليس هذا مثل قول لقيط بن زرارة

اذا دهنوا رماحهم بزيت * فان رماح تيم لا تضير

وقال صالح بن عبد القدوس لا تدخلن بغيبة * بين العصا ولحائها

وقال شبل بن معبد البجلي

برتني صروف الدهر من كل جانب * كما ينبري دون اللحاء عسيب

وقال أوس بن حجر لحوتهم لحو العصا فطردتهم * الى سنة جرذانها لم تحلم

وقال الرقاشي في صفة القناة التي تبرى منها القسي

من شقق خضر بروصيات * صفر اللحاء وحلوفيات * جدلن حتى أضن كالحيات

وشائقات غير مؤنبات * آنقهن متطرات * عمرو بن عصفور على استثبات

وقال محمد بن يسير ومثمر بن عن السواعد حسر * عنها بكل دقيقة التوتير

ليس الذي تشوى يداه رمية * فيهم بمعتذر ولا معذور

عطف السيات موانع في عطفها * تعزى اذا نسبت الى عصفور

ذهب الى قوله * في كفه معطية منوع * وهذا مثل قوله * خرقاء الا أنها صناع *

وهذا مثل قوله * غادر رداء ونجا صحيحا * ومثل قوله * حتى نجا من جوفه وما نجا *

واذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجناء وقال الاسدي

انا ابن الحالدين اذا تلاقى * من الايام يوم ذو ضجاج

كان اللعب والخطباء فيه * قسي مثقف ذات اعوجاج

وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار

فاضحت تفالا بالستار كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

وقال العماني عات يرى ضرب الرجال مغنما * اذا رأى مصدقا تجهما

وهز في الكف وأبدى معصما * هراوة بنبعة أو سلما * تترك ما رام رفاتا رمما

وقال أمية بن الاسكر هلا سألت بنا ان كنت جاهلة * ففي السؤال من الاعياء شافيها

تخبرك عنا معدان هم صدقوا * ومن قبائل نجران يمانيها

وبالجياد نجر الخيل عابسة * كان مذرورها في هواديها

قوم اذا فزع الاقوام طاف بهم * ألقى العصا عصا الجهل باريها

قال والرجل اذا لم يكن معه عصا فهو باهل وناقة باهل وباهلة اذا كانت بغير صرار وقال الراجز

ابهلها اذا يدها وسبحا * ودقت المركوحتى ابلندحا

احتجنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصى عند ذكر العصا وتصرفها

فى المنافع والذى نحن ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثير ماذكرناه فى كتاب العرجان فان أردتموه فهو هناك موجود ان شاء الله تعالى قالوا ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الاسدى لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه هابه أهل الكوفة واتقى لسانه الصغير والكبير وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه فترك الوقوف بابوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا يؤخر لقراءة الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ماقدر وأوفر ماقل فقال يحيى بن نوفل

عصاحكم فى الدار أول داخل * ونحن على الابواب نقصى ونحجب

وأما قول بشر بن أبى حازم

لله در بنى حداء من نفر * وكل جار على جيرانه كلب

اذا غدوا وعصى الطلح أرجلهم * كما تنصب وسط البيعة الصلب

وانما يعنى انهم كانوا عرجا فارجلهم كعصى الطلح وعصى الطلح معوجة وكذلك قال معدان الاعمى فى قصيدته الطويلة التى صنف فيها الغالية والرافضة والتميمية والزيدية

والذى طفف الجدار من الذعر * وقد بات قاسم الانفال

فغدا خامعا بوجه هشيم * وبساق كعود طلح بال

وقال بعض العرجان ممن جعل العصا رجلا

ما للكواعب يادهماء قد جعلت * تزورعنى وتلقى دونى الحجر

لا اسمع الصوت حتى استدير له * ليلا طويلا يناغينى له القمر

وكنت أمشى على رجلين معتدلا * فصرت أمشى على رجل من الشجر

وقال رجل من بنى عجل

وشى بى واش عند ليلى سفاهة * فقالت له ليلى مقالة ذى عقل

وخبرها انى عرجت فلم تكن * كورها تجتر الملامة للبعل

ومابى من عيب الفتى غير اننى * جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلى

وقال أبو ضبة فى رجله

وقد جعلت اذا ماغمت أوجعنى * ظهرى وقت قيام الشارف الظهرى

وكنت أمشى على رجلين معتدلا * فصرت أمشى على رجل من الشجر

وقال أعرابى من بنى تميم

ومابى من عيب الفتى غير اننى * ألفت قناتى حين أوجعنى ظهرى

قال ودخل الحكم بن عبدل الاسدى وهو أعرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج وكان صاحب شرطه أعرج فقال ابن عبدل

ألق العصى ودع التخادع والتمس * عملا فهذى دولة العرجان

لامیرنا وأمیر شرطتنا معا * لکلیهما یاقوم نار جلان
فاذا یکون أمیرنا ووزیرنا * وانا فان الرابع الشیطان

ومما یدلك علی ان للعصا موقعا منهم وانها تدور مع أکثر أمورهم قول مزرد بن ضرار

فجاء علی بکر ثقال یکده * عصاه استه وحی العجابة بالفهر

و یقولون اعتصی بالسیف اذا جعل السیف عصا وانما اشتقوا للسیف اسما من العصا لان عامة المواضع التی تصلح فیها السیوف تصلح فیها العصا ولیس کل موضع تصلح فیه العصا یصلح فیه السیف وقال الآخر

ونحن صددنا هامة بن محرق * کذلك نقضی بالسیوف الصوارم

وقال عمرو بن الاطنابة وفتی یضرب الکتیبة بالسیف * اذا کانت السیوف عصیا

وقال عمرو بن محرز نزلوا الیهم والسیوف عصیهم * وتذکروا دمنا لهم وذحولا

وقال الفرزدق بن غالب بن همام

ان ابن یوسف محمود خلائقه * سیان معروفه فی الناس والمطر
هو الشهاب الذی یرمی العدو به * والمشرفی الذی تعصی به مضر

یقال عصی بالسیف واعتصی به قال العریان بن الاسود فی ابن له مات

ولقد تحمل المشاة کریما * لین العود ماجدا لاعراق
ذاك قولی ولا کقول نساء * معولات یبکین للاوراق

کتب عمرو بن العاصی الی عمر بن الخطاب رضی الله تعالی عنه ان البحر خلق عظیم یرکبه خلق صغیر کأنهم دود علی عود وقال واثلة السدوسی

رأیتك لما شبت أدرکك الذی * یصیب سراة الازد حین تشیب
سفاهة احلام وبخل بنائل * وفیك لمن عاب المزون عیوب
لقد صبرت للذل اعواد منبر * تقوم علیها فی یدیك قضیب
وقد أوحشت منهم رساتیق فارس * وفی المصر دورجة ودروب

وأنشد الاصمعی أعددت للضیفان کلباضاریا * وهراوة مجلوزة من ارزن
ومعاذرا کذبا وجها باسرا * وتشکیا عض الزمان الالزن
وشذاة مرهوب الاذی قاذورة * خشن جوانبه دلوظ ضیزن
وبکف محبوك الیدین عن العلی * والباع مسود الذراع مقحزن
وتجنیا لهم الذنوب واتقی * بغلیظ جلد الوجنتین عشوزن

وقال جریر تصف السیوف وغیرکم یعصی بها * یاابن القیون وذاك فعل الصیقل

وقال الراعی تبیت ورجلاها اذانان لاستها * عصی استها حتی یکل قعودها

وقال اعرابی للحطیئة ماعندك یاراعی الغنم قال بجراء من سلم قال انی ضیف قال للضیفان

اعددتها

أعددتها وقال الشماخ بن ضرار

الى نفر فيهن للعين منظر * وملهى لمن يلهو بهن أنيق
رعين النداحتى اذا وقد الحصا * ولم يبق من نوء السماك بروق

وقال امرؤ القيس قولا لدودان عبيد العصا * ما غركم بالاسد الباسل

وقال علي بن العذير واذا رأيت المرء يشعب أمره * شعب العصا ويلح في العصيان
فاعمد لما تعلو فحالك بالذى * لا تستطيع من الامور يدان

وقال الآخر وهجها جة لا يملأ الليل صدره * اذا النكس أغضى طرفه غير اروع
صحيح برى ء العود من كل ابنة * وجماع نهب الخير من كل مجمع

وقال مسكين الدارمى تسمو بأعناق وتحبسها * عنها عصى الذادة البجر

حباب بن موسى عن مجالد عن الشعبى عن جرير بن قيس قال قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي ما الخبر فقلت ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها قال لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا انه لا يموت حتى يذودكم بعصاه وقال الله تبارك وتعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر الآية وقال الشاعر

رأيت الغانيات نفرن مني * نفور الوحش من رام مفيق
رأين تغيري وأردن لدنا * كغصن البان ذى الفنن الوريق

وقال أبو العتاهية عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
اذا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما صنع المشيب

وقال الآخر فان عمرت لقد عمرت كأنني * غصن تثنيه الرياح رطيب
وكذاك حقا من يعمر يبله * كر الزمان عليه والتقليب
حتى يعود من البلا وكأنه * في الكف اقوق ناصل معصوب
مرط القذاذ فليس فيه مصنع * لا الريش ينفعه ولا التعقيب

وقال عروة بن الورد اليس ورائي أن ادب على العصا * فيأمن اعدائي ويسأمني أهلي

وأنشد عصوا السيوف الهند واعتركت بهم * بركاء موت لا يطير غرابها

وقال لبيد أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

وقال آخر تقيم العصا ما كان فيها الدونة * وتأبى العصا في يبسها ان تقوما

وقال الآخر ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقال جرير ومالفرزدق من عز يلوذ به * الا بنو العم في ايديهم الخشب
سيروا بني العم فالاهواز منزلكم * ونهر تيرى فلا تدريكم العرب

وقال جرير في هجائه بني حنيفة

أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها
قطع الديار وسقى النخل عادتهم * قدما وما حاوزت هذا مساعيها
لو قيل أين هوادى الخيل ما علموا * قالوا الاعجاز هاهذى هواديها
أو قيل ان حمام الموت آخذكم * أو تلجموا فرسا قامت بواكيها
لما رأت خالدا بالعرض أهلكها * قتلا وأسلمها ما قال طاغيها
دانت وأعطت يدا للسلم طائعة * من بعدما كاد سيف الله يفنيها

وقال سلامة بن جندل كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب
ويقال للخطاب اذا كان مرغوبا فيه كريما ذاك الفحل الذى لا يقرع أنفه لان الفحل اللئيم اذا هب على الناقة الكريمة ضربها وجهه بالعصا وقال آخر

كأنها اذ رفعت عصاها * نعامة أو حمار ألاها

وممن أضافوه الى عصاه داود ملكين اليشكرى وقد كان ولى شرطة البصرة وجاء فى الحديث أن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمجنه وقال الاصمعى المجن العصا المعوجة وفى الحديث المرفوع انه طاف بالبيت يستلم الاركان بمجنه ثم يجذبه اليه ويدبذلك تحريكه وقال الراعى

فالقى عصا طلح ونعلا كأنها * جناح السمان أو أسها قد تصوعا

والعصا أيضا فرس شبيب بن كريب الطائى يصيب الطريق فى خلافة على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فبعث اليه أحمر بن شميط البجلى وأخاه فى فوارس فهرب شبيب وقال

ولما ان رأيت ابنى شميط * بسكة طيئ والباب دونى
تجللت العصا وعلمت انى * رهين مخيس ان يثقفونى
ولو أنظرتهم شيأ قليلا * لساقونى الى شيخ بطين
شديد مجالز الكتفين صلب * على الحدثان مجتمع الشؤن

وقال النجاشى لام كثير ابنة الصلت

ولست بهندى ولكن ضيقه * على رجل لو تعلمين مزير
واعجبنى للسوط والنوط والعصا * ولم تعجبينى خلة لامير

وقال أعشى بن ربيعة

وكان الخلائف بعد الرسول * كلهم اسوة خاشعا * شهيدين من بعد صديقهم
وكان ابن صخر هو الرابعا * وكان ابنه بعده خامسا * مطيعا لمن قبله سامعا
ومروان سادس من قد مضى * وكان ابنه بعده سابعا * وبشر يدافع عبد العزيز
مضى ثامنا ذاوذا تاسعا * وأيهم ما يكن سائسا * لها لم يكن أمرها ضائعا
فاما ترينى حليف العصا * فقد كنت من وثبة خامعا
فساومنى الدهر حتى اشترى * شبابى وكنت له مانعا

وقال عوف بن الخرع

الا أبلغا عني جريحة آية * فهل أنت عن ظلم العشيرة مقصر
وان ظعن الحي الجميع لطية * فامرك معصي وشربك مغمور
أفي صرمة عشرين أوهي دونها * قشرتم عصاكم فانظروا كتف تقشر
زعمتم من الهجر المضال انكم * ستنصركم عمر وعلينا ومنقر
فيا شجر الوادي الا تنصرونهم * وقد كان بالمروت رمث وسخبر
ألم تجعلوا تيما على شعبتي عصا * فما ينطق المعروف الا معذر

وقال من محارب يرثي ابنه

ألم يك رطبا يعصر القوم ماءه * وماءوده للكاسرين ييابس

وقال حاجب بن زرارة والله ما القعقاع برطب فيعصر ولا ييابس فيكسر وقال حماد عجرد

وجروا على ما عودوا * ولكل عيدان عصاره

وقال أيضا فأنت أكرم من يمشي على قدم * وانضر الناس عند الناس أغصانا
لو مج عودك على قوم عصارته * لمج عودك فينا المسك والباتا

وقال آخر واناوجدنا الناس عودين طيبا * وعودا خبيثا ما يبض على العصر
تزين الفتى أخلاقه وتشينه * وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

وقال المؤمل بن أميل كانت تقيد حين تنزل منزلا * فاليوم صار لها الكلال قيودا
والقوم كالعيدان يفضل بعضهم * بعضا كذلك يقوق عود عودا

وقالت ليلى الاخيلية نحن الاخائل لا يزال غلامنا * حتى يدب على العصا مذكورا

أنظر أبقاك الله في كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق وفي كم وجه صرفه الشعراء وضرب به المثل ونحن لو تركنا الاحتجاج لخاصر البلغاء وعصى الخطباء لم نجد بدا من الاحتجاج لجلة المرسلين وكبار النبيين لان الشعوبية قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنزته وعلى عصاه ومخصرته وعلى عصا موسى لان موسى عليه السلام قد كان اتخذها من قبل ان يعلم ما عند الله فيها والى ما يكون صيور امرها ألا ترى انه لما قال الله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى وبعد ذلك قال ألقها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى ومن يستطيع ان يدعي الاحاطة بما فيها من مآرب موسى الا بالتقريب وذكر ما خطر على البال وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داود عليهما السلام في مقاماته ولا صلواته ولا في موته ولا في أيام حياته حتى جعل الله تسليط الارضة عليها وسليمان ميت وهو معتمد عليها من الآيات عند من كان لا يعلم ان الجن لم تكن تعلم الا ما تعلم الانس ولو علم القوم أخلاق كل ملة وزي أهل كل لغة وعللهم في ذلك واحتجاجهم له لقل شغبهم ولكفونا مؤنتهم

وهذه الرهبان تتخذ العصى من غير سقم ولا نقصان فى جارحة ولا بد للعاثلى من قناع ومن مظلة وبرطلة ومن عكازة ومن عصا من غير ان يكون الداعى الى ذلك كبرا ولا عجزا فى الخلقة ومازال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ويتوكأ عليها عند المشى كأن ذلك زائد فى التكهل والزمانة وفى نفى السخف والخفة وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة الى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها قال الفرزدق

به ندب مما يقول ابن غالب * يلوح كما لاح وسوم المصدق

وقال الآخر أنار حتى صدقت سماته * وظهرت من كرم آياته

وأنشد أبو عبيدة سقاها ميسم من آل عمرو * اذا ما كان صاحبها جحيشا

وذكر بعض الاعراب ضروبا من الوسم فقال

بهن فى خطافها علط وسم * وحلق فى آخر الزفرى نظم

معها نظام مثل خط بالقلم * وقرومة ولست أدرى من قرم

* عرض وحبط لحليها الوسم *

وقال الله تبارك وتعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وكما خالفوا بين الاسماء للتعارف وقال عز وجل جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم فعند العرب العمة وأخذ الخصرة من السيما وقد لا يلبس الخطيب المحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء والذى لا بد منه العمة والخصرة وربما قام فيهم وعليه ازاره قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامته وفى يده مخصرته وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة وفى القنا ما هو أغلظ من الساق وفيها ما هو أرق من الخنصر وقد تكون محككة الكعوب مثقفة من الاعوجاج قليلة الابن وربما كان العود نبعا وربما كان شوحطا وربما كان من أبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كريم فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك ومنها ما لا تقربه الارضة ولا يؤثر فيه القوادح والعكاز اذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا لان أطول القنا أن يقال رمح خطل ثم رمح نائر ثم رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطرد ثم عكاز ثم عصا ثم من العصا نصب المساحى والمرور والقدم والفؤوس والمعاول والمناجل والطبرزينات ثم تكون من ذلك نصب السكاكين والسيوف والمشامل وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان امتدحها أوس بن حجر أو الشماخ ابن ضرار أو أحد من الشعراء فانما هى من كل عصا وكل قوس بندق فانما جىء بقناتها من بروض ومدح بيريها وصنعتها عصفور القواس وقال الرقاشى

أنعت قوسا نعت ذى انتفاء * جاء بها جالب بروصاء * عند اعتيام منه وانتصاء

كافيـــة الطول على انتهاء * مجلوزة الاكعب فى استواء * سالمـــة من ابن السماء
فلم تزل مساحـــل البراء * تأخذ من طوائف اللحاء * حتى بدت كالحية الصفراء
ترنو الى الطائر فى السماء * بمقـــلة سريعـــة الاقذاء * ليست بكحلاء ولا زرقاء

وقال الآخر قد اغتـــدى ملث الظلام بفتية * للرمى قد حسروا له عن أذرع
متنكبـــين خرائطا لبنادق * من بين مضفور وبين مرسع
باكفهم قضبان بروص قد عدوا * للطـــير قبل نهوضها للمرتع
تقـــذى منيات الطيور عيونها * يوما اذا رمدت بايدى النزع
صفر البطون كان ليط متونها * سرق الحرير نواضرا لم تشبع

وكانت العنزة التى تحمل بين يدى رسول الله صـــلى الله تعالى عليه وســـلم وربما جعلوها قبلة أشهر واذكر من ان يحتاج فى تثبيتها الى ذكر الاسناد وكانت سيماء أهل الحرم اذا خرجوا من الحرم الى الحل فى غـــير الاشـــهر الحرم ان يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهـــم العلائق واذا أوذم أحـــدهم الحج تزيا بزى الحاج واذا ساق بدنة أشعرها وخالفوا بين سمات الابل والغنم واعلموا البحيرة بغـــير علم السائبة واعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة واذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى أسنمتها الريش والخرق ولذلك قال الشاعر

يهب الهجان بريشها ورعائها * كالليل قبل صباحه المتبلج

واذا بلغت الابل ألفا فقؤا عـــين الفحل فان زادت فقؤا العين الاخرى فذلك المفقأ والمعمى وقال شاعرهم فقأت لها عين الفحيل تعيفا * وفيهن رعلاء المسامع والحام
وقال الآخر وهب لنا وأنت ذو امتنان * تفقأ فيها أعـــين البعران
وقال الآخر فكان شكر القوم عند المنن * كى الصحيحات وفقء الاعين

واذا كان الفحـــل من الابل كريما قالوا الخيل واذا كان الفحـــل من النخل كريما قالوا الخال وقال الراعى كانت نجائب منذر ومحرق * أمانهن وطرقهن فحيلا

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه والحكم لا يفارق الوبر وكان لحرائر النساء زى ولكل مملوك زى ولذوات الرايات زى وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة وذكره الشاعر فقال

واشهد من عوف حلولا كثيرة * يحجون سب الزبرقان المعصفرا

وكان أبو اخيحة سـعيد بن العاصى اذا اعتم لم يعتم معه أحد هكذا فى الشعر ولعـــل ذلك أن يكون مقصورا فى بنى عبد شمس وقال أبو قيس بن الاسلت

وكان أبو اخيحـــة قد علمتم * بمـــكة غـــيره تضم ذميم
اذا شـــد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم

فقد حرمت على من كان يمشى * بمكة غير مدخل سقيم
وكان البختري غداة جمع * يدافعهم بلقمان الحكيم
بازهر من سراة بنى لؤى * كبدر الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه * قريش السر فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم * فأنت لباب سرهم الصميم

وقال غيلان بن خرشة للاحنف يا أبا بحر ما بقاء ما فيه العرب قال اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم واستجادوا النعال ولم تأخذهم حمية الاوغاد قال وما حمية الاوغاد قال ان يعدوا التواهب ذلا وقال الاحنف استجيدوا النعال فانها خلاخل الرجال والعرب تسمى السيوف بحما ئلها اردية وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قولا أحسن من هذا قال تمام جمال المرأة فى خفها وتمام جمال الرجل فى كمته ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر أأعقر من جراكريمة ناقتى * ووصلى مفروش لوصل منازل
اذا جاء قعقعن الحلى ولم أكن * اذا جئت أرجو صوت تلك الخلاخل
ولم تغن سيجان العراقين نقرة * درفش القلنسى بالرجال الاطاول

والعصابة والعمامة سواء واذا قالوا سيد معمم فانما يريدون ان كل جناية يجتنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه وقال دريد بن الصمة

أبلغ نعيما وأوفى ان لقيتهما * ان لم يكن كان فى سمعيهما صمم
فلا يزال شهاب يستضاء به * يهدى المقانب ما لم تهلك الصمم
عارى الاشاجع معصوب بلمته * أمر الزعامة فى عرنينه شمم

وقال الكنانى تخيتها للنسل وهى غريبة * فجاءت به كالبدر خرقا معمما
فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالما * لما وجدوا غير التكذب مشتما

ولذلك قيل لسعيد بن العاصى ذو العصابة وقد قال القائل

كعاب أبوها ذو العصابة وابنه * وعثمان ما أكفأوها بكثير

يقولها خالد بن يزيد وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه العمائم تيجان العرب قال وقيل لاعرابى انك لتكثر لبس العمامة قال ان شيأ فيه السمع والبصر لجدير ان يوقى من القر وذكرت العمامة عند أبى الاسود الدؤلى فقال جنة فى الحرب ومكنة من الحر ومدفأة من القر ووقار فى الندى وواقية من الاحداث وزيادة فى القامة وهى تعد عادة من عادات العرب وقال عمرو بن امرئ القيس

يا مال والسيد المعمم قد * يبطره بعد رأيه الشرف
نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

وكان من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كايام عكاظ وذى المجاز

وما أشبه ذلك التقنع الا ما كان من أبي سليط طريف بن تميم أحد بني عمرو بن جندب فانه كان لا يتقنع ولا يبالي ان يثبت عينه جميع فرسان العرب وكانوا يكرهون ان يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم غيرهم ولما أقبل حصيصة الشيباني يتأمل طريفا قال طريف

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الي عريفهم يتوسم * فتوسموني انني انا ذاكم
شاك سلاحي في الحوادث معلم * تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
ولكل بكرى الى عداوة * وأبور بيعة شانئ ومحلم

فكان هذا من شأنهم وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسيما كان حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة حمراء وكان الزبير معلما بعمامة صفراء ولذلك قال درهم بن زيد

انك لاق غداة غواة بني الملكاء * فانظر ما أنت مزدهف * يمشون في البيض والدروع كما
تمشي جمال مصاعب قطف * فأبد سيماك يعرفوك كما * يبدون سيماهم فتعترف

وكان المقنع الكندي الشاعر واسمه محمد بن عمير كان الدهر مقنعا والقناع من سيماء الرؤساء والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكاد يرى الا مقنعا وجاء في الحديث حتى كأن الموضع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان وكان المقنع الذي خرج بخراسان يدعي الربوبية لا يدع القناع في حال من الحالات وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فادعاها من الوجه الذي لا يختلف فيه الاحمر والاسود والمؤمن والكافر ان باطله مكشوف كالنهار لا يعرف في شيء من الملل والنحل القول بالتناسخ الا في هذه الفرقة من الغالية وهذا المقنع كان قصارا من أهل مرو وكان أعور ألكن فما أدري أيهما أعجب ادعاؤه بانه رب أو ايمان من آمن به وقاتل دونه وكان اسمه عطاء وقال الآخر

اذا المرء أثرى ثم قال لقومه * أنا السيد المفضى اليه المعمم
ولم يعطهم شيأ أبوا ان يسودهم * وهان عليهم زعمه وهو ألوم

وقال آخر

اذا كشف اليوم العماس من استه * فلا يرتدي مثلي ولا يتعمم

قالوا وكان مصعب بن الزبير يتعمم العقداء وهو ان يعقد العمامة في القفاء وكان محمد بن سعد ابن أبي وقاص الذي قتله الحجاج يعتم الميلاء وقال الفرزدق

ولو شهد الخيل ابن سعد لقنعوا * عمامته الميلاء عضبا مهندا

وقال شملة بن أخضر الضبي

جلبنا الخيل من أطراف فلج * ترى فيها من الغز اقورارا * بكل طمرة وبكل طرف
يزين سوادمقلته العذارا * حوالي عاصب بالتاج منا * جبين أغر يستلب الدوارا
رئيس ما ينازعه رئيس * سوى ضرب القداح اذا استشارا

وأنشد

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا انارا * يبيع ويشتري لهم سواهم
ولكن بالطعان هم تجار * اذا ما كنت جار بني لؤي * فانت لا كرم الثقلين جار

وأنشد وداهية جرهما جارم * جعلت رداءك فيها خمار

ولذكر العمائم مواضع قال زيد بن كثوة العنبرى

منعت من العهار اطهار امه * وبعض الرجال المدعين زناء

فجاءت به عبل القوام كانما * عمامته فوق الرجال لواء

لان العمامة ربما جعلوها لواء الا ترى ان الاحنف بن قيس يوم مسعود بن عمرو حين عقد لعبس بن طلق اللواء انما نزع عمامته من رأسه فعقدها له وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند الجهدة واذا طالت العقبة ولذلك قال شاعرهم

فسيروا فقد جن الظلام عليكم * فبأست الذى يرجو القرى عند عاصم

دفعنا اليه وهو كالذيخ حاطبا * نشد على اكبادنا بالعمائم

وقال الفرزدق بنى عاصم ان تلحبوها فانكم * ملاحى السوآت دسم العمائم

وقال آخر خليلى شدا لى بفضل عمامتى * على كبد لم يبق الا صميمها

العرب تلهج بذكر النعال والفرس تلهج بذكر الخفاف وفى الحديث المأثور ان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون واما قول شاعرهم

اذا اخضرت نعال بنى غراب * بغوا ووجدتهم أسرى لئاما

لم يرد صفة النعل وانما أراد بانهم اذا اخضرت الارض وأخصبوا طغوا وبغوا كما قال الآخر

وأطول فى دار الحفاظ اقامة * وأوزن احلاما اذا النعل اخضلا

ومثل قوله يا ابن هشام أهلك الناس الذين * فكلهم يسعى بسيف وقرن

وأما قول الآخر وكيف أرجى ان أسود عشيرتى * وامى من سلمى أبوها وخالها

رأيتكم سودا جعادا ومالك * مخصرة بيض سباط نعالها

فلم يذهب الى مديح النعال فى أنفسها وانما ذهب الى سياطة أرجلهم وأقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم وقال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

يصونون اجسادا قديما نعيمها * بخالصة الاردان خضر المناكب

قال وبنو الحرث بن سدوس لم ترتبط حمارا قط ولم تلبس نعلا قط اذا نقبت وقد قال قائلهم

ونلقى النعال اذا نقبت * ولا نستعين باخلاقها

ونحن الذؤابة من وائل * الينا تمد باعناقها

وهم رهط خالد بن معمر يقول فيه شاعرهم

معاوى أمر خالد بن معمر * فانك لولا خالد لم تؤمر

وقائلهم يقول أغاضبة عمرو بن شيبان أن رأت * عديدين من جرثومة ودخيس

فلو شاء ربي كان أبر أبيكم * طويلا كابر الحارث بن سدوس

وكان عمر رضي الله تعالى عنه جعل رياسة بكر لمجزأة بن ثور فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر ثم ردها عثمان على شقيق بن مجزأة بن ثور فلما خرج أهل البصرة الى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك على الى حضين بن المنذر فرضي كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها الى خصمه فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على رضي الله تعالى عنه في ذلك وأما قول الآخر

ياليت لي نعلين من جلد الضبع * وشركا من استها لا تنقطع

* كل الحذاء يحتذى الحافي الوقع *

فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجوز اما قول النجاشي لهند بن عاصم

اذا الله حيا صالحا من عباده * كريما فحيا الله هند بن عاصم

وكل سلولي اذا ما لقيته * سريع الى داعي الندى والمكارم

لا يأكل الكلب السروق نعالهم * ولا تتقي المخ الذي في الجماجم

وقال يونس كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون الا بالسبت وقال كثير

اذا نبذت لم تطب الكلب ريحها * وان وضعت في مجلس القوم شمت

وقال قتيبة بن الحرث وهو ابن فسوة

الى معشر لا يخصفون نعالهم * ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

واذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل أن يمدحها قال الله تبارك وتعالى لموسى على نبينا وعليه السلام اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وقال بعض المفسرين كان من جلد غير ذكي وقال الزبيري ليس كما قال بل أعلمه حق المقام الشريف والمدخل الكريم ألا ترى ان الناس اذا دخلوا الى الملوك ينزعون نعالهم خارجا قال وحدثنا سلام بن مسكين قال ما رأيت الحسن الا وفي رجليه النعل رأيته على فراشه وهي في رجليه وفي مسجده وهو يصلي وهي في رجليه وكان بكر بن عبد الله تكون نعله بين يديه فاذا نهض الى الصلاة لبسها وروى ذلك عن عمرو بن عبيد وهاشم الاوقص وحوشب وكلاب وعن جماعة من أصحاب الحسن وكان الحسن يقول ما أعجب قوما يرون ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى في نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا وأشباهها بهذا الحديث ثم لا ترى أحدا منهم يصلي منتعلا وأما قوله

قام بناتي بالنعال حواسرا * والصقن وقع السبت تحت القلائد

فان النساء ذوات المصائب اذا قمن في المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال وقال محمد ابن يسير

كم أرى من مستجب من نعال * ورضائي منها بلبس البوالي

كل جرد أقد تحيفها الخصـ * ـف بأقطارها بسر والنعال

لاتدانى وليس تشبه فى الحلـــقة ان أبرزت نعال الموالى * لاولا عن تقادم العهد منها
بليت لاولا لذكر الليالى * ولقد قلت حين أوثرذا الـــود عليها بثروتى وبمالى
من يغالى من الرجال بنعل * فسوائى اذا بهن يغالى * أو يغالهن للجمال فانى
فى سواهن زينتى وجمالى * فى اخائى وفى وفائى ورأيى * وعفافى ومنطقى وفعالى
ماوقانى الحفاو بلغنى الحا * جة منها فاننى لاأبالى

وقال خلف الاحمر سـ فى حجاجنوء الثريا * على ماكان من مطل ونجل
هم جعوا النعال فأحرزوها * وسـدوادونها بابا بقفل
اذا أهديت فاكهة وشاة * وعشر دجايج بعثوا بنعـل
ومسواكين طولهما ذراع * وعشر من ردى المقل خشل
فان أهديت ذاك لتحملونى * على نعل فدق الله رجلى

وقال كثير كان ابن ليلى حين يبدو فتنجلى * سجوف الخباء عن مهيب مشيمت
مقارب خطو لا يغـير نعـله * رهيف الشراك سهلة المتسمت
اذا طرحت لم تطب الكلاب ريحها * وان وضعت فى مجلس القوم شمت

وقال بشار اذا وضعت فى مجلس نعلها * تضوع مسكاما أصابت وعنبرا

ولما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لصعصعة بن صوحان فى المنذر بن الجارود ما قال قال صعصعة يا أمير المؤمنين لئن قلت ذاك انه لنظار فى عطفيه تفال فى شراكيه تجبه حرة برديه وذم رجل ابن التوأم فقال رأيته مشحم النعل درن الجورب مغضن الخف دقيق الجربان وقال الهيثم يمين لايحلف بها الاعرابى أبدا أن يقول لا أورد الله لك صادرا ولا أصدر لك واردا ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك وقال آخر

عاق الفؤاد بريق الجهل * وابر واستعصى على الاهل * وصبا وقد شابت مفارقه
سفها وكيف اصابة الكهل * أدركت معتصرى وأدركنى * حلمى ويسر قائدى نعلى

(ثم رجع الكلام الى القول فى العصا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تعظيم شأن عصى موسى على نبينا وعليه السلام الدابة ينشق عنها الصفا معها عصا موسى وخاتم سليمان تمسح المؤمن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السواك وحض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمسواك لايكون الا عصا وقال أبو الوجيه قضبان المساويك البشام والضروو العنم والاراك والعرجون والجريد والاسحل وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس فى الصيف كما يلبسونها فى الشتاء اذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء لان ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال وابعد من التبذل والاسترسال واجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم فى منازلهم ومواضع انقباضهم وللخلفاء عمة وللفقهاء عمة وللبغاليين عمة وللاعراب عمة وللصوص عمة

وللابناء عمة وللروم والنصارى عمة ولاصحاب التشاجي عمة ولكل قوم زى فللقضاة زى ولاصحاب القضاة زى وللشرط زى وللكتاب زى ولكتاب الجندزى ومن زيهم أن يركبوا الحميرون كابت الهما لبيج لهم معرضة وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب فمنهم من يلبس المطنه ومنهم من يلبس الدراعة ومنهم من يلبس القباء ومنهم من يلبس الباز بكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرزويتخذ الجمة وزى مجالس الخلفاء فى الصيف القطن والشتاء فرش الصوف وترى ان ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤسها التيجان وجلست على الاسرة وظاهرت بين الفرش وهل يملأ عيون الاعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام افراط التعظيم وتعظيم شان السلطان والزيادة فى الاقدار الالآلات وهل دواؤهم الا فى التهويل عليهم وهل يصلحهم الا اخافتك اياهم وهل ينقادون لما فيه الحظ لهم ويسلمون بالطاعة التى فيها صلاح أمورهم الا بتدبير يجمع الحبة والمهابة وكانت الشعراء تلبس الوشى والمقطعات والاردية السود وكل ثوب مشهر وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزيا بزى الماضين وكان له برد أسود يلبسه فى الصيف والشتاء فهجاه بعض الطياب من الشعراء فقال فى قصيدة له

بع بردك الاسود قبل البرد * فى قرة تأتيك صما صرد

وكان لجرجان قميص بشار الاعمى وجبته لبنتان فكان اذا أراد نزع شئ منها أطلق الازرار فسقطت الثياب على الارض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط وقدويه العدوى الشحاجى لم يلبس قميصا قط وهو اليوم حى وهو شيخهم وسعيد بن العاصى الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط فقدويه الشحاجى ضد سعيد بن العاصى الاموى وقال الحطيئة

سعيد فلا تغررك قلة لحمه * تخدر عنه اللحم وهو صليب

وكان شديد السواد نحيفا ومن شأن المتكلمين ان يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم فاذا أشاروا بالعصا فكانهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر ويدلك على ذلك قول الانصارى حيث يقول

وسارت لنا سيارة ذات سودد * بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا * ملوكا بأرض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل القول فى كل خطبة * اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر

وقال الكميت بن زيد ونذور مسلمة المهذب بالمؤيدة السوائر

بالمذهبات المجبا * ت لمفحم منا وشاعر
أهل التجارب فى المحا * فل والمقاول بالمخاصر

وأيضا ان حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيئ للاطناب والاطالة وذلك شئ خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب اليهم حتى انهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر فى أيديهم الفالها وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والاشارة بها وعلى ذلك المعنى أشار

النساء بالمسائل وهن قيام فى المناحات وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنعال وانما يكون العجز والذلة فى دخول الخلل والنقص على الجوارح وأما الزيادة فيها فالصواب فيه وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارة القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس فان كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة وكذلك القناع لانه أهيب وعلى ذلك المعنى كان يتقنع العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى وأشباههم وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر واسحق بن عيسى ومحمد بن سليمان ثم الفضل بن الربيع والسندى بن شاهك وأشباههم من الموالى لان ذلك أهيب فى الصدور وأجل فى العيون والمتقنع أروع من الحاسر لانه اذا لم يفارقه الحجاب وان كان ظاهرا فى الطرق وكان أشبه بملاينة العوام وسياسة الرعية وطرح القناع ملابسة وابتذال ومؤانسة ومقاربة والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ومن صنائعهم ورجال دعوتهم وانهم قد علموا حاجة الناس الى ان يهابوهم وان ذلك هو صلاح شأنهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أكثر الناس قناعا والدليل على ان ذلك كان فى الاسلاف المتبوعين انا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل على ذلك ولذلك اتخذوا فى الحروب الرايات والاعلام وانما ذلك كله خرق سود وحمر وصفر وبيض وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة وقد علموا انها وان كانت خرقا على عصى ان ذلك أهيب فى القلوب وأهول فى الصدور وأعظم فى العيون ولذلك أجمعت الامم رجالها ونساؤها على اطالة الشعور لان ذا الجمة أضخم هامة وأطول قامة والكاسى أفخم من العارى ولولا ان حلق الرأس طاعة وعبادة وتواضع وخضوع وكذلك السعى ورمى الجمار لما فعلوا ذلك وفى الحديث انه لا يفتح عمورية الا رجال ثيابهم ثياب الرهبان وشعورهم شعور النساء وكل ما زادوه فى الابدان ووصلوه فى الجوارح فهو زيادة فى تعظيم تلك الابدان والعصى والمخاصر مع الذى عددناه ومع الذى ذكرناه ونزيد ذكره من خصال منافعها كلها باب واحد فى المعنى والمعنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الاغانى والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الالفاظ وضروب المعانى ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه وقال عبد الملك بن مروان لو ألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام وقد كان اقتضبه اقتضابا فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تجبه حتى أتوه بمخصرته من بيته والمثل المضروب بعصا الاعرج يقولون أقرب من عصا الاعرج ويضربون المثل بعصا النهدى وقال علقمة فى صفة فرس أنثى

سلاءة كعصا النهدى غل لها * منظم من نوى قران معجون

ويضربون المثل برمح أبى سعد وكان أبو سعد أعرج وفد فى وفد عاد قال ذو الاصبع العدوانى

ان تكن شكنى رمح أبى سعد * فقد أحمل السلاح معا

قال عباس بن مرداس جزى الله خيرا خيرنا الصديقه * و زوده زادا كزاد أبى سعد
وزودوه صدقا و براونا ئلا * وما كان فى تلك الوقادة من حمد

وقال آخر فاب بجدوى زامل وابن زامل * عدولك أو جدوى كليب بن وائل

و يقولون لو كان فى العصا سير و يقولون ماهو الا ابنة عصا وعقدة رشا و يقولون أخرج عوده كعصا المقال وأخرج أيضا عوده كعصا الحادى وكان أبو العتاهية أهدى الى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع وعصا شريان وعصا أبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان شريفة الاغصان واردية قطرية وركاء يمانية ونعالا سبتية فقبل من ذلك عصا واحدة ورد الباقى و بعث اليه مرة أخرى بنعل وكتب اليه

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم الى المجد
لو كنت أقدر ان أشركها * خدى جعلت شراكها خدى

فقبلها الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان الشجرة التى نودى منها موسى على نبينا وعليه السلام هى عوسج وانه نودى من جوف العوسج وان عصاه كانت من آس الجنة وانها كانت من العود الذى فى وسط الورقة فكان طولها طول موسى عليه السلام وقالوا من العليق وقال آخر صفراء من نبع كلون الورس * ابدؤها بالدهن قبل نفسى

وأنشد الاصمعى عن بعض الاعراب

الا قالت الخنساء يوم لقيتها * كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يثنى عليها وشيبة * تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها الا تهزئى بى فقلما * يسود الفتى حين يشيب و يصلعا
وللقارح اليعبوب خير علالة * من الجذع الجرى وأبعد منزعا

وقال اسحق بن سويد فى رداء النبى أقوى دليل * ثم فى العقب والعصا والقضيب

وقال أبو الشيص الاعمى فى هارون الرشيد

يا بنى هاشم أفيقوا فان الـ * ـملك منكم حيث العصا والرداء
ما لهارون فى قريش كفء * وقريش ليست لهم اكفاء

وقال الآخر على خشبات الملك منه مهابة * وفى الحرب عيل الساعدين قروع
يشق الوغى عن رأسه فضل نجدة * وأبيض من ماء الحديد وقيع

ومما يجوز أيضا فى العصا قول أبى الشيص

انى فتى الجود الى الجود * ما مثل من أنعى بموجود
انى فتى مص الثرى بعده * بقية الماء من العود

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جدعان

فلم أر مثلهم حيين أبقى * على الحدثان ان طرقت طروقا * واصبر عند ظنك الامر منهم
واسلكهم لاحزنه طريقا * شريت صلاحهم بتلاد مالى * فعاد الغصن معتدلا وريقا
ويقولون الرجل اذا أفاد وأثرى وكثرت نعمته ضع عصاك وقد وضع عصاه وقال أبو الاعور
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

وتجر الاذيال فى نعمة زو * ل تقولان ضع عصاك لدهر

ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان قد ألقى عصاه وقال زهير بن أبى سلمى

فلما وردن الماء زرقا جمامة * وضعن عصى الحاضر المتخيم

﴿كتاب الزهد﴾

بسم الله الرحمن الرحيم نبدأ باسم الله وعونه بشئ من كلام النساك فى الزهد وبشئ من ذكر
أخلاقهم ومواعظهم عوف عن الحسن قال لا تزول قدما ابن آدم حتى يسئل عن ثلاث شبابه
فيم أبلاه وعمره فيم أفناه ومماله من أين كسبه وفيم أنفقه قال وقال يونس بن عبيد سمعت ثلاث
كلمات لم أسمع بأعجب منهن قول حسان بن أبى سنان ما شئ أهون من ورع اذا رابك أمر
فدعه وقول ابن سيرين ما حسدت أحدا على شئ قط وقول مورق العجلى لقد سألت الله
حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها فقيل لمورق ما هى قال ترك مالا يعنينى وقال
أبو حازم الاعرج ان عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا فقد ما زوى عنا وقال أبو عبد الحميد لم
أسمع أعجب من قول عمر لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت وقال ابن ضبارة
انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة أهون من الصبر على عذاب الله وقال زياد عبد عياش بن
أبى ربيعة أنا من ان أمنع الدعاء أخوف منى من ان أمنع الاجابة وقال له عمر بن عبد العزيز
رحمه الله يا زياد انى أخاف الله مما دخلت فيه قال لست أخاف عليك ان تخاف وانما أخاف
عليك ان لا تخاف وقال بعض النساك كفى موعظة انك لا تموت الا بحياة ولا تحيا الا بموت وهو
الذى قال اصحب من ينسى معروفه عندك وهو الذى قال لا تجعل بينك وبين الله منعما وعد
النعم منه عليك مغرما ودخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك البيت فقال له هشام
سلنى حاجتك قال أكره ان أسأل فى بيت الله غير الله وقيل لرابعة القيسة لو كلمنا رجال
عشيرتك فاشتروا لك خادما تكفيك مؤنة بيتك فقالت والله انى لاستحى ان أسأل الدنيا من
يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها وقال بعض النساك دياركم أمامكم وحياتكم بعد موتكم
وقال السموأل بن عاديا اليهودى

مبتا خلقت ولم أكن من قبلها * شيأ يموت فت حين حييت

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه الحسن بن دينار
قال رأى الحسن رجلا يكيد بنفسه فقال ان أمر هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله ولجدير ان
يخاف آخره وقال أبو حازم الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت فخافوا

مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم وقد خلفنا بعدهم فينبغي لنا ان ننظر الى الذى
كرهناه منهم فنجتنبه والى الذى غبطناهم به فنستعمله موسى بن داود رفع الحديث قال
النظر الى خمسة عبادة النظر الى الوالدين والنظر الى البحر والنظر الى المصحف والنظر الى
الصخرة والنظر الى البيت عبد الله بن شداد قال أربع من كن فيه برئ من الكبر من اعتقل
البعير ورك الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الرجل الدون وذكر عنده أنس الصوم فقال
ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره من تسحر ومن قال ومن أكل قبل ان يشرب وشرب ثم لم يأكل
فقد ضبط نفسه وقال الجماز ليس يقوى على الصوم الا من كثر لقمه وأطاب أدمه مجالد بن سعيد
عن الشعبي قال حدثني مرة الهمداني قال مجالد وقد رأيته وحدثنا اسماعيل بن أبي خالد
انه لم ير مثل مرة قط كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة وكان مرة يقول لما قتل عثمان
رضي الله تعالى عنه حدث الله ان لا أكون دخلت في شئ من قتله فصليت مائة ركعة فلما وقع
الجمل وصفين حدث الله ان لا أكون دخلت في شئ من تلك الحروب وزدت مائتي ركعة فلما
كانت وقعة النهروان حدث الله اذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة فلما كانت فتنة ابن الزبير
حدث الله اذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة وأنا أسأل الله ان يغفر لمرة على انا لا نعرف لبعض
ما قال وجها لانك لا تعرف فقيها من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج كما انا لا نعرف أحدا
منهم لا يستحل قتال اللصوص وهذا ابن عمر وهو رئيس الحلسية وزعيمهم قد لبس السلاح
لقتال نجدة وقيل لشريح الحمد لله الذى سلمك من القتال في شئ من هذه الفتن قال فكيف
أصنع بقلبي وهو اى وقال الحسن قتل الناقة رجل واحد ولكن الله عم القوم بالعذاب لانهم
عموه بالرضا وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصريه فقال تلك دماء
كف الله يدى عنها فانا أحب ان لا أغمس لساني فيها ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال
كيف تجدك قال أفرق من الموت قال فمن أصبت الخير كله قال من الله قال فلم تفرق ممن لم
تصب الخير كله الا منه ولما قذف ابراهيم عليه السلام في النار قال له جبرائيل عليه السلام ألك
حاجة يا خليل الله قال أما اليك فلا وقال رأى بعض النساك صديقا له من النساك مهموما
فسأله عن ذلك فقال كان عندى يتيم احتسب فيه الاجر فمات قال فاطلب يتيما غيره فان ذلك
لا يعدمك ان شاء الله تعالى قال أخاف ان لا أصيب يتيما في سوء خلقه قال اما انى لو كنت مكانك
لم اذكر سوء خلقه قال ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه فقال اطب نفسا
فانك تلقى ربا رحيما قال اما ذنوبي فاني أرجو أن يغفرها الله لي وليس اغتمامي الا لمن أدع من
بناتي قال له صاحبه الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك قال وكان مالك بن دينار
يقول لو كانت الصحف من عندنا لاقللنا الكلام وقال يونس بن عبيد لو أمرنا بالجزع لصبرنا
وكان يقول كسبت في هذه السوق ثمانين ألف درهم ما فيها درهم الا وأنا أخاف أن أسئل عنه
قال سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول قال الخطيئة انما أنا حسب موضوع فقال

عمر وكذب تركه ذلك التقوى وقال أبو الدرداء نعم صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه
وبصره وفرجه وإياكم والجلوس في هذه الاسواق فانها تلغي وتلهي وقال الحسن يا ابن آدم
بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا يا ابن آدم
اذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه واذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم فيه الثواء ههنا قليل
والبقاء هناك طويل أمتكم آخر الامم وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون
المعاينة فكأن قد هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحالها وبقيت الاعمال قلائد في أعناق
بني آدم فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة اما انه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد
نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وانما ينتظر بأولكم أن يلحق
آخركم من رأى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا
قصبة على قصبة رفع له علم فشمر اليه فالوحاء الوحاء النجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب
الكعبة قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون ان الله تبارك وتعالى بعث محمدا
عليه السلام على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه وكان صفوته من
خلقه ورسوله الى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر اليه أهل الارض وأتاه منها قوتا
وبلغة ثم قال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضي
له ربه فابعدهم الله وأسحقهم يا ابن آدم طأ الارض بقدمك فانها عن قليل قبرك واعلم انك لم
تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر
فابصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا
الى ما وراءهم قولوا يا ابن آدم اذكر قوله وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك
حسيب نفسك خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها فليس الصفو ما عاد كدرا ولا الكدر ما عاد
صفوا دعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم ظهر الجفاء وقلت العلماء وعفت السنة وشاعت البدعة
لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم الا قرة العين وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواما ما كانوا
لحسناتهم أشفق من ان ترد عليهم منكم من سيآتكم ان تعذبوا عليها وكانوا فيما أحل الله
لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها مالي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا ذهب
الناس وبقي النساس لو تكاشفتم ما تدافنتم تهاديتم الاطباق ولم تتهادوا النصائح قال ابن
الخطاب رحم الله امرأ أهدى الينا مساوينا أعدوا الجواب فانكم مسؤلون المؤمن لم يأخذ دينه
عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه ان هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم
وما يصبر عليه الا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله
الا مقيم على سخطه يا ابن آدم الايمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقه
العمل وكان اذا قرأ الهاكم التكاثر قال عم الهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد هذا والله فضيح

القوم وهتك الستر وأبدى العوار تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا وتمنع فى حق الله درهما ستعلم يا كع الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق فاما المؤمن فقد أجمه الخوف وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فاذعن بالجزية وسمح بالضريبة وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ويلك قتلت وليه ثم تتقى عليه جنته وكان يقول رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فان وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله وان خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال يا أهلى صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم جيرانكم اخوانكم اخوانكم مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم فان الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا يا ابن آدم كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس وكان يقول لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه فانه اذا فعل ذلك لم يصلح عيبا الا وجد فى نفسه عيبا آخر ينبغى له ان يصلحه فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره وانك ناظر الى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيأ من الخير وان صغر فانك اذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيأ من الشر وان صغر فانك اذا رأيته ساءك مكانه وكان يقول رحم الله عبدا اكسب طيبا وأنفق قصدا وقدم فضلا وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله فان من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا ان هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا فايا كم وهذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة ومعادها النار أدركت من صدر هذه الامة قوما كانوا اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم واذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم يا ابن آدم ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ههنا شئ يغنيك وان كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك يا ابن آدم لا تعمل شيئا من الحق رياء ولا تتركه حياء وكان يقول ان العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لاهل العلم رغبة فى علمهم فأصبح أهل العلم اليوم يبذلون علمهم لاهل الدنيا رغبة فى دنياهم فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وكان يقول لا أذهب الى من يوارى عنى غناه ويبدى لى فقره ويغلق دونى بابه ويمنعنى ما عنده وادع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى الى ما عنده وكان يقول يا ابن آدم لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أفقر ومؤمن مهتم وعلج اغتم

واعرابى لافقه له ومنافق مكذب ودنياوى مترف نعق بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذبان طمع والذى نفس الحسن بيده ما أصبح فى هذه القرية مؤمن الا أصبح مهموما حزينا وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله الناس مادام وا فى عافية مستورون فاذا نزل بلاء صاروا الى حقائقهم فصار المؤمن الى ايمانه والمنافق الى نفاقه أى قوم ان نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم فسارعوا الى ربكم فانه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه وقال الحسن فى يوم فطر وقد رأى الناس وهيأتهم ان الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون اما والله ان لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن ترجيل شعر او تجديد ثوب وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال الناس طالبان طالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره فانه ربما أدرك الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها وربما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال أيها الناس انه أتى على حين وأنا أحسب ان من قرأ القرآن انه انما يريد به الله وما عنده الا وقد خيل الىّ ان أقواما يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس الا فاريدوا الله بقراءتكم وأريدوه باعمالكم فانا كنا نعرفكم اذا الوحى ينزل واذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحى وذهب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانما أعرفكم بما أقول لكم الا فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا وأثنينا به عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه أقروا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلعة فانكم الا تقرعوها تتزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرىء وان الباطل خفيف وبىء وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال أبو حازم الاعرج وجدت الدنيا شيئين شيأ هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقى يمنع الذى لى كما يمنع الذى لغيرى منى ففى أى هذين أفنى عمرى وأهلك نفسى ودخل على بعض ملوك بنى مروان فقال يا أبا حازم ما المخرج مما نحن فيه قال تنظر الى ما عندك فلا تضعه الا فى حقه وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه قال ومن يطيق ذلك يا أبا حازم قال فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين قال ما مالك قال مالان قال ما هما قال الثقة بما عند الله واليأس مما فى أيدى الناس قال ارفع حوائجك الينا قال هيهات رفعتها الى من لا تختزل الحوائج دونه فان أعطانى منها شيأ قبلت وان زوى عنى شيأ رضيت وقال الفضيل بن عياض يا ابن آدم انما يفضلك الغنى بيومك أمس قد خلا وغدا لم

يأت فان صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت على غدك وان عجزت يومك اذممت وضعفت عن غدك وان الصبر يورث البر وان الجزع يورث السقم وبالسقم يكون الموت وبالبر يكون الحياة وقال الحسن ايا فلان أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموت اذا نزل بك قال لا قال أفتحدث نفسك بالانتقال عنها الى حال ترضاها للموت اذا نزل بك قال حديثا بغير حقيقة قال أفبعد الموت دار فيها مستعتب قال لا قال فهل رأيت عاقلا رضى لنفسه بمثل الذى رضيت به نفسك قال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم ورأوه يخرج من بيت موسة فقيل يا روح الله ما تصنع عنده قال انما يأتى الطبيب المرضى وقال حين مر بعض الخلق فشتموه ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شرا قال خيرا فقال له رجل من الحواريين كلما زادوك شرا زدتهم خيرا حتى كانك انما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك قال كل انسان يعطى مما عنده وقال ويلكم يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم وعقولكم أهواؤكم قولكم شفاء يبرى الداء وعملكم داء لا يقبل الدواء ولستم كالكرمة التى حبر ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها بل أنتم كالشمرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ويلكم يا عبيد الدنيا جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لا يستطاع تناولها لا عبيد أتقياء ولا احرار كرام ويلكم اجراء السوء الاجر تأخذون والعمل تفسدون سوف تلقون ما تحذرون يوشك رب العمل ان ينظر فى عمله الذى أفسدتم وفى أجره الذى أخذتم ويلكم غرماء السوء تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل تطوعون وما أمرتم به لا تؤدون ان رب الدين لا يقبل الهدية حتى يقضى دينه وكان أبو الدرداء يقول أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب واحذر ان تظلم من لا ناصر له الا الله وقال وزر العبد لعمر أبى المملوك ما عاش انه * وان أعجبته نفسه لذليل

ترى الناس انصارا عليه وماله * من الناس الا ناصرون قليل

وقال شيخ من أهل المدينة المعرض بالناس اتقى صاحبه ولم يتق ربه وكان بكر بن عبد الله يقول اطفؤا نار الغضب بذكر نار جهنم وقال من كان له من نفسه واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحمية وقال على رضى الله تعالى عنه للاشتر انظر فى وجهى حين جرى بينه وبين الاشعث بن قيس ما جرى وكانت البجم تقول اذا غضب الرجل فليستلق واذا أعيى فليرفع رجليه وقال أبو الحسن كان لرجل من النساك شاة وكان معجبا بها فجاء يوما فوجدها على ثلاث قوائم فقال من صنع هذا بالشاة قال غلامه أنا قال ولم قال أردت أن اغمك قال لاجرم لاغمن الذى أمرك بغمى اذهب فأنت حر سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال سمعت عمر ابن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من

ذلك الصبر الا كان ما عاضه الله افضل مما انتزع منه ثم قرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب أخبرنا أبو الحسن على بن محمد عن أصحابه قال حضرت عمرو بن عبيد الوفاة فقال لعديله نزل بى الموت ولم أتهب له اللهم انك تعلم انه لم يسنح لى أمران لك فى احداهما رضى ولى فى الآخر هواء الا آثرت رضاك على هواى فاغفر لى ولما خبر ابو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال فاين رحمة الله قال أبو حازم قريب من المحسنين قالوا وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره فرأى فى دهليزه اعرابيا فى بت أشعث غائر العينين مشرف الحاجبين فقال يا اعرابى أين ربك قال بالمرصاد وكان الاعرابى عامر بن عبد قيس وكان ابن عامر سيره اليه قال وغدا اعرابى من طيئ مع امرأة له فاحتلبا لبنا ثم قعدا يتجعان فقالت له امرأته أنحن انعم عيشا أم بنو مروان قال هم أطيب طعاما منا ونحن أردى كسوة منهم وهم أنعم منا نهارا ونحن أظهر منهم ليلا قال وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال لا يلهك الناس عن نفسك فان الامر يصير اليك دونهم ولا تقطع النهار سادرا فانه محفوظ عليك ما عملت واذا أسأت فاحسن فانى لم أر شيأ أشد طلبا ولا أسرع درکا من حسنة حديثة لذنب قديم قال كان بلال بن مسعود يقول زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر مسلمة ابن محارب قال قال عامر بن عبد قيس الدنيا والدة للموت ناقضة للمبرم مرتجعة للعطية وكل من فيها يجرى الى ما لا يدرى وكل مستقر فيها غير راض بها وذلك شهيد بأنها ليست دار قرار قال الحسن من أيقن بالخلف جاد بالعطية وقال اسماء بن خارجة اذا قدمت المودة سمح الثناء وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظى عظنى قال لا أرضى نفسى لك انى لاصلى بين الغنى والفقير فاميل على الفقير وأوسع على الغنى قال قال الحسن ما أطال عبد الامل الا أساء العمل قال كان أبو بكر رضى الله عنه اذا قيل له مات فلان قال لا اله الا الله وكان عثمان يقول فلا اله الا الله وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد

لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه * وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زى عجيب فنظرت اليه جارية فقالت انك لمعنى بيتى الشاعر قال وما هما فأنشدته

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب * كان فى الناس غيرانك فان

قال ويلك نعيت الى نفسى قال صام رجل سبعين سنة ثم دعا الله فى حاجة لم يستجب له فرجع الى نفسه فقال منك أتيت فكان اعترافه أفضل من صومه وقال من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده وقال الحسن اذا سرك ان تنظر الى الدنيا بعدك فانظر اليها بعد غيرك وكان الحسن يقول ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقه العمل قال مات ذر بن أبى ذر الهمدانى من بنى مرهبة وهو ذر بن عمر بن ذر فوقف أبوه

على قبره فقال ياذر والله ما بنا اليك من فاقة وما بنا الى أحد سوى الله من حاجة ياذر شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ثم قال اللهم انك وعدتنى بالصبر على ذر صلواتك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من أجر على ذر لذر فلا تعرفه قبيحا من عمله اللهم وقد وهبت له اساءته الى فهب لى اساءته الى نفسه فانك أجود واكرم فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك سحيم بن حفص قال قال هانئ بن قبيصة لحرقة ابنة النعمان ورآها تبكى مالك تبكين قالت رأيت لاهلك غضارة ولم تمتلئ دارقط فرحا الا امتلأت حزنا ونظرت امرأة اعرابية الى امرأة حولها عشرة من بنيها كانهم الصقور فقالت لقد ولدت أمكم حزنا طويلا وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لازواجه أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا فكانت عائشة تقول انا تلك أطولهن يدا فكانت زينب بنت جحش وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعا تصنع بيدها وتبيعه وتصدق به قال الشاعر

فان كان أكثرهم سواما * ولكن كان أطولهم ذراعا

قال كان الحسن يقول ما أنعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعة الا ما كان من نعمته لسليمان على نبينا وعليه السلام فان الله عز وجل قال عز ذكره هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا قال انا أجعل هذا المال ذخرا الى عند الله واجعل الله ذخر الولدى وقسم المال وقال رجل صحبت الربيع بن خيثم سنتين فما كلمنى الا كلمتين وقال لى مرة أمك حية وقال لى مرة أخرى كم فى بنى تميم من مسجد وقال أبو فروة كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسرى مر بابن شبرمة وطارق فى موكبه فقال ابن شبرمة

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قريب تقشع

اللهم لى دينى ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة على القضاء بعد ذلك فقال ابنه أتذكر قولك يوم مر طارق فى موكبه فقال يابنى انهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم يابنى ان اباك اكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم قال الحسن من خاف الله اخاف منه كل شئ ومن خاف الناس اخافه الله من كل شئ وقال الحسن ما أعطى رجل من الدنيا شيأ الا قيل له خذه ومثله من الحرص قال مر مروان بن الحكم فى العام الذى بويع فيه بزرارة بن جزى الكلابى وهم على مالهم فقال كيف أنتم آل جزى قالوا بخير زرعنا الله فأحسن زرعنا وحصدنا فأحسن حصادنا وقال الحسن ابن آدم انما أنت عدد فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك مسلمة قال وقال الحسن ابن آدم ان كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فادنى ما فيها يغنيك وان كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شئ يغنيك قال نزل الموت بفتى كان فيه رمق فرفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عند رأسه فقال ما لكما تبكيان قالا نخاف عليك من الذى كان منك من اسرافك على نفسك فقال لا تبكيا فوالله ما يسرنى ان الذى بيد الله بايديكما أبو الحسن عن على بن عبد الله

القرشي قال قال قتادة يعطي الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا عوانة قال قال الحسن قدم علينا بشر بن مروان اخو الخليفة وأمير المصرين وأشب الناس فاقام عندنا أربعين يوما ثم طعن في قدمه فمات فاخرجناه الى قبره فلما صرنا به الى الجبانة فاذا نحن بار بعة سودان يحملون صاحبا لهم الى قبره فوضعنا السرير فصلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ثم حملنا بشرا الى قبره وحملوا صاحبهم الى قبره ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ثم انصرفوا وانصرفنا ثم التفت التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي فلم أر شيأ قط كان أعجب منه وقال عبد الله بن الزبعرى

والعطيات خساس بيننا * وسواء قبر مثرو مقل

وتقول الحكماء ثلاثة أشياء يستوي فيها الملوك والسوقة والعلية والسفلة الموت والطلق والنزع وقال الهيثم بن عدي عن رجاله بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذاكرون أعاجيب الزمان وتغير الايام وهما في عرصة ايوان كسرى وكان اعرابي من غامد يرعى شويهات له نهارا فاذا كان الليل صيرهن الى داخل العرصة وفي العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه فصعدت غنيمات الغامدي على سرير كسرى فقال سلمان ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي على سرير كسرى قال لما انصرف علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من صفين مر بمقابر فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم الحمد لله الذي جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا والحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاف وقال عمر رضي الله تعالى عنه استغزروا العيون بالتذكر وقال الشاعر سمعن بهيجا أو جفت فذكرنه * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر

وقال اعرابي لا تشرفن يفاعا انه طرب * ولا تغن اذا ما كنت مشتافا

قال ابن الاعرابي سمعت شيخا اعرابيا يقول اني لاسر بالموت ولا دين ولا بنات على بن الحسن قال قال صالح المري دخلت دار المور يانى فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله تلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقوله فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا قال فخرج الي اسود من ناحية الدار فقال يا أبا بشر هذا سخط المخلوق فكيف سخط الخالق قال وأصاب ناسا مطر شديد وريح وظلمة ورعد وبرق فقال رجل من النساك اللهم انك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك عوانة قال قال عبد الله بن عمر فاز عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة غزا البحر فاحرقوا سفينته فاحترق قال وطلق امرأته ابو الخندق أم الخندق فقالت اتطلقني بعد طول الصحبة فقال ما دهاك عندي غيره وكان أبو اسحق يقول ما ألأمهما من كلمة قال مر عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا

قال فيم كنتم قالوا كانتمنى قال فتمنوا وأنا أتمنى معكم قالوا فتمن قال أتمنى رجالا مثل هذا البيت مثل أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ان سالما كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ما عصاه وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح شعبة عن عمر بن مرة قال قدم وفد من أهل اليمن على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقرأ عليهم القرآن فبكوا فقال أبو بكر هكذا كنا حتى قست القلوب وقال أبو بكر طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام وقال سعد بن مالك أو معاذ ما دخلت في صلاة فعرفت من عن يميني ولا من عن شمالي ولا شيعت جنازة قط الا حدثت نفسي بما يقال له وما يقول وما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال شيء قط الا علمت انه كما قال قال أبو الدرداء أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل لا يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري اساخط به ام راض وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله ولا يدري ايؤمر بي الى الجنة ام الى النار سحيم بن حفص قال رأى اياس بن قتادة العبشمي شيبة لحيته فقال أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته أعوذ من فجا آت الامور وبغتات الحوادث يا بني سعد اني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي ولزم بيته فقال له أهله انك تموت هزلا فقال لان أموت مؤمنا مهزولا أحب الي من أن اموت منافقا سمينا وذكر قوم ابليس فلعنوه وتغيظوا عليه وقال أبو حازم الاعرج وما ابليس لقد عصى فاضر واطيع فانفع قال قال بكر بن عبد الله المزني الدنيا ما مضى منها فحلم وما بقي منها فاماني قال ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس اليه الشيطان انك قد أحدثت بعد وضوئك قال فقال له أو قد بلغ هذا من نصحك وقال بعض الطياب

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم في سجدة * وصار قواد الذرية

قال فانشدتها مسمع بن عاصم فقال وابيك لقد ذهب مذهبا الفضل بن مسلم قال قال مطرف ابن عبد الله بن الشخير لا تنظروا الى خفض عيشهم ولين ثيابهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم قال أبو ذر لقد أصبحت وان الفقر أحب الي من الغنى والسقم أحب الي من الصحة والموت أحب الي من الحياة قال وهشم لكني لا أقول ذلك قال قال داود النبي صلى الله تعالى على نبينا وعليه وسلم اللهم لا صحة تطغيني ولا مرض يضنيني ولكن بين ذلك قال وقال الحسن ان قوما جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم حتى لصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحا من صاحب المطراف بمطرفه وقال داود النبي على نبينا وعليه السلام ان لله سطوات ونقمات فاذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدعاء فان الله تبارك وتعالى يقول لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا قال اشترى محوز بن صفوان بدنة بتسعة دنانير فقيل له تشتري بدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها قال سمعت الله تبارك وتعالى يقول لكم فيها خير وقيل لمحمد بن سوقة تحج وعليك دين قال هو

أقضى للدين وقال ولقى ناسك ناسكا ومعه خف فقال ما تصنع بهذا قال اعده للشتاء قال كانوا يستحيون من هذا قال أبو ذر تخضمون ونقضم والموعد الله قال الزبير

يكفينا من خضمكم القضم * ومن نصكم العنق

وقال أيمن بن حزيم

رجوا بالشقاق الاكل خضما فقد رضوا * أخيرا من اكل الخضم ان يأكلوا القضما

وقال عمرو لمعاوية من أصبر الناس قال من كان رأيه رادا لهواه وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزهري فقال الزهري الزاهد من لم يغلب الحرام صبره والحلال شكره قال وذكر عند اعرابي رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال هذا رجل سوء وما يظن هذا ان الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما ظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر وما ظنك بخالق الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر وزعم أبو عمر والزعفراني قال كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة الا قال لا فقال عمرو أقل من قول لا فانه ليس في الجنة لا قال وقال عمرو كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل ما يجد أعطى واذا سئل ما لا يجد قال يضع الله قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم يضربهن على المسألة قال وانما يخص عمر بذلك النساء قال الحسن أدركت أقواما كانوا من حسناتهم أشفق من ان ترد عليهم منكم من سيآتكم ان تعذبوا عليها قال أبو الدرداء من يشترى مني عادا وأموالها بدرهم ودخل علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه المقابر فقال أما المنازل فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت واما الازواج فقد نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال والذى نفسي بيده لو اذن لهم في الكلام لاخبروا ان خير الزاد التقوى قال أبو سعيد الزاهد عيرت اليهود عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بالفقر فقال من الغنى أتيتم وقال آخر لو لم يعرف من شرف الفقر الا انك لا ترى أحدا يعصى الله ليفتقر وهذا الكلام بعينه مدخول قال سأل الحجاج اعرابيا عن أخيه محمد بن يوسف كيف تركته فقال تركته عظيما سمينا قال ليس عن هذا أسألك قال تركته ظلوما غشوما قال أو ما علمت انه أخي قال أتراه بك أعز مني بالله وقال بعضهم نجد في زبور داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه من بلغ السبعين اشتكى من غير علة جعفر بن سليمان قال قال محمد بن حسان النبطي لا تسأل نفسك العام ما أعطتك في العام الماضي أبو اسحق بن المبارك قال قيل لخالد بن يزيد بن معاوية ما أقرب شئ قال الاجل قيل فما أبعد شئ قال الامل قيل فما أوحش شئ قال الميت قيل فما آنس شئ قال الصاحب الموافق وقال آخر آنس شئ الموتى وقال الآخر نسي عامر بن عبد الله بن الزبير عطاءه في المسجد فقيل له قد أخذ فقال سبحان الله وهل يأخذ أحد ما ليس له جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبدة الثقفي قال لا يشهد على الليل ينوم أبدا ولا يشهد

على النهار بأكل أبدا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعزم عليه فكان يفطر فى العيدين وأيام التشريق وقال الحسن بن أبى الحسن يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا ويكون عابدا ولا يكون عاقلا وكان مسلم بن يدر عالما عابدا عاقلا وقال عباده بن الصامت من الناس من أوتى علما ولم يؤت حلما وشداد بن أوس أوتى علما وحلما قال ابراهيم كان عمرو بن عبيد عالما عاقلا عابدا وكان ذا بيان وحلم وصاحب قرآن ابراهيم بن سعيد عن أبى عبد الله القيسى قال قال أبو الدرداء لا يحرز المؤمن من شرار الناس الا قبره وقال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى على نبينا وعليه الدنيا لابليس مزرعة وأهلها له حراثون عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ما الدنيا فى الآخرة الا كنفجة الارنب قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لولا ان أسير فى سبيل الله وأضع جبهتى لله وأجالس أقواما ينتقون لى أحسن الحديث كما ينتقى أطايب الثمر لم أبال ان أكون قد مت قال عامر بن عبد قيس ما آسى من العراق الا على ثلاث ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين واخوان لى منهم الاسود ابن كلثوم وقال المورق العجلى ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه وقال خير من العجب بطاعة أن لا تأتى بطاعة قالوا كان الربيع بن خيثم يقول لا تطعم الا صحيحا ولا تكس الا جديدا ولا تعتق الا سويا وقال بعض الملوك لبعض العلماء اذم لى الدنيا فقال أيها الملك الآخذة لما تعطى المورثة بعد ذلك الندم السالبة ما تكسو المعقبة بعد ذلك الفضوح تسد بالاراذل مكان الافاضل وبالعجزة مكان الحزمة تجد فى كل من كل خلفا وترضى بكل من كل بدلا تسكن دار كل قرن قرنا وتطعم سؤر كل قوم قوما وكان سعيد بن أبى العروبة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وكان محمد بن على اذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة وكان لا يسمع من داره للسائل بورك فيك ولا ياسائل خذ هذا وكان يقول سموهم باحسن أسمائهم قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال يزيد سأتمنى كما تمنيتم قالوا تمن فقال ليتنا لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد قال وقال رجل لام الدرداء انى لاجد فى قلبى داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملا بعيدا قالت اطلع فى القبور واشهد الموتى ابن عون قال قلت للشعبى أين كان علقمة من الاسود قال كان الاسود قواما صواما وعلقمة مع البطىء وهو يسبق السريع قال وقيل لغالب بن عبد الله الجهضمى انا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء قال هو لهما شهادة محمد بن طلحة بن مضرب عن محمد بن جحادة قال لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أتى قوم الربيع بن خيثم فقالوا انستخرجن اليوم منه كلاما فقالوا قتل الحسين قال الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وأتته بنية له فقالت يا أبت اذهب ألعب فقال اذهبى فقولى خيرا واذهلى خيرا وقال أبو عبيدة استقبل عامر ابن عبد قيس رجل فى يوم حلبة قال فقال من سبق يا شيخ قال المقربون على بن سليم قال قيل

للربيع بن خيثم لو أرحت نفسك قال راحتها أريد ان عمر كان كيسا وقال أبو حازم ليتق الله أحدكم على دينه كما يتقى على نعله جعفر بن سليمان الضبعى قال أتى مطرف بن عبد الله بن الشخير أبى فجلس مجلس مالك بن دينار وقد قام فقال أصحابه لو تكلمت قال هذا ظاهر حسن وان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وقال رجل لآخر وباع منه ضيعة له اما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤونة قليلة المعونة فقال الآخر أنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق واشترى رجل من رجل دارا فقال لصاحبه لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير فقال وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم ورأى ناسك ناسكا فى المنام فقال له كيف وجدت الامر يا أخى قال وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أنفقنا وخسرنا ما خلفنا قال وقال بكر بن عبد الله المزنى اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى قال قال اعرابى انه ليقتل الجبارى جوعا ظلم الناس بعضهم لبعض قال قيل لمحمد بن على من أشد الناس زهدا قال من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت وقيل له من أخسر الناس صفقة قال من باع الباقى بالفانى وقيل له من أعظم الناس قدرا قال من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا الاصمعى عن شيخ من بكر بن وائل ان هانئ بن قبيصة أتى حرقة بنت النعمان وهى باكية فقال لها لعل أحدا أذاك قالت لا ولكن رأيت غضارة فى أهلكم وقل ما امتلأت دار سرور الا امتلأت حزنا وقالوا يهرم ابن آدم وتشب له خلتان الحرص والامل الاصمعى قال قال محمد بن واسع ما آسى من الدنيا الا على ثلاث بلغة من عيش ليس لاحد على فيها منة ولله على فيها تبعة وصلاة فى جمع اكفى سهوها ويدخر لى أجرها وأخ اذا ما اعوججت قومنى وقال آخر ما آسى من العراق الا على ثلاث ليل الحريق ورطب الشكر وحديث ابن أبى بكرة وقال آخر اذا سمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة فكانك مع لسان الحمرة وقال أبو يعقوب الخزيمى الاعور تلقانى مع طلوع الشمس سعيد بن وهب فقلت اين تريد قال ادور على المجالس فلعلى اسمع حديثا حسنا ثم لم اجاوز بعيدا حتى تلقانى انس بن ابى شيخ فقلت له اين تريد قال عندى حديث حسن فانا اطلب له انسانا حسن الفهم حسن الاستماع قال قلت حدثنى فانا كذلك قال انت حسن الفهم ردىء الاستماع وما ارى لهذا الحديث الا اسماعيل بن غزوان هشام قال اخبرنى رجل من اهل البصرة قال ولد للحسن بن ابى الحسن غلام فقال له بعض جلسائه بارك الله لك فى هبته وزادك فى احسن نعمته فقال الحسن الحمد لله على كل حسنة واسأل الله الزيادة فى كل نعمة ولا مرحبا بمن ان كنت عائلا انصبنى وان كنت غنيا اذهلنى لا ارضى بسعيى له سعيا ولا بكدى له فى الحياة كدا حتى اشفق عليه من الفاقة بعدوفاتى وأنا بحال لا يصل الى من همه حزن ولا من فرحه سرور قال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمى ان من خوفك حتى تلقى الامن خير لك ممن امنك حتى تلقى الخوف وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ما احسن الحسنة فى اثر الحسنة وما اقبح السيئة فى اثر السيئة الحسن قال

ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر نحن فيه قال وكان الحسن اذا ذكر الحجاج قال يتلو كتاب الله على لحم وجذام ويعظ عظة الازارقة ويبطش بطش الجبارين وكان يقول اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا قال وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول اتقوا الله فان عند الله أيا ما مثل شوال قال خالد بن صفوان بت ليلتي أتمنى كلها فكسيت البحر الاخضر بالذهب الاحمر فاذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران وكان الحسن يقول انكم لا تنالون ما تحبون الا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تؤملون الا بالصبر على ما تكرهون ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة في مرضه فاقبلوا يثنون عليه فقال دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء وقال أبو حازم نحن لا نريد ان نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت وكان الحسن يقول يا ابن آدم نهارك ضيفك فاحسن اليه فانك ان أحسنت اليه ارتحل بحمدك وان اسأت اليه ارتحل بذمك وكذلك ليلك وقيل لبعض العلماء من اسوأ الناس حالا قال عبد الله بن عبد الاعلى الشيباني القائل عند موته دخلتها جاهلا واقمت فيها حائرا واخرجت منها كارها يعني الدنيا وقيل لآخر من اسوأ الناس حالا قال من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته وقيل لآخر من شر الناس قال من لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وقيل لآخر من شر الناس قال القاسي فقيل ايما شر الوقاح ام الجاهل ام القاسي قال القاسي وذكر ابو صفوان عن البطال ابي العلاء من بني عمرو بن تميم قال قيل له قبل موته كيف تجدك يا ابا العلاء قال اجدني مغفورا لي قالوا قل ان شاء الله قال قد شاء الله ثم قال

اوصيكم بالحلة التلاد * فانما حولكم الاعادي

قال ابن الاعرابي كان العباس بن زفر لا يكلم احدا حتى تنبسط الشمس فاذا انفتل عن مصلاه ضرب الاعناق وقطع الايدي والارجل وكان جرير بن الخطفى لا يتكلم حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قذف المحصنات قال ومرت به جنازة فبكى وقال احرقتني هذه الجنازة قيل فلم تقذف المحصنات قال يبدو لي ولا اصبر وكان يقول انا لا ابتدئ ولكن اعتدى الحسن بن الربيع الكندي باسناده قال قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم دلني على عمل اذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس قال بلغني عن القاسم بن محيمرة الهمداني انه قال اني لاغلق بابي فما يجاوزه همي قال أبو الحسن وجد في حجر مكتوب ابن آدم لو انك رأيت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجو من املك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت الى أهلك بعائد ولا في عملك بزائد وقال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بالعمل قال أوحى الله تبارك وتعالى الى الدنيا من خدمني فأخدميه ومن خدمك

فاستخدميه وقال من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها قال مر عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه بقوم فقال ما بالهم يبكون فقالوا على ذنوبهم قال اتركوها تغفر لكم قال قال زياد بن أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآني ترحل عن مجلسه وقال اذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وقال الحسن ان أهل الدنيا وان دقدقت بهم الهمالج ووطئ الناس اعقابهم فان ذل المعصية في قلوبهم قالوا وكان الحجاج يقول اذا خطب انا والله ما خلقنا للفناء وانما خلقنا للبقاء وانما ننقل من دار الى دار وهذا من كلام الحسن ولما ضرب عبد الله ابن علي تلك الاعناق قال له قائل هذا والله جهد البلاء فقال عبد الله ما هذا وشرطة الحجام الا سواء وانما جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع وقال آخر اشد من الخوف الشئ الذي يشتد من أجله الخوف وقال آخر أشد من الموت ما يتمنى له الموت وخير من الحياة ما اذا فقدته أبغضت له الحياة وقال أهل النار يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون فلما لم يجابوا الى الموت قالوا أفيضوا علينا من الماء وقالوا ليس في النار عذاب أشد على أهله من علمهم بانه ليس لكربهم تنفيس ولا لضيقهم ترفيه ولا لعذابهم غاية ولا في الجنة نعيم أبلغ من علمهم ان ذلك الملك لا يزول قالوا قارف الزهري ذنبا فاستوحش من الناس وهام على وجهه فقال زيد بن علي يا زهري لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شئ أشد عليك من ذنبك فقال الزهري الله أعلم حيث يجعل رسالته ورجع الى ماله وأهله وأصحابه قال ابن المبارك أفضل الزهد اخفاه الاوزاعي عن مكحول قال ان كان في الجماعة الفضيلة فان في العزلة السلامة اسماعيل عن عياش عن عبد الله بن دينار قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله كره لكم اللعب في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في المقابر وقال ازدشير مرة احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع وقال واصل بن عطاء المؤمن اذا جاع صبر واذا شبع شكر وقيل لعامر بن عبد قيس ما تقول في الانسان قال ما عسى ان أقول فيمن اذا جاع ضرع واذا شبع طغى قال ونظر اعرابي في سفره الى شيخ قد صحبه فرآه يصلي فسكن اليه فلما قال انا صائم ارتاب به فأنشأ يقول

صلى فأعجبني وصام فرابني * عد القلوص عن المصلي الصائم

وهو الذي يقول لم يخلق الله مسجونا تسائله * ما بال سجنك الا قال مظلوم

الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال كان يقال اعمل وأنت مشفق ودع العمل وأنت تحبه قال وقيل لرابعة القيسية هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شئ فخوفي من أن يرد علي وقال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين لا تنظرن الى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريدان تجوز عنك الحسن قال كان من قبلكم ارق قلوبا وأصفق ثيابا وأنتم ارق منهم ثيابا واصفق قلوبا عبد الله

ابن المبارك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحكمى ان استطعت
ان تدع مما احل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل فانه من
استوعب الحلال كله تاقت نفسه الى الحرام وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لخالد بن
الوليد حين وجهه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال رجل أنا أحب الشهادة
فقال رجل من النساك أحبها ان وقعت عليك ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها وقال
رجل لداود بن نصير الطائى العابد أوصنى فقال اجعل الدنيا كيوم صمته واجعل فطرك
الموت فكأن قد والسلام قال زدنى قال لا يراك الله عند ما نهاك عنه ولا يفقدك عند
ما أمرك به قال زدنى قال ارض باليسير مع سلامة دينك كما رضى قوم بالكثير مع هلاك
دينهم قال رجل ليونس بن عبيد تعلم أحدا يعمل بعمل الحسن قال والله ما أعرف أحدا
يقول بقوله فكيف يعمل بمثل عمله قال فصفه لنا قال كان اذا أقبل فكأنما أقبل من
دفن حميمه واذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه وكان اذا ذكرت النار عنده فكأنها
لم تخلق الا له وهيب بن الورد قال بينا أنا أدور فى السوق اذ أخذ آخذ بقفائى فقال لى
يا وهيب اتق الله فى قدرته عليك واستحى الله فى قربه منك وقال عبد الواحد بن زيد الا
تستحيون من طول مالا تستحيون الهيثم قال كان شيخ من اعراب طيئ كثير الدعاء بالمغفرة له
فقيل له فى ذلك فقال والله ان دعائى بالمغفرة مع قبح اصرارى للؤم وان تركى الدعاء مع قوة
طمعى لعجز قال أبو بشير صالح المرى ان تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشية فنعم
المصيبة مصيبتك وان تكن مصيبتك باخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك
وقال عمرو بن عبيد لرجل يعزيه كان أبوك أصلك وابنك فرعك فما بقاء شئ ذهب أصله ولم
يبق فرعه وقال الحسن ان امرأ ليس بينه وبين آدم الا أب قدمات لمعرق فى الموت وقالوا
أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة ابن لهيعة عن سيار بن
عبد الرحمن قال قال لى بكير بن الاشج ما فعل خالك قلت لزم بيته قال أما لئن فعل لقد لزم
قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه فما خرجوا منها الا الى
قبورهم وقال الحسن ان لله تراثك فى خلقه لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهل الانقطاع الى الله
بشئ من أمر الدنيا وهى الامل والاجل والنسيان وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا بنى
لا يلهينك الناس عن نفسك فان الامر خالص اليك دونهم انك لم ترشيأ هو أشد طلبا ولا أسرع
درکا من توبة حديثة لذنب قديم وفى الحديث أن أبا هريرة مر بمزوان وهو يبنى داره فقال
يا أبا عبد القدوس ابن شديدا وأمل بعيدا وعش قليلا وكل خضما والموعد الله قال كان
عمر بن خولة أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وأمه خولة من المسامعة وكان ناسكا
يجتمع اليه القراء والعلماء يوم الخميس فقال الشاعر

وأصبح زورك زور الخميس * اليك كمرعية وارده

وقال الآخر فى ابن سيرين

فانت بالليل ذئب لا حريم له * وبالنهار على سمت ابن سيرين

وقال ابن الاعرابى قال بعض الحكماء لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك قال وصلى محمد ابن المنكدر على عمران بقرة فقيل له فى ذلك فقال انى لاستحى من الله ان أرى ان رحمته تعجز عن عمران بقرة ﴿باب﴾ وقال محمد بن يسير

كأنه قد قيل فى مجلس * قد كنت آتية واغشاه * محمد صار الى ربه * يرحمنا الله واياه

وقال الآخر لقد عار اذا ضيف ضيفنى * ما كان عندى اذا أعطيت مجهودى

فضل المقل اذا أعطاه مصطبرا * ومكثر فى الغنى سيان فى الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالى وأما حسن مردودى

وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا وقال ابن المقفع الجود بالمجهود منتهى الجود قال مطرف بن عبد الله كان يقال لم يلتق مؤمنان الا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه وكنت أرى انى أشد حبا لمذعور بن طفيل منه لى فلما سير لقينى ليلا فحدثنى فقلت ذهب الليل قال ساعة قلت ذهب الليل قال ساعة فعلمت انه كان أشد حبا لى منى له فلما أصبح سيره ابن عامر مع عامر قال وقالوا لعيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه من نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله اسحق بن ابراهيم قال دخلنا على كهمس العابد فجاءنا باحدى عشرة بسرة حمراء فقال هذا الجهد من أخيكم والله المستعان الاصمعى عن السكن الحرشى قال اشتريت من أبى المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهما فقلت تكون عندك حتى آتيك بالثمن قال ألست مسلما قلت بلى قال فخذها فاخذتها ثم انطلقت بها فاتيته بالستين فاخرج منها خمسة دراهم وقال اعلفها بهذه وقال مساور الوراق لابنه

شمر قميصك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاء بثوم

واجعل صحابك كل حبر ناسك * حسن التعهد للصلاة صؤوم

من ضرب جمادهناك ومسمع * وسماك العبسى وابن حكيم

وعليك بالغنوى فاجلس عنده * حتى تنال وديعة لتميم

قال بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله والغلام يصب عليه اذ خر الغلام ميتا فقال سليمان قرب وضوءك يا حصين فانما * هذى الحياة تعلة ومتاع

ونظر سليمان فى مرآة فقال انا الملك الشاب فقالت جارية له

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان

وقيل لسعيد بن المسيب ان محمد بن ابراهيم بن محمد بن طلحة سقط عليه حائط فقتله فقال ان كان لوصولا لرحمه فكيف يموت ميتة سوء وقال اسماء

عيرتني خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وتمثل عبد الملك بن مروان فقال

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

وقال آخر فاعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

فكان ما قد كان لم يك اذ مضى * وكان ما هو كائن قد كان

وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول انى لا كره ان يأتى على يوم لا أنظر فيه الى عهد الله يعنى المصحف قال وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف فقيل له فى ذلك فقال انه مبارك جاء به مبارك ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهى تقول اليوم يرحم من كان يغبطنا * واليوم نتبع من كنا نتبعه

حدثنى بكر بن المعتمر عن بعض أصحابه قال قال أبو عثمان النهدى أتت على ثلاثون ومائة سنة ما منى شئ الا وقد أنكرته الا أملى فانه يزيد وقال مسور بن مخرمة لجلسائه لقد دوارت الارض أقواما لو رأونى معكم لاستحيت منهم وانشدنى اعرابى

ما منع الناس شيأ جئت أطلبه * الا أرى الله يكفى فقد ما منعوا

وجزع بكر بن عبد الله على امرأته فوعظه الحسن فجعل يصف فضلها فقال الحسن عند الله خير منها فتزوج أختها فلقيه بعد ذلك فقال يا أبا سعيد هى خير منها وأنشد

يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يطرق كل ليلة

عوف عن الحسن قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للمسلم على أخيه ست خصال يسلم عليه اذا لقيه وينصح له اذا غاب ويعوده اذا مرض ويشيع جنازته اذا مات ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس وقال اعرابى

تبصرنى بالعيش عرسى كأنما * تبصرنى الامر الذى أنا جاهله

يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى * وكلا كان لم يلق حين يزايله

وأنشد أبو صالح ومشيد دار ليسكن داره * سكن القبور وداره لم تسكن

وكان صالح المرى أبو بشر ينشد فى قصصه وأنشد غيره

فبات يروى أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال الآخر اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاتنا من شئ فليس بضائر

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة * ولو وزن زف من جناح لطائر

فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن * وما رضى الدنيا عقابا لكافر

وقال الآخر ابعد بشر اسيرا فى بيوتهم * يرجوا لكفارة منى آل ظلام

فلن أصالحكم ما دمت ذا فرس * واشتد قبضا على السيلان ابهامى

فانما الناس بالله امهم * اكائل الطير أو جثوا لآرام

هم يهلكون ويبقى بعض ماصنعوا * كان آثارهم خطت باقلام

وأنشد لمحمد بن يسير عجبا لى ومن رضائى بحالى * انا منها على شفا تغرير

عالما لا أشك انى اذا * مت الى عدن او عذاب السعير * كلما مر بى على أهل ناد

كنت حينا بهم كثير المرور * قيل من ذا على سرير المنايا * قيل هذا محمد بن يسير

وأنشد لكل اناس مقبر لفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

هم جيرة الاحياء اما محلهم * فدان ولكن اللقاء بعيد

وقال أبو العتاهية سبحان ذى الملكوت اية ليلة * مخضت بوجه صباح يوم الموقف

لو ان عينا وهمتها نفسها * ما فى الفراق مصور لم تطرف

وقال أبو العتاهية ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غرارة * سريعة العرس من الماتم

وقال الآخر ناداهما بفراق بينهما الزمان فاسرعا * وكذاك مازال الزمان مفرقا ماجمعا

وقال الآخر ياويح هذى الارض ما تصنع * اكل حى فوقها تصرع

تزرعهم حتى اذا ما اتوا * عادت لهم تحصد ما تزرع

وقال الآخر ذكرت أبا أروى فبت كانني * بردا مور الماضيات وكيل

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذى دون الممات قليل

وان افتقادى واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال محمد بن المنتشر اذا أيسر الرجل ابتلى به أربعة مولاه القديم ينتفى منه وامرأته يتسرى عليها وداره يهدمها ويبنى غيرها ودابته يستبدل بها وقال الآخر

يجد داخرا قالنا كل هالك * ونسرع نسيانا ولم يأتنا امن

وانا ولا كفران لله ربنا * لكالبدن لا تدرى متى يومها البدن

الاوزاعى عن مكحول قال ان كان فى الجماعة فضل فان فى العزلة سلامة أبو جناب الكلبى عن أبى المجمل عن ابن مسعود قال ثلاث من كن فيه دخل الجنة من اذا عرف حق الله عليه لم يؤخره وكان عمله الصالح فى العلانية على قوام من السريرة وكان قد جمع مع ما قد عمل صلاح ما يؤمله وقال كفى موعظة انك لا تحيى الا بموت ولا تموت الا بحياة وقال بونواس

شاع فى الفناء علوا وسفلا * وأرانى أموت عضوا فعضوا

ذهبت جدتى بطاعة نفسى * وتذكرت طاعة الله نضوا

وقال الآخر وكم من أكلة منعت اخاها * بلذة ساعة اكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

وقال الآخر كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وقال آخر واستيقنى فى ظلم البيوت * انك ان لم تقتلى تموتى

وقال عنترة بكرت تخوفني الحتوف كانني * أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل * لابد ان أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي * انى امرؤ سأموت ان لم أقتل
ان المنية لو تصور رصورت * مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

وقال أبو العتاهية اذن حي تسمعي * واسمعي ثم عي وعي
عشت تسعين حجة * ثم وافيت مضجعي * أنا راهن لمصرعي
فاحذري مثل مصرعي * ليس زاد اسوى التقى * فخذي منه أودعي

وقال الخليل بن أحمد عش مابدا لك قصرك الموت * لامهرب منه ولا فوت
بيناغني بيت وبهجته * آل الغنى وتقوض البيت

وقال أبو العتاهية اسمع فقد أسمعك الصوت * ان لم تبادر فهو الفوت
نل كلما شئت وعش سالما * آخره ذا كله الموت

وقال الوزيري واعلم انني سأصير ميتا * اذا سار النواجع لا أسير
وقال السائلون من المسجى * فقال المخبرون لهم وزير

وقال أبو العتاهية الحق أوسع من معا * لجة الهوى ومضيقه
لا تعرضن لكل أمر * رأنت غير مطيقه والعيش يصلح ان مزجت غليظه برقيقه
لايخدعنك زخرف * الدنيا بحسن بريقه واذا رأيت الرأى مضطربا فخذ بوثيقه
ولربما غاص البخيل ان استنيل بريقه

وقال أيضا من أجاب الهوى الى كل مايد * عوه مما يضل ضل وتاها
ومن رأى عبرة ففكر فيها * آذنته بالبين حين يراها
ربما استغلقت أمور على من * كان يأتي الامور من مأتاها
وهيا وى الى يد كل ماتأ * تى ويأوى الى يد حسناها
قد تكون النجاة تكرهها النفس وتأتي ما كان فيه رداها

وقال أيضا لو ان عبد الله خزائن مافي الأرض ماعاش خوف املاق
ياعجبا كلنا يحيد عن الحين وكل لحينه لاق * كان حيا قد قام نادبه
والتفت الساق منه بالساق * واستل منه حياته ملك الموت خفيا وقيل من راق

وقال السموأل بن عاديا تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
فنحن كماء المزن مافي نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

معودة أن لا تسل نصالها * فيغمد حتى يستباح قبيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * وليس سواء عالم وجهول

وقال الربيع بن أبي الحقيق ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * يمخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء * وكل شديدة نزلت بحي
سيأتي بعد شدتها رخاء * وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشيخ ليس له دواء

وأنشد قد حال من دون ليلى معشر قذم * وهم على ذاك من دوني موالها
والله يعلم اني ان أتت حجج * وحيل من دونها ان لست ناسيها

وأنشد وليل يقوم القوم من ظلماته * سواء بصيرات العيون وعورها
كان لنا منه بيوتا حصينة * مسوحا أعاليها وساجا كسورها

وقالوا أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو عامل سليمان ابن عبد الملك فسأله ان يكلم سليمان في حاجة له فوعده ان يقضيها فلم يفعل وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته فقال سعيد

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي * تولى سواكم شكرها واصطناعها
أبى لك فعل الخير رأي مقصر * ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هي حثته على الخير مرة * عصاها وان همت بشر أطاعها
سيكفيك ما ضيعت منها وانما * يضيع الامور سادر من اضاعها
ولاية من ولاك سهل وبلائها * وولى سواك اجرها واصطناعها

وأنشد اذا ما أطعت النفس مال بك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

وأنشد حسب الفتى من عيشه * زاد يبلغه المحلا خبز وماء بارد * والظل حين يريد ظلا

وأنشد وما العيش الا شبعة وتشرق * وتمر كاخفاف الرباع وماء

قالوا استبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في مسيره الى الروم فكتب اليه

لمن الظعائن سيرهن تزحف * سير السفين اذا تقاعس يحذف

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب اليه

ومستجب مما يرى من اناتنا * ولو زينته الحرب لم يترمرم

ومسلمة هو القائل عند ما ولي بعضهم في قبره فتمثل بعض من حضر فقال

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال مسلمة لقد تكلمت بكلمة شيطان هلا قلت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

وكان مسلمة شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده وقال بعض الاعراب يهجو قوما

تصبر للبلاء الحتم صبرا * اذا جاورت حي بني ابان * أقاموا الديدبان على يفاع
وقالوا الى احترس للديدبان * فان أبصرت شخصا من بعيد * فصفق بالبنان على البنان
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال بعض الاعراب يمدح قوما

وسار تعناه المبيت فلم يدع * له حابس الظلماء والليل مذهبا
رأى نار زيد من بعيد فخالها * وقد كذبته النفس والظن كوكبا
رفعت له بالكف نارا تشبها * شامية نكباء أو عارض صبا
وقلت ارفعوها بالصعيد كفى بنا * مشير السارى ليلة ان تاوبا
فلما أتانا والسماء تبله * نقول له أهلا وسهلا ومرحبا
وقمت الى البرك الهواجد فاتقت * بكوماء لم يترك لها النى مهربا
فرحبت أعلى الجنب منها بطعنة * دعت مستكن الجوف حتى تصيبا

وقال الآخر واستيقنى فى ظلم البيوت * انك ان لم تقتلى تموتى

وقال أبو سعيد الزاهد من عمل بالعافية فيمن دونه أعطى العافية ممن فوقه وقال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى على نبينا وعليه فى المال ثلاث خصال قالوا وما هى يا روح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يمنعه من حقه قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله اصلاحه عن عبادة ربه قال قيل لرجل مريض كيف تجدك قال أجدنى لم أرض حياتى لموتى سعيد بن بشير عن أبيه ان عبد الملك حين ثقل و رأى غسالا يلوى ثوبا بيده وددت انى كنت غسالا لا أعيش الا بما أكتسب يوما فيوما فذكر ذلك لابى حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه الهيثم قال أخبرنا موسى ابن عبيدة الزبدى عن عبد الله بن خداش الغفارى قال قال أبو ذر فارقت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوتى من الجمعة الى الجمعة مدولا والله لا ازداد عليه حتى ألقاه قال وكان يقول انما مالك لك أو للجائحة أو للوارث فاغن ولا تكن أعجز الثلاثة فضيل بن عياض عن المطرح بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم مولى يزيد بن معاوية عن أبى امامة الباهلى قال قال عمر رضى الله تعالى عنه أدبوا الخيل وتسوكوا واقعدوا فى الشمس ولا تجاوزنكم الخنازير ولا يرفعن فيكم الصليب ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر واياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن ان يدخل الحمام الا بمئزر ولا لامرأة الا من سقم فان عائشة رضى الله تعالى عنها حدثتنى قالت حدثنى خليلى على مفرشى هذا وقال اذا وضعت المرأة خمارها فى غير بيت زوجها هتكت ما بينها و بين الله فلم تناهى دون العرش (نساك البصريين وزهادهم) عامر بن عبد قيس و بجالة بن عبدة العنبريان وعثمان بن أدهم والاسود بن كلثوم وصلة بن أشيم ومذعور بن الطفيل ومن بنى منقر جعفر وحرب ابنا جرفاس

وكان الحسن يقول انى لأرى كالجعفرين جعفرا يعنى جعفر بن جرفاس وجعفر بن زيد العبدى ومن النساء معاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ورابعة القيسية

(زهاد الكوفة) عمرو بن عتبة وهمام بن الحرث والربيع بن خيثم وأويس القرنى وقال الراجز

من عاش دهرا فسيأتيه الاجل * والمرء تواق الى ما لم ينل * الموت يتلوه ويلهيه الامل

وقال الآخر

لا يغرنك عشاء ساكن * قد يوافى بالمنيات الاجل

وقال الآخر

كلنا يأمل مدا فى الاجل * والمنايا هى آفات الامل

وقال الآخر

أنت وهبت الفتية السلاهب * وهجمة يحار فيها الحالب

وغنما مثل الجراد السارب * متاع ايام وكل ذاهب

وقال المسعودى

ان الكرام مناهبو * ك المجد كلهم قناهب

اخلف وأتلف كل شيـ * ـئ زعزعته الريح ذاهب

قال التميمى

اذا كانت السبعون سنك لم يكن * لدائك الا أن تموت طبيب

وان امرأ قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب

اذا ما مضى القرن الذى كنت فيهم * وخلفت فى قرن فأنت غريب

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

وقال غسان خال الغدار ابيض منى الرأس بعد سواد * ودعا المشيب حليلتى ببعاد

واستحصد القرن الذى أنا منهم * وكفى بذاك علامة لحصادى

وكان على بن موسى بن ماهان كثيرا ما يقول ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكان كثيرا ما يقول ويل للظالمين من الله وقال محمد بن واسع الاتقاء على العمل أشد من العمل وكان أبو وائل النهشلى يقول فى أول كلامه ان الدهر لا يذوق طعم الفراق ولا يذيقه أهله وانما ينغمسون فى ليل ولا يطغون فى نهار فيوشك شاهد الدنيا ان يغيب وغائب الآخرة أن يشهد وقال سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤل اذهب بسلام فقال له السائل قد أنصفنا من ردنا الى الله الخزامى عن سفيان بن حمزة عن كثير بن الصلت ان حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألف درهم فقيل له غبنك والله معاوية فقال والله ما أخذتها فى الجاهلية الا بزق من خمر أشهدكم انها فى سبيل الله فانظروا أينا المغبون قال سفيان الثورى ليس من ضلالة الا عليها زينة فلا تعرضن دينك لمن يبغضه اليك وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل وأتى مسلما نصرانى يعزيه فقال له مثلى لا يعزى مثلك ولكن أنظر الى ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه وكان الحسن بن زيد بن على بن الحسين بن على يلقب ذا الدمعة فاذا عوتب فى كثرة البكاء قال وهل تركت النار والسهمان لى مضحكا يريد قتل زيد ابن على أبيه ويحيى بن زيد اخيه وقيل لشيخ من الاعراب قد مقاما خفنا عليك منه قال الموت أخاف شيخ كبير ورب غفور ولا دين ولا بنات قال أبو العتاهية

وكاتبلى وجوه فى الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال بشار كيف يبكى محبس فى طلول * من سيقضى لمحبس يوم طويل
ان فى البعث والحساب لشغلا * عن وقوف بكل رسم محيل

وقال محمود الوراق اليس عجيبا بان الفتى * يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع * وبين معزمفذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضا بكيت لقرب الاجل * وبعد فوات الامل

ووافد شيب طرا * بعقب شباب رحل * شباب كان لم يكن * وشيب كان لم يزل
طواك بشير اليقا * وحل بشير الاجل * طوى صاحب صاحبا * كذاك اختلاف الدول

وقال محمود أيضا رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا بفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

وقال الحسن بن هانى

آية تارقدح القادح * وأى جد بلغ المازح * لله در الشيب من واعظ
وناصح لوحظى الناصح * يأبى الفتى الاتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
فاسم بعينيك الى نسوة * مهورهن العمل الصالح * لا يجتلى العذراء من خدرها
الا امرؤ ميزانه راجح * من اتقى الله فذاك الذى * سيق اليه المتجر الرابح

﴿وقال أيضا﴾

خل جنبيك للرام * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من ألـ * ـجم فاه بلجام * ربما استفتحت بالمز * ح مغاليق الحمام
رب لفظ ساق آجا * ل فتام لفتام * فالزم الصمت فان * الصمت أبقى للجمام
والمنايا آكلات * شاربات للانام * شبت يا هذا وما تتـ * ـرك اخلاق الغلام

وقال أيضا كن من الله يكن لك * واتق الله لعلك
لا تكن الا معدا * للمنايا فكانك * ان للموت لسهما * واقتعادونك أوبك
نحن نجرى فى أفانيـ * ـن سكون وتحرك * فعلى الله توكل * وبتقواه تمسك

وقال أيضا يا نواسى تفكر * وتعزوا وتصبر * ساءك الدهر بشئ
ولما سرك أكثر * يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

قال سعيد بن ربيعة بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم

الا انما هذا الملال الذى ترى * وادبار جسمى من ردى العثرات
وكم من خليل قد تخلدت بعده * تقطع نفسى بعده حسرات

وهذا من قديم الشعر وقال الطرماح فى هذا المعنى

وشيبني أن لا أزال مناهضا * بغير قوى أنزو بها وابوع
وان رجال المال أضحوا وما لهم * لهم عند أبواب الملوك شفيع
أمختر مي ريب المنون ولم أنل * من المال ما أعصى به واطيع

ومن قديم الشعر قول الحرث بن بزيد وهو جد الاحيمر اللص السعدى

لا لا اعق ولا أحوب ولا أغير على مضر * لكنما اعزو اذا ضج المطى من الدبر

وقال آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز

وان قالت رجال قد تولى * زمانكم وذا زمن جديد
فاذهب الزمان لنا بمجد * ولا حسب اذا ذكر الحدود
وما كنا لنخلد اذ ملكنا * وأى الناس دام له الخلود

وقيل لاخيه بعد أن رأوه حمالا لقد حطك الزمان وعضك الحدثان فقال

ما فقدنا من عيشنا الا الفضول * وقال عروة بن أذينة الكنانى

نراع اذا الجنائز قابلتنا * ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

وقالت خنساء بنت عمرو ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هى اقبال وادبار

وقال أبو النجم فلو ترى التيوس مضجعات * عرفت أن لسن بسالمات
أقول اذ اجشأنا مذبحات * ألم تكن من قبل واقعات * ما أقرب الموت من الحياة

وقال سليمان بن الوليد رب مغروس يعاش به * عدمته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * اقرب الاشياء من عرسه

وقال آخر يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

وقالت امرأة فى بعض الملوك

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على فارس فجعت به * أرملنى قبل ليلة العرس

﴿ أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر ﴾ قال هبيرة بن وهب المخزومى

ان مقال المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

وقال الراجز والقول لا تملكه اذ أنمى * كالسهم لا يرجعه رام رمى

والى هذا ذهب عامر الشعبى حيث يقول وانك على ايقاع ما لم توقع أقدر منك على رد ما قد أوقعت وأنشد

فداويته بالحلم والمرء قادر * على سهمه ما دام فى كفه السهم

وقال الانصارى وبعض القول ليس له حصاة * كمخض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشيح ليس دواء

وقال الآخر ومولى كداء البطن اما لقاؤه * فحلم واما غيبه فظنون

وقال الآخر تقسم أولاد المملة مغنمى * جهارا ولم يغلبك مثل مغلب
وقال الثالث * وهن شر غالب لمن غلب *
وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كتب أحدكم فليترب كتابه فان التراب مبارك وقال هو انجع للحاجة وذكر الله عز وجل آدم الذى هو أصل البشر فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ولذلك كنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا أبا تراب قالوا وكانت أحب الكنى اليه وقال الآخر وان جئت الامير فقل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
واما بعد ذاك فلى غريم * من الاعراب قبح من غريم * له ألف على ونصف ألف
ونصف النصف فى صك قديم * دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بنى تميم
وقال الكميت حلفت برب الناس يا أم خالد * بانك اذا صوتنا الهل والهب
ولا خالد يشتط الماء قائما * بعذلك والداعى الى الموت ينعب
وقال ابن نوفل تقول لما أصابك أطعمونى * شرابا ثم بات على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ذى بصر ضرير
وقال ابن هرمة تراه اذا ما أبصر الضيف كلبه * يكلمه من حبه وهو أعجم
وقال المهلب عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وقال الشاعر
رزقت لبا ولم أرزق مروأته * وما المروأة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدنى * عما ينوه باسمى رقة الحال
وقال الاحنف فلو مد سروى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروأة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا
وقال جرير بن يزيد خير من البخل للفتى عدمه * ومن بنين أعقة عقمه
قال ومشى رجال من بنى تميم الى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير فى عشر ديات فقال محمد بن عمير على دية فقال عتاب على الباقية فقال محمد نعم العون على المروأة المال وقال آخر
ولا خير فى وصل اذا لم يكن له * على طول مر الحادثات بقاء
وقال الآخر شفاء الحب تقبيل وشم * وضم بالبطون على البطون
وأنشد والله لا أرضى بطول ضم * ولا بتقبيل ولا بشم
الابهزهاز يسلى همى * يسقط منه فتخى فى كمى * لمثل هذا ولدتنى أمى
وقال آخر ولقد بدا الى ان قلبك ذاهل * عنى وقلبى لو بدا لك أذهل
كل يجامل وهو يخفى بغضه * ان الكريم على القلى يتجمل
وقال آخر لا ينفع الجارية الخضاب * ولا الوشحان ولا الجلباب
من دون ان يصطفق الاركاب * وتتقى الاسباب والاسباب * ويخرج الزب له لعاب
وقال الآخر وحظك زورة فى كل عام * موافقة على ظهر الطريق

سلاما خاليا من كل شئ * يعود به الصديق على الصديق

وقال الآخر وزعمت أنى قد كذبتك مرة * بعض الحديث فما صدقتك أكثر

وقال الآخر أهينوا مطاياكم فانى وجدته * يهون على البرذون موت الفتى الندب

وقال الآخر لا يحفل البرد من يبلى حواشيه * ولا تبالى على من راحت الابل

وقال الآخر الا يبالى البرد من جر فضله * كما لا تبالى مهرة من يقودها

وقال الآخر وانى لارثى للكريم اذا غدا * على حاجة عند اللئيم يطالبه

وارثى له من مجلس عند بابه * كرثيتى للطرف والعلج راكبه

وقال الفرزدق أترجو بيع ان يجىء صغارها * بخير وقد أعيى ربيعا كبارها

وقال الشاعر ألم تران سير الخير ريث * وان الشر راكبه يطير

وقال ابن بشير تأتى المكاره حين تأتى جملة * وترى السرور يجىء فى الفلتات

قيل لبلال بن أبى بردة لم لا تولى ابا الجهوز بن أبى شيخ العراق وكان بلال مستر ضعا فيهم وهو من بلهجيم قال لانى رأيت منه ثلاثا رأيته يحتجم فى بيوت أخواته و رأيت عليه مظلة وهو فى الظل ورأيته يبادر بيض البقيلة وكان عندى شيخ عظيم البدن جهير الصوت يستقصى الاعراب وقد ولده رجل من أهل الشورى وكان يقربى عبد أسود دقيق العظم ذميم الوجه ورآنى أكبره فقال لى حين نهض ورأى عظما يا أبا عثمان لا والله ان يساوى ذلك العظم المالى بصرت عينى به فى الحمام و تناول قطعة من فخار فأعطاها رجلا وقال له حك بها ظهرى أفتظن هذا يا أبا عثمان يفلح أبدا قال أبو الحسن سأل الحجاج غلاما فقال له غلام من أنت قال غلام سيد قيس قال ومن ذاك قال زرارة بن أوفى قال كيف يكون سيد قيس وفى داره الذى ينزلها سكان قال وقال رجل لابنه اذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخا من قدماء جيرانك قال يا أبت لو كنت اذا خاصمت جارى لم يعرف عيبى غيرى كان ذلك رأيا ولكن جارى لا يعرفنى عيبى حتى يعرفه عدوى وقد أخطأ الذى وضع هذا الحديث لان أباه نهاه ولم يأمر وقال الآخر اصطنعنى وأقلنى عثرتى * انها قد وقعت منى بقر

واعلمن ان ليس ألف الدرهم * لديحى وهبائى بخطر * يذهب المال ويبقى المنطق

شائع يأثره أهل الحجر * ثم أرميكم بوجه بارز * لست أمشى لعدوى بخمر

وقال أشهب بن رميلة يوم صفين الى أين يا بنى تميم قالوا قد ذهب الناس قال تفرون وتعتذرون قال ونهض الحرث بن حوط الليثى الى على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وهو على المنبر فقال أتظن انا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال قال يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال فاعرف الحق تعرف أهله وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا أدركت أناو أنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الازواج قال وبعث قسامة بن زهير العنبرى الى أهله بثلاثين شاة ونحى صغير فيه سمن فسرق الرسول

شاة وأخذ من رأى النحى شيأ من السمن فقال لهم الرسول ألكم اليه حاجة أخبره بها فقالت له امرأته أخبره ان الشهر محاق وان جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما فاسترجع منه الشاة والسمن قال سليمان بن على لرؤبة ما بقى من باهك يا أبا الجحاف قال يمتد ولا يشتد وأستعين بيدى ثم لا أورد وأطيل الظمأ ثم اقصر قال ذلك الكبير قال لا ولكنه طول الرغاث قيل لاعرابى أى الدواب آكل قال برذونة رغوث وقيل لغيره لم صارت اللبؤة انزق وعلى اللحم احرص قال هى الرغوث قال وقال عبد الله بن عمر اتقوا من تبغضه قلوبكم وقال اسماعيل بن غزون لا تنفق درهما حتى تراه ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه فالصابر هو الذى يشكر والجازع هو الذى يكفر عامر بن يحيى بن أبى كثير قال لا تشهد لمن لا تعرق ولا تشهد على من لا تعرف ولا تشهد بما لا تعرف أبو عبد الرحمن الضرير عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لا سمر الا لثلاثة مسافر ومصل وعروس وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليست لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال من هم قال قريش قال ممن أنت قال من جرم وقال الراجز

ان تميما أعطيت تماما * وأعطيت مآثرا عظاما * وعددا وحسبا قماما
وبازخا من عزها قداما * فى الدهر أعيى الناس ان يراما * اذا رأيت منهم الاجساما
والدل والشيمة والكلاما * واذرعا وقصرا وهاما * عرفت ان لم يخلقوا طغاما
ولم يكن أبوهم مسقاما * لم تر فيمن يأكل الطعاما * أقل منهم سقطا وذاما

تقول العرب لو لم يكن فى الابل الا انهار قؤالدم قال جندل بن صخر وكان عبدا مملوكا

وما فك رقى ذات دل خبرنج * ولا شان مالى صدقة وعقول
ولكن نمانى كل أبيض خضرم * فاصبحت أدرى اليوم كيف أقول

وقال الفقيمى وهو قاتل غالب أبى الفرزدق

وما كنت نواما ولكن ثائرا * اناخ قليلا فوق ظهر سبيل
وقد كنت مخزون اللسان ومفحما * فاصبحت أدرى اليوم كيف أقول

وقال مغيرة بن شعبة من دخل فى حاجة رجل فقد ضمنها وقال عمر رضى الله تعالى عنه لكل شئ شرف وشرف المعروف تعجيله وقال رجل لابراهيم النخعى اعد الرجل الميعاد قال الى متى قال الى وقت الصلاة قال وقال لى بعض القرشيين من خاف الكذب أقل من المواعيد وقال امران لا يسلمان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار قال ابراهيم النظام قلت لخنجير كور ممرور الزياديين اقعد ههنا حتى أرجع اليك قال اما حتى ترجع فانى لا أصبر لك ولكن اقعد لك حتى الى الليل

﴿هذه رسالة ابراهيم بن سيابة الى يحيى بن خالد بن برمك﴾

و بلغنى ان عامة أهل بغداد يحفظونها فى تلك الايام وهى كما ترى وأولها للاصبغ الجواد الوارى الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل من المستكين المستجير البائس الضرير فانى أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق الى تغضبك على واطراحك لى وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنقبه ولا أرقد فاست بحى صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحملت بك عليك ولذلك قلت

أسرعت بى حثا اليك خطائى * فاناخت بمذهب ذى رجاء
راغب راهب اليك يرجى * منك عفوا عنه وفضل عطاء
ولعمرى ما من أصر ومن تا * ب مقر من ذنبه بسواء

فان رأيت أراك الله ما تحب وأبقاك فى خير أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى وتخشعى وتذللى وتضعفى فان ذلك ليس منى بخيزة ولا طبيعة ولا على وجه تصنع ولا تخدع ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك الا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف محمد بن حرب الهلالى قال دخل زفر بن الحرث على عبد الملك بعد الصلح فقال ما بقى من حبك للضحاك فقال ما لا ينفعنى ولا يضرك قال شدما اجبتموه معاشر قيس قال أجبناه ولم نواسه ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا ما فاتنا منه قال فما منعك من مواساته يوم المرج قال الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار قال الشاعر

لكل كريم من الائم قومه * على كل حال حاسدون وكشح

قالوا وقال سليمان بن سعد لو صحبنى رجل فقال اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها القلت لا تكذبنى قال كان يقال أربع خصال يسود بها المرء العلم والادب والعفة والامانة وقال الشاعر

لئن طبت نفسا عن ثنائى فانى * لاطيب نفسا عن ندالك على عسرى
فلست الى جدواك أعظم حاجة * على شدة الاعسار منك الى شكرى

وقال الآخر

أهن سمتنى ذلا فعفت حياضه * سخطت ومن يأب المذلة يعذر
فها أنا مسترضيك لا من جناية * جنيت ولكن من تجنيك فاغفر

وقال اياس بن قتادة

وان من السادات من لو أطعته * دعاك الى نار يفور سعيرها

وقال الآخر

عزمت على اقامة ذى صباح * لامر ما يسود من يسود

وقال الهذلى

وان سيادة الاقوام فاعلم * لها صعداء مطلبها طويل

وقال حارثة بن بدر

اذا اللهم أمسى وهو داء فامضه * ولست بمضيه وأنت تغازله
ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

وقل للفؤاد ان نزابك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله

وقال الآخر وان بقوم سودوك لغاقة * الى سيد لو يظفرون بسيد

وقال آخر وما سدت فيهم ان فضلك عمهم * ولكن هذا الحظ فى الناس يقسم

وقال حارثة بن بدر خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردى بالسودد

الفضل بن تميم قال قال المغيرة من لم يغضب لم يعرف حلمه وقال الشاعر

ما بال ضبع ظل يطلب دائبا * فريسته بين الاسود الضراغم

وقال الآخر ذكرت بها عهدا على الهجر والقلى * ولا بد للمشتاق ان يتذاكرا

وقال الآخر اذا ما شفيت النفس ابلغت عذرها * ولا لوم فى أمر اذا بلغ العذر

وقال الآخر لعمرك ما الشكوى بام حزامة * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

وقال الآخر لولا ثلاث هن عيش الدهر * الماء والنوم وأم عمرو

* لما خشيت من مضيق القبر *

وقال لقيط بن زرارة شتان هذا والعناق والنوم * والمشرب البارد فى ظل الدوم

وقال والبة ما العيش الا فى المدام * وفى اللثام والقبل

وارادة الظبى الغرير * تسومه ما لا يحل

وقال شيخ من أهل المدينة ما كنت أريد ان أجلس الى قوم الا وفيهم من يحدث عن الحسن وينشد للفرزدق وقال أبو مجيب لا ترى امرأة مصبرة العين ولا امرأة عليها طاق يمنة ولا شريف يغايم نابعيرا وقال أبو براح ذهب الفتيان فما ترى فى مفرق الشعر بالدهن معلقا نعله ولا ديكين فى خطار ولا صديقا له صديق ان قرضغا وان عوقب جزع وان خلا بصديق فتى خشنه وان ضرب أقر وان طال حبسه ضجر ولا ترى فتى يحسن ان يمشى فى قيده ولا يخاطب أميره قال أبو الحسن قال أبو عباية ترى زقاق براقش وبساتين هزارمرد ما كان يسلكه غلام الا بخفير وهم اليوم يخترقونه قلت هذا من صلاح الفتيان قال لا ولكن من فسادهم اليقظرى قال قيل لطفيل العرائس كم اثنان فى اثنين قال أربعة أرغفة وقال رجل لرجل انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل انسان جردقتين عبد الله بن مصعب قال ارسل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وانك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبة ويقول هى أسهل فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما غداء ما بعد الك قال فاتيت الزبير فقال مرحبا يا ابن لبابة أزائرا جئت أم سفيرا قلت كل ذلك وابلغته ما قال على فقال الزبير أبلغه السلام وقل له بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فنحل ما أحلت ونحرم ما حرمت فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير ما كنت أرى

ان مثل ما جئتنا له يكون فيه قتال قال ومن جيد الشعر قول جرير

لئن عمرت تيم زمانا بعزة * لقد حزيت تيم حذاء عصيصبا
فلا يضغمن الليث تيما بعزة * وتيم يشمون الفريس المنيبا

وقال الاعرابي كحلتني بالميل الذي تكحل به العيون الداءة وقال ابن أحمر

بهجل من قساذفر الخزامى * تهادى الجربياء به الحنينا
بها يتزحزح القلع السواري * وجن الخاز باذبه الجنونا
تكاد الشمس تخشع حين يبدو * لهن وما تزلن وما عسينا

وقال الحكم الحضرمي كوم تظاهرنها وتربعت * بقلا بعيهم والحمى مجنونا

والمجنون المصروع ومجنون بني عامر ومجنون بني جعدة واذا فخر النبات قيل قد جن قال الشقري وجلت ودقت واسبكرت وانضرت * فلو جن انسان من الحسن جنت

قال وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغي طفلا فقال مجنونة أو أم صبي وقال أبو غمامة ابن عازب وكلهم قد ذاقنا فكأنما * يرون علينا جلدا جرب هائل

وقال الثعلبي يرى الناس منا جلد أسود سالخ * وفروة ضرغام من الاسد ضيغم

وأنشد الاصمعي منهرة الشدقين عود قد كمل * كأنما قص من ليط جعل

وقال نصيب لعمر بن عبد العزيز ان لي بنية زررت عليها من سوادي وقال عبد الملك للوليد لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر وانظر عمك محمد بن مروان فاقره على الجزيرة وأما الحجاج فانت أحوج اليه منه اليك فانظر علي بن عبد الله فاستوص به خيرا فضرب عليا بالسياط وعزل أخاه وعمه وقال أبو نخيلة

انا ابن سعد وتوسطت العجم * فانا فيما شئت من خال وعم

وأنشد هم وسط يرضى الاله بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

يجعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وأنشد

ولولا خلة سبقت اليه * وأخوكان من عرق المدام
دلفت له بابيض مشرفي * كما يدنو المصافح للسلام

وقال يزيد بن ضبة لا تبدين مقالة مأثورة * لا تستطيع اذا مضت ادراكها

وقال ابن ميادة يا أيها الناس ردوا القول واستمعوا * وكل قول اذا ما قيل يستمع

وقال الآخر ما المدلج الغادي اليه بسحرة * الا كآخر قاعد لم يبرح

وقال العلاء بن المنهال الغنوي في شريك بن عبد الله

قليت أبا شريك كان حيا * فيقصر عن مقالته شريك
ويترك من تدرئه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك

وقال طارق بن دائل الطائى

ما ان يزال ببغداد يزاحمنا * على البراذين أشباه البراذين
ماشئت من بغلة سفواء تاجية * ومن أثاث وقول غير موزون
أعطاهم الله أموالا ومنزلة * من المملوك بلا عقل ولا دين

وقال منقذ بن دثار الهلالى

لاتذكرن صنيعة سلفت * منك وان كنت لست تنكرها
عند امرئ أن تقول ان ذكرت * يوما من الدهر لست أذكرها
فان احياءها اماتتها * وان منابها يكدرها

قال بعض الحكماء صاحب من ينسى معروفه عندك و يتذكر حقوقك عليه وقال منقر ابن فروة المنقرى

وان خفت من أمر فوانا فوله * سواك وعن دار الاذى فتحول
وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

ونظر أبو الحارث جين الى برذون يستقى عليه الماء فقال

* وما المرء الا حيث يجعل نفسه * لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية وأنشد

لاخير فى كل فتى نؤوم * لا يعتريه طارق الهموم

وأنشد

اجعل أباحسن كمن لاتعرف * واهجره مقترنا وان لم يخلف
آخ الكرام المنصفين وصلهم * واقطع مودة كل من لم ينصف

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

مازال عصيانا لله يسلمنا * حتى دفعنا الى يحيى ودينار
الى عليجين لم يقطع ثمارهما * قد طالما سجد الشمس والنار

وشاتم اعرابى اعرابيا فقال انكم لتعتصرون العطاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء وقال أبو الاسود الدؤلى

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا * فان ذكروك السد فالسد أكيس
ومن خير ما ألصقت بالدار حائط * تزل به صقع الخطاطيف أملس

وأنشد

اذا لم يكن للمرء بد من الردا * فاكرم أسباب الردا سبب الحب

وقال الآخر

واذا شئت فى شئت حديثه * واذا سمعت غناءه لم أطرب

وأنشد المبرد لكامل بن عكرمة

لها كل عام موعد غير منجز * ووقت اذا مارأس حول تجرما
فان وعدت شرا أتى قبل وقته * وان وعدت خيرا أراث وعتما

وقال الآخر

ألم تران سير الخير ريث * وأن الشر راكبه يطير

وقال محمد بن بشير

تأتى المكاره حين تأتى جملة * وترى السرور يجىء فى الفلتات

وقال الآخر

اذا ما يريد الشام أقبل نحونا * ببعض الدواهى المفظعات فاسرعا

فان كان شرا سار يوما وليلة * وان كان خيرا قصد السير أربعا

وقال آخر فاذا نهضت فالنهوض بداثم * واذا نكبت توالت النكبات

وقال آخر وتجعلنا الرؤيا فجل حديثنا * اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

وان حسنت لم تأت عجلى وابطأت * وان قبحت لم تحتبس وأتت عجلا

قيل لاعرابي ما أعددت للشتاء قال جلة ريوضا وصئصة سلوكا وشملة مكودا وقرموصا دفيئا ونافقة مجالحة وقيل لآخر ما أعددت للشتاء قال شدة الرعدة وقيل لآخر كيف ليلكم قال سحركله وقيل لآخر كيف البرد عندكم قال ذلك الى الريح وقال معن بن أوس المزني

فلا وابي حبيب ما نفاه * من أرض بني ربيعة من هوان * وكان هو الغنى الى غناه

وكان من العشيرة في مكان * تكنفه الوشاة فازعجوه * ودس من قضاعة غير وان

فلولا ان أم أبيه أمي * وان من قد هجاه فقد هجاني * وان أبي أبوه لذاق مني

مرارة مبردي ولكان شاني * اذا لاصابه مني هجاء * يمر به الردى على لساني

اعلم الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني

وقال بعض اليهود

ولو كنت أرضى لا أبالك بالذي * به العائل الجثام في الخفض قانع

اذا قصرت عندي الهموم وأصبحت * على وعندي للرجال صنائع

ذكر ما قالوا في المهالبة

ان المهالبة الكرام تحملوا * دفع المكاره عن ذوي المكروه

زانوا قديمهم بحسن حديثهم * وكريم اخلاق بحسن وجوه

وقال أبو الجهم العدوي في معاوية بن أبي سفيان

نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

نميل على جوانبه كأنا * نميل اذا نميل على أبينا

وقال الآخر في هذا الشكل

ان أجز علقمة بن سيف سعيه * لا أجزه ببلاء يوم واحد

لاحبني حب الصبي ورمني * رم الهدى الى الغني الواجد

واقد شفيت غليلتي فنقعتها * من آل مسعود بماء بارد

وقال بكير بن الاخنس نزلت على آل المهلب شاتيا * فقيرا بعيد الدار في سنة محل

فما زال بي ألطافهم وافتقادهم * واكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال في كلمة له آخرى وقد كنت شيخا ذا تجارب جمة * فاصبحت فيهم كالصبي المدلل

ورؤى المهلب وهو غلام فقال

خذوني به ان لم يسد سراتهم * ويبرع حتى لا يكون له مثل

وقال الحزين فى طلحة بن عبد الله من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

فان تك يا طلح أعطيتنى * جمالية تستحق السفارا
فما كان نفعك لى مرة * ولا مرتين ولكن مرارا

وقال أبو الحسان سأمدح ما لكا فى كل ركب * لقيتهم وأترك كل رذل
فما أنا والبكارة من مخاض * عظام جلة سدس وبزل * وقد عرفت كلابهم ثيابى
كأنى منكم ونسيت أهلى * نمتكم من بنى سمع زناد * لها ما شئت من فرع وأصل

قال أبو الشغب الاان خير الناس قد تعلمونه * أسير ثقيف موثقا فى السلاسل
لعمرى لئن أعمرتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضا بكل ملمة * ومعطى اللها غمرا كثير النوافل
فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ومن هذا الباب قول أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء

رأيت ثناء الناس بالغيب طيبا * عليك وقالوا ما جد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد انكم * بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا * بأنى ساطرى خالدا فى القصائد
فان يك عتاب مضى لسبيله * فما مات من يبقى له مثل خالد

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الاسدى

الماء لى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
أيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة موضعا
وياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
فلما مضى معن مضى الجود والندا * وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فنى عيش فى معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعزا بالعباس عنه ولا يكن * جزاؤك من معن بان تتضعضعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذى * له مثل ما أسدى أبوك وما سعى
تمنى اناس شأوه من ضلالهم * فأضحوا على الاذقان صرعى وظلعا

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد

قبر يزيد عة استسر ضريحه * خطر اتقاصر دونه الاخطار
أبقى الزمان على معد بعده * حزنا كعمر الدهر ليس يعار
نفضت به الآمال احلاس الغنى * واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوازى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

﴿ ذكر حروف من الادب من حديث بنى مروان وغيرهم ﴾

قيل اذا رسخ الرجل فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة مسلمة قال كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب قوما فقد أوذيتما أمير المؤمنين قال عمر أنت آذى لى منهما المدائنى قال قعد قدام زياد رجل صنايعى من قرية باليمن يقال لها ضياع وزياد يبنى داره فقال له أيها الامير لو كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها و باب مغربها من قبل مشرقها فقال أنى لك هذه الفصاحة قال انها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل فقال و يلك الثانى شر شعبة عن الحكم قال قال عبد الرحمن بن أبى ليلى لاماري أخى فاما أن أكذبه واما أن أغضبه ابن أبى الزناد قال اذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى وعن أبى بكر الهذلى واسمه سلمى قال اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل اذا كان حلالا وكثرت عليه الايدى وسمى الله على أوله وحمد على آخره وقال ابن قتيبة

وأهون كف لا تضيرك ضيرة * يد بين أيد فى اناء طعام
يدمس قريب أو غريب بقفرة * أتتك بها غبراء ذات قتام

وقال حماد عجرد حبيش أبو الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسده
يخوف تخمة أصحابه * فعودهم أكلة واحده

وقال سويد المرائد انى اذا ما الامر بين شكه * وبدت بصائره لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم * وألم من حر الصميم الكلكل
أدع التى هى أرفق الخلات بى * عند الحفيظة للتى هى أجمل

﴿ ومما يكتب فى باب العصا ﴾

قالت امامة يوم برقة واسط * يا ابن العذير لقد جعلت تغير
أصبحت بعد زمانك الماضى الذى * ذهبت شبيبته وغصنك أخضر
شيخا دعامتك العصا ومشيعا * لا تبتغى خبرا ولا تستخبر

و يضم البيت الاخير الى قوله

وهلك الفتى أن لا يراح الى الندا * وأن لا يرى شيأ عجيبا فيعجبا
ومن يبتغى منى الظلامة يلقنى * اذا ما رآنى اصلع الرأس أشيبا

وقال بعض الحكماء أعجب من العجب ترك التعجب من العجب وقيل لشيخ هم أى شئ تشتهى قال اسمع بالاعاجيب وأنشد

عريض البطان جديب الخوان * قريب المرام من المرتع
فنصف النهار لكرسائه * ونصف لما كله أجمع

ومما يضم الى العصا قوله

لعمرى لئن جليت عن منهل الصبا * لقد كنت و راد المشرب العذب

ليالى اغدو بين بردين لاهيا * أميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغوانى والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

وقال الحاجب بن ذبيان لاخيه زرارة

عجلت مجىء الموت حين هجرتنى * وفى القبر هجر يا زرار طويل

وقال الآخر ألم تعلمى يا عمرك الله انتى * كريم على حين الكرام قليل
وانى لأخزى اذا قيل مقتر * جواد وأخزى ان يقال بخيل
وان لا يكن عظمى طويلا فاننى * له بالخصال الصالحات وصول
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حتى يقال طويل
ولا خير فى حسن الجسوم وطولها * اذا لم يزن حسن الجسوم عقول
وكائن رأينا من فروع طويلة * تموت اذا لم تحيهن اصول
ولم أر كالمعروف اما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وقال زياد بن زيد اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * اطال فاملى أم تناهى فاقصرا
ويخبرنى عن غائب المرء فعله * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

وقال آخر ابر فما يزداد الا حماقة * ونوكا وان كانت كثيرا مخارجه

وقال ابن الرقاع وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته * حتى يقيم ثقافه منآدها
وعلمت حتى لست اسأل عالما * عن حرف واحدة لكى ازدادها

وقال بعض الاعراب لولا مسرة أقوام تصعدنى * أو الشماتة من قوم ذوى احن
ما سرنى ان ابلى فى مبارکها * وان امرا قضاه الله لم يكن

وقال الآخر وانى لاهوى ثم لا أتبع الهوى * واكرم خلائى وفى الصدود
وفى النفس عن بعض التعرض غلظة * وفى العين عن بعض البكاء جمود

وقال كثير ترى القوم يخفون التبسم عنده * وينذرهم عورة الكلام نذيرها
فلا هاجرات القول يؤثرن عنده * ولا كلمات النصح مقصى مشيرها

وقال المفشر يقر بعينى ان أرى قصد القنا * وصرعى رجال فى وغى أنا حاضره

وقال الكميت أحسن منها زياد خامسة * فى الورد أو فيلق يجالدها

وقال صالح بن محراق فى كلام له لولا ان الله تبارك وتعالى قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم لانبأتكم انى لا أكرهه وقال الآخر

تركت الركاب لاربابها * واكرهت نفسى على ابن الصعق
جعلت يدى وشاحا له * وبعض الفوارس لا يعتنق

قال وقال عمر بن عبد العزيز يوما فى مجلسه من أم النعمان بن المنذر فقال روح بن الوليد ابن عبد الملك سلمى بنت عقاب قال انه ليقال ذلك ياحاجب أحسن اذنه قالوا عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس أقبح منها فى غيرهم الضيق فى الملوك والغدر فى الاشراف والكذب فى القضاة والخديعة فى العلماء والغضب فى الابرار والحرص فى الاغنياء والسفه فى الشيوخ والمرض فى الاطباء والتهزؤ فى الفقراء والفخر فى القراء وأنشد

ولا تقبلوا عقلا وأموا بغارة * بنى عبد شمس بين دومة والهضب
وهز واصدور المشرفى كأنما * يقعن بهام القوم فى حنظل رطب

ويضم الى بيت الحكميت وبيت المقنع قول الحكمى

أحسن عندى من انكبابك بالسـ * ـفهر ملحابه على وتد
وقوف ريحانة على أذن * وسير كأس الى فم بيد

وفى باب غير هذا يقول حسان بن ثابت

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وأنشدوا

خبرت ان طويلبا يغتابنا * بعضيهة يتخل الاقوالا
ماضر ساده تنهشل أهجاهم * أم قام فى عرض الحوى فبالا

وقال الفرزدق فى هذا المعنى

ماضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

وقال الآخر فى هذا المعنى

مايضير البحر أمسى زاخرا * ان رمى فيه غلام بحجر

﴿ومما يزاد فى باب ذكر العصا﴾ قول جرير بن الخطفى

ويقضى الامر حين تغيب تيم * ولا يستأمرون وهم شهود
وقد سلبت عصاك بنو تميم * فما تدرى باى عصا تذود

وقال الحسن بن عرفطة بن نضلة

ليهنك بغض فى الصديق وضنه * وتحديثك الشئ الذى أنت كاذبه
وانك مهداء الخنا نطف الثنا * شديد السباب رافع الصوت غالبه
وانك مشنوء الى كل صاحب * بلاك ومثل الشر يكره جانبه
ولم أر مثل الجهل أدنى الى الردى * ولا مثل بغض الناس غمض صاحبه

وقال قتادة بن خرجة التغلبى

خليلى يوم السلسلين لوانى * بهبر اللوى أنكرت ماقلتما لیا
ولكننى لم أنس ماقال صاحبى * نصيبك من ذل اذا كنت نائيا

وقال خالد بن نضلة

اذا كنت فى قوم عدى لست منهم * فكل ماعلفت من خبيث وطيب

وقال أحمد بن يوسف وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد

ان يحيى بن سعيد * يشتهى أن اشتهيه * فهو يلقانى بتور * يم وأحيانا بتيه

وقال أبو سعيد دعبل بن مخزوم فى مهاجاة دعبل

ولولا نزار لضاق الفضا * ولم يبق حر ولا معقل

وأخرجت الارض أثقالها * وادخل فى است أمه دعبل

وقال حدق الاجال آمال * والهوى للمرء قتال * والهوى صعب مراكبه

ودكوب الصعب أهوال * ليس من شكلى فاشتمه * دعبل والناس أشكال

همتى فى التاج ألبسه * وله فى الشعر آمال

وقال هذا اللبانى يحوى * جوائز الخلفاء * ففى حرامى مديحى * وفى حرامى هجائى

وفى حرامى وان كنت * سيد الشعراء

وقال محمد بن يسير فى حرام الناس كلهم * انا فى هذا من اولهم

لست تدرى حين تخبرهم * أين أدناهم من افضلهم

وقال اذا ما جاوز الندماء خمسا * برب البيت والساقى الاديب

فاير فى حرام فتى دعانا * واير فى حرام فتى مجيب

وقال سلم الخاسر بهرون قر الملك فى مستقره * وأشرقت الدنيا وأينع نورها

وليس لايام المكارم غاية * تتم بها الا وأنت أميرها

وقال بشار بن برد من فتاة صب الجمال عليها * فى حديث كلذة النشوان

ثم فارقت ذاك غير ذميم * كل عيش الدنيا وان طال فان

وقال مزاحم العقيلى

تزين سنا المساوى كل عشية * على غفلات الزين والمتجمل

وجوها لوان المدلجين اعتشوا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلى

وقال المسعودى

ان الكرام مناهبوك المجد كلهم فناهب * اخلف واتلف كل شئ زعزعته الريح ذاهب

قال شيخ من الاطباء الحمد لله فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف الى البيمارستان تمام خمسين سنة وحدثنى محمد بن عبد الملك صديق لى قال سمعت رجلا من فرسان طبرستان يقول فلان يدعى الفروسية ولو كلف أن يخلى فروج فرسه منحدرا من جبل لما قدر عليه وقال

بعض العبيد ابيعشنى فى الشاوابن مخيلد * على هجمة قد لوحتها الطبائخ

متى كان حمران الثباتى راعيا * وقد راعه بالذود أسود سالخ

وقال كثير فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله

تكلمت بالحق المبين وانما * تبين آيات الهدى بالتكلم

الا انما يكفى القنا بعد زيغه * من الاود البادى ثقاف المقوم

الاصمعى قال قال يونس بن عبيد لا يزال الناس بخير ما داموا اذا اختلج فى صدر الرجل شئ وجد من يفرج عنه قال البعيث فى ابراهيم بن عدى

ترى منبر العبد اللئيم كأنما * ثلاثة غربان عليه وقوع

وقال الاعشى رب رفد هرقته ذلك اليوم * وأسرى من معشر اقيال

وقالوا الاوكس ولا شطط

وقال الشاعر ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعن هربا ولا مستسلم

وقال زهير دون السماء وفوق الارض قدرهما * عند الذنابى فلا فوت ولا درك

وقالوا خير الامور أوساطها وشر السير الحقحقة قال والمثل السائر الصواب المستعمل لا تكن حلوا فتزدرد ولا مرا فتلفظ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان هذا الامر لا يصلحه الا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وكان الحجاج يجاوز العنف الى الخرق وكان كما وصف نفسه فانه قال أنا حديد حقود وذو قسوة حسود وذكره آخر فقال كان شرا من صبى وقال أكثم بن صيفى تناؤا فى الديار وتواصلوا فى المزار وكان ناشئ الشهور يقول اللهم باعد بين نسائنا وقارب بين رعائنا واجعل الاموال فى سمحائنا وقال آخر

شتى مراجلهم فوضى نساؤهم * فكلهم لابيه ضيزن سلف

وقال آخر من امل أحداها به * ومن قصر عن شئ عابه

وقال الآخر رجعنا سالمين كما بدانا * وما خابت غنيمة سالمينا

وقال امرؤ القيس بن حجر لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقيل لابن عباس أيما أحب اليك رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيآت أو يقل من الحسنات والسيآت قال ما أعدل بالسلامة شيأ وقالت اعرابية

لا تحمدونى فى الزيارة اننى * أزوركم أن لا أجد متعللا

يعقوب بن داود قال ذم رجل الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق أبو الحسن قال أرسلت الخيل أيام بشر بن مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر فقال له اسمعيل بن الاشعث والله لارسلن غدا مع فرسك فرسا لا يعرف ان أباك أمير العراق فجاء فرس اسمعيل سابقا فقال ألم أعلمك وقال أبو العتاهية

ايا من لى بأنسك يا أخيا * ومن لى ان ابثك ما لديا

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك عن يديا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لى المنايا * شكوت اليك ما صنعت اليا

بكيتك يا أخى بدر عينى * فلم يغن بكاء عنك شيا

وكانت فى حياتك لى عظات * فانت اليوم أوعظ منك حيا

وقال الآخر أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس بين ترب وجندل

اذكر بالبقيا على من أصابنى * و بقياى انى جاهد غير مؤتل

يقول هذا بقياى قال قيل لشريك بن عبد الله كان معاوية حليما قال لو كان حليما ما سفه الحق ولا قاتل عليا ولو كان حليما ما حمل ابناء العبيد على حرمه ولما أنكح الا الاكفاء وأصوب من هذا قول الآخر كان معاوية يتعرض و يحلم اذا أسمع ومن تعرض للسفيه فهو سفيه وقال الآخر كان يجب ان يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يجب ان يزداد فى ذلك

وقال الفرزدق وكان يجير الناس من سيف مالك * فاصبح يبغى نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت التراب تثيرها

وقال التوت اليمانى على أى باب أطلب الاذن بعدما * حجبت عن الباب الذى انا حاجبه

وهذا مثل قوله والسبب المانع حظ العاقل * هو الذى سبب رزق الجاهل

ومثله وربت حزم كان للسقم علة * وعلة برء الداء حظ المغفل

وقال آخر يخيب الفتى من حيث يرزق غيره * و يعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

وقال عثمان بن الحويرث لعمرو بن العاصى

له أبوان فهو يدعى اليهما * وشر العباد من له أبوان * وقد حكما فيه لتصديق أمه

وكان لها علم به ببيان * فقالت صراحا وهى تعلم غيره * ولكنها تهذى بغير لسان

وقال الآخر يطلبن بالقوم حاجات تضمنها * بدر بكل لسان يلبس المدحا

كان فيض يديه قبل مسألة * باب السماء اذا ما بالحيا انفتحا

وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تاسو كلما جرحا

ومثله اذا افتقر المنهال لم ير فقره * وان أيسر المنهال أيسر صاحبه

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج وقال يزيد بن المهلب وكان فى سجن الحجاج لهفى على طلية عمائة ألف وفرج فى جبهة أسد وأنشد

ربما تجزع النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

وأنشد كرهت وكان الخير فيما كرهته * واحببت أمرا كان فيه شبا القتل

مثل قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم وكان يقال خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز وقال الآخر

لكل كريم من ألائم قومه * على كل حال حاسدون وكشح

وقال جرير انى لآمل منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

وقال تبارك وتعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين وقال ابن هرمة

أشم من الذين بهم قريش * تداوى بينها عين القتيل

كان تلألؤ المعروف فيه * شعاع الشمس فى السيف الصقيل

وقال امرؤ القيس اجارتنا ان المزار قريب * وانى مقيم ما أقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقال بشار واذا أعريت فلا تكن خشعا * تسمو لغث الكسب تكسبه

وقال حسان بن ثابت أهدى لهم مدحى قلب يوازره * فيما أحب لسان حائط صنع

وقال الاصمعى أنشدنا أبو مهدية

ضجوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الخزرجى يرد على أبى قيس بن الاسلت واسمه صيفى

اتفخر صيفى فيما تقو * ل ان تلتم عيلة أربعة * عرانين كلهم ماجد

كثير الدسائع والمنفعه * فهلا حضرت غداة البقيـ * ـع لما استمال أبو صعصعة

ولكن كرهتم شهود الوغى * وكنتم كذلك فى المعمعة

سراعا الى القتل فى خفية * بطاء عن القتل فى الجمعة

وأنشد الاصمعى آتى الندى فلا يقرب مجلسى * واقود للشرف الرفيع حمارا

وقال حبيب بن أوس كالخوط فى القد والغزالة فى * البهجة وابن الغزال فى غيده

وما حكاه ولا نعيم له * فى جيده بل حكاه فى جيده * الى المفدى أبى يزيد الذى

يضل عمر الملوك فى عمده * ظل عفاة يحب زائره * حب الكبير الصغير من ولده

اذا أتاخوا ببابه أخذوا * حكمهم من لسانه ويده

وقال أيضا لعمرك ما كانوا ثلاثة اخوة * ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

﴿ومن خطباء الخوارج﴾

قطرى بن الفجاءة أحد بنى كنانه بن حروص وكنيته أبو نعامة فى الحرب وفى السلم أبو محمد وهو أحد رؤساء الازارقة وكان خطيبا فارسا خرج زمن مصعب بن الزبير وبقى عشرين سنة وكان يدين بالاستعراض والسباء وقتل الاطفال وكان آخر من بعث اليه سفيان بن الابرد الكلبى وقتله سورة بن الجبر الدارمى من بنى ابان بن دارم ﴿ومن خطباء الخوارج﴾ وشعرائهم وعلمائهم حبيب بن جدرة عداده فى بنى شيبان وهو مولى لهلال بن عامر ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس أحد بنى عمرو بن محلم بن ذهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر وعبد الواحد بن سليمان وقال شاعرهم ألم تران الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

ومن علمائهم وخطبائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضاة بينهم ومن علمائهم مليل وأصغر بن عبد الرحمن وأبو عبيدة كورين واسمه مسلم وهو مولى لعروة بن اذينة ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه عمران بن

حطان ويكنى أبا شهاب أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ومن الخوارج من بنى صفية ثم أحد بنى صبيح القاسم بن عبد الرحمن بن صديق وكان ناسبا عالما داهيا وكان يشوب ذلك ببعض الظرف ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن منهم الجون بن كلاب وهو من أصحاب الضحاك ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم خراشة وكان ركاضا ولم يكن اعتقد أخبرنى أبو عبيدة قال كان مسمار مستخفيا بالبصرة فتخاصت اليه واخبرنى انه الذى طعن مالك بن على فى فيه وذلك انه فتح فاه يقول أنا أبو على فاتحا فاه فطعنه فى جوب فمه ومن شعرائهم عتبان بن وصيلة الشيبانى وهو الذى يقول

ولا صلح ما دامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب

وعن عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس أخبرنى عن أبى بكر قال كان خيرا كله على الحدة وشدة الغضب قال قلت أخبرنى عن عمر قال كان كالطائر الحذر قد علم انه قد نصب له فى كل وجه حبالة وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق قال قلت أخبرنى عن عثمان قال كان والله صواما قواما لم يخدعه نومه عن يقظته قال قلت فصاحبكم قال كان والله مملوأ حلما وعلما غرته سابقته وقرابته وكان يرى انه لا يطلب شيأ الا قدر عليه قلت أكنتم ترونه محدودا قال أنتم تقولون ذلك ﴿كلام فى الادب﴾ قال معاوية ما رأيت شرفا قط الا والى جنبه حق مضيع وقال عثمان بن العاصى الناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه وقالت هند ابنة عتبة المرأة غل ولا بد للعنق منه فانظر من تضعه فى عنقك وقال ابن المقفع الدين رق فانظر عند من تضع نفسك وقال عمرو بن مسعدة أو ثابت أبو عباد لا تستحى من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفؤاده علمه ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطرائك فى وجهك فان هذا لا يكون الا ردىء الغيب سريعا الى الذم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكرنا العصا ووجوه تصرفها وذكرنا من مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقصار الخطب ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدرا من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الاعراب فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته وبعض دعاء الملهوف والنساك المتبتلين قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم وقال ادعونى أستجب لكم وقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وقال والمستغفرين بالاسحار قالوا كان عمرو ابن معاوية العقيلى يقول اللهم قنى عثرات الكلام وقال اعرابى لرجل سأله جعل الله الخير عليك دليلا ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة وقال بعض كرام الاعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر

لعل مفيدات الزمان يفدننى * بنى صامت فى غير شئ يضيرها

وقال شيخ اعرابى اللهم لا تنزلنى ما سوءة فاكون امرأ سوء قال وسمعت عمر بن هبيرة يقول فى

دعائه اللهم انى أعوذ بك من صديق مطر وجليس مغر وعدو مسر قال كتب بن سيابة الى صديق له اما مستقرضا واما مستعرضا فذكر صديقه خلة شديدة وكثرة عيال وتعذر الامور فكتب اليه ابن سيابة ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت مليما فجعلك معذورا قال الاصمعى سمعت اعرابيا يقول أعوذ بك من الفواقر والبواقر ومن جار السوء فى دار المقامة والظعن ومما ينكس برأس المرء ويغرى به لئام الناس قال الاصمعى قيل لخالد بن نضلة قال عبد يغوث بن وقاص ما أذم فيها الا عطينا ليس خالد بن نضلة يعنى مضر قال خالد اللهم ان كان كاذبا فاقتله على يد ألأم حى فى مضر فقتله تيم الرباب قالوا وقف سائل من الاعراب على الحسن فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة وآسى من كفاف وآثر من قلة وقال فى الاثر المعروف حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء ومن دعائهم اعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر قال ومن دعاء السلف اللهم احملنا من الرجلة واغننا من العيلة وسأل اعرابى فقيل له بورك فيك فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال وكلكم الله الى دعوة لا يحضرها نية وقال اعرابى أعوذ بك من سقم وعدو أوذى رحم ودعواه ومن فاجر وجدواه وعمل لا ترضاه وسأل اعرابى فقال له صبى من جوف الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيرا وهذا السائل هو يقول

رب عجوز عرمس زبون * سريعة الرد على المسكين
تحسب ان بوركها يكفيني * اذا غدوت باسطا يميني

وقال آخر اللهم أعنى على الموت وكربته وعلى القبر وغمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم القيامة وروعته وقالت عجوز بلغها موت الحجاج اللهم أنت أمته فامت سنته كان محمد بن على بن الحسين يقول اللهم أعنى على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى وقال عمرو بن عبيد اللهم اغننى بافتقار اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك وقال عمرو اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة قال ومرض عوف بن أبى جميلة فعاده قوم فجعلوا يثنون عليه فقال دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء قال وسمعت عمر بن هبيرة يقول اللهم انى أعوذ بك من طول الغفلة وافراط الفطنة اللهم لا تجعل قولى فوق عملى ولا تجعل أسوأ عملى ما قارب من أجلى وقال أبو مزاحم اللهم اجعل خير عملى ما ولى أجلى ودعت اعرابية لرجل فقالت كب الله كل عدو لك الا نفسك وقال يزيد بن جبل احرس أخاك الا من نفسه قال ودعا اعرابى فقال اللهم هب لى حقك وارض عنى خلقك قال وكان قوم نساك فى سفينة فى البحر فهاجت الريح بأمرها ئل فقال رجل منهم اللهم قد أريتنا قدرتك فارنا عفوك ورحمتك قال وسمع مطرف رجلا يقول استغفر الله وأتوب اليه فاخذ بذراعه وقال لعلك لا تفعل من وعد فقد أوجب وقال رجل لابن قيم كيف أصبحت قال ان كان من رأيك أن تسد خلتى وتقضى دينى وتكسو عورتى خبرتك والا فليس المجيب بأعجب من السائل وقال الآخر اللهم

امتعنا بخيارنا واعنا على شرارنا واجعل الاموال فى سمحائنا وقال اعرابى اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال اعرابى ورأى ابل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل انه قد زوج أمه فجاءته بناقة مال فقال اللهم انا نعوذ بك من بعض الرزق أبو مجيب الربعى قال قال اعرابى جنبك الله الامرين وكفاك شر الاجوفين الاجوفان البطن والفرج والامران الجوع والعرى وجاء فى الحديث من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله وقال اعرابى منحكم الله منحة ليست بجداء ولا نكداء ولا ذات داء قال قيل لابراهيم البجلى أى رجل أنت لولا حدة فيك قال استغفر الله مما أملك واستصلحه مالا أملك وقال اعرابى ومات ابن له اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه من بر فهب لى ما قصرت فيه من طاعتك قال الاصمعى قتيبة بن مسلم الترك وهالله أعرهم سأل عن محمد بن واسع وقال انظروا ما يصنع فقيل هاهو ذاك فى أقصى الميمنة جاثيا على ركبتيه قوسه بيده يضبض بأصبعه نحو السماء قال قتيبة تلك الاصبع الفاردة أحب الى من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير أبو الدرداء قال ان أبغض الناس الى ان أظلمه من لم يستعن على الا بالله وقال خالد بن صفوان احذروا مجانيق الضعفا يعنى الدعاء وقال لا يستجاب الا لمخلص أو مظلوم قال وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول اللهم ان ذنوبى لا تضرك وان رحمتك اياى لا تنقصك فاغفر لى ما لا يضرك واعطنى ما لا ينقصك وقال أعرابى اللهم انك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة اللهم ارحم تحيرها فى مراتعها وأنينها فى مرابضها قال وحجت اعرابية فلما صارت بالموقف قالت أسألك الصحبة يا كريم الصحبة وأسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كم بين السماء الى الارض قال دعوة مستجابة فقالوا كم بين المشرق الى المغرب قال مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب قال وحج اعرابى فقال اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان نائيا فقربه وان كان قريبا فيسره أبو عثمان اليقطرى عن عبد الله بن سالم الفهرى قال لما ولى مسروق السلسلة انبرى له شاب فقال له وقاك الله خشية الفقر وطول الامل فلا تكونن رديئة للسفهاء ولا شينا للفقهاء وقال اعرابى فى دعائه اللهم لا تخيبنى وانا أرجوك ولا تعذبنى وأنا أدعوك اللهم فقد دعوتك كما أمرتنى فاجبنى كما وعدتنى وقال عبد الله بن المبارك قالت عائشة يا بنى لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله قال وقال رجل من النساك ان ابتليت ان تدخل مع ناس الى السلطان فاذا أخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء وقال الكذاب الحرمازى

لاهم ان كانت بنو عميره * رهط الثناب دعوة مستوره
قد أجمعوا الخلقة مقصوره * واجتمعوا كانهم قارو ره
فى غنم وابل كثيره * فابعث عليهم سنة فاشوره
* تحتلق المال احتلاق النوره *

وقال اعرابى لاهم أنت الرب تستغاث * لك الحياة ولك الميراث
وقد دعاك الناس فاستغاثوا * غياثهم وعندك الغياث
لم يبق الا عكرس انكاث * وشيح أصل ولها امتاث
* وطاحت الالبان والارماث *

وكان سعد بن أبى وقاص يسمى المستجاب الدعوة وقال لعمر حين شاطره ماله لقد هممت فقال له عمر أن تدعو الله على قال نعم قال اذا لا تحدنى بدعاء ربى شقيا وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وأجمع الناس اليه وقد دهمهم العدو فاقسم على الله فنجهم الله أكتافهم الاصمعى وأبو الحسن قالا أخبرنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال بلغ سعدا شئ فعله المهلب فى العدو والمهلب يومئذ فتى فقال سعد اللهم لا تره ذلا فيرون ان الذى ناله المهلب بتلك الدعوة وقال آخر

الموت خير من ركوب العار * والعار خير من دخول النار * والله من هذا وهذا جار

فالها حسين بن على رضى الله تعالى عنهما وقال الآخر وكان قد وقع فى الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حماره فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعا الى حيه وقال

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى ميعة مطار * قد يصبح الله امام الساري

وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول الشحيح أعذر من الظالم فقال ان شيئين خيرهما الشح لناهيك بهما شرا قال المغيرة بن عنبسة سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول فى دعائه اللهم اجعلنى من الاقلين قال له عمر ما هذا الدعاء قال سمعت الله يقول وقليل ما هم وسمعته يقول وقليل من عبادى الشكور فقال عمر عليك من الدعاء بما يعرف وقال ناس من الصحابة لعمر ما بال الناس كانوا اذا ظلموا فى الجاهلية فدعوا أستجيب لهم ونحن لا يستجاب لنا وان كنا مظلومين قال كانوا ولا زاجر لهم الا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود وكلهم الى ذلك وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا الساعة لا يدعو الله فيها أحد الا استجيب له فقال له قائل أرأيت ان دعا فيها منافق قال فان المنافق لا يوفق لتلك الساعة ولما صعد المنبر قابضا على يد العباس يوم الاستسقاء ولم يزد على الدعاء بالاستغفار فقيل له انك لم تستسق وانما كنت تستغفر قال قد استسقيت بمجاديح السماء مشيرا الى قوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وكان عمر حمل الهرمزان مع جماعة فى البحر فغرقوا قال ابن سيرين لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا قال قال محمد بن على لابنه يا بنى اذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله واذا حزنك أمر فقل لا حول ولا قوة الا بالله واذا أبطأ عنك الرزق فقل أستغفر الله قالوا

كان

كان محمد بن على لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء قال قوم ليزيد بن أسد أطال الله بقاءك قال دعونى أمت وفى بقية تبكون بها على رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال يا عاجز فى هذا اليوم تسأل غير الله قال كان رجل من الحكماء يقول فى دعائه اللهم احفظنى من الصديق وكان يقول اللهم اكفنى بوائق الثقات حدثنى صديق لى قد كان ولى ضياع الرى قال قرأت على باب شيخ منهم حزى الله من لا نعرف ولا يعرفنا أحسن الجزاء ولا جزى من نعرفه و يعرفنا الا ما هو أهله انه عدل لا يجور وكان على رشوم عمر بن مهران التى يرشم بها على الطعام اللهم احفظه ممن يحفظه وقال المغيرة بن شعبة فى كلام له ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم أبو الحسن قال قالت امرأة من الاعراب اللهم انى اعوذ بك من شر قريش وثقيف وما جمعت من اللفيف وأعوذ بك من عبد ملك أمره ومن عبد ملا بطنه قال مر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فاذا بلغ المائة عزل حصاة فقال له عمر القى الحصا وأخلص الدعاء وكان عبد الملك بن هلال الهنائى عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فاذا مل شيأ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فاذا مل قبض قبضة وقال سبحان الله بعدد هذا واذا مل شيأ قبض قبضتين وقال سبحان الله بعدد هذا فاذا ضجر أخذ بعروتى الزنبيل وقلبه وقال الحمد لله بعدد هذا وذاكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال الحمد لله عدد ما فيه قال عيلان اذا أردت ان تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الاعراب قال سعيد بن المسيب مر بى صلة بن أشيم فما ملكت ان نهضت اليه فقلت له يا أبا الصهباء ادع الله لى فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذى لا تسكن النفس الا اليه ولا تعول فى الدين الا عليه أبو الحسن قال سمع رجل بمكة رجلا يدعو لامه فقال له ما بال أبيك قال هو رجل يحتال لنفسه أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدى قال كان عندنا رجل من بنى تميم يدعو لابيه و يدع أمه فقيل له فى ذلك فقال انها كلبية ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال اللهم اغفر لى قبل ان يدهمك الناس وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال آخر دعوتان أرجو أحدهما كما أخاف الاخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته قال كان من دعاء أبى الدرداء اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعلنا خيارا كلنا واذا ذهب الصالحون فلا تبقنا وقال آخر لبعض السلاطين أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابى الا نظرت فى أمرى نظر من يرثى أحب اليه من سقمى قالوا وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول اللهم انك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه الا بعونك ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه الا بعصمتك واقعة علينا حجتك غير معذورين فيما بيننا و بينك ولا مخوسين فيما علمنا لوجهك عبد العزيز بن أبان عن سفيان فى قوله دعواهم فيها سبحانك قال كان أحدهم اذا أراد أن يدعو قال سبحانك اللهم سفيان عن ابن جريج عن عكرمة قال

فى قوله قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فجعلهما
الله داعيين قال ولما وقع يونس فى البحر وقسد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به الى
قرار الارض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى
كنت من الظالمين قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال الله تبارك وتعالى فلولا
انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وفى الحديث المرفوع ان من دعاء النبى
عليه السلام أعوذ بك من قلب لا يخشع وبطن لا يشبع ودعاء لا يسمع على بن سليم أن قيس
ابن سعد قال اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقال رجل
فى مجلس الحسن ليهنك الفارس قال الحسن فلعله خامر اذا وهب الله لرجل ولدا فقل شكرت
الواهب وبورك لك فى الموهوب وبلغ أشده ورزقت بره أبو سلمة الانصارى قال كان عمر
ابن عبد العزيز يقول ما أحسن تعزية أهل اليمن وتعزيتهم لا يحزنكم الله تعالى ولا يفتنكم
واثابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة قال كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه
اذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة الموت أشد ما قبله وأهون
ما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تهن عندكم مصيبتكم صلى الله على
محمد وعظم أجركم وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه اذا عزى قوما قال ان تجزعوا
فاهل ذلك الرحم وان تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت وان أعظم مصيبة أصيب بها
المسلمون محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعظم الله أجركم وعزى عبد الله بن عباس عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه على بنى له مات فقال عوضك الله منه ما عوضه منك وهذا الصبى
الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه ريحانة أشمها وعن قريب ولدبار أوعدو
حاضر سفيان قال كان أبو ذر يقول اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا قال ودعا اعرابى
فقال اللهم انى أعوذ بك من الفقر المدقع والذل المصرع عزت امرأة المنصور على أبى العباس
مقدمه من مكة فقالت أعظم الله أجرك فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولا عوض أعظم
من خلافتك قالوا وقال عمر بن عبد العزيز وقد سمعوا وقع الصواعق ودوى الريح وصوت
المطر فقال وقد فزع الناس هذه رحمته فكيف نقمته وقال أبو اسحق اللهم ان كان عذابا
فاصرفه وان كان صلاحا فزد فيه وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء اللهم ان
كانت محنة فمن علينا بالعصمة وان كان عقابا فمن علينا بالمغفرة وقال أبو ذر الحمد لله الذى
جعلنا من أمة تغفر لهم السيآت ولا تقبل من غيرهم الحسنات وكان الفضل بن الربيع
يقول المسألة للملوك من تحية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبحت فقل صبحك الله بالخير
واذا أردت أن تقول كيف تجدك فقل أنزل الله عليك الشفاء والرحمة قال أحمد الهيصمى
ابو عمر أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد اللهم يا أجود الاجودين ويا أكرم الاكرمين ويا أعفى
العافين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين ويا أحسن الخالقين فرج عنى فرجا عاجلا

تاما هنيئا مباركا لى فيه انك على كل شئ قدير وكان عبد الله الشقرى وهو الكعبى أحد أصحاب المضمار من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة يقول اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك اللهم صل لى يقينا وادم لى العافية وافتح على باب رزقى فى عافية وأعوذ بك من النار والعار والكذب والسخف والخسف والقذف والحقد والغضب وحببنى الى خلقك وحببهم الى وأسألك فرجا عاجلا فى عافية انك على كل شئ قدير ﴿دعاء الغنوى فى حبسه﴾ أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب ومن الغل والقيد ومن التعذيب والتجسيس وأعوذ بك من الحور بعد الكور ومن شر العدو فى النفس والاهل والمال وأعوذ بك من الهم والارق ومن الهرب والطلب ومن الاستخذاء والاستخفاء ومن الاطراد والاغراب ومن الكذب والعضيهة ومن السعاية والنميمة ومن لؤم القدرة ومقام الخزى فى الدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير ﴿ومن دعائه فى الحبس﴾ أسألك طول العمر فى الامن والعافية والحلم والعلم والحزم والاخلاق الحسنة السنية والافعال المرضية واليسر واليسير والنماء والتمير وطيب الذكر وحسن الاحدوثة والمحبة فى الخاصة والعامة وهب لى ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والخاصمة وبارك لى فى الموت انك على كل شئ قدير وكان صالح المرى كثيرا ما يردد فى مجلسه أعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الاعداء وكان يقول أعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقلب اللهم من أرادنى بخير فيسر لى خيره ومن أرادنى بشر فاكفنى شره اللهم أسألك خصب الرحل وصلاح الاهل وكان عيسى بن أبى المدور يقول أعوذ بك من الذلة والقلة ومن الاهانة والمهنة والاخفاق والوحدة وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الاعداء محمد بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة قال الله تعالى ادعونى أستجب لكم ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة لقوله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول لقوله واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم وروى محمد بن على عن آبائه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين واذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما وقال آخر اللهم انى أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر أبو سعيد المؤدب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سلوا ربكم حتى الشسع فانه ان لم ييسره لم يتيسر سحيم عن طاوس قال يكفى من الدنيا ما يكفى العجين من الملح قال سأل رجل رجلا حاجة فقال المسؤل اذهب بسلام فقال السائل قد انصفنا من ردنا الى الله فى حوائجنا مجالد عن الشعبى قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اذهب ملك غسان وضع مهور كندة وقال عمر بن الخطاب

رضى الله تعالى عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تجهيله ﴿ القول ﴾ فى انطاق الله تعالى اسمعيل بن ابراهيم صلى الله تعالى على نبينا وعليهما بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربيا أعجمى الابوين وأول من عليه أن يقربهذا القحطانى فانه لابد من أن يكون له أب كان أول عربى من جميع بنى آدم صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربيا حتى يكون أبوه عربيا وكذلك أبوه وكذلك جده كان ذلك موجبا لان يكون نوح صلى الله تعالى عليه وسلم عربيا وكذلك آدم عليه السلام قال أبو عبيدة حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه قال أول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسمعيل وهو ابن أربع عشرة سنة وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شهدت الفجار وانا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبل على عمومتى يريد أجمع لهم النبل قال أبو عبيدة فقال له يونس صدقت يا أبا يسار هكذا حدثنى نصر بن طريف وروى قيس بن الربيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس ان الله ألهم اسمعيل العربية الهاما وقال الله تبارك وتعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قال قد يرسل الله الرسول الى قومه ولو أرسل فى ذلك الوقت الى قوم آخرين لما كان الثانى ناقصا للاول واذا كان الامر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم واذا كان الله عز وجل قد بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى العجم فضلا عن العرب وقحطان وان لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الغرض من سائر العجم وهذا الجواب جواب عوام الغرارية فاما الخواص الخلص فانهم قالوا العرب كلهم شئ واحد لان الدار والجزيرة واحدة والاخلاق والشيم واحدة وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق فى الاخلاق وفى الاعراق ومن جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء فهم فى ذلك شئ واحد فى الطبيعة واللغة والهمة والشمائل والمرعى والرابية والصناعة والشهوة فاذا بعث الله عز وجل نبيا من العرب فقد بعثه الى جميع العرب وكلهم قومه ولانهم جميعا يد على العجم وعلى كل من حاربهم من الامم لان تناكحهم لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم قالوا والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لامه وأبيه وربما كانت أشبه به خلقا وخلقا وأدبا ومذهبا فيجوز ان يكون الله تبارك وتعالى حين حول اسمعيل عربيا ان يكون كما حول طبع لسانه الى لسانهم وباعده من لسان العجم ان يكون أيضا حول سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف شاء ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الاخلاق المحمودة واللسان البين بما لم يكن عندهم وكما خصه من البيان بما لم يخصهم به فكذلك يخصه من تلك الاخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل من طبائعه

ونقل اليه من طبائعهم و بالزيادة التي أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما وقد علمنا ان
الخرس والاطفال اذا دخلوا الجنة وحولوا في مقادير البالغين والى الكمال والتمام
لا يدخلونها الامع الفصاحة بلسان أهل الجنة ولا يكون ذلك الا على خلاف الترتيب
والتدريج والتعليم والتقويم وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم صلى الله تعالى على
نبينا وعليه في المهد وانطاق يحيى على نبينا وعليه السلام بالحكمة صبيا وكذلك القول في
آدم وحواء على نبينا وعليهما السلام وقد قلنا في ذئب أهبان بن أوس وغراب نوح وهدهد
سليمان وكلام النملة وحمار عزير وكذلك كل شئ أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته
ومشيئته وانما يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الحوادث وأمور في أصل
تركيب الغريزة فاذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكاء
وجلب اليهم جياد الخواطر وصرف أوهامهم الى التعرف وحبب اليهم التبين وقعت المعرفة
وتمت النعمة والموانع قد تكون من قبل الاخلاط الاربعة على قدر القلة والكثرة والثخافة
والرقة ومن ذلك ما يكون من جهة سوء العادة واهمال النفس فعندها يستوحش من الفكرة
ويستثقل النظر ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المنقسمة ومن ذلك
ما يكون من خرق المعلم وقلة رفق المؤدب وسوء صبر المثقف فاذا صفى الله ذهنه ونقعه وهذبه
وثقفه وفرغ باله وكفاه انتظار الخواطر وكان هو المفيد له والقائم عليه والمريد لهدايته لم
يابث ان يعلم وهذا صحيح في الاوهام غير مدفوع في العقول وقد جعل الله المحال أبا وقالوا
الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف
طبائع الاماكن وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والاخلاق والشهوات ولذلك قالوا فلان ابن
بجدتها وفلان ابن بيضة البلد يقع ذما ويقع حمدا وقال زياد والله للكوفة أشبه بالبصرة من
بكر بن وائل بتميم ويقولون ما أشبه الليلة بالبارحة كأنهم قالوا ما أشبه زمان يوسف بن
عمر بزمان الحجاج وقال سهل بن عمر وأشبه امرئ ببعض بزه وقال الاضبط بن قريع بكل واد
بنو سعد ولولا ان الله عز وجل أفرد اسمعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه الى العرب
لكان بنو اسحاق أولى به وانما ذلك كرجل قد أحاط علمه بان هذا الطفل من نجل هذا
الرجل ولكن لما كان من سفاح لم يجز ان يضيفه اليه ويدعوه اباه وقد جعل الله نسب ابن
الملاعنة نسب أمه وان ولد على فراش أبيه وقد أرسل الله موسى وهرون عليهما السلام الى
فرعون وقومه والى جميع القبط وهما أمتان كنعاني وقبطي وقد جعل الله قوم كل نبي هم
المبلغين والحجة ألا ترى انا نزعم ان عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة
اعلام العرب العجم انهم كانوا عن ذلك عجزة وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خصصت
بأمور منها اني بعثت الى الاحمر والاسود وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض طهورا فدل
بذلك على ان غيره من الرسل انما كان يرسل الى الخاص وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك

الرسول من سائر الامم ان يكذبه وينكر دعواه والذى عليه ترك الانكار والعمل بشريعة النبى الاول هذا فرق ما بين من بعث الى البعض ومن بعث الى الجميع * انقضى الباب قال وقال حباب بن المنذر يوم السقيفة انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم كررناها جذعة منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجرى شيأ فى الانصار رد ذلك عليه الانصارى وان عمل الانصارى شيأ فى المهاجرى رد عليه المهاجرى فاراد عمر الكلام فقال أبو بكر على رسلك نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأوسطهم دارا وأكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فانتم اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفىء وانصارنا على العدو آويتم ونصرتم وآسيتم فجزاكم الله خيرا نحن الامراء وأنتم الوزراء ولا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش وأنتم محقوقون أن لا تنفسوا على اخوانكم من المهاجرين ما ساق الله اليهم قالوا فانا قد رضينا وسلمنا عيسى بن نذير قال قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه نحن أهل الله وأقرب الناس بيتا من بيت الله وأمسهم رحما برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الامر ان تطاولت اليه الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاولت اليه الاوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيى أسد يضغمه المهاجرى ويجرحه الانصارى قال ابن دأب فرماهم والله بالمسكتة من حديث ابن أبى سفيان بن حويطب عن أبيه عن جده قال قدمت من عمرتى فقال لى أهلى أعلمت ان أبا بكر بالموت فاتيته فاذا عيناه تذرفان فقلت يا خليفة رسول الله اما كنت أول من أسلم وثانى اثنين فى الغار فصدقت هجرتك وحسنت نصرتك ووليت فاحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم قال وحسنا ما صنعت قلت نعم والله قال والله لله أشكر له واعلم به ولا يمنعنى ذلك من أن أستغفر الله فما خرجت حتى مات أبو الخطاب الزرارى عن بجناء بن جرير قال قلت يا أبت انك لم تهج أحدا الا وضعته الا التيم قال انى لم أجد حسبا فاضعه ولا بناء فاهدمه قال وقيل للفرزدق أحسن الكميت فى مدائحه فى تلك الهاشميات قال وجد آجرا وجصا فبنى عامر بن الاسود قال دخل رجل من ولد عامر بن الطرب على عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له خبرنى عن حالك فى جاهليتك وعن حالك فى اسلامك قال أما جاهليتى فما ندمت فيها غير لمة ولا همت فيها بامة ولا نحت فيها عن بهمة ولا رأتنى رائى الا فى نادأو عشيرة أو حمل جريرة أو خيل مغيرة عوانة قال قال عمر الرجال ثلاثة رجل ينظر فى الامور قبل ان يقع فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لا ينظر فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا قال كلم علباء بن الهيثم السدوسى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حاجة وكان أعور ذميما جيد اللسان حسن البيان فلما تكلم فى حاجته فاحسن صعد عمر بصره فيه وحدره فلما ان

قام قال لكل أناس فى جيلهم خبر أخبرنا عيسى بن يزيد عن أشياخه قال قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وأبتاه وبكت فقال معاوية يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره وان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاصى حين خطبها وكان نزل بايلة وترك المدينة نزلت ببيت الضب لا أنت ضائر * عدوا ولا مستنفع أنت نافع

أبو الحسن قال قال سلامة بن روح الجذامى لعمرو بن العاص انه كان بينكم وبين العرب ناب فكسرتموه فما حملكم على ذلك قال أردنا ان نخرج الحق من جفير الباطل قدم بيعة على الى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربى فبايع أبو موسى فقال عمار لعلى والله لينقضن عهده وليحلن عقده وليغدرن جهده وليسلمن جنده وقال على فى رواية الشعبى حملت اليكم درة عمر لاضرب بكم بها التنهوا فابيتم حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا وقد ارى الذين يريدون السيف ولانى لاصلحكم بفسادى كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الاعراب ونوادر الاشعار لما ذكرت عجبك بذلك فاحببت ان يكون حظ هذا الكتاب فى ذلك أوفر ان شاء الله تعالى قال أبو العرف الطهوى

وافى الوفود فوافى من بنى جمل * بكر الوفادة فانى السن عرزوم
كزالملاطين فى السربال حين مشى * وفى المجالس لحاظ رزامـيم
لما رأى الباب والبواب أخرجه * لؤم مخالطه جبن وتجزيم
قد كان لى بكم علم وكان لكم * ممشى وراء ظهور القوم معلوم

وقال الحارث بن حلزة قال أبو عبيدة الباقى مصنوع

يا أيها المزمع ثم انثنى * لا يثنك الحازى ولا الشاجع * ولا قعيد أعضب قرنه
هاج له من مرتع هايج * بينا الفتى يسعى ويسعى له * تاح له من أمره خالج
يترك ما رفع من عيشه * يعبث فيه همج هامج * قلت لعمرو حين أوسلته
وقد جنى من دوننا عاجع * لا تكسع الشول بأغبارها * انك لا تدرى من الناتج
واصبب لاضيافك البانها * فان شر اللبن الوابج

وقال زبان بن يسار بن عمرو بن جابر

تخبر طيرة فيها زياد * لتخبره وما فيها خبير * أقام كان لقمان بن عاد
أشار له بحكمته مشير * تعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير * ومن ينزح به لا بد يوما * يجى به نعى أو بشير

وقال بعض الاعراب

نجيبة بطال لدن شب همه * لعاب الغوانى والمدام المشعشع
جلا المسك والحمام والبيض كالدما * وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
أسيلم ذاكم لاخفا بمكانه * لعين تدجى أولاذن تسمع
من النفر الشم الذين اذا انتموا * وهاب الرجال حلقة الباب قعقع
اذا النفر السود اليمانون نمنموا * له حويك برديه ارقوا وأوسعوا

وقال بعض الاعراب

البان ابل تعلة بن مسافر * مادام يملكها على حرام
وطعام عمران بن أوفى مثله * مادام يسلك فى البطون طعام
ان الذين يسوغ فى احلاقهم * زاد يمن عليهم للئام
لعن الآله تعلة بن مسافر * لعنا يشن عليه من قدام

وقال بعض الاعراب

نجيبة قوم شادها القت والنوا * بيثرب حتى نيها متظاهر * فقلت لها سيرى فما بك علة
سنامك ملموم ونابك فاطر * فمثلك أو خيرا تركت رزية * تقلب عينيها اذا مر طائر

وقال بعض الاعراب مجهول الاسم وهو من جيد محدث أشعارهم

حفرنا على رغم اللهازم حفرة * ببطن فليح والاسنة جنح
وقد غضبوا حتى اذا ملؤا الربى * رأوا ان أقرارا على الضيم اروح

وقال رجل من محارب

وقائلة تطوف فى جداد * وأنت اخال معطى لو تقوم * فقلت الضاربات الطلح وهنا
على يمناى اذ وضح النجوم * قصرن على بعد الله فقرى * فلا أسل الصديق ولا ألوم

وقال بعض الطائيين وهو حاتم

وانى لاستحيى حيا يسرنى * اذا اللؤم من بعض الرجال تطلعا
اذا كان أصحاب الاناء ثلاثة * حييا ومستحيا وكلبا مجشعا
فانى لاستحيى اكيلى ان يرى * مكان يدى من جانب الزاد اقرعا
اكف يدى من ان تمس أكفهم * اذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

قال وأظنها لبعض اليهود

وانى لاستبقى اذا العسر مسنى * بشاشة وجهى حين تبلى المناقع
فاعفى ثراقومى ولو شئت نولوا * اذا ما تشكى الملحف المتضارع
مخافة ان اقلى اذا جئت زائرا * وترجعنى نحو الرجال المطامع
فاسمع منا أو أشرف منعما * وكل مصادى نعمة متواضع

وقال بعض بنى أسد

الا جعل الله اليمانين كلهم * فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان
ولولا عريق فى من عصبية * لقلت وألفا من معد بن عدنان

ولكن نفسى لم تطب بعشيرتى * وطبت له نفسا بانهاء قحطان

وقال مروان أو ابن مروان مولى لبنى عذرة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لانسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاعة كلها * فاست أبالى ان أدين وتغرما
أولئك قومى بارك الله فيهم * على كل حال ما أعف وأكرما
حفاة الخز لا يصيبون مفصلا * ولا يأكلون اللحم الا تخذما

وقال آخر

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما عملت الزاد فالتمسى له * اكيلا فانى غير آكله وحدى
كريما قصيا أو قريبا فانى * أخاف مذمات الاحاديث من بعدى
وكيف يشبع المرء زادا وجاره * خفيف المعى بادى الخصاصة والجهد
وللموت خير من زيارة باخل * يلاحظ اطراف الاكيل على عمد
وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما فى الا تلك مهنة العبد

وقال ابن عبدل ولوشاء بشر كان من دون بابه * طماطم سودا وصقالبة حمر
ولكن بشرا سهل الباب للتى * يكون بشر عندها الحمد والاجر
بعيد مراد العين ما ردطرفه * حذار الغواشى باب دار ولا ستر

وقال بعض الحجازيين

لو كنت أحسل خمر يوم زرتكم * لم ينكر الكلب انى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفعمنى * والعنبر الورد أذكيه على النار
فانكر الكلب ريحى حين أبصرنى * وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال ابن عبدل

نعم جار الجزيرة المرضع الغر * ثى اذا ما غدا أبو كلثوم * طاويا قد أصاب عند صديق
من غدا ملبقا مأدوما * ثم انحى بجمره حاجب الشمس فالقى كالملعلف المهدوم

وقال حبيب بن أوس

وحياة القريض احياؤك الجود وفان مات الجواد مات القريض
يا محب الاحسان فى زمن أصبح فيه الاحسان وهو بغيض

وقال ثم اطرحتم قرابانى وآصرتى * حتى توهمت انى من بنى أسد
وطلعة المجد أقلى فى عيونهم * وفى صدورهم من طلعة الاسد

وقال اياك يعنى القائلون بقولهم * ان الشقى بكل حبل يخنق
من شاعر وقف الكلام ببابه * وا كتن فى كنفى ذراه المنطق
سر حيث شئت من البلاد فلى بها * سور عليك من الرجال وخندق

قد ثقفت منه الشام وسهات * من الحجاز ورقفته المشرق

وقال بنو عبد الكريم نجوم ليل * ترى فى طيئ أبدا تلوح
اذا كان الهجاء لهم ثوابا * فخبرنى لمن خلق المديح

وقال أى شئ يكون أحسن من صب أديب متيم باديب

وقال نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال اشرب فانك سوف تعلم انه * قدح يصيب العرض منه نجار
عاداك اسوار الكلام بشرد * عون القريض حتوفها ابكار
غرر متى ماشئت كن شواهدى * ان لم يكن لى والدعطار

وقال سلمة بن الحرث الانمارى

ابلغ سبيعا وأنت سيدنا * قدماووافى رجال الناذعما * ان بغيضا وان اخوتها
ذبيان قد ضرموا الذى اضطرما * نبئت ان حكموك بينهم * فلا يقولن بئس ما حكما
ان كنت ذاعرفة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلما * وتنزل الامر فى منازله
حزما وعزما وتحضر الفهما * ولا تبالى من الحق ولا * المبطل لالة ولا ذمما
فاحكم فانت الحكيم بينهم * لن يعدموا الحكم ثابتا صمتا * واصدع أديم السواء بينهم
على رضا من رضى ومن رغما * ان كان مالا ففض عدته * مالا بمال وان دما فدما
هذا وان لم تطق حكومتهم * فانبذ اليهم أمورهم سلما

وقال آخر ابلغ ضرارا ابا عمرو مغلغلة * ان كل قولك ظهر الغيب يأتينا
ارهن قبيصة ان صلح هممت به * ان ضرارا لكم رهن بما فينا
ان ضحيكا قتيل من سراتكم * وان حطان منا فاعدلوا الدينا
وانه عبيد افلا يؤذى عشيرته * نهيك خيره من نهى ناهينا

وقال آخر بنى عدى الا ينهى سفيهكم * ان السفيه اذا لم ينه مأمور

وقال حضرمى بن عامر الاسدى ومات اخوه فقال جزء قد فرح باكل الميراث

قد قال جزء ولم يقل اثما * انى تروحت ناعما جزلا * ان كنت ازننتنى بها كذبا
جزء فلاقيت مثلها عجلا * افرح ان ارزاء الكرام وان * اورث ذودا شصائصا نبلا

وقال حريث بن سلمة بن مرادة

تقول ابنة العمرى لما رأيتها * تنكرت حتى كدت منك أهال
فان تبجحى منى عمير فقد أتت * لبال وأيام على طوال
وانى لمن قوم تشيب سراتهم * كذاك وفيهم نائل وفعال
ولو لقيت ما كنت القى من العدى * اذا سال منها مفرق وقذال

ولكنها فى كلة كل شتوة * وفى الصيف كن بارد وجال
تصان وتعل المسك حتى كانها * اذا وضعت عنها النصيف غزال

وقال بعض الخوارج لامرأته وأرادت ان تنفر معه

ان الحرورية الحرا اذا ركبوا * لا تستطيع لهم أمثالك الطلبا
ان يركبوا فرسا لا تركبى فرسا * ولا تطيقى مع الرجالة الحبيبا

وقال خرز بن لوذان لامرأته فى شبيه بهذا

لا تذكرى مهرى وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الاجرب
ان الغبوق له وأنت مسوءة * فتأوهى ما شئت ثم تحوبى
كذب العتيق وماء شن بارد * ان كنت سائلى غبوقا فاذهبى
انى لاخشى ان تقول خليلتى * هذا غبار ساطع فتلبب
ان العدو لهم اليك وسيلة * ان ياخذوك تكحلى وتخضبى
ويكون مركبك القعود وحدجه * وابن النعامة يوم ذلك مركبى
وانا امرؤ ان ياخذونى عنوة * اقرن الى شر الركاب واجنب

وأراد اعرابى ان يسافر فطلبت اليه امرأته ان تكون معه فقال

انك لو سافرت قد مذحت * وحلك الحنوان فانفتحت * وقلت هذا صوت دبك تحتى

المذح صحج احدى الفخذين بالاخرى وفى شبيه بهذا المعنى الاول يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

واعجبها من عيشها ظل غرفة * وريان ملتف الحدائق أخضر
ووال كفاها كل شئ يهمها * فليست لشئ آخر الدهر تسهر

وقال سلامة بن جندل هذه الابيات و بعث بها الى صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد وكان أخوه أحمر بن جندل أسيرا فى يده فاطلقه له

سأجزيك بالود الذى كان بيننا * أصعصع انى سوف أجزيك صعصعا
سأهدى وان كنا بقليث مدحة * اليك وان حلت بيوتك لامعا
فان يك مجدا اباك فاننا * وجدناك محمودا الخلائق أروعا
وان شئت أهديتا ثناء ومدحة * وان شئت أهديتا لكم مائة معا

قال الثناء والمدحة أحب الينا وقال أوس بن حجر حين حبس وأقام عند فضالة بن كندة وتولت خدمته حليمة ابنة فضالة شاكرا ذلك

لعمرك ما ملت ثوى ثوابها * حليمة اذ ألقى مراسى مقعد
ولكن تلقت باليدين ضمانتى * وحل بفلج فالقنافذ عودى
وقد غبرت شهرى ربيع كليهما * بحمل البلايا والجباء المعدى
ولم تلهها تلك التكاليف انها * كما شئت من أكرومة وتخرد
هى ابنة اعراق كرام غيثها * الى خلق عفو برازنه قد
ستجزيك أو يجزيك عنا مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمد

وقال الحزيمى ولم أجزه الا المودة جاهدا * وحسبك منى ان أود فاجهدا
وقال الاسدى وانى احب الخلد لو أستطيعه * وكالخلد عندى ان أموت ولم ألم
وقال الحادرة فاثنوا علينا لا ابالا بيكم * باحسانا ان الثناء هو الخلد
وأنشد الاصمعى لهلهل فقتلا بقتيل وعقرا بعقركم * جزاء العطاء لا يموت من الثار
وضاف أبو الشليل العنبرى بنى حكم فخذا من عنزة فقال

أرانى فى بنى حكم قصيا * على فتر أزور ولا أزار
أناس يأكلون اللحم دونى * وتأتينى المعاذر والقتار

وقال آخر اذا مدار باب البيوت بيوتهم * على رجح الا كفال ألوانها زهر
فان لنا منها خباء يحفنا * اذا نحن أمسينا الجاعة والفقر

وقال آخر وهو أبو المهوس الاسدى

تراه يطوف الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان بن عاد
وبنو الفقيم قليلة أحلامهم * ثط اللحا متشابهو الالوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة * بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين بنيهم و بناتهم * صعر الانوف لريح كل دخان

وقال آخر وجيرة لن ترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونى من دخانهم * وليس يبدو لنا ما تنضج النار

وقال أبو الطروق الضبى فى خاقان بن عبد الله بن الاهتم

وشك الناس فى خاقان لما * أتى لولادة سنة وشهر
وقالت أخته انى براء * الى الرحمن منك وذاك نكر
ولم يسمع بحمل قبل هذا * أتى من دونه دهر ودهر
فنافرها فالحقه شبيب * وأثبته فثاب عليه وفر

وقال مكى بن سوادة البرجمى

تحير اللؤم يبغى من يحالفه * حتى تناهى الى أبناء خاقان
أرزى بكم يا بنى خاقان انكم * من نسل حجامة من فن هزان
سفاكة لدما القوم آكلة * قد مالاموالهم من غير سلطان
لو تسألون بها أيوب جاءكم * على الذى قلت أيوب ببرهان
أيام تعطيه خرجا من حجامتها * يوما فيوما وما توفيه بالربان
فان رددتم عليه ما يقول أتى * على مقالته فيها بتبيان
ثم اشتراها أبو خاقان حين عست * فالتقطت نقطة منه باقطان
فاستدخلتها ولا يدرى بما فعلت * حتى اذا ركضت جاءت بخاقان

وقال اللعين المنقرى فى آل الاهتم

وكيف تساموك الكرام وأنتم * دوارج حبريون فدع القوائم
بنو ملصق من ولد حزل لم يكن ظلوما ولا مستنكر للظالم

وقال آخر قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال اعرابي وهو وأبو حية النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها * عشية آرام الكناس رميم * الا رب يوم لو رمتني رميتها
ولكن عهدي بالنضال قديم * رميم ألني قالت لجارات بيتها * ضممت لكم ان لا يزال يهيم

وقال أبو يعقوب الاعور

بقلبي سقام لست أحسن وصفه * على انه ما كان فهو شديد
تمر به الايام تسحب ذيلها * فتبلى به الايام وهو جديد

وقال الثقفي من كان ذا عضد يدرك ظلامته * ان الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه اذا ما قال ناصره * ويأنف الضيم ان أثرى له عدد

وقال أشجع السلمي في هارون أمير المؤمنين

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدى * سلت عليه سيوفك الاحلام

وقال انتجع الفضل أو تخل من الـ * ـدنيا فهاتان غايتا الهمم

وقال ابت طبرستان الا الذي * يعم البرية من دائها
ضممت منا كبها ضمة * رمتك بما بين احشائها

وقالوا لم يدع الاول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا الا أخذه الابيت عنترة

فترى الذباب بها يغني وحده * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجذم

وقال الفقيمي قاتل غالب أبي الفرزدق

وما كنت نوما ولكن ثائرا * أناخ قليلا فوق ظهر سبيل
وقد كنت مخزون اللسان ومفحما * فاصبحت أدري اليوم كيف أقول

وقال أبو المثلم الهذلي أصخر بن عبد الله ان كنت شاعرا * فانك لا تهدي القريض لمقعم

وقال الهذلي

على عبد بن زهرة طو * ل هذا الدهر انتحب * أخ لي دون من لي من
بني عمي وان قربوا * طوى من كان ذا نسب * الى وزاده النسب
أبو الاضياف والايتام * ساعة لا يعد أب * الا الله درك من
فتى قوم اذا ركبوا * وقالوا من فتى للثغر * يرقبنا ويرتقب *
فكنت أخاهم حقا * اذا تدعى لها تثب

وقد ظهر السوابغ فيهم والبيض واليلكب * أقام لدى مدينة آل قسطنطين وانقلبوا
نجيبا حين يدعى ان * آباء الفتى نجب

وقال أدهم بن محرز الباهلى

لما رأيت الشيب فد شان اهله * تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

وقال آكل المرار الملك

ان من غره النساء بشئ * بعد هند لجاهل مغرور * حلوة العين واللسان ومر
كل شئ يجن منها الضمير * كل أنثى وان بدت لك منها * آية الحب حبها خيتعور

وقال طفيل الغنوى ان النساء كاشجار نبتن معا * منها المرار وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول

وقال علقمة بن عبدة

فان تسألونى بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب * اذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيب * يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أبو الشغب السعدى

أبعد بنى الزهراء أرجو بشاشة * من العيش أو أرجو رخاء من الدهر
غطارفة زهر مضوا لسبيلهم * الهفى على تلك الغطارفة الزهر
يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما أنفك منهم على ذكر

وقال أبو حزمة فى عبد الله بن ناشرة

الا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى * ولا خير الا قد تولى وأدبرا
وكان حصادا للمنايا ازدرعنه * فهلا تركن النبت ما كان أخضرا
لحا الله قوما أسلموك ورفعوا * عناجيج اعطتها يمينك ضمرا
أما كان فيهم فارس ذو حفيظة * يرى الموت فى بعض المواطن أعذرا
يكر كما كر الكليبى بعدما * رأى الموت تحدوه الاسنة أحمرا
فكر عليه الوريد مى لبانه * وما كر الا رهبة ان يعيرا

وقال اعرابى رعاك ضمان الله يا أم مالك * ولله ان يشقيك أرعى وأوسع
يذكرنيك الخير والشر والذى * أخاف وارجو والذى أتوقع

وقال دريد بن الصمة

وقالوا الا تبكى أخاك وقد أرى * مكان الاسى لكن نبيت على الصبر
فقلت اعبد الله أبكى أم الذى * على الجدث الباقى قتيل أبى بكر
وعبد يغوث أو يمينى خالدا * وعزا لمصاب وضع قبر الى قبر
أبى القتل الا آل صمة انهم * أبوا غيره والقدر يجرى الى القدر

* فاما ترينا ما تزال دماؤنا * لدى دائر يسعى بها آخر الدهر
فانا للحم السيف غير نكيرة * ونلحمه حينا فليس بذى نكر
يغار علينا واترين فيفتدى * بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا * فلا ينقضى الا ونحن على شطر

وقال آخر اذا ما ترآه الرجال تحفظوا * فلم ينطق العوراء وهو قريب
حبيب الى الزوراء غشيان بيته * جميل المحيا شاسب وهو أديب
فتى لا يبالى ان يكون بجسمه * اذا نال خلات الكرام شحوب
حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين العدو يهيب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * قريبا و يدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا أم عمر وضجيعه * اذا لم يكن فى المنقيات حلوب

يقول اذا كان الجدب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام فى هذا الزمن والمنقيات المهازيل التى ذهب نقيهن والنقى مخ العظام وشحم العين وجمعه انقاء وناقة منقية أى ذات نقى

وقال آخر الا ترين وقد قطعتنى عذلا * ماذا من الفوت بين البخل والجود
الا يكن ورق يوما أجود بها * للمعتفين فانى لين العود

والى هذا ذهب ابن سيرحيث يقول

لا يعدم السائلون الخير فعله * اما نوالى واما حسن مردودى

وقال الهذلى وهاب مالا تكاد النفس ترسله * من التلاد وصول غير منان

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ومن الشوارد التى لا أرباب لها قوله

ان يفخروا أو يغدروا * أو يبخلوا لم يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا
كابى براقش كل لو * ن لونه يتحيل

ومثله فى بعض معانيه اكول لارزاق العباد اذا شتا * صبور على سوء الثناء وقاح

وقال ومانقى عنك قومك أنت خائفهم * كمثل وقومك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

وقال الراجز وقد تعللت ذميل العنس * بالسوط فى دعومة كالترس
* اذ عرج الليل بروح الشمس *

وقال الراجز قد كنت اذ خيل صباك مدمش * واذا هاضيب الشباب تبغش

وقال الراجز طال عليهن تكاليف السرى * والنص فى حين الهجير والضحى
حتى عجاهن غمات الجحى * رواعب يخضبن مبيض الحصى

سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال

يخضب مروادها نجيعا * من فرطما تنكب الحوامى

وقال عامر ملاعب الاسنة

دفعتكم عني ومادفع راحة * بشئ اذا لم تستعن بالانامل
يضعضعني حلمي وكثرة جهلكم * علي وانى لا أصول بجاهل

وقال آخر لابد للسودد من ارماح * ومن سفيه دائم النياح * ومن عديد يتقى بالراح

وقال أبو نخيلة لبعض سادات بني سعد

وان يقوم سودوك لفاقة * الى سيد لو يظفرون بسيد

وتمثل سفيان بن عيينة وقد جلس على مرتب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون بقول الآخر خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

وقال الاول في الاحنف وان من السادات من لو أطعته * دعاك الى نار يفور سعيرها

وقال آخر فاصبحت بعد الحلم في الحي ظالما * تحمط فيهم والمسود يظلم

وقال رجل من بني الحرث بن كعب يقال له سويد

انى اذا ما الامر بين شكه * وبدت بصائره لمن يتأمل * وتبرأ الضعفاء من اخوانهم
والحم من حر الصميم الكاكل * ادع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة للتي هي أجمل

وقال الآخر ذهب الذين أحبهم فرطا * وبقيت كالمغمور في خلف
من كل مطوي على حنق * متصنع يكفي ولا يكفي

وقال أبو الطمحان القيني فيكم فيهم من سيد وابن سيد * وفي بعقد الجار حين فارقه
يكاد الغمام الغر يزعب ان يرى * وجوه بني لام و ينهل بارقه

وقال طفيل الغنوي وكان هريم من سنان خليفة * وعمرو ومن أسماء لما تغيبوا
نجوم سماء كل ما انقض كوكب * بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقال رجل من بني نهشل انا لمن معشر افنى أوائلهم * قيل الكماة الا أين المحامونا
لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من عاطف خالهم اياه يدعونا
وليس يذهب منا سيد ابدا * الا افتلينا غلاما سيد فينا

وقال بعض الحجازيين اذا طمع يوم عرانى قريته * كتائب بأس كرها وطرادها
اكد ثمادي والمياه كثيرة * اعالج منها حفرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر انه * هو الري ان ترضى النفوس عتادها

وقال أبو محجن الثقفي ألم تسأل فوارس من سليم * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو وخرق * و ينفع أهله الرجل القبيح * فلم يخشوا مصالته عليهم
وتحت الرغوة اللبن الصريح * فكر عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشبا الفرس الجموح
واطلق غل صاحبه وأردى * جريحا منهم ونجى جريح

وقال بعض اليهود سئمت وامسيت رهن الفراش * ومن حمل قوم ومن مغرم

ومن سفه الرأى بعد النهى * ورمت الرشاد فلم يفهم * فلو ان قومى اطاعوا الحليم
ولم تتعد ولم تظلم * ولكن قومى أطاعوا السفيه * حتى تعكط أهل الدم
فأودى السفيه برأى الحليم * فانتشر الامر ولم يبرم

وقال بعض الشعراء وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمر وابخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال آخر ولست بزحمة فى الفراش * وجابة يحتمى ان يجيبا
ولاذى قلا ذم عند الحياض * اذا ما الشريب اراب الشريبا

وقال حجل بن نضلة جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح
هل أحدث الدهر لنا نكبة * أم هل رفت أم شقيق سلاح

وقال وبل أم لذات الشباب معيشة * مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الند
وقد يقصر القل الفتى دون همه * وقد كان لولا القل طلاع أنجد

وقال الآخر قامت تقاصرنى بقنتها * خود تاطر غادة بكر
كل يرى ان الشباب له * فى كل مبلغ لذة عذر

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر وصحيحه
الا انما هذا السلال الذى ترى * وادبار جسمى من ردى العثرات
وكم من خليل قد تجلدت بعده * تقطع نفسى دونه حسرات

وقال الطرماح فى هذا المعنى وشيبنى أن لا أزال مناهضا * بغير ترى أثر وبه وابوع
أمختر محريب المنون ولم أنل * من المال ما أعطى به وأطيع

وقال الاضبط بن قريع لكل هم من الهموم سعه * والمسى والصبح لا فلاح معه
فصل حبال البعيد ان وصل الحبل واقص القريب ان قطعه
لا تحقرن الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

وقال اعرابى ونحر ناقة فى حطمة أصابتهم
أكلنا الشوى حتى اذا لم نجد شوى * أشرنا الى خيراتها بالاصابع
وللسيف أحرى ان تباشر حده * من الجوع لا تثنى عليه المضاجع
لعمرك ما سليت نفسا شحيحة * عن المال فى الدنيا بمثل مجاوع

وقدم ناقة له أخرى الى شجرة ليكون الحتطب قريبا من المنحر فقال
أدنيتها من رأس عشأ عشة * مفصلة الافنان صهب فروعها
وقلت لها لما شددت عقالها * وبالكف مهواة شديد وقوعها
لقد عنيت نفسى عليك شحيحة * ولكن يسخى شحة النفس جوعها

وقال أسقف نجران منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها بيضاء صافية * وغروبها صفراء كالورس
اليوم نعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس
وقال آخر وهلك الفتى أن لا يراح الى الندى * وأن لا يرى شيأ عجيبا فيعجبا
ومن يبتغى منى الطلاعة يلقنى * اذا ما رآنى اصلع الرأس أشيبا

وقال سهيم بن وثيل الرياحى

تقول حذراء ليس فيك سوى الخمـ * ـر معاب يعيبه أحد
فقلت اخطأت بل معاقر تى الخمـ * ـر وبذلى فيها الذى أجد
هو الثناء الذى سمعت به * لا سبد مخلدى ولا لبد
ويحك لولا الخمور لم أحفل العيـ * ـش ولا ان يضمنى لحد
هى الحياء والحياة واللهـ * ـو ولا أنت ولا ثروة ولا ولد

وقال عبد راع غضبت على لان شربت بجزة * فلئن أبيت لاشربن بخروف
ولئن نطقت لاشربن بنجعة * حمراء من آل المذال محوف

وقال ناحت رقية من شاة شربت بها * ولا تنوح على ما يأكل الذئب

﴿ وقال أبو حفص القريعى ﴾

قد تغربت للشقاوة حينا * حين بدلت للسعادة نوفا
يوم فارقت بلدتى وقرارى * وتبدلت سوء رأيى وموقا
ليت عندى بخير مغراى عشرا * طبلسانا من الطراز عتيقا
وبخمس منهن أيضا قميصا * سابريا أميس فيه رقيقا
قد هجرت النبيذ منذ هن عندى * وتمززت رسلهن مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطنى * ووجدت النبيذ كان صديقا
يعد النفس بالعشى مناها * ويسل الهموم سلا رقيقا

وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال

رب عقار باذ نجيبة * اصطدتها من بيت دهقان * حدرت أرواحا وطيبتها
بعد اتساخ طال فى الحان * سكنا وسلتا لم يخض فى أذى * من قتل عثمان بن عفان
ولا أبى بكر ولا طلحة * ولا زبير يوم عثمان * الله يجزيهم باعمالهم * ليس علينا علم ذا الشان

وقال المخبل اليشكرى

ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير * ولقد شربت الخمر بالخيـ
ـل الاناث وبالذكور * فاذا سكرت فانتى * رب الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير * يارب يوم للمنخل * قد لهافيه قصير

وقال بعضهم لزائر له ورآه يومي الى امرأته وهو أبو عطاء السندي

كل هنيأ وما شربت مريئا * ثم قم صاغرا فغير كريم
لا أحب النديم يومض بالعين * اذا ما خلا بعرس النديم

وقال وتعرضت له امرأة صاحبه

رب بيضاء كالقضيب تثنى * قد دعتني لوصلها فابيت
ليس شاني تحر جا غير اني * كنت ندمان زوجها فاستحيت

وقال آخر

فلا والله لا ألفى وشربا * أتازعهم شرابا ما حييت * ولا والله ما ألفى بليل
وأراقب عرس جاري ما بقيت * سأترك ما أخاف على منه * مقالته وأجله السكوت

أبالي ذاك آباء كرام * وأجداد بمجدهم ربيت

وقال السهيمي ومالي وجه في اللئام ولا يد * ولكن وجهي في الكرام عريض
أهش اذا لاقيتهم وكأنني * اذا أنا لاقيت اللئام مريض

وقال ابن كناسة في انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
خليت نفسي على سجيتها * وقلت ما قلت غير محتشم

وقال عبد الرحمن بن الحكيم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتقبانها * يميلان أحيانا ويعتدلان
فخاطن ذا الواشي بابيض ماجد * وبداء خود حين يلتقيان

وقال الرماح بن ميادو كان الاصمعي يقول ختم الشعر بالرماح وأظن بالنابغة أحد عمومته

الا رب خمار طرقت بسدفة * من الليل مرتاد الندمان في الخمر
فانهته له خمرا واحلف انها * طلاء حلال كي يحماني الوزرا

وقال آخر ولقد شربت الخمر حتى خلتني * لما خرجت أجر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند قاعدا * يجبي له ما بين دارة قيصر
في فتية بيض الوجوه خضارم * عند الندام عشيرهم لم يخصر

وقال ابن ميادة ومعتق حرم الوقود كرامة * كدم الذبيح تجمه أوداجه
ضمن الكروم له أوائل حمله * وعلى الدنان تمامه ونتاجه

وأنشد الرائع لبعض الروافض

اذا المرجي سرك ان تراه * يموت بدائه من قبل موته
فبدد عنده ذكرى علي * وصل على النبي وأهل بيته

وقال بعضهم فى البرامكة اذا ذكر الشرك فى مجلس * أنارت وجوه بنى برمك
وان تليت عندهم آية * أتوا بالاحاديث عن مروك

وقال آخر لعن الله آل برمك انى * صرت من أجلهم أخا أسفار
ان يك ذو القرنين قد مسح الار * ض فانى موكل بالعيار

وقال آخر

ان الفراغ دعانى الى ابتناء المساجد * وان رأيى فيها كرأى يحيى بن خالد

وقال أبو الهول فى جعفر بن يحيى

أصبحت محتاجا الى الضرب * فى طلب العرف ألى الكاب
اذا شكى صب اليه الهوى * قال له مالى وللصب
أعنى فتى يطعن فى دينه * يشب معه خشب الصلب

وقال رجل من أهل الشام

أبعد مروان وبعد مسلمه * وبعد اسحق الذى كان له
صار على الثغر فرنج الرخمة * ان لنا بفعل يحيى نقمه
مهلكة منيرة منتقمه * أكلت بنى برمك أكل الحطمة
ان لهذا الاكل يوما تخمه * أيسر شئ فيه حز الغاصمه

وقال الشاعر مارعى الدهر آل برمك لما * ان رمى ملكهم بامر بديع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى * غير راع ذمام أهل الربيع

وقال سهل بن هرون فى يحيى بن خالد

عدو تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما منعه كان أحزما
مذل نفس قد أبت غير أن ترى * مكاره ما تأتى من الحق مغنما

وقال حسان بن حسان من مبلغ يحيى ودون لقائه * زبرات كل خنابس همهام
يا راعى السلطان غير مفرط * فى لين مختبط وطيب سمام
يغدى مسارحه ويصفى شربه * ويبيت بالبوات والاعلام
حتى ينخنخ ضار بالجرانه * ورست مراسيه بدار سلام
فى كل ثغر حارس من قلبه * وشعاع طرف لا يفترسام

وهذا شبيه بقول العتابى فى هرون

امام له كف يضم بنانها * عصا الدين ممنوعا من البرعودها
وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليه قربها وبعيدها
وأصمع يقظان يبيت مناجيا * له فى الحشا مستودعات يكيدها
سميع اذا ناداه من قعر كربة * مناد كفته دعوة لا يعيدها

وقال كلثوم بن عمرو العتابى

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك انى نلت مانال جعفر * من الملك أو مانال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى * مغصها بالمرهفات البوارد
ذرينى تحينى ميتتى مطمئنة * ولم أتقحم هول تلك الموارد
فان كريمات المعالى مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

وقال الحسن بن هانئ

عجبت لهرون الامام وما الذى * يرى ويرجو فيك ياخلقة السلق
قفا خلف وجه قد أطيل كأنه * قفا ملك يقضى الحقوق على ثبق
وأعظم زهوا من ذباب على خرا * وابخل من كلب عقور على عرق
أرى جعفر يزداد بخلا ودقة * اذا زاده الرحمن فى سعة الرزق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس الا على الحمق

ولما أنشد ابن حفصة الفضل فى يحيى بن خالد

ضربت فلا شلت يد خالدية * رتقت بها الفتق الذى بين هاشم

قال له الفضل قل فلا شلت يد برمكية فخالد كثير وليس برمك الا واحدا وقال سلم فى يحيى ويحيى يومئذ شاب

وفتى خلا من ماله * ومن المروأة غير خال
واذا رأى لك موعدا * كان الفعال مع المقال * لله درك من فتى
ما فيك من كرم الخلال * أعطاك قبل سؤاله * فكفاك مكروه السؤال

ومن جيد ما قيل فيهم للفضل يوم الطالقان وقبله * يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا * فى غزوتين حواهما يومان * عصمت حكومته جماعة هاشم
من أن يجرد بينها سيفان * تلك الحكومة لا التى عن لبسها * عظم النأى وتفرق الحكمان

وقال الحسن بن هانئ فى جعفر بن يحيى

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كأنه ناظر فى السيف بالطول

ذكروا ان جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجربانات لطول عنقه وقال أبو معدان الاعمى وهو أبو السرى السميطى

يوم تشفى النفوس من بعض ما اللو * م ويثنى بسامة الرحال
وعدى وتيمها وثقيف * وأمى وتغلب وهلال * لا حرورا ولا النوائب تنجو
لا ولا صحب واصل الغزال * غير كفتى ومن يلوذ بكفتى * فهم رهط الاعور الدجالى
وبنو الشيخ والقتيل بفج * بعد يحيى وموتم الاشبال * سن ظلم الامام فى القوم بشر
* ان ظلم الامام ذو عقال *

وقال بعض الكمت آمت نساء بنى أمية منهم * وبنوهم بمضيعة ايتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة أعفني آل هاشم يا أميا * جعل الله بيت مالك فيا
ان عصى الله آل مروان والعا * صي لقد كان للرسول عصيا

وقال الراعي في بني أمية بني أمية ان الله ملحقكم * عما قليل بعثمان بن عفان

وقال خلف بن خليفة لو تصفحت أولياء على * لم تجد في جميعهم باهليا

وقال كعب الاشقري لعمر بن عبد العزيز

ان كنت تحفظ ما يليك فانما * عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يشتجيبوا للذي تدعوله * حتى يجالدبالسيوف رقاب
بأكف منصلتين أهل بصائر * في وقعهن مزاجر وعقاب
هلا قريش ذكر وا بثغورها * حزم واحلام هناك رغاب
لولا قريش نصرها ودفاعها * الفيت منقطعا بي الاسباب

فلما سمع هذا الشعر قال لمن هذا قالوا لرجل من ازد عمان يقال له كعب الاشقري قال ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر قال اليقظان وقام الى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال ان الذين بعثت في أقطارها * نبذوا كتابك واستحلوا الحرم

طلس الثياب على منابر أرضنا * كل يجور وكلهم يتظلم
وأردت أن يلي الامانة منهم * عدل وهيهات الامين المسلم

وكان يزيد بن على كثيرا ما يتمثل قول الشاعر

شرده الخوف وازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد * مخرق الخفين يشكو الوجا
تنكبه أطراف مروحداد * قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال عبد الله بن كثير السهمي وكان يتشيع لولادة كانت نالته وسمع عمال خالد بن عبد الله القسري يلعنون عليا والحسن والحسين على المنابر

لعن الله من يسب عليا * وحسينا من سوقة وامام * أيسب المطيبون جدودا
والكرام الاخوال والاعمام * يأمن الظبي والحمام ولايا * من آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا * أهل بيت النبي والاسلام * رحمة الله والسلام عليهم
* كلما قام قائم بسلام *

وقال حين عابوه بذلك الرأى

ان امرأ مست معايبه * حب النبي لغير ذي ذنب * وبني أبي حسن ووالدهم
من طاب في الارحام والصلب * أيعد ذنبا ان أحبهم * بل حبهم كفارة الذنب

وقال يزيد بن بكر بن داب الليثي الله يعلم في على علمه * وكذاك علم الله في عثمان

وقال السيد الحميرى انى امرؤ حميرى غير موتشب * جدى رعين واخوالى ذوو يزن
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به * يوم القيامة للهادى أبى الحسن

وقال ابن أذينة سمى قريش مانع منك محمه * وغث قريش حيث كان سمين

وقال ابن الرقيات ماتقموا من بنى أمية الا * انهم يحلمون ان غضبوا
وانهم معدن الملوك ولا * يصلح الا عليهم العرب

وقال عروة بن أذينة اذا قريش تولى خير صالحها * فاستيقنن بأن لا خير فى أحد
رهط النبى وأولى الناس منزلة * بكل خير واثرى الناس فى العدد

وقال حسان بن ثابت يرثى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * خير البرية لم يعدل به رجلا

وقال بعض بنى أسد لما تحير ربى فارتضى رجلا * من خلقه كان منا ذلك الرجل
لنا المساجد نبنيها ونعمرها * وفى المنابر قعدان لنا ذال

وقال يزيد بن الحكم بن أبى العاص فى شأن السقيفة

قد اختصم الاقوام بعد محمد * فسائل قريشا حين جد اختصامها
ألم تكن من دون الخليفة أمة * بكف امرئ من آل تيم زمامها
هدى الله بالصديق ضلال أمة * الى الحق لما ارفض عنها نظامها

وقالت صفية فى ذلك اليوم

قد كان بعدك انباء وهنبثة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها * واختل قومك فاشهدهم فقد سغبوا

وقال الفرزدق صلى صهيب ثلاثا ثم أسلمها * الى ابن عفان ما كاغير مقصور
ولاية من أبى حفص لثالثهم * كانوا اخلاء مهدى ومحبور

وقال مزرد بن ضرار يرثى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

عليك السلام من امام وباركت * يد الله فى ذاك الاديم الممزق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق فى أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته * بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

قال وسمعوا فى تلك الليلة هاتفا يقول

لبيك على الاسلام من كان باكيا * فقد أوشكوا اهلاكه وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها * وقل ملها من كان يوقن بالوعد

وعن أبي الجحاف عن مسلم البطين

انا نعاتب لا أبالك عصبة * علقوا الفرى وبروا من الصديق
وبرواسفاها من وزيرنبيهم * تبا لمن يبرأ من الفاروق
انى على رغم العداة لقائل * دينا بدين الصادق المصدوق

وقال الكميت فقل لبني أمية حيث حلوا * وان خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه * وأشبع من يجوركم أجيعا
بمرضى السياسة هاشمى * يكون حيال الأمة ربيعا

وقال حرب بن المنذر بن الجارود قالوا وكان يتفقى ويتشيع فى كلمة له

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني * وأثواب كتان ازور بها قبرى
وحبي ذوى قربى النبي محمد * فما سألنا الا المودة من أجر

(وجه التدبير) فى الكتاب اذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارى له ويسوقه الى حظه بالاحتيال له فمن ذلك أن يخرجه من شئ الى شئ ومن باب الى باب بعد أن لا يخرجه من جملة ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى الينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ولولا أن دولتهم أعجمية خراسانية ودولة بنى مروان عربية اعرابية وفى أحنادشامية والعرب أوعى لما تسمع واحفظ لما تأتى ولها الاشعار التى تقيد علينا ما تثمرها وتخلد لها محاسنها وجرت من ذلك فى اسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها فبذلك لبنى مروان شرفا كثيرا ومجدا كبيرا وتدبيرا لا يحصى ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم فى أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وما جرى فى ذلك من فوائد الكلام وشريف المعانى كان فيما قال المنصور وما فعل فى أيامه وأسس لمن بعده ما بنى بجماعة ملوك بنى مروان ولقد تتبع أبو عبيدة النحوى وأبو الحسن المدائنى وهشام الكلبى والهيثم بن عدى أخبارا واختلفت واحاديث وتقطعت فلم يدركوا الا القليل من كثير وهمز وجامن خالص وعلى كل حال فانا اذا صرنا الى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى واسحق بن عيسى واسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر وما رواه ابراهيم ابن السندى عن السدى وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بنى هاشم وموالهم عرفت بتلك البقية كثرة ما فات وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثم بن عدى وتكلفه هشام بن الكلبى وسنذكر جملا مما انتهى الينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وان كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ونقصد من ذلك الى التخفيف والتقليل فانه يأتى من وراء الحاجة ويعرف بجملته مراد البقية * قال وكان المنصور داهيا أريبا مصيبا فى رأيه سديدا وكان مقدما فى علم الكلام ومكثرا من كتاب الآثار ولكلامه كتاب يدور فى أيدى الوراقين معروف عندهم ولما هم بقتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فارق فى ذلك

ليلة فلما صبح دعا باسحق بن مسلم العقيلي فقال له حدثني حديث الملك الذي أخبرتني عنه بحران قال أخبرني أبي عن الحسين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس كان يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس أدبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فوجهه سابور داعية الى أهل خراسان وكانوا قوما مجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين ويخلون بالدين استكانة لفوت الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا واغتر بقتل ملوكهم وتخولهم اياهم وكان يقال لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة فلما تلاحمت أعضاء الامور التي لقح استحالت حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها فانتقل العز الى أرذلهم والنباهة الى أخملهم فاشر بواله حبا مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين فلما استوسعت له البلاد بلغ سابور امرهم وما أحال عليه من طاعتهم ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال في قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال

وما قطع الرجاء بمثل يأس * تباده القلوب على اغترار

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم الا ورأسه بين أيديهم فوقف بهم بين الغربة وناى الرجعة وتخطف الاعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة فاذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف أنفه فاطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وأمر اسحاق بالخروج ودعا بابي مسلم فلما نظر اليه داخلا قال

قد اكتنفتك خلات ثلاث * جلبن عليك محذور الحمام

خلافك وامتناعك ترتمي * وفودك للجماهير العظام

ثم وثب اليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف على ابي مسلم فلما رآهم وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه منها ثم قال

اشرب بكاس كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

زعمت أن الدين لا يقتضى * كذبت فاستوفى أبا مجرم

ثم أمر فجز رأسه وبعث به الى أهل خراسان وهم ببابه فجالوا حوله ساعة ثم ردعن شغبهم انقطاعهم عن بلادهم واحاطة الاعداء بهم فذلوا وسلموا له فكان اسحاق اذا رأى المنصور قال

وما أخذوا لك الا مثال الا * لتحذوا ان حذوت على مثال

وكان المنصور اذا رآه قال وخلفها سابور للناس يقتدى * بامثالها في المعضلات العظائم

وكان المهدي يحب القيان وسماع الغناء وكان معجبا بجارية يقال لها جوهر وكان اشتراها من مروان الشامي فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهر تغنيه فقال مروان

انت ياجوهر عندى جوهره * فى بياض الدرة المشتهرة
فاذا غنيت فمار ضرمت * قذفت فى كل قلب شرره

فاتهمه المهدى وأمر به فدفع فى عنقه الى أن خرج ثم قال لجوهرة أطربينى فأنشأت تقول

وأنت الذى أخلفتنى ماوعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم
وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لهم غرضا ارمى وأنت سليم
فلوأن قولا يكلم الجسم قد بدا * بجسمى من قول الوشاة كلوم

فقال المهدى

الا ياجوهر القلب لقد زدت على الجوهر * وقد أكملك الله بحسن الدل والمنظر
اذا ماصلت ما أحسن خلق الله بالمزهر * وغنيت ففاح البيت من ريقك العنبر
فلا والله ما المهدى أولى منك بالمنبر * فان شئت ففى كفك خلع ابن أبى جعفر

قال الهيثم أنشدت هارون وهو ولى عهد أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض فى سليمان بن عبد الملك

حاز الخلافة والداك كلاهما * من بين سخطة ساخط أوطائع
أبوك ثم أخوك اصبح ثالثا * وعلى جبينك نور ملك ساطع

قال يايحيى اكتب لى هذين البيتين ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بالفى درهم فاستقلها وبلغ ذلك أبا جعفر فقال أما يرضى ان حقنت دمه وقد استوجب اراقته ووفرت ماله وقد استحق تلفه وأقررته وقد استأهل الطرد وقربته وقد استحرى البعد أليس هو القائل فى بنى أمية

اذا قيل من عند ريب الزمان * لمعترفهر ومحتاجها
ومن يحمل الحيل يوم الوغى * بالجامها قبل اسراجها
اشارت نساء بنى مالك * اليك به قبل ز واجها

قال ابن هرمة فانى قد قلت فيك أحسن من هذا قال هاته قال قلت

اذا قلت أى فتى تعلمون * أهش الى الطعن بالذابل
واضرب للقرن يوم الوغى * واطعم فى الزمن المماحل
أشارت اليك اكف الورى * اشارة غرقى الى الساحل

قال المنصور أما هذا الشعر فمسترق وأما نحن فلا نكافئ الا بالتى هى أحسن ولما احتال أبو المزهر بن المهلب لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معدان وأسلمه عبد الى المنصور قال لا عذر واعتذر وقد أحاط بى الذنب وانت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم الى محسنهم وغادرهم لوفيهم قال ان لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اسكت مقبوحا مشقوحا واخرج فانك أنوك جاهل انت عتيقهم وطليقهم ما حييت ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابراهيم بن عبد الله وصار الى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على

رؤس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ثم قال قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان
من احسانى اليه وحسن بلائى عنده وقديم نعمتى عليه والذى حاول من الفتنة ورام من
البغى وأراد من شق العصا ومعاونة الاعداء واراقة الدماء وانه قد استحق بهذا من فعله أليم
العقاب وعظيم العذاب وقد رأى أمير المؤمنين اتمام بلائه الجميل لديه ورب نعمائه السابقة
عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل
عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم
وقال سهل بن هارون يوما وهو عند المأمون من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين ان يرغبوا
فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال قال المأمون قد يسمى بعض الناس
الشئ علما وليس بعلم فان كنت هذا أردت فوجهه الذى ذكرنا ولو قلت ان العلم لا يدرك
غوره ولا يسبر قوه ولا يبلغ غايته ولا يستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ما قلت
فاذا كان الامر كذلك فابدؤا بالأهم فالأهم وابدؤا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان
عدلا وقولا صدقا وقد قال بعض العلماء اقصد من أصناف العلم الى ما هو أشهى الى نفسك
وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك وقال أيضا بعض العلماء
لست أطلب العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله
ولا يحسن بالعاقل اغفاله وقال آخرون علم الملوك النسب والخبر وجمل الفقه وعلم التجار
الحساب والكتاب وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازى وكتب السير واما ان تسمى الشئ
علما وتنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه بل تنهى نهيا جزما وتامر أمرا حتما
والعلم بصر وخلافه عمى والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به ولما قرأ المأمون
كتبى فى الامامة فوجدها على ما أمر به وصرت اليه وقد كان أمر ليزيدى بالنظر فيها ليخبره
عنها قال لى قد كان بعض من نرتضى عقله ونصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب باحكام
الصنعة وكثرة الفائدة فقلنا قد تربى الصفة على العيان فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على
الصفة فلما فليتها أربى افلى على العيان كما أربى العيان على الصفة وهذا كتاب لا يحتاج الى
حضور صاحبه ولا يفتقر الى المحتجين عنه قد جمع استقصاء المعانى واستيفاء جميع الحقوق مع
اللفظ الجزل والمخرج السهل فهو سوقى ملوكى وعامى خاصى ولما دخل عليه المرتد الخراسانى
وقد كان حمله معه من خراسان حتى وافى به العراق قال له المأمون لان استحييك بحق أحب
الى من ان اقتلك بحق ولان اقيلك بالبراءة احب الى من ان ادفعك بالتهمة قد كنت مسلما
بعد ان كنت نصرانيا وكنت فيها أتيح وايامك أطول فاستوحشت مما كنت به آنسا ثم لم تلبث
ان رجعت عنانا فرا فاخبرنا عن الشئ الذى أوحشك من الشئ الذى صار آنس لك من الفك
القديم وانسك الاول فان وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به والمريض من الاطباء يحتاج
الى المشاورة وان أخطاك الشفاء ونبأ عن دائك الدواء كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك

بلائمة فان قتلناك قتلناك بحكم الشريعة وترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار والثقة وتعلم انك لم تقصر فى اجتهاد ولم تفرط فى الدخول فى باب الحزم قال المرتد أوحشنى كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم قال المأمون لنا اختلافان أحدهما كالاختلاف فى الاذان وتكبير الجنائز والاختلاف فى التشهد وصلاة الاعياد وتكبير التشريق ووجوه القراآت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وليس هذا باختلاف انما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ومن أذن مثنى واقام فرادى لم يحوب لا يتعايرون ولا يتعايبون أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه تبيانا والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا وتأويل الاحاديث عن نبينا مع اجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان الذى اوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى ان يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف فى شئ من التأويلات وينبغى لك أن لا ترجع الا الى لغة لا اختلاف فى تأويل الفاظها ولو شاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام انبيائه وورثة رسله لا يحتاج الى تفسير لفعل ولكنا لم نر شيأ من الدين والدنيا دفع البنا على الكفاية ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل وليس على هذا بنى الله الدنيا قال المرتد أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده وأن محمدا صادق وأن أمير المؤمنين حق فاقبل المأمون على أصحابه فقال فروا عليه عرضه ولا تبروه فى يومه ريثما يعتق اسلامه كيلا يقول عدوه انه أسلم رغبة ولا تنسوا بعد نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والفائدة عليه حدثنا أحمد بن أبى داود قال لى المأمون لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحاجاتهم وكفاتهم وبين صنائعهم وبطانتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا حتى لا يزال الرجل يقول ما أوقع به الا رغبة فى ماله أو رغبة فى بعض ما تجود النفوس به ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك وهناك خيانات فى صلب الملك او فى بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة فى الملك ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد على علمه بان عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عندها ثم الخاصة ونزل رجل من أهل العسكر فغدا بين يدى المأمون وشكا اليه مظلمته فاشار بيده أن حسبك فقال له بعض من كان يقرب من المأمون يقول لك أمير المؤمنين اركب فقال المأمون لا يقال لمثل هذا اركب انما يقال له انصرف وحدثنى ابراهيم ابن السندى قال بينا الحسن اللؤلؤى يحدث المأمون ليلا وهو بالرقة وهو يومئذ ولى عهد وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون فقال الحسن نعست أيها الامير ففتح عينيه وقال

سوق ورب الكعبة يا غلام خذ بيده * ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والاغبياء
وما ضارع ذلك وشاكله * وأحببنا ان لا يكون مجموعا فى مكان واحد ابقاء على نشاط القارئ
والمستمع مر ابن أبى علقمة بمجلس بنى ناجية فسكبا حمارا ولوجهه فضحكوا منه فقال ما يضحككم
رأى وجوه قريش فسجد أبو الحسن قال أتى رجل عبادا يا صيرفيا يستسلف منه مائتى درهم
فقال وما تصنع بها قال أشترى بها حمارا فلعلى أربح فيه عشرين درهما قال اذا أنا أوهبتك
العشرين فما حاجتك الى المائتين قال ما اريد الا المائتين فقال أنت لا تريد ان تردها
على قال وانى قوم عبادا يا فقالوا نحب أن تسلف فلانا ألف درهم وتؤخره سنة فقال هانات
حاجتان وسأقضى لكم احداهما واذا فعلت ذلك فقد أنصفت أما الدراهم فلا تسهل على
ولكنى أؤخره سنتين ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه
وفاوضه الكلام قال له لم لا تولينى نهر بوق قال أولك نصفها كتبوا له عهده على بوق قال
له مر مولنى أرمينية قال يبطئ على أمير المؤمنين خبرك وقدم آخر على صاحب له من فارس
فقال له قد كنت عند أمير المؤمنين فاى شئ ولاك قال ولانى قفاه قال ونظر أمير الى اعرابى
فقال لقد هم لى الامير بخير قال ما فعلت قال فبشر قال وما فعلت قال ان الامير لمجنون قال
أبو الحسن شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم تشهد أنك رأيته يدخله ويخرجه
قال والله لو كنت جلدة أستها لما شهدت بهذا قال وكان رجل من أهل الرى يجالسنا
واحتبس عنا فاتيته فجلست معه على بابه واذا رجل يدخل ويخرج فقلت من هذا فسكت ثم
أعدت فسكت فلما أعدت الثالثة قال هو زوج أخت خالتى وقال الشاعر

اذا المرء حاز الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى أتى * ولو جر ارسان الحياة له الدهر

اعرابى خاصمته امرأته الى السلطان فقيل له ما صنعت قال خيرا كبها الله لوجهها وأمر بى
الى السجن قال أبو الحسن عرض الاسد لاهل قافلة فتبرع عليهم رجل فخرج اليه فلما رآه
سقط وركبه الاسد فشدوا عليه بأجمعهم فتنحى عنه الاسد فقالوا له ما حالك قال لا بأس
على ولكن الاسد خرى فى سراويلى قال أبو عباية السليطى قد فسد الناس قلت وكيف قال
ترى بساتين هؤلاء مردهذه ما كان يمر بها غلام الا بخفير قلت هذا صلاح قال لا بل فساد أبو
الحسن قال خطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان على أخيه فقالت لا تزوجه قال
ولم قالت هو أحمق له برذونان أشهبان فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد قال كان
المغيرة بن المهلب عمروا وكان عند الحجاج يوما فهاجت به مرته فقال له الحجاج ادخل
المتوضأ أو أمر من يقيم عنده حتى يتقيأ و يفيق قال أبو الحسن قالت خيرة بنت ضمرة
القشيرية امرأة المهلب للمهلب اذا انصرفت من الجمعة فاحسن ان تمر باهلى قال لها ان أخاك
أحمق قالت وانى أحب ان تفعل فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجلس المهلب

ناحية ثم أقبل عليه فقال له ما فعل ابن عمك فلان قال حاضر فقال أرسل اليه ففعل فلما نظر اليه غير مرفوع المجلس قال ابن للخناء المهلب جالس ناحية وأنت جالس فى صدر المجلس ووائبه فتركه المهاب وانصرف فقالت له خيرة أمررت باهلى قال نعم وتركت أخاك الاحمق يضرب قال وكتب الحجاج الى الحكم بن أيوب اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ملجة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أمة لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لا يحسن نحر المراة حتى يعظم ثدياها قال المرار بن منقذ الحملى

صلتة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدى ولما ينكسر

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لا حتى تدفن الضجيع وتروى الرضيع وقال ابن صديقة لرجل رأى معه خفا ما هذه القلنسوة فاحتكموا الى عرياض فقال عرياض هى قلنسوة الرجل قال أبو اسحق قلت لخبير كوز وعدتك ان تجىء ارتفاع النهار فجئتنى صلاة العصر قال جئتك ارتفاع العشى قال قيل لاعرابى ما اسم المرق عندكم قال السخين قال فاذا برد قال لا ندعه حتى يبرد باع نخاس من اعرابى غلاما فاراد أن يتبرأ من عيبه قال اعلم أنه يبول فى الفراش قال ان وجد فراشا فليل فيه حدثنا صديق لى قال أتانى اعرابى بدرهم فقلت له هذا زائف فمن أعطاك قال اص مثلك وقال زيد بن كثوة أتيت بنى كش هؤلاء فاذا عرس وباق الباب فادر نفق وادمج فيه سرعان من الناس والصت ولوج الدار فدلظنى الحداد اظة دهورنى على قفرأسى وأبصرت شيخات الحى هناك ينتظرون المزية فبحت اليهم فوالله ان زلنا نظار نظار حتى عقل الظل فذكرت اخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول

ترکن بنى كش وما فى ديارهم * عوامد واعصوصبن نحو بنى تبر

الى معشر ثم الانوف قراهم * اذا نزل الاضياف من قمع الحزر

وانصرفت وأتيت باب كش واذا الرجال صتيتان واذا ارمدأ كثيرة وظباء لا تحصى ولحمان فى جثمان الاكام صالح بن سليمان قال من أحمق الشعراء الذى يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

ولا يشبه قول الآخر

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

قال مات لابن مقرن غلام فحفر لهم اعرابى قبره بدرهمين وذلك فى بعض الطواعين فلما أعطوه الدرهمين قال دعوهما حتى يجتمع لى عندكم ثمن ثوب وادخل اعرابى الى المربد جليبا له فنظر اليها بعض الغوغاء فقال لا اله الا الله ما أسمن هذه الجزر قال له الاعرابى مالها تكون جزرا أجزرك الله أبو الحسن قال جاء رجل الى رجل من الوجوه فقال أنا جارك وقدمات أخى فلان فهل لى بكفن قال لا والله ما عندى اليوم شئ ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذى تحب قال أصلحك الله فنصلحه الى أن يتيسر عندكم شئ قال كان

مولى البكرات يدعى البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الردى ء و يذم الجيد فكتب اليه رسالة يتعذر فيها من ترك المجى ء فقال وقطعني عن المجى ء اليكم انه طلعت في احدى اليتي ابني بثرة فعظمت وعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة وقال علي ابن الاسواري فلما رأيته أصفر وجهي حتى صار كأنه الكشوث وقال محمد بن الجهم الى أين بلغ الماء منك قال الى العانة قال شعيب بن زرارة لو كان قال الى الشعرة كان أجود وقال له محمد ابن الجهم هذا الدواء الذي جئت به قدركم آخذ منه قال قدر بعرة وقال علي جاءني رجل حزنبل من ههنا الى ثمة قال قاسم التمار بينهما كما بين السماء الى قريب من الارض وقال قاسم التمار رأيت ايوان كسرى كأنما رفعت عنه الايدي أول من أمس وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ وذلك بعد العصر بساعة فقال لبعضهم قم صل فاتتك الصلاة ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر قم صل ويلك فقد ذهب الوقت فلما أكثر عليهم في ذلك وهو جالس لا يقوم يصلي قال له واحد منهم فانت لم تصل فاقبل عليه فقال ليس والله يعرفون أصلي في هذا قلت وأي شيء أصلك قال لا أصلي لان هذه المغرب قد جاءت وقال قاسم انا انفس بنفسي على السلطان وأتى منزل ابن ابي شهاب وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز و زيتون وكامخ فقال انا لا أشرب النبيذ الا على زهومة وقال حين بعت البغل بدأت بالفرج وقال ليس في الدنيا ثلاثة انظف مني أنا أكسل منذ ثلاث ليال في كل ليلة عشر مرات كان الاكسال عنده هو الانزال وقال ذهب والله مني الاطيبين قلت وأي شيء الاطيبين قال قوة اليدين والرجلين وقال فالتوى لي عرق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام وقال في غلام له رومي ما وضعت بيني و بين الارض أطيب منه قال ومحمد بن حسان لا يشكرني ووالله ما نالك حاذر اقط الا على يدي وقال أبو حشرم ما أعجب أسباب النيك فقيل له النيك وحده سمعنا الناس يقولون ما أعجب أسباب الرزق وما أعجب الاسباب وكان قاسم التمار عند لابن لاحد بن عبد الصمد بن علي وهناك جماعة واقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلمان فلما طال ذلك على قاسم أراد ان يقطعه عن نفسه بان يعرفه هوان ذلك القول عليه فقال اشهدوا جميعا اني أنيك الغلمان واشهدوا جميعا اني أعفج الصبيان والتفت التفاتة فرأى الاخوين الهذليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال عنيت بقولي اشهدوا جميعا اني لوطي أي على دين لوط قال القوم باجمعهم أنت لم تقل اشهدوا اني لوطي انما قلت اشهدوا اني أنيك الصبيان قال السدوسي لم يكن في الارض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرآن من ماشاء الله كان يريد بما شاء الله المنجم وكان يقول هو اكفر عندي من رام هرمز يريدا كفر من هرمز * وممن وسوس غلفاء بن الحرث ملك قيس عيلان وسوس حين قتل اخوته وكان يتغلف و يغلف أصحابه بالغالية فسمي غلفاء بذلك وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف نال بغلة وكيف انكسرت رجله

وكيف كان بنا لها قال كان يضع تحت رجله لبنة فبينا هو يمشي فيها اذا انكسرت اللبنة من تحت رجله واذا انا على قفاي ومن الاحاديث المولدة التي لا تكون وهو مليح في ذلك قولهم ناك رجل كلبة فقعدت عليه فلما طال عليه البلاء رفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل اضرب جنبها فلما ضرب جنبها وتخلص قال قاتله الله أي نياك كلمات هو وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا الا حديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص أنتم باي شئ تبكون انما البلاء علينا معاشر العلماء قال وبكى حول أبي شيبان ولده وهو يريد مكة قال لا تبكوا يا بني فاني أريد ان أضحي عندكم وقال أخوه ولدت في رأس الهلال للنصف من شهر رمضان احسب أنت الآن هذا كيف شئت وقال تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة وقال ذلك لم يكن أبا انما كان والدا وقال أبو دينار هو وان كان أخا فقد ينبغي ان ينصف ومن المجانين علي بن اسحق بن يحيى بن معاذ وكان أول ما عرف من جنونه انه قال أرى الخطأ قد كثر في الدنيا والدنيا كلها في جوف الفلك وانما نؤتى منه وقد تخلخل وتحزم وتزايل فاء تراه ما يعتري الهر ماء وانما هو مجنون فكم يصبر وساحتال في الصعود اليه فاني ان بخرته ورندجته وسويته انقلب هذا الخطأ كله الى الصواب وجلس مع بعض متغافلي فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال ليس نحن في تقويم الابدان انما نحن في تقويم الاعضاء ثمن أنف هذه خمسة وعشرون دينارا وثمن اذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها ستة وسبعون وثمن رأسها بلا شئ من حواسها مائة دينار قال صاحبه المتغافل ههنا باب هو أدخل في الحكمة من هذا كان ينبغي لقدم هذه ان يكون لساق تلك وأصابع تلك ان تكون لقدم هذه وكان ينبغي لشفتي تيك ان تكونا لفم تيك ويكون حاجبا تيك لجبيني هذه فسمي مقوم الاعضاء ومن النوكى كلاب بن ربيعة وهو وقتل الخثعمي قاتل أبيه دون اخوته وهو القائل

ألم ترني ثأرت بشيخ صدق * وقد أخذ الاداوة فاحتساها
ثأرت بشيخه شيخا كريما * شفاء النفس ان شئ شفاها

ومنهم نعامة وهو بهس وهو الذي قال مكره اخوك لا بطل واياه يعني الشاعر

ومن حذر الايام ما حز أنفه * قصير ولاقى الموت بالسيف بهس
نعامة لما صرع القوم رهطه * تبين في اثوابه كيف يلبس

وقال الحضرمي اما أنا فاشهد ان تميما أكثر من محارب وقال حيان البزار فتح الله الباطل الرطب بالسكر والله طيب قال أبو الحسن سمعت الصفدي الحارثي يقول كان الحجاج أحمق بني مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم لا تدخلوها فلما مات دبوا اليها من قريب سعدة بن المبارك قال قلت للبكراوي بامرأتك حمل قال شئ ليس بشئ قال بني عبيد الله ابن زياد البيضاء كتب رجل على باب البيضاء شئ ونصف شئ ولا شئ مهران الترجمان

وتصف شيئ هند ابنة اسماء ولا شيئ عبيد الله بن زياد فقال عبيد الله اكتب الى جنبه لولا الذى زعمت انه لا شيئ لما كان ذلك الشيئ شيأ ولا ذلك النصف نصفا وقال هشام بن عبد الملك يوما فى مجلسه يعرف حق الرجل بخصال بطول لحيته وشناعة كنيته وبشهوته ونقش خاتمه فاقبل رجل طويل اللحية فقال هذه واحدة ثم سأله عن كنيته فاذا هى شنعاء ثم قال هاتان ثنتان ثم قال وأى شئ أشهى اليك قال رمانة مصاصة قال أمصك الله ببظرامك وقيل لابى القمقام لم لا تغزو او تخرج الى المصيصة قال أمصنى الله اذا ببظرامى وقالوا لابى الاصبع ابن ربعى أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر لم لا تخرج الى قتال العدو قال انا لا اعرفهم ولا يعرفونى كيف صار والى أعداء قال كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام فكان يستسقى فى كل خطبة وان كان فى ايام الشعرى فقام اليه شيخ من أهل حمص فقال أصلح الله الامير اذا تفسد القطانى يعنى الحبوب واحدها قطنية وأما نفيس غلامى فانه اذا صار الى فراشه فى كل ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه اللهم حوالينا ولا علينا قال وكان بالرقة رجل يحدث عن بنى اسرائيل وكان يكنى أبا عقيل فقال له الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبى موسى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص ومن اللحانين الاشراف ابن ضحيان الازدى وكان يقرأ قل يا أيها الكافرين فقيل له فى ذلك فقال قد عرفت القراءة فى ذلك ولكنى لاجل أمر الكفرة وقال حبيب بن أوس ما ولدت حواء أحمق لحية * من سائل يرجو الغنى من سائل

وقال أيضا ايوسف جئت بالعجب العجيب * تركت الناس فى شك مريب

سمعت بكل داهية تأد * ولم أسمع بسراح أديب * اما لو أن جهلك عاد علما

اذا لنفدت فى علم الغيوب * ومالك بالغريب يد ولكن * تعاطيك الغريب من الغريب

وأنشدوا ارى زمنا نوكاء اسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وهذه ابيات كتبناها فى غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها قال الشاعر

وللدهر ايام فكن فى لباسها * كلبسته يوما اجدوا خلقا

وكن أكيس الكيسا اذا كنت فيهم * وان كنت فى الحمقا فكن أنت أحمقا

وقال الآخر وأنزلنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت الذى لا اشاكله

فما مقته حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله

وقال أبو العتاهية من سابق الدهر كبوة * لم يستقلها من خطا الدهر

فاخطم مع الدهر على ما خطا * وأجر مع الدهر كما يجرى

ليس لما ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

وقال بشر بن المعتمر حيلة ما ليست له حيلة * حسن عزاء النفس والصبر

وقال صالح بن عبد القدوس

وان عناه ان تفهم جاهلا * ويحسب جهلا انه منك افهم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال بشر بن المعتمر واذا الغبي رأيته مستغنيا * أعيى الطبيب وحيلة المحتال

ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي وهو مجنون بني جعدة وبنو المجنون قبيل من قبائل بني جعدة وهو غير هذا المجنون وأما مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ وهو الذي يقال له مجنون بني عامر وهما شاعران قيل ذلك لهما لتجنبهما بعشيقتين كانتا لهما ولهما أشعار معروفة وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين ومن لم ير واشعار المجانين ولصوص الاعراب ونسيب الاعراب والارجاز الاعرابية القصار وأشعار اليهود والاشعار المنصفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الاحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شئ ولقد شهدتهم وما هم على شئ أحرص منهم على نسيب عباس بن الاحنف فما هو الا ان اوردت عليهم خلف الاحمر نسيب الاعراب فصار زهدهم في نسيب العباس بقدر رغبتهم في نسيب الاعراب ثم رأيتهم منذ سنيات وما يروى عندهم نسيب الاعراب الا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتيا في متغزل وقد جلست الى أبي عبيدة والاصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله ولم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم أر غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم أر غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم لا يقفون الا على الالفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الالفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الاقلام على مدافن الالفاظ وأشارت الى حسان المعاني ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم وعلى السنة حذاق الشعراء أظهر ولقد رأيت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعارا من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر وبما خيل الي ان أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيد المكان اغراقهم في أولئك الآباء ولولا أن أكون عيابا ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة قال ابن المبارك كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة فقلت له لم نكنوك أبا خارجة قال لاني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يكنى أبا خزيمة فقلت لاصحابنا هل لكم في مسألة هذا الحارس عن سبب

كنيته فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما وان كان فى ظاهر الرأى غير مأمول ولا مطمع وهذه الكنية كنية زرارة بن عدس وكنية حازم بن حزيمة وكنية حمزة بن أدرك وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء اما قائد متبوع واما سيد مطاع ومن أين وقع هذا العلج الا لكن على هذه الكنية فدعوته فقلت له اهذه الكنية كنك بها انسان أو كنيت بها نفسك قال لا ولكنى كنيت بها نفسى قلت فلم اخترتها على غيرها قال ما يدرينى قلت ألك ابن يسمى حزيمة قال لا قلت فكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى حزيمة قال لا قلت فاترك هذه الكنية واكتن بأحسن منها وخذ منى دينارا قال لا والله ولا بجميع الدنيا أعطى المحلول ابنه درهما وقال زنه فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم فلما رفعه وجده زالا فألقى معه حبتين قال له ابوه كم فيه قال ليس فيه شئ وهو ينقص حبتين وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فأخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة فقال هذا الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين قالوا وكيف ذاك قال خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا وكثيرا وخمس سنين قائلة وعشرين سنة اما أن يكون صبيا واما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ولا يدمس صبحة بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشى الذى يصيب الانسان مرارا فى دهره وغير ذلك من الآفات فاذا حصلنا ذلك فقد صح ان الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين وقال بعض الهلاك فدخل فلان على كسرى فقال أصلحك الله ما تأمرنى كذا كذا قال رجل من وجوه اهل البصرة حدثت حادثة أيام الفرس فنادى كسرى الصلاة جامعة وقلت لغلامى نفيس بعثتك الى السوق فى حوائج فاشتريت مالا أمرتك به وتركت كل ما أمرتك به قال يا مولاى انا ناقه وليس فى ركبتى دماغ وقال نفيس لغلام لى الناس و يلك أنت حياء كلهم أقل بريدا نت أقل الناس كلهم حياء وقلت لقيس بن بريهة هذا الصبى فى أى شئ أسلموه قال فى أصحاب سند نعال بريد فى اصحاب النعال السندية روى الاصمعى وابن الاعرابى عن رجالهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا معشر الانبياء بكاء فقال ناس البكوء القلة وأصل ذلك من اللبن فقد جعل صفة الانبياء قلة الكلام ولم يجعله من ايثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول قلنا ليس فى ظاهر هذا الكلام دليل على ان القلة من عجز فى الخلقة وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى والقلة تكون من وجهين أحدهما من جهة التحصيل والاشفاق من التكلف وعلى تصديق قوله قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين الى عادة تناسب الطبيعة وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء الى جياد المعانى والجهل بمحاسن الالفاظ الا ترى ان الله قد استجاب لموسى

على نبينا وعليه السلام حين قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحق بمسألة اطلاق تلك العقدة من موسى لان العرب أشد فخرا ببيانها وطول السنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها وعلى حسب ذلك كانت ذرابتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال وقد شاهدوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه الطوال في المواسم الكبار ولم يطل التماسا للطول ولا رغبة في القدرة على الكثير ولكن المعاني اذا كثرت والوجوه اذا أفتنت كثر عددا للفظ وان حذفت فضوله بغاية الحذف ولم يكن الله ليعطي موسى لتمام ابلاغه شيأ لا يعطيه محمدا والذين بعث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسن وانما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لأن أحدا من أعدائه شاهد هنالك طرفا من العجز ولو كان ذلك مرئيا ومسموعا لاحتجوا به في الملأ ولتناجوا به في الخلا ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم هذا على اننا لا ندري اقال ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم لم يقله لان مثل هذه الاخبار يحتاج فيها الى الخبر المكشوف والحديث المعروف ولكن بفضل الثقة وظهور الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه وقد علمنا ان من يقرض الشعر ويتكلف الاسجاع ويؤلف المزدوج ويتقدم في تحبير المنثور وقد تعمق في المعاني وتكلف اقامة الوزن والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهو امع قلة لفظه وعدد هجائه أحد امرا وأحسن موقعا من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج ولان التقدم فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لا يكون الا ممن يحب السمعة ويهوى النفج والاستطالة وليس بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين الا حجاب رقيق وحجاز ضعيف والانبياء ممدوحة من هذه الصفة وفي ضد هذه الشيمة وقال عامر بن عبد قيس الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمة ومعان تدعو الى الرقة فلم ير الحسن رق فقال الحسن اما ان يكون بناشر او بك يذهب الى ان المستمع يرق على قدر رقة القائل والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم وهو القليل الجامع للكثير وقال الله تعالى وقوله الحق وما علمناه الشعر ثم قال وما ينبغي له ثم قال ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فعم ولم يخص واطلق ولم يقيد فمن الخصال التي ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج الى المداهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق ومن كان كذلك كان أشد افتقارا الى السامع من السامع اليه لشغفه ان يذكر في البلغاء وصبابته

باللحاق بالشعراء ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولد ذلك في قلبه شدة الحمية وحب المحاربة ومن سخف هذا السخف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حاله داعية الى قول الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة الى الناس والافراط في مديح من أعطاه وذم من منعه فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ولم يرغبه في صنعة الكلام والتقيد لطلب الالفاظ والتكلف لاستخراج المعاني فجمع له باله كله في الدعاء الى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانبتات اليه والميل الى كل ما قرب منه فاعطاه الاخلاص الذي لا يشوبه رياء واليقين الذي لا يطوره شك والعزم المتمكن والقوة الفاضلة واذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد للمعاني وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها واثارتها من اماكنها علموا انهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير ما قد حولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم في طلبه واختلاف الى أهله وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون في بعض تلك المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التفنن والانتشار ومن التشديق والاكثار ورأوه مع ذلك يقول اياي والتشادق وأبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون ثم رأوه في جميع دهره في غاية التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتأييد الكريم علموا ان ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وان تلك الحكمة من ثمرة التقوى ونتاج الاخلاص وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لا يخفى شأنها على نقاد الالفاظ وجهابذة المعاني متميزة عند الرواة الخلص وما بلغنا عن أحد من جميع الناس ان أحدا ولد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة واحدة فهذا وما قبله حجة في تأويل ذلك الحديث ان كان حقا في كتاب الله المنزل ان الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل الخطاب كما اعطاه الانة الحديد وفي الحديث المأثور والخبر المشهور ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال شعيب خطيب الانبياء وعلم الله سليمان منطق الطير وكلام النمل ولغات الجن فلم يكن تعالى وعز ليعطيه ذلك ثم يبتليه في نفسه وبيانه عن جميع شأنه بالقلة والمجزة ثم لا تكون تلك القلة الا على الايثار منه للقلة في موضعها وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين بالصنعة وهذا لا يجوز على الله عز وجل فان كان الذي رويتم من قوله انا معاشر الانبياء بكاء على ما تأولتم وذلك ان لفظ الحديث عام في جميع الانبياء والذي ذكرنا من حال داود وسليمان صلى الله تعالى على نبينا وعليهما وحال شعيب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم دليل على بطلان تأويلكم ورد عموم لفظ الحديث وهذه جملة كافية لمن كان يريد الانصاف وكان شيخ من البصريين يقول ان الله انما جعل نبيه أميا لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام

الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الاثر والبشر
ومن العلم بالانواء وبالنجوم وبالانساب وبالاخبار وتكلف قول الاشعار ليكون اذا جاء
بالقرآن الحكيم وتكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على انه من الله وزعم ان الله لم يمنعه
معرفة آدابهم واخبارهم واشعارهم فيكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ومن
الخطيب الناسب ولكن ليجعله نبيا وليتولى أمر تعليمه ما هو أزكى وانما نقصه ليزيده
ومنعه ليعطيه وحجبه عن القليل ليجلي له الكثير وقد اخطأ هذا الشيخ ولم يرد الا الخير وقال
بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ولو زعم ان اداة الحساب والكتابة واداة قريض الشعر ورواة جميع
النسب قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم صرف تلك
القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة واشبه بمرتبة الرسالة وكان اذا احتاج الى
البلاغة كان أبلغ البلغاء واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب
واقوف من كل قائف ولو كان في ظاهره والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب وشاعر ناسب
ومتفرس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ما كان ذلك ما نعا من وجوب
تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لامره على سخطهم ورضاهم ومكروههم ومحبوبهم ولكنه
أراد أن لا يكون للشاعر متعلق عمادعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وان رق
وليكون ذلك أخف من المؤنة وأسهل في المحبة فلذلك صرف نفسه عن الامور التي كانوا
يتكلفونها ويتنافسون فيها فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه
لا ينطلق به والعادة توأم الطبيعة فاما في غير ذلك فانه اذا شاء كان أنطق من كل منطيق
وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلته أو فر وادته أكمل الا انها كانت
مصروفة الى ما هو رادو بين ان يضيف اليه العجز وبين ان يضيف اليه العادة الحسنة
وامتناع الشيء عليه من طول الهجران له فرق ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه
السلام في حال معجزة قط بل لم يره الا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مطيل وان قصر
القول أتى على غاية كل خطيب وما عدم منه الا الخط واقامة الشعر فكيف ذهب ذلك
المذهب والظاهر من أمره عليه السلام غير ما توهم * وسنذكر بعض ما جاء في تفضيل الشعر
والخوف منه ومن اللسان البليغ والمدارة له وما أشبه ذلك قال أبو عبيدة اجتمع ثلاثة من
بني سعد يراجزون بني جعدة فقيل لشيخ من بني سعد ما عندك قال أرجز بهم يوما الى الليل
لا افتح وقيل لآخر ما عندك قال أرجز بهم يوما الى الليل لا أنكف فقيل للآخر الثالث
ما عندك قال أرجز بهم يوما الى الليل لا أنكش فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا
وخلوهم قال وبنو ضرار أحد بني ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبيانا
وهم شماخ ومزرد وجزء اراد ت أمهم وهي أم أوس ان تزوج رجلا يسمى أوسا وكان أوس
هذا شاعرا فلما رأوه بنو ضرار بفناء امهم للخطبة تناول شماخ حبل الدلو ثم متح وهو يقول

أم أويس نكحت أويسا * وجاءمز ردفتناول الحبل فقال * أعجبها حذاره وكيسا
وجاء جزء فتناول الحبل ثم قال * أصدق منها بجبة وتيسا * فلما سمع أوس رجز الصبيان
بها هرب وتركها قال أبو عبيدة كان الرجل من بني نمير اذا قيل له ممن الرجل قال نميري كما ترى
فحاها والا أن قال جرير فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
حتى صار الرجل من بني نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بني عامر قال فعند ذلك قال الشاعر
يهجو قوما آخرين وسوف يزيدكم ضعة هجائي * كما وضع الهجاء بني نمير
فلما هجاهم أبو الرديني العكلي فتوعدوه بالقتل قال الرديني

توعدني لتقتلني نمير * متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليه رجل منهم فقتله وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير
من بيت جرير ويزعمون ان امرأة مرت بمجلس من مجالس بني نمير فتأملها ناس منهم فقالت
يا بني نمير لا قول الله سمعتم ولا قول الشاعر أطعتم قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم وقال الشاعر فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
واخلق بهذا الحديث ان يكون مولدا ولقد أحسن من ولده وفي نمير شرف كثير وهل أهلك
عنزة وجرما وعكلا وسلول وباهلة وغناء الا الهجاء وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض
النقص فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء وهل فضح الحبطات مع شرف حسكة بني عتاب
وعباد بن الحصين وولده الا قول الشاعر

رأيت الحمر من شر المطايا * كما الحبطات شر بني تميم

وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر

ان أبانا فقعة لدارم * كما الظليم فقعة البراجم

وهل أهلك بني البجلان الا قول الشاعر

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة * فعادى بني البجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

واما قول الاخطل وقد سر بني من قيس عيلان انني * رأيت بني البجلان سادوا بني بدر
فان هذا البيت لم ينفع بني البجلان ولم يضر بني بدر قال أبو عبيدة كان الرجل من بني أنف
الناقة اذا قيل له ممن الرجل قال من بني قريع فحاها والا أن قال الحطيئة

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

وصار الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت قال من بني أنف الناقة وناس سلموا من الهجاء بالخمول
والقلة كما سلمت غسان وعيلان من قبائل عمرو بن تميم وابتليت الحبطات لانها أنبه والنباهة
التي لا يضر معها الهجاء مثل نباهة بني بدر وبني فزارة ومثل نباهة بني عدس بن زيد وبني عبد

الله بن دارم ومثل نباهة الذبان بن عبد المدان وبنى الحرث بن كعب فليس يسلم من مضرة الهجاء الا خامل جدا أو نبيه جدا وقد هجيت فزارة بأكل ابر الحمار وبكثرة شعر القفا لقول الحرث بن ظالم

فما قومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مزرد بن ضرار

منيع بين ثعلبة بن سعد * و بين فزارة الشعر الرقاب

فما من كان بينهما بنكس * لعمرك فى الحطوب ولا بكاب

واما قسة أبر الحمار فانما اللؤم على المطعم لرفيقه مالا يعرفه فهل كان على حذف الفزارى فى حق الانفة أكثر من قتل من أطعمه الجوفان من حيث لا يدرى فقد هجوا بذلك وشرفهم وافر وقد هجيت الحرث بن كعب وكتب الهيثم بن عدى فيهم كتابا فما وضع ذلك منهم حتى كان قد كتبه لهم ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثورى ما علم الناس ان فى الرباب حيا يقال لهم بنو ثور وفى عكل شعر وفصاحة وخيل معروفة الانساب وفرسان فى الجاهلية والاسلام وزعم يونس ان عكلا أحسن العرب وجوها فى غب حرب وقال بعض فتاك بنى تميم

خليلى الفتى العكلى لم أر مثله * تحلب كفاه ندى شائم القدر

كان سهيلا حين أوقد ناره * بعلياء لا يخفى على أحد يسرى

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهدا على مقدار حظهم فى الشرف ولكن لنضمه الى قول جران العود أراقب لحامن سهيل كأنه * اذا ما بدا من آخر الليل يطرق

و ربما أتيت القبيلة اذا برزت علمها الخوتها كنحو فقيم بن جرير بن دارم و زيد بن عبد الله ابن دارم و كنحو الحرماز ومازن ولذلك يقال ان أصلح الامور لمن تكلف علم الطب أن لا يحسن منه شيأ أو يكون من الحذاق المتطببين فانه ان أحسن منه شيأ ولم يبلغ فيه المبالغ هلك وأهلك أهله وكذلك العلم بصناعة الكلام وليس كذلك سائر الصنوعات ليس يضر من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الاضافة وباب المعرفة والنكرة ان يكون جاهلا بسائر أبواب النحو وكذلك من نظر فى علم الفرائض فليس يضر من أحكم باب الصلب أن يجهل باب الجد وكذلك الحساب وهذا كثير وذكروا ان الحزن بن الحرث أحد بنى العنبر ولد محجنا فولد محجن شعيث بن سهم فاغير على ابله فاتى أوس بن حجر يستنجده فقال له أوس أو خير من ذلك احضض لك قيس بن عاصم وكان يقال ان حزن بن الحرث هو حزن بن منقر فقال أوس

سائل بهاما ولاك قيس بن عاصم * فولاك مولى السوء ان لم تغير

لعمرك ما أدرى أمن حزن محجن * شعيث بن سهم أم لحزن بن منقر

فما أنت يا مولى المضيع حقه * وما أنت بالجار الضعيف المستر

فسعى قيس فى ابله حتى ردها عن آخرها وقال الآخر

ألهى بنى تعلب عن كل مكرمة * قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مخارق بن شهاب حين أتاه محمد بن المكعبر العنبري الشاعر فقال ان بني يربوع قد أغاروا على ابلي فاسع لي فيها فقال وكيف أنت جار ودان بن مخزمة فلما ولى عنه محمد حزن وبكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته ما يبكيك فقال وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب فلم اغثه والله لئن هجاني ليفضحنني قوله ولئن كف عني ليقتلني شكره ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه ابله وذكر وردان الذي كان اخفره فقال

أقول وقد بزت بتعسار بزة * لوردان جد الآن فيها أو العب
فعض الذي أبقى المواشي من أمه * خفير رآها لم يشمر ويغضب
اذا نزلت وسط الرباب وحولها * اذا حضت الفاسنات مجرب
حميت خزاعيا وافنا ء مازن * ووردان يحمي عن عدي بن جندب
ستعرفها اولدان ضبة كلها * بأعيانها مردودة لم تغيب

قال وفد رجل من بني مازن على النعمان بن المنذر فقال له النعمان كيف مخارق بن شهاب فيكم قال سيد كريم وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ذهب الى قوله

ترى ضيفها فيها بيت بغبطة * وجارا بن قيس جائع يتحوب

قال ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضر ان ليلى بنت النضر بن الحرث بن كلدة لما عرضت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته والشعر

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان قصيدة * ما ان تزال بها الركائب تخفق
فليسمعن النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميتا لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تعله * لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقادا الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ها أنت ضنو نجيبة * من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
قال ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم وتخوفهم ان يبقى ذكر ذلك في الاعقاب ويسب به الاحياء والاموات انهم اذا اسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا ساقه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحاربي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب وهو الذي يقول أقول وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيم اطلقوا من لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية * كان لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
كأني لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلي كري كرة عن رجاليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * ندامای من نجران أن لا تلاقيا

ابا كرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا

وكان سألهم ان يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الابيات فلما انشد قومه هذا الشعر قال قيس لبيك وان كنت اخرتني وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك فقال لابد للصدور من ان ينفث وقال معاوية لصحار العبدي ماهذا الكلام الذي يظهر منك قال شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا وقال ابن حرب من احسن شيأ اظهره وفي المثل من احب شيأ اكثر ذكره وقال خاصم ابو الحويرث السحيمي حمزة بن بيض الى المهاجر بن عبد الله في طرى له فقال ابو الحويرث

غمضت في حاجة كانت تورقني * لولا الذي قلت فيها قل تغميضي

قال وماقلت لك قال

حلفت بالله لي ان سوف تنصفني * فساغ في الحلق ريق بعد تجريض

قال وانا احلف بالله لانصفنك قال

فاسأل أولى عن أولى ان ماخصومتهم * أم كيف أنت وأصحاب المعاريض

قال أوجعهم ضربا قال

فاسأل بحيماء اذ وافاك جمعهم * هل كان بالبئر حوض قبل تحويض

قال فتقدمت الشهود فشهدت لابي الحويرث قال والتفت الى ابن بيض فقال

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره * حقا يقينا ولكن من أبو بيض

ان كنت أنبضت لي قوسا لترميني * فقد رميتك رميا غير تنبيض

أو كنت خضخضت لي وطبا لتسقيني * فقد سقيتك وطبا غير مخموض

ان المهاجر عدل في حكومته * والعدل يعدل عندي كل تعريض

قال وتزوج شيخ من الاعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاما فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي الى غير بيتها فربخبائها بعد حول وهي ترقص بنيتها منه وهي تقول مالابي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا * تالله ماذلك في أيدينا * وانما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الابيات مر الشيخ نحوهما حضرا حتى وج عليها الخباء فقبلها وقبل بنتها وقال ظلمتكما ورب الكعبة وقال مسلم بن الوليد

فاني واسمعيل عند فراقنا * لكالجفن يوم الروع فارقه النصل

أمنتجعا مر وابا ثقال همة * دع الثقل واحمل حاجة مالها ثقل

ثناء كعرف الطيب يهدى لاهله * وليس له الا بني خالد أهل

فان أغش قوما بعده أو أزورهم * فكالوحش يدنيها من الانس المحل

وقال ابن أبي عيينة هل كنت الا لحم ميت * دعا الى أكله اضطرار

وقال الآخر لئن حبس العباس عنا رغيفه * لما فاتنا من نعمة الله أكثر

وقال أبو كعب كان رجل يجرى على رجل رغيفا فى كل يوم فكان اذا أتاه الرغيف يقول لعنك الله ولعن من بعثك ولعننى ان تركتك حتى أصيب خيرا منك وقال بشار

اذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * مكان الخوافى نافع للقوادم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن * نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وادن على القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى * ولا تبلغ العليا بغير المكارم

وقال آخر تعرفنى هنيدة من بنوها * وأعرفها اذا اشتد الغبار
منى ما تلق منا ذا ثناء * يوز كان رجليه شجار * فلا تعجل عليه فان فيه
منافع حين يبتل العذار * أنا ابن المضرجى أبى شليل * وهل يخفى على الناس النهار
ورثنا صنعة ولكل فحل * على أولاده منه نجار

وقال أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء

تمنيتنى امارتها تميم * وما أمرى وأمر بنى تميم * وكان أبو سليمان خليلى
ولكن الشراك من الاديم * أتينا أصبهان فهزلتنا * وكنا قبل ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومرة اذ غزونا * وأنت على نعليك ذى الشؤم * ويركب رأسه فى كل وحل
ويعترف الطريق المستقيم * وليس عليك الا طيلسان * نصيبى والاسحق نيم

وقال آخر فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الامير
أمير يأكل الفالوذ سرا * ويطعم ضيفه خبز الشعير
أتذكر اذ قباؤك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك الجلوس على السرير

وقال آخر دع عنك مروان لا تطلب امارته * ففيك راع لها ما عشت شرشور
ما بال بردك لم يمسس حواشيه * من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

وقال ابن فتان المحاربى

أقول لما جئت مجلسهم * قبح الاله عمائم الخز * لولا قتيبة ما اعتجرت بها
أبدا ولا أقعيت فى غرز * عجبا لهذا الخز يلبسه * من كان مشتاقا الى الخبز
من كان يشتو فى عباءته * متقبضا كتقبض العنز

وقال ثابت قطنة فى رجل كان المهلب ولاه بعض خراسان

ما زال رأيك يا مهلب فاضلا * حتى بنيت سرادقا لو كيع

وجعلته رباعلى أربابه * ورفعت عبدا كان غير رفيع
لو رأى أبوه سراد قا أحدثته * لبكا وفاضت عينه بدموع

وقال ابن سيحان مولى المغيرة فى بنى مطيع العدويين

حرام كنتى مسنى بسوء * واذكر صاحبى أبدا بذام * لقد أحرمت ودبنى مطيع
حرام الدهن للرجل الحرام * وحزهم الذى لم يشتروه * ومجلسهم بمعتلج الظلام
وان جنف الزمان مددت حبلا * متينا من حبال بنى هشام * وريق عودهم أبدا رطيب
* اذا ما اغبر عيدان اللئام *

وقال آخر
لمن جزر ينحرها سويد * الا يا مر للمجد المضاع
كانك قد سعيت بذمتهم * وكنت ثمال أيتام جياع

وقال
سبحان من سبح السبع الطباق له * حتى لهرثمة الذهلى أبواب

وأنشدنا الاحيمر ياقب منصلت اللبان كانه * سيد تنصل من حجور سعالى

وقال خلف لم أر اجمع من بيت امرئ القيس أفادوا جادوسادوزادوقادوذاد وعادوافضل ولا اجمع من قوله
له ايطلاظبى وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال الآخر
رمى الفقر بالفتيان حتى كانهم * باقطار آفاق البلاد نجوم
وان امرأ لم يقفر العام بيته * ولم يتخدد لحمه للئيم

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى

وليلة من ليال الدهر صالحة * باشرت فى هولها مرأى ومستمعا
ونكبة لو رمى الرامى بها حجرا * أصم من جندل الصمان لانصدعا
مرت على فلم أطرح لها سلبى * ولا اشتكيت لها وهنا ولا جزعا
وما أزال على ارجاء مهلكة * يسائل المعشر الاعداء ماصنعا
ولا رميت على خصم بفاقرة * الا رميت بخصم فرلى جزعا
ما سد من مطلع يخشى الهلاك به * الا وجدت بظهر الغيب مطلعا
لا يملأ الهول قلبى قبل وقعته * ولا يضيق له صدرى اذا وقعا

وقال الآخر
لقد طال اعراضى وصفحى عن التى * أبلغ عنكم والقلوب قلوب
وطال انتظارى عطفة الرحم منكم * لعل رجوع ودا و يئيب منيب
فلا تأمنوا منى عليكم شبيهها * فيرضى بغيض أو يساء حبيب
و يظهر منا فى المقال ومنكم * اذا ما رتمينا فى النصال عيوب
فان لسان الباحث الداء ساخطا * بنى عمنا الوى البيان كذوب

وقال الاشهب بن رميلة

ان الالى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به * وماخير كف لاتنوء بساعد

اسود شرى لاقت اسود خفية * تساقوا على حرد دماء الاساود

قوله هم ساعد الدهر انما هو مثل وهذا الذى تسميه الرواة البديع وقد قال الراعى

هم كاهل الدهر الذى يتقى به * ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء فى الحديث موسى الله أحد وساعد الله أشد والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة واربت على كل لسان والراعى كثير البديع فى شعره وبشار حسن البديع والعتابى يذهب فى شعره فى البديع وقال كعب بن عدى

شد العصاب على الصبى بمن جنى * حتى يكون لغيره تنكيلا

والجهل فى بعض الامور اذا اغتدى * مستخرج للجاهلين عقولا

قال زفر الحرث ان عدت والله الذى فوق عرشه * منحتك مسنون الغرارين أزرقا

فان دواء الجهل ان تضرب الطلا * وان يغمس العريض حتى يغرقا

وقال مبذول العذرى

ومولى كضرس السوء يؤذيك مسه * ولابد ان آذاك انك فاقره

دوى الجوف ان ينزع بسوك مكانه * وان يبق يصبح كل يوم تحاذره

يسر لك البغضاء وهو مجامل * وما كل من يجنى عليك تساوره

وما كل من مددت ثوبك دونه * لتستر مما قد أتى أنت ساتره

وقال الآخر أطال الله كيس بنى رزين * وحمقى ان شريت لهم بدينى

أكتب ابلهم شاة وفيها * بريع فصالها بنتا لبون

فما خلقوا ليكسبهم دهاة * ولا لملحاء بعد فيجبون

وقال آخر عفار يتاعلى وآكل مالى * وعجزا عن أناس آخرينا

فهلا غيرعمكم ظلمتم * اذا كنتم متظلمينا

فلو كنتم لكيسة أكاست * وكيس الام كيس للبنينا

وقالت رقية بنت عبد المطلب فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

ابنى انى رابنى حجر * يغدو بكفك حيثما يغدو

وأخاف ان تلقى غويهم * أوان يصيبك بعد من يعدو

ولما دخل مكة لقيه جوار يها يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

يضاف الى باب الخطب والى القول فى تلخيص المعانى والخروج من الامر المشبه بغيره قول

حسان بن ثابت ان خالى خطيب جابية الجو * لان عند النعمان حين يقوم

وهو الصقر عند باب ابن سلمى * يوم نعمان فى الكبول سقيم

وسطت نسبتى الذوائب منهم * كل دار فيها أب لى عظيم

وأبى فى سجيـمة القائل الفا * صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ * ى من القـوم طالع مكعوم
تلك أفعاله وفعـل الزبعرى * حامـل فى صـديقه مذموم
رب حـلم أضاعـه عـدم المـال وجهل غطى عليه النعيم
ولى الناس منـكم اذا بيتم * أسرة مـن بـنى قصى صميم
وقريش يحـول منا لواذا * ان يقيموا وخف منها الحلوم
لم يطق حـمله العواتق منهم * انما يحـمل الالاء النجوم

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب وقف ينظر الى القبر ثم قال

كنت لنا أنسا ففارقتنا * فالعيش من بعدك مر المذاق

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال

وقوف على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

ثم قال وعليك السلام ثم عطف رأس دابته وقال

فان صبرت فلم ألفظك من شبع * وان جزعت فعلق منفس ذهبا

المدائنى قال لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال اذا غسلتموه فاعلمونى فلما نظر اليه قال

ألان لما كنت أكرم من مشى * وافترنا بك عن شياة القادح
وتكاملت فيك المروءة كلها * وأعنت ذلك بالفعال الصالح

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال

حسبى ثواب الله من كل ميت * وحسبى بقاء الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عنى راضيا * فان شفاء النفس فيما هنالك

تمثل معاوية فى عبد الله بن بديل

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت من ساقها الحرب شمرا
ويدنو اذا ما المـوت لم يك دونه * قدى الشبر يحمى الانف ان يتأخرا

ورأى معاوية هزاله وهو متعرف فقال

أرى الليالى أسرعت فى نقضى * أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وتركن عرضى * أقعدننى من بعد طول النهض

وتمثل عبد الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الاشدق

سكنته ليقل منى نفره * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا وحمية لنفسى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

وسمع معاوية رجلا يقول ومن كريم ماجد سميدع * يؤتى فيعطى من ندى ويمنع
فقال هذا منا هذا والله عبد الله بن الزبير المدائنى قال قال معاوية اذا لم يكن الهاشمى جوادا لم

يشبه قومه واذا لم يكن المخزومى تياها لم يشبه قومه واذا لم يكن الاموى حليما لم يشبه قومه فبلغ قوله الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فقال ما أحسن ما نظر لنفسه أراد ان تجود بنو هاشم باموالها فتفتقر الى ما فى يديه وتزهو بنو مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ وتحلم بنو أمية فتحب وقال بشار

أحسن صحابتنا فانك مدرك * بعض اللبانة باصطناع الصاحب
واذا جفوت قطعت عنك لبانتى * والدر يقطعه جفاء الحالب
تأتى اللئيم وماسعى حاجاته * عدد الحصى ويخيب سعى الدائب

وأنشد اذا ما أمور الناس رثت وضيعت * وجدت أمورى كلها قد رممتها

وقال اعرابى ندين ويقضى الله عنا وقد نرى * مكان رجال لا يدينون ضيعا

وقال اعرابى وليس قضاء الدين بالدين راحة * ولكنه ثقل محض الى ثقل

وأنشد أبو عبيدة لعبيد العنبرى وهو أحد اللصوص

يارب عفوك عن ذى توبة وجل * كانه من حذار النار مجنون
قد كان سلف أعمالا مقاربة * أيام ليس له عقل ولا دين

وقال اعرابى يارب قد حلف الاقوام واجتهدوا * أيمانهم انى من ساكن النار
أيحلفون على عمياء ويلهم * جهلا بعفو عظيم العفو غفار

وقال اعرابى وهو محبوس أسجنا وقيدا واغترابا ووحشة * وذكر حبيب ان ذا العظيم
وان امرأ دامت مواثيق عهده * على كل مالاقيته لكريم

وقال اعرابى أيا أم عمرو بينى انت كلما * ترفع حادا وداع كل مسلم
نظرت اليها نظرة ما يسرنى * وان كنت محتاجا بها ألف درهم

وقال الشاعر وما كثرة الشكوى بامر حزامة * ولا بد من شكوى الم يكن صبر

ومثله وابثثت بكرا كل مافى جوانحى * وجرعته من مرما أتجرع
ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة * اذا جعلت أسرار نفس تطلع

وقال الشاعر حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم

وقال يزرجمهر ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد وقال الاحنف بن قيس لا راحة لحسود وقال الشعبى الحاسد منغص بما فى يد غيره وقال الله تبارك وتعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقال بعضهم يمدح أقواما

محسدون وشر الناس منزلة * من عاش فى الناس يوما غير محسود

وقال الشاعر الرزق يأتى قدرا على مهل * والمرء مطبوع على حب العجل

وقالوا من تمام المعروف تعجيله ووصف بعض الاعراب أميرا فقال اذا أوعد أخر واذا وعد

عجل ووعيده عفو ووعيده انجاز وقال تعالى وكان الانسان عجولا ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وهو يومئذ خليفة وروى هذا الحديث العتبي عن عتبة بن هرون قال شهدته وقد خرج من عنده فسألته عما جرى بينهما فقال رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لى يا أبا عثمان أتعرفه فقلت لا فقال هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقلت له قد رضيت له أمير ايصير اليه اذا صار وقد شغلت عنه فبكى ثم قال عظنى يا أبا عثمان فقلت ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فلوان هذا الامر الذى صار اليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل اليك وتذكر يوما يتمخض باهله لا ليلة بعده المدائنى قال سمعت اعرابيا يسأل وهو يقول رحم الله امرأ لم تمج اذنه كلامى وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامى فان البلاد مجدبة والحال سيئة والعقل زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عازم يحملنى على اخباركم والدعاء أحد الصدقتين فرحم الله امرأ أمر بمبر أو دعا بخير وقال رجل من طيئ

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم * كراما ولم نأخذ بهم حشف التمر

وقال آخر قتلنا بهم ما بين مثنى وموحد * وأربعة منهم وآخر خامس

وقال آخر قتلنا رجالا من تميم أخائرا * بقوم كرام من رجال اخائر

وسئل بعض العرب ما العقل قال الاصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله

يا قيس عيلان انى قد نصبت لكم * بالمنجنيق ولما أرسل الحجرا

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه وقال لك العتبى يا أبا حزرة لا ترسله وقال سويد بن صامت

الارب من تدعى صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفرى

مقالته كالشحم ما دام شاهدا * وبالغيب ماثور على ثغرة النحر

تبين لك العينان ما هو كاتم * من الشر والبغضاء بالنظر الشزر

يسرك باديه وتحت اديمه * غميمة غش تبترى عقب الظهر

فرشنى بخيرط الماقد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وقال حارثة بن بدر لما تخالفت الازد ور بيعة

لا تحسبن فؤادى طائرا فزعا * اذا تخالف ضب البر والنون

وأنشد ابن الاعرابى فان اك قصدا فى الرجال وانني * اذا حل أمرا ساحتى لحليم

تعيرنى الاعدام والوجه معرض * وسيفى باموال التجار زعيم

وأنشد ابن الاعرابى لعمرو بن شاس

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال عبيد بن الابرص ساعد بارض اذا كنت بها * ولا تقل انني غريب

قد يوصل النازح النائى وقد * يقطع ذو السهمة القريب

وأنشد الاصمعي لكثير رأيت أبا الوليد غداة جمع * به شيب وقد فقد الشبابا
ولكن تحت ذاك الشيب عزم * اذا ما ظن أمرض أو أصابا

ويمدحون باصابة الظن ويذمون بخطائه قال أوس بن حجر

الا لمي الذي يظن لك الظن * كان قد رأى وقد سمعا

وفي بعض الحكمة من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه وقال سموأل بن عادبا

انا القوم ما ترى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول * يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول * تسيل على حد السيوف نفوسنا * وليست على السيوف تسيل
وما مات منا سيد في فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل

وقال حسان بن ثابت لم تفتها شمس النهار بشئ * غير أن الشباب ليس يدوم
لو يدب الحولي من ولد الذر * عليها لاندبتها الكلوم

وقال بشار بن برد من فتاة صب الجمال عليها * في حديث كلذة النشوان
ثم فارقت ذاك غير ذميم * كل عيش الدنيا وان طال فان

وقال مزاحم العقيلي تزين سنا المازي كل عشية * على غفلات الزين والمتجمل
وجوها ولون المدجنين اعتشوابها * صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال المسعودي ان الكرام مناهبوك المعدكهم فناهب
أخلف وأتلف كل شئ عزته الريح ذاهب

قال قام شداد بن أوس وقد أمره معاوية بتنقيص علي فقال الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضى خلقه على ذلك مضى أولهم وعليه يمضي آخرهم أيها الناس ان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر وان الدنيا عرض حاضر يأكل فيها البر والفاجر وان السامع المطيع لله لا حجة عليه وان السامع العاصي لله لا حجة له وان الله اذا أراد بالعباد صلاحا عمل عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك المال سمحاؤهم واذا أراد بهم شرا عمل عليهم سفهاؤهم وقضى فيهم جهلاؤهم وملك المال بخلاؤهم وان من صلاح الولاة ان يصلح قرناؤها ونصح لك يا معاوية من استخطك بالحق وغشك من أرضاك يا باطل قال اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال قال ان كان من مال الذي تعهدت جمعه بخيانة تبعته فاصبته حلالا وأنفقته افضالا فنعم وان كان مما شاركك فيه المسلمون فاجتحته دونهم فاصبته اقترافا وأنفقته اسرافا فان الله يقول في كتابه ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وأذن معاوية للاحنف بن قيس وقد وافى معاوية محمد بن الاشعث وقدمه عليه فوجد من ذلك محمد بن الاشعث وأذن له فدخل فجلس بين معاوية والاحنف فقال معاوية انا والله ما أذنا له قبلك الا ليجلس الينا دونك وما رأيت أحدا يرفع نفسه فوق قدرها الا من ذلة يجدها وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلا وضعة وانا كما نملك أمورنا كم نملك

تأديبكم واريدوا منا ما تريده منكم فانه أبقى لكم والا قصرنا كم كرها فكان أشد عليكم وأعنف بكم وقال معاوية لرجل من أهل سبأ ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال بل قومك أجهل قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحق واراهم البينات اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال ولما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج الى الناس فقال لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلي واني لارجوان أكون منهم ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلي وما آمن أن أكون منهم ولئن سقط عضوان مني لما بقي أكثر ولو أتى على نفسي لما كان لي عليه خيار تبارك وتعالى فرحم الله عبدا دعا بالعافية فوالله لئن كان عتب على بعض خاصتكم لقد كنت حدبا على عامتكم ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية أجرك الله أبا العباس في أبي محمد الحسن بن علي ولم يظهر حزنا فقال ابن عباس انا لله وانا اليه راجعون وغلبه البكاء فرده ثم قال لا يسد والله مكانه حفرتك ولا يزيد موته في أجلك والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدا فاضيعنا والله بعده قال له معاوية كم كانت سنه قال مولده أشهر من ان تتعرف سنه قال احسبه ترك أولادا صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر ولئن اختار الله لابي محمد ما عنده وقبضه الى رحمته لقد أبقى الله أبا عبد الله وفي مثله الخلف الصالح الاصمعي عن أبان بن ثعلبة قال مررت بامرأة باعلى الارض و بين يديها ابن لها يريد سفرا وهي توصيه فقالت اجلس امنحك وصيتي و بالله توفيقك وقليل اجدائه عليك أنفع من كثير عقلك اياك والنمائم فانها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا للرماة فان الهدف اذا رمي لم يلبث ان ينثلم ومثل نفسك مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها ثم نظرت فقالت كانك ياعراقي أعجبت بكلام أهل البدو ثم قالت لا بنها اذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك واياك واللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها واياك والعذر فانه أقبح ما تعومل به وعليك بالوفاء ففيه النماء وكن بمالك جوادا و بدينك شحيحا ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ربطتها وسربالها انهض على اسم الله وقال اعرابي لرجل مطله في حاجة ان مثل الظفر بالحاجة تعجل اليأس منها اذا عسر قضاؤها وان الطلب وان قل أعظم قدرا من الحاجة وان عظمت والمطل من غير عسر آفة الجود خطب الفضل الرقاشي الى قوم من بني تميم فخطب لنفسه فلما فرغ قام اعرابي منهم فقال توسلت بحرمة وأوليت بحق واستندت الى خير ودعوت الى سنة ففرضك مقبول وما سالت مبذول وحاجتك مقضية ان شاء الله تعالى قال الفضل لو كان الاعرابي حمد الله في أول كلامه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفضحني يومئذ المدائني قال قال المنذر بن المنذر لما حارب غسان

الشام لابنه النعمان يوصيه اياك واطراح الاخوان واطراف المعرفة واياك وملاحاة الملوك وممازحة السفيه وعليك بطول الحلوة والاكثار من السمر والبس من القشر ما يزينك فى نفسك ومروأتك واعلم ان جماع الخير كله الحياء فعليك به فتواضع فى نفسك وانخدع فى مالك واعلم ان السكوت عن الامر الذى لا يعنيك خير من الكلام فاذا اضطررت اليه فتحر الصدق والايجاز تسلم ان شاء الله تعالى ﴿ كلام بعض من عزى بعض الملوك ﴾ قال ان الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولابد مما هو كائن وقد جاء ما لا يرد ولا سبيل الى رد ما قد فات وقد أقام معك ما سيذهب أو ستتركه فما الجزع مما لابد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الاصل فافضل الاشياء عند المصائب الصبر وانما أهل الدنيا سفر لا يحلون الركاب الا فى غيرها فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع فان رأيت الجزع رد أحدا منهم الى ثقة من درك فما أولاك به واعلم ان أعظم من المصيبة سوء الخلف منها فافق فان المرجع قريب واعلم انه انما ابتلاك المنع وأخذ منك المعطى وما ترك أكثر فان نسيت الصبر فلا تنس الشكر وكلا فلا تدع واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غدا فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعما فانما نحن فى الدنيا غرض ينتضل فينا بالمنايا ونهب للمصائب مع كل جرعة شرق ومع كل اكلة غصص لا تنال نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل معمر يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله ولا تحدث له زيادة فى أكله الا بنقاد ما قبله من رزقه ولا يحيى له أثر الا مات له أثر ونحن اعوان الحتوف على أنفسنا وأنفسنا سوقنا الى الفناء فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شئ شرفا الا اسرعا الكرة فى هدم ما رفعا وتفريق ما جمعا فاطلب الخير من أهله واعلم ان خير الخير معطيه وشر الشر فاعله

وقال أبو نواس اتتبع الظرفاء اكتب عنهم * كيما أحدث من أحب فيضحكا

وقال آخر قدرت فلم أترك صلاح عشيرتى * وما العفو الا بعد قدرة قادر

وقال آخر اخوا الجد ان جد الرجال وشمروا * وذو باطل ان كان فى القوم باطل

قبيصة بن عمر المهلبى ان رجلا أتى ابن أبى عيينة فسأله ان يكتب الى داود بن يزيد كتابا ففعل وكتب فى أسفله

ان امرأ قذفت اليك به * فى البحر بعض مراكب البحر * تجرى الرياح به فتحمله
وتكف أحيانا فلا تجرى * ويرى المنية كلما عصفت * ريح به للهول والذعر
للمستحق بان تزوده * كتب الامان له من الفقر

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما وجد أحد فى نفسه كبرا الا من مهانة يجدها فى نفسه ودخل رجل من بنى مخزوم وكان زبيريا على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك أليس

قد ردك الله على عقبيك قال أو من رد اليك فقد رد على عقبيه فاستحى وعلم انه قد أساء وقال المخيل

اذا أنت لاقيت الرجال فلاقهم * وعرضك من غث الامور سليم

وقال النضر بن خالد

كبره يبلغ الكواكب الا * انه فى مروءة البقال

وقال خداش بن زهير

الناس تحتك أقدام وانت لهم * رأس فكيف يسوى الرأس والقدم

انا لنعلم انا ما بقيت لنا * فينا السماح وفينا الجود والكرم

وحسبنا من ثناء المادحين اذا * أثنوا عليك بان يثنوا بما علموا

وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت قريش تالف منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه لخصلتين للعلم والطعام فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه قال الاصمعى وقف أعرابى يسأل فقال

الا فتى أروع ذا جمال * من عرب الناس أو الموالى

يعيننى اليوم على عيالى * قد كثروا همى وقل مالى

وساقهم جدب وسوء حالى * وقد مللت كثرة السؤال

وقال اعرابى

يا ابن الكرام والدا وولدا * لا تحرمن سائلا تعمدا

أفقره دهر عليه قد عدا * من بعد ما كان قديما سيدا

وقال اعرابى اللهم انى أسألك قلبا توابا اوابا لا كافرا ولا مرتابا وهب رجل لاعرابى شيأ فقال جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عندك رفدا جزيلا وأبقاك بقاء طويلا وأبلاك بلاء جميلا وقف اعرابى على قوم فمنعوه فقال اللهم أشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك وأولجنا الى عفوك فقد ضن خلقك برزقك فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ما عندك وآتنا من الدنيا القنعان وان كان كثيرها يسخطك فلا خير فيما يسخطك الاصمعى قال سمعت اعرابيا يدعو وهو يقول اللهم اغفر لى اذا الصحف منشورة والتوبة مقبولة قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الامل ويحضر الاجل ويفنى العمل وقال سمعت اعرابيا يدعو وهو يقول اللهم ارزقنى مالا أكبت به الاعداء وبنين أصول بهم على الاقوياء وكان منادى سعد بن عبادة يقول على أطمه من أراد خبزا ولحما فليأت أطم سعد وخلفه قيس بن سعد ابنه وكان يفعل كفعله فاذا أكل الناس رفع يده الى السماء وقال اللهم انى لا أصلح على القليل ولا يصلح القليل لى اللهم هب حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقال اعرابى اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها على وللناس على حقوقا قادها عنى وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة وقف أعرابى على قوم يسألهم فانشأ يقول

هل من فتى عنده خفان يحملنى * عليهما اننى شيخ على سفر

أشكو الى الله أهوالا أمارسها * من الصداع وانى سيئ البصر

اذا سرى القوم لم أبصر طريقهم * ان لم يكن عندهم ضوء من القمر

الاخفش قال خرج اعرابي يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت امساك الناس عنه

يا أيها الراكب ذو التعريس * هل فيكم من طارد للبوس
عن ذي هداج بين التقويس * بفضل سربال له دريس
أو فاضل من زاده خسيس * أثابه الرحمن بالنفيس

و وقف سائل على الحسن فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة وقال الطائي فتى كلما فاضت عيون قبيلة * دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

وقال

بكر اذا ابتسمت أراك وميضها * نور الاقاحي برمله ميعاس
واذا مشت تركت بصدرك ضعف ما * بحليها من كثرة الوسواس
قالت وقد جمى الفراق فكاسه * قد خولط الساقي بها والحاس
لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناس
هدأت على تأميل أحمد همتي * وأطاف تقليدي به وقياس
نور العرارة نوره ونسيمه * نشر الخزامى في اخضرار الآس
اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس
لا تنكر واضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

وقال

احفظ وسائل شعر فيك ماذهبت * خواطر البرق الا دون ماذهبا
يعدون مغتربات في البلاد فما * يزلن يونس في الآفاق مغتربا
ولا تضعها فما في الارض أحسن من * نظم القوافي اذا ما صادفت أدبا

اسر رؤبة في بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ يا صباحاه و يا بني تميم اطلقوا من اساني و ربما قال الشاعر في هجائه قولا لا يعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وان كان لا يلحق فاعله ذم وكذلك اذا مدحه بشيء أولع بفعله وان كان لا يصير اليه بفعله مدح فمن ذلك تقدم كلثم بنت سيربيع مولى عمرو بن حريث الى عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها فقضى لها عبد الملك على أهلها فقال هذيل الاشجعي

أتاه وليد بالشهود يقودهم * على ما ادعى من صامت المال والخول
وجاءت اليه كلثم وكلامها * شفاء من الداء المخامر والخبل
فادلى وليد عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مراء وذا جدل
وكان لها دل وعين كحيلة * فادلت بحسن الدل منها وبالكحل
ففتنت القبطي حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من بالقصر يعلم علمه * لما استعمل القبطي قينا على عمل

له حين يقضى للنساء تخاوص * وكان وما فيه التخاوص والحول
اذا ذات دل كلمته بحاجة * فهم بان يقضى تنحنح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شئ ما خلا شخصها جلل

قال فقال عبد الملك أخزاه الله لربما جاءتنى السعلة والنخنخة وأنا فى المتوضأ فاذكر قوله فاردها لذلك وزعم الهيثم بن عدى عن أشياخه ان الشاعر لما قال فى شهر بن حوشب

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

ما مس خريطة حتى مات وقال رجل من بنى تغلب وكان ظريفا ما لقى أحد من تغلب ما لقيت أنا قلت وكيف ذاك قال قال الشاعر

لا تطلبن خؤلة من تغلب * فالزنج أكرم منهم اخوالا
لو أن تغلب جمعت احسابها * يوم التفاخر لم يزن مثقالا
تلقاهم حلماء عن أعدائهم * وعلى الصديق تراهم جهالا
والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

والله انى لاتوهم ان لو نهشت أستى الافاعى ما حككتها وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب وهم اليه أحوج لرده ما آثرهم عليهم وتذكيرهم بايامهم فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فاخملوهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم وهم اسلاميون جرير والفرزدق والاخطل وفى الجاهلية زهير وطرفة والاعشى والنابغة هذا قول أبى عبيدة وزعم أبو عمرو بن العلاء ان الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذى الرمة ومن الشعراء من يحكم القريض ولا يحسن من الرجز شيأ ففى الجاهلية منهم زهير والنابغة والاعشى واما من يجمعهما فامرؤ القيس وله شئ من الرجز وطرفة وله كمثل ذلك ولبيد وقد أكثر ومن الاسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو فى ذلك يجيد القريض فالفرزدق وجرير ومن يجمعهما فابو النجم وحميد الارقط والعمانى وبشار بن برد وأقل من هؤلاء يحكم القصيد والارجاز والخطب وكان الكميت والبعيث والطرماح شعراء خطباء وكان البعيث أخطبهم وقال يونس ان كان مغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب واذا قالوا غلب فهو الغالب وقال الحسين بن مطير الاسدى فيما قبر معن

فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته * كمن كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعزأ با العباس عنه ولا يكن * جزاؤك من معن بان تتضعضعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذى * له مثل ما سدا أبوك وما سعا

تمنى أناس شاؤه من ضلالهم * فاضحوا على الاذقان صرعى وظلعا

قال مسلم الانصارى يرثى يزيد بن مزيد

قبر بيردعة استسر ضريحه * خطرا تقاصر دونه الاخطار
أبقى الزمان على معد بعده * حزنا لعمر الدهر ليس يعار
نفضت بك الآمال احلاس الغنى * واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * اثنى عليها السهل والاوعار

وقال هاشم الرقاشى أبلغ أبا مسمع عنى مغلغلة * وفى العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلى رجالا لم يكن لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب قدامى
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم * قبرا وأبعدهم من منزل الذام
حتى جعلت اذا ما حاجة عرضت * بباب قصرك أدلوها باقوام

وقال الابيرد الرياحى يرثى أخاه

فتى ان هو استغنى تخرق فى الغنى * وان قل مال لم يؤده تمتنه الفقر
وسامى جسيمات الامور فنالها * على العسر حتى يدرك العسرة اليسر
ترى القوم فى الغراء ينتظرونه * اذا شك رأى القوم أو حرب الامر
فليتك كنت الحى فى الناس باقيا * وكنت أنا الميت الذى غيب القبر
لقد كنت استغنى الاله اذا اشتكى * من الاجر لى فيه وان سرنى الاجر
وأجزع ان ينادى به بين ليلة * فكيف ببين صار ميعاده الحشر

وقال أبو عبيدة أنشدنى رجل من بنى عجل

وكنت أغير الدمع قبلك من بكا * فأنت على من مات بعدك شاغله
لقد رحل الحى المقيم وودعوا * فتى لم يكن باذائه من ينازله
ولم يك يخشى الجار منه اذا دنا * أذاه ولا يخشى الحريمة سائله
فتى كان للمعروف يبسط كفه * اذا قبضت كف البخيل وناثله

قال دخل معن بن زائدة على أبى جعفر المنصور فقارب فى خطوه فقال المنصور لقد كبرت سنك قال فى طاعتك قال وانك لجلد قال على أعدائك قال وأرى فيك بقية قال هى لك قال كتب عبد الملك بن مروان الى عمرو بن سعيد الاشدق حين خرج عليه أما بعد فان رحمتى لك تصرفنى عن الغضب عليك لتمكن الخدع منك وخذلان التوفيق اياك نهضت باسباب وهمتك اطماعك ان تستفيد بها عزا كنت جدير الو اعتدلت أن لا تدفع بها ذلا ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الامانى ملك الحين تصريفه واستترت عنه عواقب أمره وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك انه أسير غفلة وصريع خدع ومغيض ندم والرحم تحمل على الصفح عنك مالم تحلل بك عواقب جهلك وتزجر عن الايقاع بك وأنت ان

ارتدعت فى كنف وستر والسلام فكتب اليه عمر وأما بعد فان استدراج النعم اياك أفادك البغى ورائحة القدر أورثتك الغفلة زجرت عما واقعت مثله وندبت الى ماتركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قليل تتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع والرحم تعطف على الابقاء عليك مع دفعك عما غيرك أقوم به منك والسلام قال أبو الحسن كتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد بن عبد الملك أما بعد فانك كتبت تذكران عاملا أخذ مالك بالحمة وتزعم انى من الظالمين وان أظلم منى وأترك لعهد الله من أمرك صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له فى ذلك نية الاحب الوالد لولده وان أظلم منى وأترك لعهد الله لانت فانت عمر بن الوليد وأمك صناجة تدخل دور حمص وتطوف فى حوانيتها رويدك ان لوقد التقت حلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء فطالما ركبتم بنيات الطريق مع انى قد هممت ان أبعث اليك من يحلق دلادلك فانى أعلم انها من أعظم المصائب عليك والسلام قال أبو الحسن كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد لولاته فبلغه ان عاملا من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليتك قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال لئن كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن أنلت مهديك لامن مالك أواستكفيته مالم يكن يستكفاه انك لجائر خائن ولئن كان مذهبك ان تعوض المهدى اليك من مالك وقبلت ما اتهمك عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك انك لجاهل ومافيمن أتى امرا لم يحيل فيه من دناءة أوخيانة أوجهل مصطنع نحياه عن عمله قال أبو الحسن عرض اعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال أيها الخليفة قال قال لست به ولم تبعد قال يا أخاه قال أسمعت قال شيخ من بنى عامر يتقرب اليك بالعمومة ويختص بالخؤلة ويشكو اليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه قال استغفر الله منك واستعينه عليك قد أمرت لك بغنائك وليت اسراعى اليك يقوم بابطائى عنك وقال اعرابى يعيب قوما هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم جرما الى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء وقال مجاعة بن مرارلابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ضاعت الامور الاصمعى قال نعت اعرابى رجلا فقال كان الالسن والقلوب ريضت له فما تنعقد الا على وده ولا ينطق الا بثنائه وقال اعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل أتى اعرابى عمر بن عبد العزيز فقال رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة والله يسألك عن مقامى غدا فبكى عمر وقال الشاعر

ومن يبقى مالا عدة وصيانة * فلا البخل مبقيه ولا الدهر وافره

ومن يك ذا عود صليب يعده * ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

وقال أبان بن الوليد لاياس بن معاوية انا أغنى منك قال اياس بل أنا أغنى منك قال ابان وكيف ولى كذا وكذا وعدد أموالا قال ان كسبك لا يفضل عن مؤنتك وكسبى يفضل عن مؤنتى وكان يقال حاجب الرجل عامله على عرضه وقال أبو الحسن رأيت امرأة اعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت ما أحق من البس العافية واطيلت له النظرة أن لا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيالة بينه وبين نفسه وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لابنه يزيد تقدم ابنك على من هو خير منه قال كأنك تريد نفسك ان بيته بمكة فوق بيتك قال ابن الزبير ان الله رفع بالاسلام بيوتا فبينى مما رفع قال معاوية صدقت وبيت حاطب بن أبى بلتعة وقال عاتب اعرابى أباه فقال ان عظيم حقك على لا يذهب صغير حقى عليك والذى نمت الى به أمت بمثله اليك ولست أزعم اناسواء ولكنى أقول لا يحل لك الاعتداء قال مدح رجل قوما فقال أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فاحسنوا المقال وشفعوه بالفعال وقال بعض الحكماء التواضع مع السخافة والبخل أحمد عند العلماء من الكبر مع السخاء والادب فاعظم بحسنة عفت على سيئتين وأقطع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين وقيل لرجل أراه خالد بن صفوان مات صديق لك فقال رحمة الله عليه لقد كان ملأ العين جمالا والأذن بيانا ولقد كان يرجى فلا يخشى ويغشى فلا يغشى ويعطى ولا يعطى قليلا لدى الشر حضوره سليما للصديق ضميره وقام اعرابى ليسأل فقال أين الوجوه الصباح والعقول الصحاح والالسن الفصاح والانساب الصراح والمكارم الرباح والصدور الفساح يعيذنى من مقامى هذا ومدح بعضهم رجلا فقال ما كان أفسح صدره وأبعد ذكره وأعظم قدره وأنفذ أمره وأعلى شرفه وأربح صفقته من عرفه مع سعة الغناء وعظم الاناء وكرم الآباء وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان والله ما علمت انك لكثير المعونة قليل المؤنة فجزاك الله خيرا فقال صعصعة وأنت فجزاك الله أحسن ذلك فانك ما علمت بالله عليم والله فى عينك عظيم قال أبو الحسن أوصى عبد الملك بن صالح ابنا له فقال أى بنى أحلم فان من حلم ساد من تفهم ازداد والق أهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب ولا تجمع بك مطية اللجاج ومنك من أعتبك والصاحب مناسب والصبر على المكروه يعصم القلب المزاح يورث الضغائن وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف والاقتصاد يثمر القليل والاسراف يبير الكثير ونعم الحظ القناعة وشر ما صحب المرء الحسد وما كل عورة تصاب وربما ابصر العمى رشده وأخطأ البصير قصده واليأس خير من الطلب الى الناس والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور ارفق فى الطلب واجمل فى المكسب فانه رب طلب قد جر الى حرب ليس كل طالب بمنجح

ولا كل ملح محتاج والمغبون من غبن نصيبه من الله عاتب من رجوت عتباه وفاكه من أمنت بلواه لا تكن مضحكا من غير عجب ولا مشاء الى غير أرب ومن نأى عن الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه انما سعى فى مضرته ونفعك وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه فان الخير عادة والشر لجاجة والصدود آية المقت والتعلل آية البخل ومن الفقه كتمان السر ولقاح المعرفة ودراسة العلم وطول التجارب زيادة فى العقل والقناعة راحة الابدان والشرف التقوى والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه بالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج عور العقل ومن شمر فى الامور ركب البحور شر القول ما نقض بعضه بعضا ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب من أطال النظر بارادة تامة أدرك الغاية ومن توانى فى نفسه ضاع من أسرف فى الامور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له واللجاجة تورث الصياع للامور غب الادب أحمد من ابتدائه مبادرة الفهم تورث النسيان سوء الاستماع يعقب العى لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ولا تنصت لمن لا يمنى بحديثه اليك البلادة للرجل هجنة قل ما لك الا استأثر وقل عاجز الا تأخر الاحجام عن الامر يورث العجز والاقدام عليها يورث اجتلاب الحظ سوء الطعمة يفسد العرض ويخلق الوجه ويمحق الدين الهيبة قرين الحرمان والخسارة قرين الظفر منحك من أنصفك وأخوك من عاتبك وشريكك من وفى لك وصفيك من آثرك أعدى الاعتداء العقوق اتباع الشهوة يورث الندامة وفوت الفرصة يورث الحسرة جميع أركان الادب التأنى للرفق اكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا لا تساعد النساء فيملنك واسبق من نفسك بقية فانهن ان يرين انك ذو اقتدار خير من ان يطلعن منك على انكسار لا تملك المرأة فى الشفاعة لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها أى بنى انى قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق الى الله فى تأديبك فلا تغفلن الاخذ باحسنها والعمل بها والله موفقك قال الغنوى احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال

عزاء لا أبا لك ان شيأ * تولى ليس يرجعه الحنين

وقال بعض الشعراء وما ان قتلناهم باكثر منهم * ولكن باوفى بالطعان واكرما

المدائنى قال كان يقال اذا انقطع رجاؤك من صديقك فالحقه بعدوك وقال عبد الملك بن صالح لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانما سعى فى مضرته ونفعك وقال مصعب بن الزبير التواضع أحد مصائد الشرف وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اياك ومؤاخاة الاحمق فانه ربما أراد ان ينفعك فضرك وكانوا يقولون عشر فى عشرة هى فيهم أقبح منها فى غيرهم الضيق فى الملوك والغدر فى ذوى الاحساب والحاجة فى العلماء والكذب فى القضاة والغضب فى ذوى الالباب والسفاهة فى الكهول والمرض فى الاطباء والاستهزاء فى أهل

البؤس والفخر فى أهل الفاقة والشح فى الاغنياء ووصف بعض الاعراب فرسا فقال قد انتهى ضموره وذبل فريره وظهر حصيره وتفلقت غروره واسترخت شاكلته يقبل بزبرة الاسد ويدبر بجزا الذئب ومات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال عليكم نزل كتاب الله فانتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانتم أعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولا يقوم من عوج ولكنى أعزيك ببيت من شعر قال هاته قال وهون ما ألقى من الوجد أننى * أساكنه فى داره اليوم أو غدا

قال أعد فاعاد فقال ياغلام الغداء قال دعا اعرابى فى طريق مكة فقال هل من عائد بفضل أو مواس من كفاف فامسك عنه فقال اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال أبو الحسن جاء خلف الاحمر الى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال

* قد طرقت ببكرها ابنة طبق * فقال له يونس ماذا فقال * قد مروها خبرا ضخم العنق * فقال يونس وما هذا فقال * موت الامام فلقة من الفلق * قال أبو الحسن أراد رجل ان يكذب بلالا فقال له يوما يا بلال ما سن فرسك قال عظم قال فكيف جريه قال يحضر ما استطاع قال فاين ينزل قال موضعا أضع رجلى فيه فقال له الرجل لا اتعتك أبدا قال ودخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له فقال السلام عليكم قال عليكم قال انى رجل من أهل الشام قال بعيد سحيق قال وانى قدمت الى بلدكم هذا قال خير مقدم قال وانى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وانها ولدت غلاما قال لينهك الفارس قال وقد كنت شرطت لها صداقها قال الشرط املك قال وقد أردت الخروج بها الى بلدى قال الرجل أحق باهله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال وخرج الحجاج ذات يوم فاصحر وحضر غداؤه فقال اطلبوا من يتغدى معى فطلبوا فاذا اعرابى فى شملة فأتى به فقال السلام عليكم قال هلم أيها الاعرابى قال قد دعانى من هو أكرم منك فاجبته قال ومن هو قال دعانى الله ربى الى الصوم وانا صائم قال وصوم فى مثل هذا اليوم الحار قال صمت ليوم هو أحر منه قال فافطر اليوم وصم غدا قال ويضمن لى الامير انى أعيش الى غد قال ليس ذلك اليه قال فكيف يسألنى عاجلا بآجل ليس اليه قال انه طعام طيب قال ما طيبه خبازك ولا طباخك قال فمن طيبه قال العافية قال الحجاج بالله ان رأيت كاليوم أخرجوه قال أبو عمرو خرج صعصعة بن صوحان عائدا الى مكة فلقيه رجل فقال له ياعبد الله كيف تركت الارض قال عريضة أريضة قال انما عنيت السماء قال فوق البشر ومد البصر قال سبحان الله انما أردت السحاب قال تحت الخضراء وفوق الغبراء قال انما أعنى المطر قال قد عفا الاثر وملأ القتر وبل الوبر ومطرنا احيا المطر قال انسى أنت أم جنى قال بل انسى من أمة رجل مهدى صلى الله تعالى عليه وسلم قال بشار وجد كبر دا العصب حملت صاحبى * الى ملك للصالحات قرين

وقال أيضا و بكر كنوار الرياض حديثها * تروق بوجه واضح وقوام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك بن مروان أما بعد فانا نخبر أمير المؤمنين انه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سقيا الله اياانا الا ما بل وجه الارض من الطش والرش والرذاذ حتى دقعت الارض واقشعرت واغبرت وثارت فى نواحيها أعاصير تذور دقاق الارض من ترابها وأمسك الفلاحون بايديهم من شدة الارض واعتزازها وامتناعها وأرضنا أرض سريع تغيرها وشيك تنكرها سيئ ظن أهلها عند قحوط المطر حتى أرسل الله بالقبول يوم الجمعة فاثارت زبرجا منقطعا ممصرا ثم أعقبته الشمال يوم السبت فطحطحت عنه جهامة والفت منقطعه وجمعت ممصره حتى انتضد فاستوى وطما وطحا وكان جونا مرتعنا قريبا رواعده واعتدت عوائده بوابل منهمل منسجل يردف بعضه بعضا كلما أردف شؤبوب اردفته شآبيب لشدة وقعه فى العراض وكتبت الى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قطع القطن قد ملأ اليباب وسد الشعاب وسقى منها كل ساق فالحمد لله الذى أنزل غيثه ونشر رحمته من بعد ما قنطوا وهو الولى الحميد والسلام وهذا أبقاك الله آخر ما الفناه من كتاب البيان والتبيين ونرجو ان نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته وأردناه من تأليفه فان وقع على الحال التى أردنا و بالمنزلة التى أملنا فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده وان وقع بخلافها فما قصرنا فى الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

نحمدك يامن وهبت البيان لنوع الانسان ففضلته بذلك على من سواه ووشحته بحلى التبيين ففاض نور العرفان حتى ملأ الكون وغشاه وفرقت اللغات آيات تدل على عظيم آلائك وشمول منحك واسباغ نعمائك ونشكرك جعلت أفصحهن دلاو بيانا وأبلغهن حسنا وتبيانا لغة العرب التى نزل بها الكتاب المبين وعجز عن معارضته كل منطيق له فى ميادن الفصاحة الفضل المستبين ونسألك الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الآتى باوضح الدلالات والمسفر عن شمس الحقائق باقصح الآيات وعلى آله نجوم الهدايه وأصحابه البالغين فى نصرته كل غايه ﴿أما بعد﴾ فيقول راجى غفران المساوى محمد الزهرى الغمراوى بحمده تعالى قد تم طبع كتاب البيان والتبيين للامام الشهير والعلم المنير أبى عثمان عمرو الجاحظ رحمه الله وأثابه رضاه وهو كتاب طالما تشوفت نفوس الادباء الى عذب موارده وتشوفت أرواح العلماء الى استنشاق عبير مقاصده انصافا لما انفرد به من غرر الفضائل واقرارا لقول من يقول لم يترك قولا لقائل فهو البحر الذى غزرت مياه محاسنه والجوهر الذى عزت فى الوجود فرائد معادنه جمع من غرر الخطب فى كل غرض مالم يعثر عليه فى كتاب ومن الشعر والنصائح والحكم كل عزيز مستطاب وذلك بالمطبعة العلمية بجوار الازهر بالقاهرة المعزيه ادارة السيد عمر هاشم الكتبى

جمل الله مسعاه وقرن بالنجح مبتغاه على ذمة ملتزمه حضرة الاديب

الفاضل والماهر الكامل الشيخ محمود البيطار الحلبى الكتبى

لازالت أياديه لاولى الآداب مشكوره ولابرحت

مساعيه بها نفوس ذوى الكمال مسروره

وكان الفراغ فى جمادى الاولى

من سنة ١٣١٣ هجريه

على صاحبها أفضل

الصلاة وأتم

التحيه

﴿ فهرست الجزء الثانى من كتاب البيان والتبيين للامام أبى عثمان عمرو الجاحظ رحمه الله ﴾

صحيفة

٢ باب اللحن

٥ باب ومن اللحانين البلغاء منهم خالد بن عبد الله القسرى الخ

٦ باب النوكى ومنهم مالك بن زيد مناه الخ

٨ باب فى العى

٢٢ باب من الكلام المحذوف

٣٦ مطلب فيما قاله عوانة من سعادة الرجل ان يطول عمره الخ

٣٨ باب من الشعر فيه تشبيه الشئ بشئ الخ

٤٤ باب من البله الذى يعترى الشخص من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب

٤٩ (كتاب العصا وأول الربع الثالث من القول فى البيان والتبيين الخ)

٨٢ مطلب فى بيان الرجوع للقول فى الكلام على العصا

٨٦ (كتاب الزهد) ١٠٢ باب وقال محمد بن يسير

١٠٧ مطلب فى المال ثلاث خصال الخ

١٠٨ مطلب فى بيان زهاد الكوفة

١١٠ مطلب فيما خلط من شعر وأحاديث ونوادر

١١٤ مطلب فى بيان رسالة ابراهيم بن سيابة الى يحيى بن خالد بن برمك

١٢٠ مطلب فى ذكر حروف من الادب من أحاديث بنى مروان وغيرهم

١٢٠ مطلب فيما يكتب فى باب العصى

١٢٢ مطلب فيما يزاد فى باب ذكر العصا

١٢٦ مطلب فى بيان خطباء الخوارج منهم قطرى بن الفجاءة
ومن شعرائهم وعلمائهم حبيب بن جدرة وعمران بن حطان الخ

١٢٧ مطلب فى كلام فى الادب وفى بيان الادعية من الصالحين وأهل السلف المتقدمين

١٣٣ مطلب فى بيان أدعية الغنوى

١٣٤ مطلب فى بيان انطاق الله تعالى اسمعيل بن ابراهيم صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين

١٣٦ مطلب فيما قاله بعض الانصار يوم السقيفة

١٥٤ مطلب فى بيان وجه التدبير فى الكتاب اذا طال ان يداوى مؤلفه الخ

١٥٩ مطلب فى بيان كلام النوكى والموسوسين والجفاء والاغبياء الخ

١٦٨ مطلب فى بيان ذكر تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ الخ

١٨١ مطلب فى بيان كلام بعض من عزى بعض الملوك وغيرهم

1170

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY